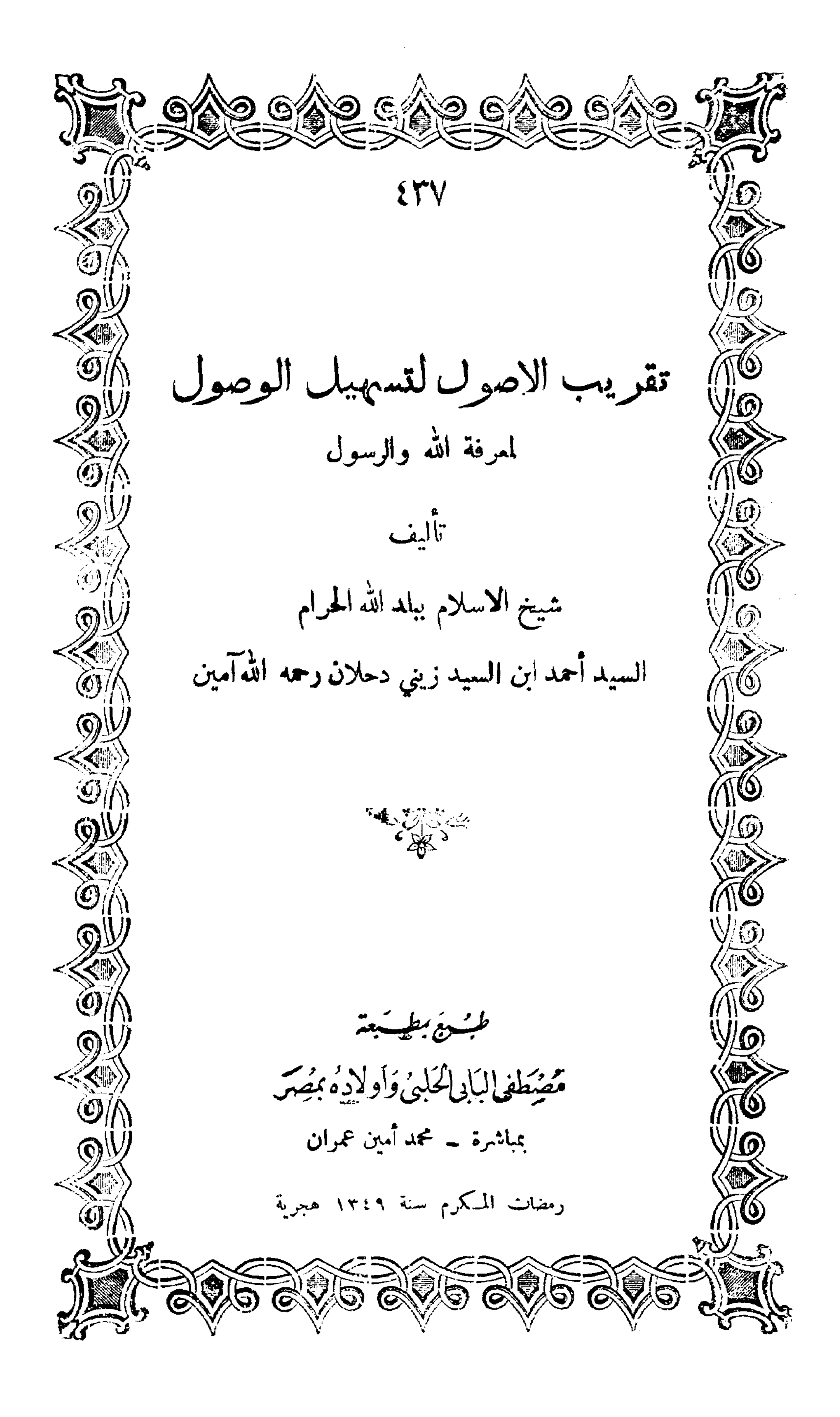


٤٣٧

تقريب الاصول لتسهيل الوصول

لمعرفة الله والرسول

تأليف

شيخ الاسلام ببلد الله الحرام

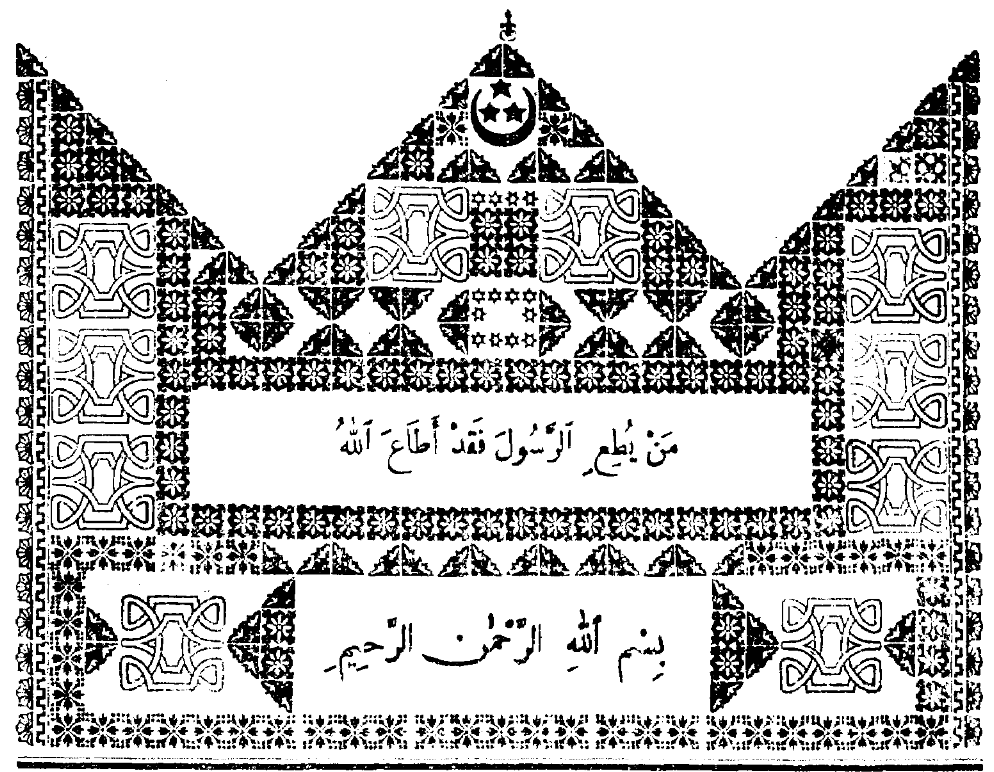
السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان رحمه الله آمين

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بمباشرة - محمد أمين عمران

رمضان المكرم سنة ١٣٤٩ هجرية



قال العلامة النحرير ☆ والشيخ الكبير ☆ ذو المقامات العليه ☆ والاحوال السنيه ☆ خاتمة المحققين ☆ وتاج أهل اليقين ☆ ذو التصانيف العديده ☆ والرسائل المفيده ☆ والتواريخ السديده ☆ مربى السالكين ☆ وقدوة العارفين ☆ شيخ الطريقة ☆ ومعدن الحقيقة ☆ شيخ الاسلام ☆ ببلد الله الحرام ☆ فريد الزمان ☆ سيدنا ومولانا السيد أحمد بن سيدنا السيد زينى دحلان ☆ أسكنهما الله فراديس الجنان ☆ آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فهذه رسالة جمعتها من كلام الائمة العارفين بالله تعالى فى تحقيق معنى معرفة الله تعالى وكيفية الوصول الى معرفته ☆ وسميتها (تقريب الاصول لتسهيل الوصول)

اعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى خلق الخلق ليعرفوه أى خلقهم مستعدين لمعرفته تمّ استعداد ومتمكنين منها أكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم ، وعبر عن ذلك سبحانه وتعالى بقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فعبر بالعبادة عن المعرفة لانها وسيلة الى المعرفة ، والعبادة أبلغ من العبودية لان العبودية اظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال ، والعبادة ذاتية للمخلوق لانها ذلة فى اللغة العربية وانما وقع التكليف بالافعال المخصوصة التى هى العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع وليست اللام فى قوله ليعبدون لام العلة والغرض لان ذلك محال على الله تعالى وانما هى لام العاقبة والغاية والصيرورة بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة وحكم جليلة مما لانزاع فيه قطعا كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لا يليق

بجنابه

بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لافضائه الى استكماله بفعل وهو الكامل من كل وجه ، وأما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء و يتعارفه أهل اللغة هذا المقدار و به يتحقق مدلول اللام ، وأما ارادة الفاعل لها أى العبادة فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوّق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى وتآخى المقدمات الموصلة اليها لايمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) كذا حققه المولى أبو السعود فى تفسيره فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولك أن تجرى فى ذلك استعارة تبعية تشبيها لعبادة العباد بما يفرض علة لخلقه فى الترتب عليه وقيل انه يصح فيها التعليل بالنظر الى أن المنفعة عائدة الى عباده لااليه سبحانه وتعالى تمسكا بأن الفعل الخالى عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال ، ولما دلّ الدليل القطعى على أنه تعالى لايفعل فعلا لغرض وجب أن تكون اللام فى هذا الموضع وأمثاله للحكمة والمصلحة التى تترتب على فعله تعالى وتكون هى غاية لما كانت بحيث لو صدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هى غرضا لفعله فشبهت بالغرض الحقيقى فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لأجل ذلك التشبيه وأطلق عليها اسم الغرض لذلك ✲ والحاصل أنه لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مستعدة لها جعل خلقهم مغيابها فالعبادة ليست غاية مترتبة على خلق الجن والانس فضلا عن أن تكون غرضا ومرادا حتى يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الارادة ، وانما دخلت عليها اللام التى حقها أن تدخل على الغرض أو ماشبه به فى كونه مترتبا على الفعل وحاملا عليه فى الجملة تشبيها لها بالغاية المترتبة من حيث أن الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة أى صالحة قابلة لها قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم الى خلقهم على تلك الصورة أن هدوا الى العبادة بالدلائل السمعية والعقلية فصاروا بذلك كأنهم خلقوا للعبادة وانما هى غاية مترتبة على خلقهم فلذلك أطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية للمبالغة فى خلقهم على تلك الصورة . وقيل ان المعنى وماخلقتهما الالأطلب منهم العبادة وقد طلب من الفريقين العبادة فى كتبه المنزلة على أنبيائه وهذا التقدير صحيح ولاحاجة الى تقدير الارادة لان الطلب لايستلزم المطلوب بخلاف الارادة فيكون حاصل المعنى وما خلقوا إلا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) وهذا مستمرّ على مذهب أهل السنة فلو أنهم خلقوا للعبادة ماعصوا طرفة عين لكنهم خلقوا للامر التكليفى الطلبى دون الامر الارادى والاملا يتخلف المراد عن الارادة ✲ فان قلت مافائدة التكليف والامر بما يعلم عدم وقوعه ممن أمر به ✲ فالجواب أن فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلهما ، هذا كله إذا حملت العبادة على ظاهر معناها وأما إذا أريد بها المعرفة فلا اشكال ، لانها حاصلة للكفرة أيضا كما قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لاما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ✲

وقال بعضهم لم أخلقهم الالأجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندى ولم أقسرهم (١)

(١) قال فى المصباح قسره على الأمر قسرا من باب ضرب قهره اهـ

عليها اذ لو قسرتهم عليها لوجدت منهم وأنا غنى عنهم وعن عبادتهم ☆ والحاصل أنهم خلقوا للعبادة تكليفا واختيارا لا جبلة واجبارا فمن وفقه الله وسدده أقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق له ☆ وفى الحديث «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» . وقال بعض العارفين (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) لأن درة معرفتى مودعة فى صدف عبوديتى . وان معرفتى تنقسم قسمين معرفة صفة جمالى ومعرفة صفة جلالى ولكل واحدة منهما مظهر والعبودية مشتملة على المظهرين بالانقياد لها والتمرد عنها فمن انقاد لها بالتسليم والرضا كما أمر به فهو مظهر صفات جمالى ولطفى ومن تمرد عنها بالاباء والاستكبار فهو مظهر صفات جلالى وقهرى فحقيقة معنى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذى أردت من خلقهم . وقد علمت أن العبودية مشتملة على المظهرين والحكمة لا تقتضى اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فان ذلك مما يخل بالمعاش ، ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا فلا بد من الغضب لتكميل قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا أى مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى ، فالأرض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة الالهية ظهور ما أضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما . وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الاصلى وجود الانسان الكامل وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ الذى هو مرآة جماله سبحانه وتعالى وقد وجد والسواد الاعظم هو الواحد الذى يكون على الحق . وقال الامام الواحدى مذهب أهل المعانى فى الآية الا ليخضعوا الى ويتذللوا . ومعنى العبادة فى اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته خلقه على ما أراد ورزقه كما قضى لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه ☆ وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها يعنى أن المؤمنين يقرون له طوعا والكافرين يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم بهذا الاعتبار عابدون وعلى هذا قوله تعالى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) على معنى ما يوجد منهم من دلائل الحدوث الموجبة لكونهم مربوبة مخلوقة مسخرة فهذه جملة الاقوال فى هذا الباب وفى خلقهم للعبادة بطريق الحصر اشارة الى ان الربوبية لله تعالى كما أن العبودية للمخلوقين وهى أخص أوصافهم حتى قالوا انها أفضل من الرسالة بمعنى أن عبودية الرسول أفضل من رسالته لان عبوديته متعلقة بالخالق ورسالته متعلقة بالخلق ولذا قال تعالى (أسرى بعبده . وأنزل على عبده) ولم يقل أسرى برسوله ولا أنزل على رسوله . وقدم العبد فى أشهد أن محمدا عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوقين فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وان ظهرت من العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله تعالى وكماله

﴿والعبادات عشرة أقسام﴾ الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله تعالى فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وأمارة المحبة كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فينبغى للعبد أن يعبد ربه ويتذلل لخالقه بأى وجه كان وجميع أنواع العبادة موجبة لمعرفة الله تعالى كلما زادت زادت معرفته بالله تعالى ومعرفة العبد ربه نور يقذفه فى قلب عبده فيرى بذلك النور أسرار

ملكه و يشاهد غيب ملكوته و يلاحظ صفات جبروته ، ثم تشترك قوة ادراكه على مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور

وذلك معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) أى فى قلب المؤمن وانما سمى الحق نفسه نورا لأن النور هو الضياء المظهر للاشياء فاذا سمى ما يظهر غيره بالاضافة الى الادراك نورا فلأن يسمى من يظهر الاشياء من كتم العدم الى فضاء الوجود بالايجاد نورا بالاولى بل هو نور النور لانه مظهر النور ضرب الحق مثل نوره فى قلب المؤمن وشبه صدره بالمشكاة أى الكوة وقلبه فى صدره بالقنديل فى المشكاة وشبه معرفته بالمصباح أى الضوء فى القنديل وشبه القنديل الذى هو قلبه بالكوكب الدرى وشبه امداده بمعرفته بالزيت الذى يمد السراج فى الاشتعال

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ✫ ولكنما الأهواء عمت فأعمت

وأصل النور الذى حصل به معرفة الله انما حصل بمحض فضل الله تعالى لا بكسب ولا سبب وتحصل قوته بعد ذلك باكتساب العبادات واظهار الذلة والمسكنة فى جميع الحالات ✫ ولذلك جاء فى الخبر أن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ✫ وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه هل عرفت الله بمحمد ﷺ أو عرفت محمدا بالله تعالى . فقال لو عرفت الله بمحمد ﷺ ما عبدته ولكان محمد أوثق فى نفسى من الله تعالى ، ولو عرفت محمدا بالله لما احتجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله عرفنى نفسى بلا كيف كما شاء ، و بعث محمدا ﷺ بتبليغ أحكام القرآن و بيان معضلات الاسلام والايمان و إثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الاخلاص فصدقته بما جاء به ، فعلم أنه يستحيل الوصول الى معرفة الله بغير الله ، ولا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالله فان الأفهام والاوهام والخواطر عاجزة قاصرة عن إدراك تصورها بصورها وعللها فكيف تطيق ادراك مصورها ومعللها ، وانما الحق سبحانه خلق خلقه كما شاء على ما شاء ووفق من شاء لما شاء وعرف من شاء بما شاء . وقول على رضى الله عنه ولكن الله عرفنى نفسى ، أى بالعجز والافتقار فعرفت أن لها ربا أوجدها . ولذلك قال رسول الله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه ، أى من عرف نفسه بالعجز والافتقار عرف ربه بالقدرة والغنى ✫ وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اعرفنى واعرف نفسك . فقال إلهى عرفتك بالفردانية والقدرة والبقا ، وعرفت نفسى بالضعف والعجز والفنا ، فقال يا داود الآن عرفتنى ✫ وقال الامام القشيرى المعرفة صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته ثم صدق الله فى معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله بجميل اقباله ، وصدق فى جميع أحواله ، وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام فى السر مع الله مناجاته وحق فى كل لحظة الى الله رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه وتعالى بتعريف أسراره فيما يجرى من تصاريف أقداره سمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة فبمقدار أجنبيته من نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل ✫ ومن أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته والمعرفة توجب السكينة ✫ وقيل لأبى يعقوب السوسى هل يستأنس العارف بشىء غير الله ، فقال وهل يرى غير الله فيستأنس به . فقيل له فبأى عين ينظر الى الاشياء ، قال بعين الفنا والزوال ✫ وقال أبو يزيد ، العارف طيار والزاهد سيار والعارف

تبكي عينه ويضحك قلبه ☆ وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطؤها البرّ والفاجر وكالسحاب يظلّ كل شيء وكالمطر يسقى ما يحبّ وما لا يحبّ ☆ وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره منها من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه ☆ وتنقسم معرفة العبد بربه الى عامة وخاصة : فالعامة هي الاقرار بالوحدانية والتصديق بالغيب كأنه معاين : والخاصة هي التي تجذب بها القلوب الى المحبوب وينشأ عنها التبتل له والانس به تعالى والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له ومعرفة الله تعالى هي أعلى المطالب وأسنى المواهب . والمعنى بها ما يقع من تجلي الحق تعالى لقلوب خواصه وتحقق أسرارهم بأحديته ، وذلك لما أفاض الله عليهم سبحانه من أنوار الشهود وأطلعهم عليه من مكنون الوجود فانغمسوا فى بحار الأنوار وغرقوا فى المعانى والاسرار . وقد قيل فى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) . جنة معجلة وهى جنة المعارف . وجنة مؤجلة وهى جنة القيامة وأن من دخل هذه لا يشتاق الى تلك يعنون بالنسبة الى حورها وقصورها لا بالنسبة الى ما يحصل هناك من القرب والتعرف فشتان ما بينهما فان ما يفاض على قلوب العارفين فى هذه الدار انما هو شبيه لما أعد لهم أكرموا بتعجيله فى هذه الدار ☆ قال بعض العارفين مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما عرفوا أطيب ما فيها . قيل له وما هو ؟ قال معرفة الله تعالى ، ولكل من العامة والخاصة درجات بحسب الأذواق والمقامات وكما أن للعامة طريقا ، وهو النظر كذلك للخاصة طريق وهى المجاهدات والرياضات وذلك طريق بحسب العادة والا فالمعرفة لا تحصل الا بفيض إلهى ☆ ولذا سئل الصديق الأكبر رضى الله عنه بم عرفت ربك . فقال بما عرفنى به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شيء ، ولا يقال تحته شيء وأمام كل شيء ، ولا يقال أمامه شيء وهو على كل شيء قدير ليس كمثله شيء . ولا يقال كشيء فى شيء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره ، ومعرفة الله أكمل اللذات كما شرح ذلك الامام الغزالى فى إحياء علوم الدين ، ثم قال بعد ذلك الشرح والبيان فان من طال فكره فى معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله تعالى ألذّ الأشياء وأنه لا لذّة فوقها ، ولهذا قال أبو سليمان الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله تعالى ، ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخى رضى الله عنه له أخبرنى يا أبا محفوظ أيّ شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت ، فقال له ذكر الموت فقال وأيّ شيء الموت ؟ فقال ذكر القبر والبرزخ ، فقال وأيّ شيء القبر . فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا ، ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا ☆ وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ☆ وقال أبو سليمان الدارانى من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه فقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهى قرة العين التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية ☆ وقال القطب سيدى أبو بكر بن عبد الله العيدروس صاحب

عبد من عرف الله صفاله العيش وطابت له الحياة فان خالط فهو كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيب وغائب فى حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة ذكر الرب جلّ وعلا ، ويتوقف كمال معرفة الله تعالى بعد أن يعرف أن له بأوجده على الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم . وبما جاء به وعلى امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، ثم لا يزال العبد يترقى فى معرفته بزيادة التقوى وكثرة الطاعات وترك الشهوات والتخلى من الصفات الذميمة المهلكات والتحلى بالصفات الجيدة المنجيات ✲ فالمهلكات كالعجب والكبر والرياء والحسد والغضب وشهوة البطن والفرج وآفات اللسان والبخل وحب الجاه وحب المال والغرور وطول الأمل ✲ والمنجيات كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والفقر والتواضع والزهد والورع والتوكل والنية والاخلاص والصدق والمحبة والشوق والأنس والرضا وقصر الأمل وحب الموت

وقد تكفل الامام الغزالى رضى الله عنه فى احياء علوم الدين ببيان ذلك كله فذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها فمن أراد كمال معرفة الله وسلامة دينه فلا بدّ له من معرفة ذلك ✲ وطرائق السادة الصوفية كلها مبناها على العلم والعمل والتخلى من الصفات الذميمة والتحلى بالصفات الجيدة ✲ قال الامام القطب سيدنا عبدالله العيدروس رضى الله عنه ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الاسلام الغزالى فى كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشان الملقب باحياء علوم الدين الذى هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة والحقيقة فعليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى فى كتاب احياء علوم الدين ولو بعث الله الموتى لما أوصوا الاحياء الا بما فى الاحياء وقال أشهد سرّا وعلانية ان من طالع الاحياء كان من المهتدين

قال فى المشرع الروى وكان العيدروس رضى الله عنه ينهى أصحابه عن مطالعة الفتوحات المكية والفصوص ويأمرهم بحسن الظن فى الشيخ محى الدين بن عربى واعتقاد انه من أكابر الاولياء العارفين وماذاك الالعلوها عن فهم العوام وغموض معانيها عن كثير من الفهوم بخلاف كتب حجة الاسلام الغزالى فانها تصل الى فهم معانيها عموم الافهام ويشترك فى الوصول الى العلم بها الخاص والعام وبمثل ماقاله العيدروس صرح الجلال السيوطى فقال القول الفصل عندى فى ابن عربى اعتقاد ولايته وتحريم النظر فى كتبه وكذا العلامة ابن حجر فى فتاويه فانه صرح باعتقاد ولايته وتحريم مطالعة كتبه وقال قدرأينا أناسا أدمنوا مطالعتها فتزلزلت قواعد الاسلام فى قلوبهم وخلعوا ربقة الايمان وقال ان بعض تلك المقالات صدرت منه فى حال غيبة واصطلام وبعضها مبنى على اصطلاح له لا يعرفه الا من تمكن فى المعقول والمنقول وتضلع من علوم الحقيقة والشريعة ✲ وفى الجواهر واليواقيت للشعرانى ان بعض تلك المقالات مدسوسة على ابن عربى من بعض أعدائه ✲ وفى الدر المختار من كتب السادة الحنفية برز الامر السلطانى بالمنع من مطالعة كتب ابن عربى وأما كتب بقية الطرائق التى ليس فيها شئ من المقالات الخفية التى توهم فهم شئ يخالف ظاهر الشريعة المطهرة فلا بأس بمطالعتها وربما تقف فى بعض كتب السادة الشاذلية على بعض العبارات التى فيها تخفيف الامر على السالكين وانهم لا يحتاجون الى كثرة المجاهدات وانما عليهم امتثال الامر واجتناب النهى وكثرة الشكر ورؤية الفضل والمنة لله تعالى مع التبرى من الحول والقوة فتظن ان طريقتهم

مخالفة لما قرره الامام الغزالى فى الاحياء من كثرة المجاهدات وليس فى الواقع بينهما مخالفة بل كل كلام بالنسبة لأناس فغالب كلام الامام الغزالى منظور فيه الى عموم الخلق المنهمكين فى المعاصى والشهوات فانه لاينفعهم الا كثرة المجاهدات وهذا لاينافى انه صرح فى مواضع بان من انقضى عمره فى الطاعات واجتناب الشهوات لايحتاج الى كثرة المجاهدات بل يكفيه امتثال الأمر واجتناب النهى والتخلى من الصفات الذميمة والاتصاف بالصفات الحميدة ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرى من الحول والقوة ، وأما الامام الشاذلى فكان غالب كلامه مع أناس انقضت أعمارهم فى الطاعات واجتناب الشهوات وتخلوا عن الصفات الذميمة واتصفوا بالصفات الحميدة فيكفيهم بعد ذلك رؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرى من الحول والقوة وهذا لاينافى ان الامام الشاذلى صرح فى بعض المواضع بكثرة المجاهدات بالنسبة لاناس انقضت أعمارهم فى المعاصى والشهوات فكل من الحالين منزل على أناس فيخاطب كل مريد بما يناسبه فلاتنافى ولاخلاف بين كلام الغزالى والشاذلى ، ولذلك قال بعض شراح الحكم فى أثناء كلام ذكره فى شرح حكمة من الحكم اذا الكتاب موضوع لبيان طريق الخصوص أى وهذا بخلاف كتب الامام الغزالى كالاحياء فى غالبه فانه جعله لجذب أهل العموم وطلب ترقيهم ✲ ولهذا قال الشيخ أبو بكر العيدروس العدنى ان الغزالى ملأ كتابه الاحياء من ذكر الاخلاق المذمومة وعلاجها وأنا لم يحصل لى شئ مما ذكره أصلا فبذلك يعلم أن كلام الغزالى ليس مع أمثال العيدروس رضى الله تعالى عنه ✲ قال الامام قطب الارشاد السيد عبد الله بن علوى الحداد أن الاولى للمريد السالك أن يطالع الكتب الغزالية أولا ، ثم يطالع الكتب الشاذلية واذا اقتصر على الكتب الشاذلية ربما يحتج بالكثير من كلامهم المنظور فيه الى الحقيقة فيحتج بالقضاء والقدر ويهمل الكسب الذى جاءت به الشريعة وعليه مناط التكليف فتزل قدمه ويصير كاللحم على وضم ، فالطريقة التى تجمع بين الكتب الغزالية والشاذلية على هذا الترتيب هى الطريقة المرضية ✲ ومن كلام بعض الشاذلية بداية طريقتنا نهاية الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه فربما يفهم من هذا الكلام أن طريقتهم أعلى من طريقته وليس ذلك مراد القائل وانما مراده أن الشيخ عبد القادر حصل منه مجاهدات كثيرة فى بداية أمره ، ثم لما حصل له كمال المعرفة قال مانفعنى الله الا برؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرى من الحول والقوة لا بتلك المجاهدات فمراد هذا القائل أن هذا الذى قاله الشيخ عبد القادر فى نهايته يأمرون به السالك فى بدايته ، أى يأمرون به من لم يكن منهمكا فى المعاصى والشهوات

وبالجملة فرؤية الفضل والمنة والتبرى من الحول والقوة ورؤية العجز والمسكنة مع كثرة الشكر لله تعالى من أعظم الاسباب الموصلة الى معرفة الله تعالى بعد امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والتخلى من الصفات الذميمة والتحلى بالصفات الحميدة وهى أيضا من أعظم الاسباب المسهلة للتخلى من الصفات الذميمة والتحلى بالصفات الحميدة ومما يعين على الاتصاف برؤية الفضل والمنة والتبرى من الحول والقوة كثرة الفكر فيما أنعم الله تعالى به على العبد من النعم ودفع عنه من النقم فان كثرة الفكر فى ذلك توجب كثرة الشكر وتوجب رؤية الفضل والمنة لله والتبرى من الحول والقوة وذلك سبب الفلاح قال الله تعالى (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) ✲ قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه العاقل من عقل عن الله تعالى ما أراده به ومنه شرعا والذى يريده الله بالعبد أربعة أشياء اما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية فاذا كنت بالنعمة فالله يقتضى منك الشكر شرعا واذا كنت بالبلية فالله يقتضى منك الصبر شرعا

واذا

واذا أراد الله تعالى منك الطاعة فانه يقتضى منك شهود المنة ورؤية التوفيق منه شرعا واذا أراد بك معصية فانه يقتضى منك التوبة والانابة شرعا فمن عقل هذه الاربعة عن الله تعالى كان قريبا بما أحبه الله منه شرعا فهو عبد على الحقيقة بدليل قوله ﷺ من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ، ثم سكت فقالوا ماله يارسول الله فقال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ✲ وقال رضى الله تعالى عنه العاقل من عقل عن الله آياته وشغله بالفكر والذكر فى آلائه وفتح له السبيل بالالتجأ والافتقار اليه والدعاء والسؤال منه والاعتصام به فاستجاب لله واستجاب الله منه فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) الى آخرها وقال رضى الله تعالى عنه العاقل عن الله من عرف فى شدائد الزمان الألطاف الجارية عليه من الله تعالى وعرف اساءة نفسه فى احسان الله تعالى اليه (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) ✲ ومن كلام الامام الشاذلى أيضا رضى الله تعالى عنه خمس من لم يكن منهن فيه شئ فلا ايمان له التعظيم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض فى أمر الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الاولى ✲ قال الشيخ زروق رضى الله تعالى عنه مبنى طريق الشاذلى رضى الله تعالى عنه الالتجأ الى الله تعالى فى المبادى والشكر له فى التناهى والرضا عنه فى الواردات والصبر له فى المكاره والتسليم له فى الاقدار وايثار حقه على كل شئ وفى كل شئ وباب هذا الجمع استدامة الذكر مع الاستحضار بأن يستحضر الشخص فى غالب أوقاته أنه بين يدى الله وأنه مطلع عليه ورقيب عليه وأنه خالق لحركاته وسكناته وأقواله وارادانه وماوقع عليه أومنه من خير أوشر أونفع أوضر كل ذلك خلق الله وتقديره مع ملاحظة أن ماوقع منه من المخالفات مؤاخذ به باعتبار كسبه المكلف به ولا ينظر فى ذلك الى خلق الله وتقديره لأن ذلك محجوب عنه ولا علم له به عند اقدامه على المخالفة ولذلك قال الله تعالى فى الرد على المشركين المحتجين بالقضاء والقدر بقولهم (لوشاء الله ما أشركنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) فاذا حصل هذا الاستحضار أوجب له الشكر لله تعالى على ماخلق فيه من الطاعات فيرى الشكر كله لله تعالى ويتبرأ من حول نفسه وقوته وأوجب له أيضا الالتجأ الى الله تعالى فى غفران ما اكتسب من الزلات ✲ قال سيدى أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه الطرق الى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق وأقربها الذل والانكسار ✲ وقال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه ماوصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا بصيام نهار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر والنداء بلسان الذل والافتقار ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من الحول والقوة ولابد لمن أراد معرفة الله تعالى من تعلم العلم النافع الذى يؤدى به العبادات ويعرف به صفات النفس الباطنة ويقدم قبل الجميع معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة ليعرف مايجب لله وملائكته ورسله ومايستحيل ومايجوز ليسلم من التصورات الفاسدة ولذلك كانت طريق السادة الصوفية مبناها على طلب العلم وكثرة الذكر مع الحضور وكانت بهذا الاعتبار أسهل الطرق وأقربها فى الوصول الى معرفة الله تعالى لان مافى النفس من النور الاصلى يتعاضد ويتقوى بنور العلم لمن يشتغل به وبنور الذكر حتى يندفع مافيها من الرذائل ويزداد إقبالها على حضرة القدس وادبارها عن الدنيا حتى تمحق عنها بالكلية ويحرق الذكر من القلب ماسوى المذكور ولابد أن يصحح مقصده فى ابتداء أمره وهو أن يكون قصده التقرب الى الله تعالى والتعبد محبة له من غير التفات الى غير ذلك وليكن مبتهلا الى الله تعالى فى تحصيل مقصده متوسلا الى الله تعالى بالادعية التى تتأوه بذكر ذلك ، فعلم من ذلك أنه لابد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه لان الذكر يكون كالمصباح فى يده يستضىء

به وتحصل الواردات فى قلبه بقدر ذكره ووروده

قال سيدى الشيخ عبد الرحمن السقاف من لاله ورد فهوقرد ومن ليس له أذكار فليس بذكر ومن لا يطالع الاحياء ليس له حياء ومن لم يقرأ المهذب ماعرف المذهب ومن لاله أدب فهودب والكلام على فضل الذكر وما ورد فيه شهير لاحاجة الى الاطالة بذكره لانه سيأتى فى محله و يتخذ المريد ماياًمره به شيخه من الاذكار واذا فقد الشيخ المرشد فالاذكار النبوية الواردة عن النبى ﷺ هى أفضل من غيرها ويكفى منها الورد اللطيف للقطب الحداد فان الاذكار التى فيه هى أمهات الاذكار المأثورة وكذا يكفيه تلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ ۞ وذكر العلامة سيدى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر فى شرحه على صلاة سيدى أحمد البدوى وفى كتابه المسمى مرآة الشموس فى مناقب آل العيدروس أنه يعدم المربيون فى آخر الزمن ويصير مايوصل الى الله تعالى الا الصلاة على النبى ﷺ مناما ويقظة وان جميع الاعمال منها المقبول ومنها المردود الا الصلاة على النبى ﷺ فانها مقطوع بقبولها اكراما له ﷺ ۞ وحكى اتفاق العلماء على ذلك ۞ وسئل سيدى عبد الله بن علوى الحداد رضى الله تعالى عنه عن معنى السير الى الله تعالى ماهو ، فأجاب بانه تزكية النفس والجوارح عن منكرات الاخلاق والاعمال وبذلك يقرب العبد من الله تعالى قربا معنويا وكلما كان أزكى وأطيب كان أدنى وأقرب والسالك من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره والطريقة هى العمل بمقتضى ماشرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ وماشرعه الله يسمى شريعة وكذا العلم بذلك فانه يسمى أيضا شريعة والعمل بذلك العلم يسمى طريقة والحصول على ثمرة ذلك من مفاجأة وجه الحق والوقوف على حق اليقين يسمى حقيقة والواصل الى الله تعالى من وصل من العلم بالله سبحانه وتعالى الى حد انتهى اليه علم العلماء به من خلقه وأهل هذه المرتبة يتفاوتون فيها تفاوتا لاينحصر . وللواصل الى هذا المقام حالتان تسمى أحداهما بالجمع وهو الاستغراق فى شهود عظمة الله وصفات جماله وجلاله والأخرى تسمى بالفرق وهى شهود الخلق فاذا ورد على العارف بالله تعالى حالة الجمع فنى عن نفسه وغيره من أبناء جنسه واستغرق بربه وذهب فيه بالكلية فلا خاطر هناك يخطر ولاموجود يظهر الا الموجود الحق جل وعلا والى هذا الجمع الاشارة بقوله ﷺ لى وقت لايسعنى فيه الا ربى ، ثم ان داوم وارد الجمع عزيز جدا وعند دوامه تظهر أمور عجيبة وشئون غريبة والكامل من يجمع بين الحق والخلق فيكون مع الخلق بظاهره ومع الحق بقلبه وذلك رتبة الأنبياء والصديقين والاولياء الكاملين ولاشئ أعون للعبد على موصله الى الله تعالى مثل الاكثار من ذكر الله تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه مع اظهار الذل والافتقار والتبرى من حول العبد وقوته والرجوع الى حول الله وقوته ورؤية الفضل والمنة لله تعالى ۞ قال العلامة المناوى فى شرحه على حكم ابن عطاء الله وفى الاكثار من البسملة والاتيان بها عند كل أمر ذى بال تمسك بالعروة الوثقى وشهود لمقام الاحسان وان كل شئ لايكون الا بالله وفى ذلك تبرؤ من الحول والقوة ومن تحقق بهذا المقام لايعتمد على شئ من الأعمال بل على فضل الله ورحمته ، والناس على ثلاثة أقسام معتمد على العمل وعلامته نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومعتمد على فضل الله تعالى وعلامته الرجوع الى الله تعالى فى السراء والضراء والتبرى من الحول والقوة ومعتمد على سابق القسمة وعلامته الاستسلام والسكون تحت مجارى الاحكام فهو ناظر الى ربه فان عن نفسه فاذا فرطت منه زلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه فيرجع اليه بالالتجاء والافتقار فيلهمه

توبة تزيل الاصرار كما أنه اذا حدث له طاعة لم يشهد فيها نفسه لأن السابق الى قلبه ذكر ربه فنفسه مطمئنة تحت جريان الاقدار وقلبه سابق لما لاح له من الأنوار فلا فرق عنده بين الحالتين لكونه غريقا فى بحر التوحيد مخرجا لنفسه من البين فلا يزيد رجاؤه لعلة ولا ينقص لزلة فلا ينقص من خوفه مايجتنبه من العصيان كما لا يزيد رجاءه مايجتنبه من الاحسان بل يكون دائم البشر متواصل الاحزان كما كان عليه حبيب الرحمن ﷺ وهذا كله نشأ من شهود أن بالله كان ما كان وبه يكون ما يكون الذى دلت عليه باء البسملة

﴿فمن اعتمد على سعة الكرم زاد رجاؤه عند سبب الندم﴾ وذلك يوجب محو زلته واقالة عثرته ويرى ان زيادة الرجاء لاهل التقصير أولى من أهل الجد والتشمير لأن المقصر أولى بالاحسان وأحرى بالامتنان بشرط وجود أصل الايمان وامتثال الأمر حسب الامكان فلا يعتمد الا على فضله ولا يرى معه غيرا وحسبك أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا فلا يوقع الله به شيئا الا وهو يظن ان الله أراد به خيرا فيشكره عليه ويرضى به ؛ وهذا لا ينافى انه ينبغى له ان يرجع الى نفسه باللوم والتوبيخ عند اكتسابه خلاف الاولى فهو وان حصل منه لوم وتوبيخها لكن جل نظره استغراق شهوده احسان الله اليه حيث أوقع به هذا الذى وقع به ولم يبتله بأعظم منه من أنواع التقصير ويشكره حيث ألهمه الشكر وحيث لم يسلبه بقية النعم ؛ فهو لا يشهد الا فضل الله وامتنانه عليه فيكون راضيا بجميع أفعال الله تعالى من حيث صدورها من الله تعالى وان كان يكره بعضها من حيث كسبه لها حيث كانت حراما أو مكروها أو خلاف الاولى . والسالكون فى بداية أمرهم يعتمدون على الاعمال لغلبة الوهم على وجودهم وتراكم الخيال على مرآة عقولهم فاذا شملت العناية السالك فى البداية خلصته من ظلمة حجاب اعتماده على عمل فينكشف له أن الحول والقوة لله فى كل شئ وانه خالق لجميع أفعال العبد فيكون بالله لا بنفسه فى جميع شئونه فيغلب عليه اللهج بسم الله فى كل ما يأتى ويذر فبداية السالك التوبة ثم اذا ارتقى الى مقام السلوك فخلعته دوام الذكر وادمان الفكر ليرقى الى مقام المراقبة ثم الحياء فتكون خلعته لزوم الادب تعظيما لحضرة الحق ثم منه الى مقام المعرفة فتكون خلعته اليقين فيفنى فى فنون الفناء شوقا الى البقاء وهكذا الى مالا نهاية له فهذا حال أهل هذا الشأن وأما غيرهم ففى بحر ظلمة النفس سابحون وعلى الاعمال معتمدون ظنا أنها تقرب وتبعد وتنجى وتسعد هيهات انما السعادة بيد من بيده النواصى خالق فعل الطائع والعاصى وليس القصد توهين العمل ولا نفيه لانه مأمور به ولا بد منه امتثالا لامر الله وقياما بحق ربوبيته وعظمته لانه يستحق ذلك لذاته بل التوقيف على انه انما يثمر بالفضل والرحمة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) أى من الاموال والاعمال فالقصد التوقيف على ان النجاة من العذاب والفوز بالثواب بفضل الله والعمل غير مؤثر فيها على جهة الاقتضاء والايجاب بل هو علامة على ان الفاعل أهل لان يتفضل الله عليه ويقرب رحمته اليه (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿قيل لبعض العارفين﴾ وهو يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه انك لا تدرك مرادك من أملك حتى تتوب من زللك ؛ فقال لو أن التوبة تطرق بابى ما أذنت لها فى الدخول على انى أنجو بها من عذاب ربى ولو أن الصدق والاخلاص عبدان لى بعتهما زهدا فيهما لانى ان كنت فى الازل سعيدا مقبولا لم أتخلف لكثرة الذنوب أو شقيا مخذولا لم تسعدنى توبتى واخلاصى وصدقى وان الله خلقنى بلا عمل ثم هدانى لدينه فاعتمادى على كرمه أولى من اعتمادى على أفعالى المدخوله وصفاتى المعلوله ان كنت حرا عاقلا

لان مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة المعرفة انا بالكريم المتفضل انتهى ✲ وهذا كلام من فني عن حظوظه وفني عن الفناء وليس لأمثالنا التعلق به ولا التعريج عليه ✲ والحاصل ان العبد يعمل الطاعات و يترك المخالفات عبودية لله تعالى وامتثالا لأمره ولا يعتمد عليها بل على محض فضل الله تعالى مع القيام بشكره حيث أوجد فيه الطاعات وأبعده عن المخالفات و يعلم ان ذلك علامة على ارادة الله الخير به ولا يغفل عن رؤية المنة لله تعالى حيث أوجده فيه ولم يوجد ضده من غير اعتقاد تأثير للأعمال ولا اعتماد عليها في حال من الاحوال وهذا لا يكون الا لأهل الشهود الذين غرقوا في مقام الاحسان فيشهدون الكل من الله وبالله و يلازمون على قول بسم الله مع الحضور مع المذكور والغيبة عما سواه ومن شهد الافعال من الله تعالى حقيقة ينتفي عنه العجب بعمله لأنه لا يرى لنفسه عملا ٠

﴿قال شارح المجالس﴾ العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لأنهم لم يروا لأنفسهم عملا وان ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل ✲ قال الشيخ زروق ومعنى كون الدية على القاتل ان حكم الفعل على الفاعل ولا فاعل سواه سبحانه وقد صح ان لا حكم عليه ولا حق فوجب ان يسلم له في فعله بقدر ما يشاء و يجازى بما يريد لا عتب عليه آخرا كما لا حرج عليه أولا انتهى ، وقيل المعنى فالدية على القاتل كسبا وهو العبد وكذلك الاثم على الفاعل كسبا اذ الكسب هو مناط التكليف وبذلك تميزت العقيدة عن عقيدة الجبرية ولله الحجة البالغة وقيل معنى كون الدية على القاتل أى القاتل حقيقة قال تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) أى فيرجعون الى الله و يلتجئون اليه فيلهمهم توبة لان الدية على القاتل فلم يشهدوا غيره في الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبتهم منه ورجاؤهم أنسهم به وأما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال لها وطلب الحظ لها اعتمادا على تلك الاعمال وسكونا الى تلك الاحوال فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة من نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعدى طوره فيدعى مقامات الخاصة المقربين وانما هو من عامة أصحاب اليمين

﴿قال ابن عطاء الله في الحكم﴾ لا نهاية لمذامك ان أرجعك اليك ، ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك ، والمعنى ان من أرجعه الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وعمله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه فتكون أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ، ومن آواه الله تعالى اليه وأظهر جوده عليه ورأى الفضل والمنة لله عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل

لما أنست الى حمدك تعرفت ✲ ذاتي فصرت أنا والا من أنا

✲ والحاصل انه اذا وكلك لنفسك وخلى بينك و بينها لم يبق فيك ما يستحسن ولم تنقض عيوبك ومساويك فاذا لم يوفقك ولم يعنك لم يظهر منك الا النقائص وان وفقك وأعانك ظهر عليك من الفتح العجب العجاب ويقال للصديقين على لسان الحضرة اذا رددنا كم عليكم لم يبق الا العجز والضعف والفاقة والذلة ، واذا أخذنا كم عن أنفسكم صرتم بنا أغنياء قادرين أقوياء أعزاء تنفعل لكم الأكوان وتتسخر لكم الاشياء واعظم

اذا كنا به تهنا دلالا ✲ على كل الموالى والعبيد

ولكنا

واكنا اذا عدنا الينا ✲ يمطل ذلنا ذل اليهود

﴿قال سهل بن عبدالله رضى الله عنه﴾ ان الله يلقى على الخصوص الفاقة ويحوجهم الى الخلق بالاحتياج والطمع فيهم ويلقى فى قلوب الخلق المنع لهم وحرمانهم مافى أيديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لايحتسبون (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) واستحضر أن ذلك كله بالله لا بنفسك وقل اللهم لا تكلنى الى نفسى ولهذا كان رسول الله ﷺ دائم الافتقار الى مولاه وكان يقول دائما لا تكلنى الى نفسى طرفة عين واكلأنى كلاءة الوليد أى المولود فان أمه وأهله يبالغون فى حراسته وحفظه من كل مايؤذيه ✲ وقال أيضا فى الحكم من عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله تعالى اليه لم يصمت اذا أساء يعنى من شاهد احسان نفسه وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله تعالى فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء

﴿وهذه طريقة أهل التكليف﴾ الذين ينظرون مامنهم الى الله تعالى من عمل صالح أوطالح ومن شاهد احسان الله تعالى اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه فى الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون مايأتى من الله اليهم وذلك مخالف لما عليه أهل التكليف الذين ينظرون مامنهم الى الله تعالى وهذه مسئلة عظيمة مهمة ينبنى عليها آداب وأحكام جمة وهى مسئلة اختلاف الناس فى معاملتهم لربهم وقد نبه عليها صاحب الحكم وبسط الكلام عليها فى كتابه المسمى لطائف المنن فى مناقب شيخه أبى العباس وشيخه الشيخ أبى الحسن رضى الله عنهما فقال

﴿قال يعنى شيخه أبا العباس المرسى رضى الله عنه﴾ الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود مامنه الى الله تعالى وعبد هو بشهود مامن الله اليه وعبد هو بشهود مامن الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ رضى الله عنه أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان وتحالفه الاشجان ويتولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أوكشف له عن أوصاف سوء وعبد الغالب عليه شهود مامن الله اليه من التفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة والفرح بنعمة الله تعالى قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) والاول هو حال الزهاد والثانى حال أهل العناية والمودة والاول شأن أهل التكليف والثانى شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثانى حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان فى الالطاف الجارية من الله عليه وغرق اساءته فى احسان الله تعالى اليه (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) فقليل من العمل مع شهود المنة لله تعالى خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير من النفس لان شهود التقصير لايخلو عن الشرك فى التقدير

﴿قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه﴾ قرأت ليلة من الليالى (قل أعوذ برب الناس) حتى انتهيت الى قوله (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من العباد والزهاد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك

قل" ان تجد العابد والزاهد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله طالبه بالعبودية وحمله أعباءها وألزمه ماعرض على (السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) فعاين الزهاد ثقل ماحملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف حامل الأثقال عن عباده المتوكلين عليه ولذلك لزمهم الكمود واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكاليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى أنفسهم قال الله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) وعلموا أنهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ماحملهم

قال الله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فرجعوا اليه بصدق الرجاء فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله تعالى محمولين فى محفات المنن مروحا عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله تعالى حاملين لأثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء أدركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات وأشرقت عليهم العنايات ، وأما القسم الثالث الذين هم مع الله تعالى بشهود مامن الله الى الله فهؤلاء هم أهل التوحيد الداخلون فى ميادين التفريد ، وأهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود مامنهم الى الله تعالى لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلولم يشهدوا الفعل لها ومنها ماتوجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قلنا لايخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير ☆ فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف نصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت وبخها واذا كانت كذلك ☆ فالجواب أن الله تعالى ذمها وأمرك بذمها من غير أن تشهد أن لها قدرة وتضيف اليها فعلا الا تراها هى الفاعلة له ، واما القسم الثانى وهو الذى بشهود مامن الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ماسلم من اثبات لنفسه اذ رأى نفسه اهلا مهدى اليها هداية الحق فلولا اثباته لنفسه ماشهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر أهل الله القسم الثالث وهو أن يكون بشهود مامن الله الى الله فافهم انتهى

﴿ ومما يوضح لك معنى القسم الثالث ﴾ ماذكره الامام الغزالى وفى كتاب الشكر من احياء علوم الدين أن الموجود المحقق هو القائم بنفسه وماليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذن ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه ، وقال فى كتاب المحبة من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود ولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس فى الوجود شئ له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به انتهى وصاحب هذا الشهود ينبغى له أن لا يغفل عن الكسب الذى جعله الله مناط التكاليف

﴿وقد سئل سهل بن عبد الله﴾ عن رجل يقول أنا كالباب لا أتحرك الا اذا حركت فقال سهل هذا لا يقوله الا أحد رجلين اما صديق أو زنديق لان الصديق يقول هذا القول اشارة الى ان قوام الاشياء بالله تعالى مع أحكام الاصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك احالة للاشياء على الله تعالى واسقاط اللوم عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه ☆ وقال ابن ذكرى فى شرح قول الحكم من عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء أى اذا حدثتك نفسك ايها المريد بانك تأهلت للاقتداء واظهار العمل والتحدث بالنعم وان ذلك مقامك الذى أقامك الله وتوهمت حصول النتائج فاختبر حالك بهذا فان كان يلحقك عند الاساءة قصور وخجل وانقباض فلست هناك ، قال والكلام مع أهل الارادة وأما العامة أمثالنا الذين الى الآن لم يتوجهوا للطريق فالحذر من تسويل النفس لهم وتزوير الشيطان

﴿وذكر فى الحكمة التى قبل هذه﴾ وهى قوله من علامة اقامة الحق لك فى الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج أن كمال الاستقامة التزام العبودية وذلك لا ينحصر فى عمل مخصوص وحالة معينة فقد يحصل ذلك بالتعلم وقد يحصل بالتعليم وقد يكون بالعزلة وقد يكون بالاجتماع وقد يكون بالاسباب الى غير ذلك من مختلفات الاحوال فالشان أن تقيم حيث أقامك الله وترضى بما اختاره لك

﴿وعلامة ذلك﴾ أن تعبر من بساط احسان الله اليك لا من بساط احسانك أنت وأن تكثر الشكر لله فى جميع الاحوال ، وحقيقة الشكر أن تصرف جميع ما أنعم الله به عليك فيما خلق لاجله فيشمل ذلك المال والبدن والاعضاء الظاهرة والباطنة فمتى استعملت شيئا منها فى غير ما خلق له كان ذلك كفرانا لتلك النعمة ☆ قال الامام الشاذلى رضى الله عنه كنت فى مفازة فى سياحتى فقلت يوما الهى متى اكون لك عبدا شكورا فسمعت النداء من فوق المفازة اذا لم ترفى الوجود منعما عليه غيرك فانت اذن شاكر فقلت الهى كيف لا أرى منعما عليه غيرى ، وقد أنعمت على الانبياء وأنعمت على العلماء وأنعمت على الملوك فقيل لى لولا الانبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت فالكل نعمة منى عليك ، وفى رواية فالنبى والعالم بلغاك عن الله الشرائع والملك به صلحت الدنيا واستقامت لك عبادتك فالكل نعمة من الله تعالى عليك

﴿وقال فى الحكم أيضا﴾ اذا أردت ان ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا أردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه وأشار بذلك الى أن من أراد أن ينفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ الرجاء ومن أراد أن ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه الى الله من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه الحزن حينئذ فكأنه يشير بذلك ان الاولى للعبد عند حصول المخالفة والعصيان أن يشهد كسبه لذلك فيتوب ويندم ولا ينظر الى أن ذلك بخلق الله وايجاده وقضائه ، وقدره حتى يحتج بذلك ويتجرأ على العصيان والمخالفة ، وأما عند حصول الطاعات واجتناب المخالفات فليشهد أن ذلك بخلق الله وايجاده وقضائه وقدره ويتبرأ من حوله وقوته ☆ والحاصل ان الاعتماد على الاعمال طريق مذموم ، وأما رؤية المنة لله تعالى والاعتماد على فضل الله وكرمه وشهود فيضان نعمه فهو طريق الكاملين المقربين وهو طريق الشكر المستلزم للمزيد واذا استحضره السالك فى أول سلوكه يكون داخلا فى الطريق باول قدم وتسهل عليه الاعمال لان شهود الفضل والاحسان يوجب المحبة وحسن الظن بالله تعالى ولا مقام ارفع من المحبة والعامل

على سبيل المحبة لا تكليف عنده ولا مشقة لانه ساع فى رضا محبوبه بخلاف من يلاحظ قاعدة التكليف والامر والنهى فقط فانه تشق عليه الاعمال وتطول فى حقه المسافات

(ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى) نقلا عن شيخه الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنهما من دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله تعالى فقد نصحك والمراد من دلك على العمل المجرد عن اصلاح القلب وعن رؤية الفضل والمنة من الله ، وأما من دلك على العمل مع اصلاح القلب ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى فقد دلك على الله تعالى وقد نصحك فالمحبون عباد الله فى الله هم العارفون بالدلالة على الله الميسرون الطريق على الخلق ، وعلامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، وعلامة الاعتماد على فضل الله واحسانه ورؤية المنة له عدم نقصان الرجاء عند وجود الزلل كما ان نقصان الخوف عند زيادة العمل أيضا من علامات الاعتماد على العمل فاحدهما لازم للمعتمد على عمله بخلاف ملازم شهود الاحسان فانه لا ينقص رجاؤه عند الزلل لشهوده الاحسان حالتئذ فانه وان كان لا تحصل له مساءة لاكتسابه الزلل لكنه يشهد أيضا احسان الله اليه من حيث انه سلط عليه دواعى الغفلة حتى عصى فحصل له الانكسار وسقوط مرتبة النفس وانتفاء العجب والكبر ونحوهما وحصل له أيضا الالتجاء الى الله بالذل والمسكنة فيلهمه التوبة ويشكر الله تعالى حيث لم يقض عليه بأفظع من هذا العصيان وحيث لم يسلبه بقية النعم التى أنعم بها عليه وحيث حفظ عليه الايمان وحيث لم يبتله بالاصرار واستحلاء الذنب واستحسان القطيعة والبعد ومن هذه المشاهدات ينتقل الى الفناء فى الله جل وعلا فيصير مشاهدا لسابق القسمة حالتئذ وهى غيب عنه فلا يعتمد على شرف التقريب ولا يستند الى شئ فى الابعاد ، وقد قال فى الحكم معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أوجبت عزا واستكبارا ، فالعبد الموفق البصير اذا وقعت منه زلة يستدرك ما يكفرها ويمحوها ويكتسب مع ذلك حسنات كثيرة بخلاف المخذول أعمى البصيرة والاعمال وان كانت علامات بشهادة قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) الآية وحديث «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ، وقول الحكم ان أردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك لكن ذلك أغلبى لا لازم بشهادة ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث فالعبد لا يدرى هل يختم له بما فى يده الآن أم لا فمن غلب عليه هذا المعنى لم يفرح ولم يغتم بعمل فالاولى له ان لا يشغل قلبه بالالتفات الى العمل بل يشغله بالاستغراق فى الله ومن غلب عليه شهود الفضل والكرم فرح بالطاعة من حيث ان الله خلقها فيه ولا يلزم من فرحه بذلك زيادة رجائه لعدم اعتماده عليها ٭ ولهذا قال ابن عطاء الله فى الحكم لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك لان حاصله الفرح بالعامل فى العمل لا بالعمل وصاحب هذا المشهد لا يزيد خوفه ولا رجاؤه ولا ينقصان أما الاول فظاهر ، وأما الثانى فلان شهود الاحسان لا بد معه من شهود الانتقام قال الله تعالى (ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وكذا من شهد الجلال والجمال فانه لا يزيد خوفه على رجائه ولا بالعكس لان الجمال والجلال لا يزيدان ولا ينقصان وكذا الفانى التوحيد عن نفسه وغيره ، فان قيل هذا ينافى ماقرره العلماء من ان الاصلح بحال الناس والأفضل فى حق غالبهم غلبة الخوف المستلزمة لنقصان الرجاء بشرط أن لا يصل الى اليأس لاسيما فى هذه الازمنة التى رفعت فيها الديانة ٭ وقلت الأمانة وضعف اليقين وكثرت الجراءة على المعاصى وشاع تعدى الحدود وانتهاك المحارم قال الامام الغزالى فى الاحياء أكثر الخلق الخوف أصلح لهم من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصى ثم قال بعد نحو ورقة فالخلق الموجودون فى هذا الزمان

كلهم

كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف فالجواب ان كلام صاحب الحكم ليس مع هؤلاء ولا خطابه لهم اذ الكتاب موضوع لبيان طريق الخصوص فالكلام انما هو مع المستيقظ العامل الذى خرج عن دائرة أهل غلبة الغفلة كذا فى شرح ابن ذكرى على الحكم وقد صرح أيضا الامام الغزالى فى الاحياء بان الكاملين يستوى خوفهم ورجاؤهم وكلامه الاول بالنسبة لغير الكاملين فلا تعارض بينهما * فان قلت عدم الاعتماد على العمل ينافى بحسب الظاهر حديث «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» وقال فى الحكم من علامة موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعلته من الزلات ومن المعلوم ان الاعمال علامات على الخير والشر * فالجواب ان الامر كذلك فلا بد من استحسان ما حسن الله وهو الطاعات واستقباح ماقبح وهو المعاصى والسيآت لا من حيث انها عمل العبد لان ما تضمنه الحديث وكلام الحكم انما هو من حيث ان الأعمال علامات ، فالمؤمن تسره حسنته لا من حيث كونها عمله بل من حيث معاملة الله معه حيث وفقه لها وخلقها فيه وتسيئه سيئته من حيث انه اكتسبها وخالف أمر الله له بتركها وأيضا كونها علامات أمر أغلبى كما تقدم ، ولا يدرى ماذا يختم له به فمن غلب على قلبه النظر الى السابقة لم ير فى يده شيئا يعتمد عليه أو يستند اليه فى التقريب أو الابعاد اذ كل من القبول والرد مجهول فصاحب هذه الحالة مايحصل منه من طاعة أو مخالفة بمنزلة مايحصل له من نعمة أو مصيبة (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) حتى ان صاحب هذا المقام لا يهتم لنفسه فى شئ كما يحكى ان حاتما الأصم رضى الله عنه كان ببعض الغزوات قال فأخذنى تركى وأضجعنى للذبح فلم يشتغل به قلبى بل كنت أنظر ماذا يحكم الله بيننا فبينما هو يطلب السكين من خلفه إذ أصابه سهم فقتله فطرحه عنى وهذا هو الذى لا تشغله البلوى عن حفظ أدب الوقت ، ولا يخاف ما يخافه غيره كما حكى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنه كان فى غزوة فنام بين الصفين وقت ملاحمة الحرب ودرقته تحت رأسه حتى سمع غطيطه فبنظره الى السابقة لم يبال بما حضر فى الحرب ، وإيضاحه أن هؤلاء رضى الله عنهم وأمثالهم لا يرجون لأنفسهم ولا يخافون عليها لعلمهم بأن الله أولى بهم من أنفسهم فانه خلقها أولا ، ثم اشتراها آخرا فخرجت عن ملكهم وصارت فى ملكه يفعل بها مايشاء فرجاؤهم انما هو الانس بالله تعالى والوصول اليه وشهودهم فذلك عندهم هو النعيم ولو فرض أنهم فى الجحيم وخوفهم انما هو هيبته واستحضار عظمته «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» أى لو فرض عنده عدم الخوف من الله لم يعص الله تعالى لاستحضار عظمته وهيبته ، وأما غير هؤلاء فرجاؤهم فى غفران الذنوب وستر العيوب والنجاة من الجحيم والوصول الى النعيم وخوفهم من أضداد ذلك وكل ذلك عند العارفين شفقة على النفس واشتغال بها وطلب لحظوظها فلذلك يزيد بأسباب وينقص بأسباب والعارفون يشهدون الجلال والجمال فيهابون و يأمنون ، والجلال والجمال لا زيادة فيهما ولا نقص فلذلك لا يزيد خوفهم ورجاؤهم ولا ينقص وهكذا من غلب على قلبه شهود الفضل والعدل لا يسعه الحال رؤية الأعمال من نفسه ولا يعتمد عليها فى نفع ولا ضر فالكامل ان جرى عليه الفضل منعه شهود العدل من نقصان الخوف وان جرى عليه العدل منعه شهود الفضل من نقصان الرجاء وانما كان مشاهدهما غير معتمد على عمل لأن الفضل هو العطاء لغير سبب والعدل هو المنع لغير سبب لأن ذلك شأن الفاعل المختار المالك المطلق الذى يفعل فى ملكه مايشاء ولا يسئل عما يفعل وصاحب

هـذا المقام يفرح ويحزن لـكن لا بعمله بل بمعاملته ولم يقل فى الحديث من سرته حسنته من حيث انها عمله فقد تحقق لك بما تقرر أن الـكاملين لا يعتمدون على أعمالهم وانما يعتمدون على فضل الله واحسانه ويرون المنة منه على كل حال ويحسنون الظن به ولا يتركون الأعمال بل يأتون بها امتثالا لأمره وقياما بحق ربوبيته فهذا هو موضع حسن الظن وهو الرجاء المحمود وهو من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد فى الأعمال مع عدم الاعتماد عليها وأما ترك العمل مع حسن الظن فليس برجاء بل هو طمع قبيح يحمل صاحبه على الغرور والتجرىء على المعاصى فهو أمنية واغترار بالله تعالى ☆ قال رسول الله ﷺ «الـكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» وقال الحسن البصرى ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ليست لهم حسنة يقول أحدهم أحسن الظن بربى وهو يكذب ولو أحسن الظن بربه أحسن العمل وتلا قوله عز وجل (وذلـكم ظنـكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) ، قال ابن عباد فى شرح الحـكم حسن الظن بالله أحد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة ، فالخاصة حسنوا الظن بالله لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والـكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغيير فى أحدهما ما يخاف فى الآخر لأن أرباب المقام الأول لما تحققوا فى المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن ، وأرباب المقام الثانى لم يرتقوا عن نظرهم الى الأفعال وهى متلونة عليهم فى كل حال وعنـد وقوع مالا يلائمهم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن وتحدث النفس بما يقتضى وجود هلع وجزع فليكن العبد عنـد ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجـل (وعسى أن تـكرهوا شيئا وهو خـير لـكم) وما أشبهه وليقس النادر على الغالب ☆ قال أبو محمد عبـد العزيز المهدوى حسن الظن عبارة عن قطع الوهم أن يكون أولا يكون لأن الوهم قاتل فمتى أعطيت اذنك للوهم هلـكت فالاصغاء بالاذن الى الشيطان أو النفس جنس واحد انتهى ، وحسن الظن يطلب من العبد فى أمر دنياه وفى أمر آخرته ، أما أمر دنياه فأن يكون واثقا بالله تعالى فى إيصال المنافع والمرافق اليه من غـير كدّ ولا سعى أو بسعى خفيف مأذون فيه ومأجور عليه ، وبحيث لا يفوته ذلك شيئا من فرض أو نفل فيوجب ذلك له سكونا وراحة فى قلبه وبدنه مع اعتماده على الله تعالى لا على سعيه وكسبه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب ، وأما أمر آخرته فأن يكون قوى الرجاء فى أقواله وأفعاله الصالحة وتوفية أجوره عليها فى دار الثواب والجزاء فضلا واحسانا فيوجب ذلك له المبادرة لامتثال الأمر والاستـكثار من أعمال البر بوجدان حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط ☆ قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه أوثق الرجاء رجاء العبد ربه وأصدق الظن حسن الظن بالله عز وجل ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى ينبغى للعبد أن لا يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الأهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط فان أفعال الله لا تخلو عن اللطف والحـكمة ☆ قال ابن عطاء الله فى الحـكم من ظن انفـكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن أعظم مواضع حسن الظن بالله تعالى حالة الموت ، وقد جاء فى الخبر «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» وفى حديث

جابر

جابر رضى الله عنه من استطاع أن لايموت إلا وهو يحسن الظن بالله فليفعل ثم تلا هذه الآية (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) * وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء * وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد ظنه بالله عز وجل إلا أعطاه ذلك ، لأن الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه مايظنه لأن الذى حسن ظنه هو الذى أراد أن يحققه له * وروى أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال عاد رسول الله ﷺ مريضا فقال له رسول الله ﷺ كيف ظنك بربك قال يارسول الله حسن الظن قال فظن به ماشئت لأن الله تعالى عند ظن المؤمن * وروى أبوهريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال حسن الظن بالله من حسن عبادة الله ، والأخبار والآثار فى الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام فمن أراد الشفاء فى ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من الاحياء وقوت القلوب ، ومن أعظم مواطن الرجاء ، وحسن الظن بالله أن يحسن العبد ظنه بالله ويرجوه فى زيادة معرفته به وتوفيقه لطاعته وانقاذه من شهوته وغفلته * قال ابن عطاء الله فى الحكم من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية (وكان الله على كل شيء مقتدرا) يعنى ان من استرقته الشهوات واستولت عليه الغفلات ، فلا ينبغى له أن يستغرب أن ينقذه الله تعالى من أسر شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه ، فان فى ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية ، والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شيء ، وهذا من الأشياء ، وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده ، فلا يقنط ولاييأس ، وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغرب به (وماذلك على الله بعزيز) ، وربما أن الله تعالى جعله فى الازل من خواص عباده المقربين وستر عنه الخصوصية لتدوم له العبودية فليكن حسن الظن بربه دائم الذلة والافتقار اليه ، وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التى تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم فى بداياتهم زلات ، ووقعت منهم قبل توبتهم هفوات ، فقد أدركهم الله بلطفه ، واستنقذهم بجوده وعطفه ، فأصلح أعمالهم وصفى أحوالهم وأبدل سيآتهم حسنات ورفعهم من أسفل سافلين إلى أعلى الدرجات ، كان كل ذلك فى أقرب زمان وأقصر مدة وأوان ، والحكايات فى هذا المعنى عن الشيوخ مثل الفضيل بن عياض وعبدالله بن المبارك ، وغيرهما معروفة مشهورة . منها أن الفضيل بن عياض كان من أعبد أهل زمانه وأزهدهم وأورعهم وأعرفهم بالله تعالى وكان قبل ذلك شاطرا يقطع الطريق ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو يرتقى الجدار ليصل اليها وينال شهوته منها اذ سمع قارئا يقرأ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فوقعت فى قلبه وتأثر بها واتعظ . فقال يارب قد آن وعقد التوبة . فرجع فآواه الليل الى خربة . فاذا فيها رفقة مسافرون فقال بعضهم نرتحل * وقال بعض آخر حتى نصبح فان فضيلا على الطريق يقطع علينا . فأخبرهم فضيل أنه هو وأنه قد تاب وأمنهم * قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن انما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم ، لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة ثم أقبلا على الله فأقبل الله عليهما . فبدأ القشيرى بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم زلات وسبقت منهم مخالفات ، ثم رجعوا الى استقراع أبواب العنايات اذ لو بدأ بذكر

الجنيد وسهل بن عبد الله وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل . ومن يدرك هؤلاء الذين لم تسبق لهم زلات . ولم تتقدم منهم مخالفات انتهى . فاياك أن تقنط من روح الله وكن حسن الظن به راجيا منه التوفيق للطاعات والانقاذ من الشهوات والغفلات والصيرورة من العارفين أرباب الكمالات . فعليك باظهار الذلة والافتقار والالتجاء الى الله تعالى فان الله ذوالفضل العظيم وهو التواب الرحيم ، فحسن الظن وشهود الفضل والاحسان يوجب المحبة والرضوان وعليك بالاستكثار من الأعمال الصالحة مع شهود الفضل والمنة والتبرى من الحول والقوة لاسيما الأعمال القلبية كالتوبة والاخلاص وحسن النية والصبر والشكر والتوكل والزهد والتواضع ومحاسبة النفس ومراقبة القلب فى كل خاطر يخطر لك والخوف والرجاء والتسليم والرضا والمحبة لله ورسوله وملائكته وأصحاب النبى ﷺ وأهل بيته والصالحين من عباد الله فان ذرة من أعمال القلب خير من أمثال الجبال من أعمال البدن قال بذلك كثير من العارفين بالله تعالى وكتبهم طافحة بذكر تفضيل أعمال القلب على أعمال البدن وأعمالهم كلهم كان أكثرها قلبية ☆ قال الامام شيخ الشيوخ القطب سيدنا عبدالرحمن السقاف رضى الله عنه لاصحابه اجتهدوا فى الأعمال القلبية ، فان الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهارا من أعمال الظاهر ☆ قال فى القاموس البهار شىء يوزن به وهو ثلثمائة رطل أو أربعمائة أوستمائة أوألف ومتاع البحر والعدل فيه أربعمائة رطل انتهى ، وذكر السقاف رضى الله عنه أيضا فى درسه يوما من الأيام فضل الفقه فعزم ولده سيدنا عمر المحضار أن يفنى عمره فى الفقه و يترك غيره من العلوم ☆ فلما انقضى المجلس ناداه والده وقال له ياعمر اجتهد فى أعمال القلب فان الفقهاء معهم قبس والصوفية معهم جذوة وأوقية من عمل الباطن تعدل بهارا من عمل الظاهر ، وأمثال هذا كثير منقول عن العارفين بالله تعالى بل هم مجمعون عليه ، وكان لسيدنا السقاف رضى الله عنه فى بدايته مجاهدات كثيرة ☆ ثم قال فى آخر أمره اجتهدنا فلم يفتح علينا بالفتح العظيم حتى رجعنا الى معرفة النفس ورؤية الفضل من الله تعالى يعنى عرفنا النفس بالعجز والذلة والفقر والضعف والمسكنة فعرفنا الله بالقدرة والغنى والعزة فشهدنا الفضل والمنة وهكذا جميع العارفين بالله تعالى كلهم يقولون ماحصل الفتح لنا الا بشهود الفضل والمنة من الله تعالى ومعرفة النفس بالعجز والفقر فان من عرف نفسه عرف ربه فالنفس أعظم قاطع عن الله تعالى والرضا عنها أعظم سبب فى تمردها ☆ قال ابن عطاء الله فى الحكم أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ، قال الشارح الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة ، وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها و يصير قبيحها حسنا كما قيل

☆ وعين الرضا عن كل عيب كليلة ☆ وعدم الرضا عن النفس على عكس الرضا عنها وذلك لأن العبد اذ ذاك يتهم نفسه و يتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل فى الشطر الاخير ☆ كما ان عين السخط تبدى المساويا ☆ فمن رضى عن نفسه واستحسن حالها وسكن اليها استولت عليه الغفلة و بالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعى الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير مايدفعها به و يقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع فى المعاصى لامحالة ، وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن

حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض و بالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان متجنبا لكل مانهاه الله عنه محافظا على جميع ماأمره به ، وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل ، وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها و بقدر تحقق العبد فى معرفة نفسه يصلح له حاله و يعلو مقامه ✩ وقد ورد عن الكبار والأئمة الأخيار من الكمالات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة لها وعدم رضاهم عنها أكثر من أن يحصى ولذلك قال أبو حفص رضى الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجرها الى مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ، ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول (وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى) وقال أيضا رضى الله عنه منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى ان الله ينظر إلى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك ✩ وقال الجنيد رضى الله عنه لا تسكن إلى نفسك وان دامت طاعتها لك فى طاعة ربك ✩ وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه مارضيت عن نفسى طرفة عين ولا يكمل العبد إلا اذا انتفى عن نفسه ارادة الحظوظ وصار لا يريد إلا ما أمره الشارع به أمر ايجاب أوندب وعلى هذا حمل قول أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه لما قيل له ماتريد فقال أريد أن لا أريد يعنى أريد أن لا أريد مافيه حظ لنفسى وأما ارادته ماأمره الشارع به فانها غير داخلة فى كلامه لأنها مراد الله لا مراده هو ✩ ومن حظوظ النفس طلب الكرامات وخوارق العادات فالأولى بالعبد مجاهدة النفس فى حملها على الاستقامة واظهار الذل والفاقة لله تعالى عبودية له وامتثالا لأمره فان الاستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة والكرامة انما تكون لتقوية اليقين ✩ ومن حصلت له الاستقامة قوى يقينه فلا يحتاج الى الكرامة وقد أفرد كثير من العلماء ذكر معائب النفس بالتأليف كالحرث بن أسد المحاسبى وغيره فليرجع اليها من أراد سلامة دينه ودنياه ✩ ومن عيوب النفس وآفاتها القاطعة لها عن الوصول الى معرفة الله التدبير لكل مافيه شهوة وحظ لها أولما ليس فيه شهوة وحظ لكنها ركنت الى حولها وقوتها وغفلت عن الله تعالى ✩ قال ابن عطاء الله فى الحكم أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك وقد قال قبل ذلك سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار أى فاذا كانت سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار أى بل قد تقع الأشياء عندها لابها بطل التدبير ولم يبق له فائدة اذ مايدبره العبد لا يكون منه الا ماوافق تدبير الله تعالى لا تدبير العبد فاذا كان الله مدبرا لأمورك متقنا محكما لها وأنت عبده وهو سيدك وجب عليك أن تسلم له نفسك ولا تدبر لها معه ، وهذا حال العبيد مع ساداتهم فانهم لا يدبرون مع ساداتهم بل ساداتهم يدبرون لهم ويتصرفون فيهم فالله العالم وأنت الجاهل وهو القادر وأنت العاجز فتدبيرك معه سوء أدب وعدم اكتفاء منك بتدبيره والعبد ان أساء الأدب مع سيده سقطت منزلته عنده وأيضا الغالب على تدبيرك النظر الى حظ نفسك وتدبير الله سالم من الحظوظ فلا نفع لك الا فيما وقع بتدبيره فسلم له وفوض اليه وانقد لأحكامه أحسن لك من أن تساق كرها ، فانك ان انقدت طوعا نفذ حكمه وأنت مأجور فى راحة ورضاولك منه الرضا والا فانك تساق كرها و ينفذ حكمه فيك وأنت مأزور فى تعب وسخط ولك منه السخط الا أن يتداركك بعفوه وأيضا اذا دبرت لنفسك

وكلك الى تدبيرك فتعجز وتتحير ويبعد ما حكمت به لنفسك من الخير ويقرب من الشر فيسوء ظنك بربك وتنقلب سماؤك على أرضك ويترتب على ذلك الوسواس وغلبة الخلط السوداوى واذا سلمت الأمر له وفوضته اليـه واعتمدت كفالته وركنت الى وكالته فرغت قلبك وصرت فى راحـة فاصرف فكرك فى تدبير مايقربك الى مولاك معتمدا عليه أن يهديك سواء السبيل ، فان الله تفضل عليك بالعقل وهو من أفضل مامنّ به على عباده وبالعقل واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التى لاقدر لها عند الله تعالى كفران لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه فى معاده أحق به وأفضل وأولى بل ذلك واجب قياما بواجب شكر المحسن الى العبد به والمفيض عليه من نوره فلاتصرف عقلك الذى منّ الله به عليك فى تدبير الدنيا فتكون كافرا لنعمة العقل غيرشاكر لها ، ومثال من صرف عقله الى تدبير الدنيا مثال من أعطاه الملك سيفا عظيماقدره مفخما أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقاتل به أعداءه ويتزين بحمله فعمد آخذ هذا السيف الى الجيف يضربها به حتى تثلم وكلت ظباه وتغيرحسنه وبهاه ، فجديراذا اطلع الملك على هذه الحالة منه أن يأخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله وان يمنعه من بره واقباله ، فالتدبير لامور الدنيا بنية إيصال النفس الى حظوظها التلذذ بالشهوات كفران للنعم ✲ قال ابن عطاءالله رضى الله عنه فى كتابه المسمى بالتنوير فى اسقاط التدبير ان الله تعالى يقول فى مناجاته لعبده : انى آليت على نفسى أن أجازى أهل التدبير بوجدان التكدير وان أهدم ماشيدوا وأحل ماعقدوا وان أكلهم اليهم وأجعلهم متنوعين من روح الرضا ونعيم التفويض ، ويفهم من قول الحكم أرح قلبك من التدبيران التدبير تعب ونصب ومشقة ووجهه انه شغل للقلب بمايهتم به ويغتم من أجله فيحدث الشخص نفسه بان غريمه فلانا يجحده فى حقه ويقول له كذا وكذا فيرد عليه كذاوكذا حتى يقطع وقتا متسعا فى خصومة شديدة لأمر موهوم ويحصل له بسبب ذلك انكاد وغموم وتحدثه أيضا بأنه يملك كذاويظفر بكذا ويصير عالما ويقرأ كذا فهذه وان كان بعضها من قبيل الأمنية لاالتدبير لكنها تضييع للوقت بمالا طائل تحته وهى من علامات الاعتماد على العمل وتجلب للنفس هموما من حيث الحرمان منها وعدم الوصول اليها ويصير مشوش الفكر مضطرب القلب وذلك كله من ضعف اليقين والغفلة عن النظر الى سابق القسمة وماضى الحكم ، وانه لايقع الا ما أراده الله تعالى وفيها شهود الحول والقوة لغيرالله تعالى فصاحب هذا الحال اذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله فانما تلا ذلك بلسانه أوعن اعتقاد لاعن حال ومشاهدة ✲ وأمامن كان يشهدالحول والقوة لله حقيقة وانه لايتحرك ذرة إلا بتحريكه فانه اذا قالها عن حال صحيحة تفتح له أبواب الراحـة ويشهد عجز الخلق وسقوط حولهم وقوتهم وينحصر خوفه ورجاؤه فى الله وحده وافهم قول الحكم فما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك ان التدبير المذموم المنهى عنه انما هو قيام العبد لنفسه واعتماده على حوله وقوته ✲ وأماتدبيره لأموره التى يتوصل بها الى قرب ربه مع التفويض الى الله تعالى والاعتماد على حوله وقوته والتبرى من حول العبد وقوته فمحمود كالقيام بمصالح نفسه وعياله ونفقته عليهم مع حسن نيته فى قصد التقرب الى الله تعالى لالجلب الحظوظ لنفسه والتلذذ بشهوات الدنيا ✲ وليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وسبب ، وقدقال النبى ﷺ للاعرابى الذى أهمل ناقته وقال توكلت على الله « اعقلها وتوكل » وقال تعالى (خذوا حذركم) وقال (وليأخذوا أسلحتهم) وقال تعالى (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط

الخيل

الحيل) وقال تعالى لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (فاسر بعبادى ليلا) والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفى رسول الله ﷺ فى الغار وذلك نوع من التسبب الذى يحصل به الاختفاء عن أعين الأعداء ، واستأجر النبى ﷺ الخفير وظاهر بين درعين وحمل الزاد فى السفر واتخذ خندقا حول المدينة يحترس به من العدو وكان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها فكان يسئل عن بعض الطرق التى لايريد سلوكها وعن كثرة مائها ومرعاها وقلتهما فيتوهم السامع أنه يريد سلوكها وهو يريد سلوك طريق غيرها ، وكان يقول الحرب خدعة ، ويقول التدبير نصف المعيشة مدحا للتدبير المحمودة بقرينة قوله والتودد الى الناس نصف العقل ☆ قال العلماء التدبير معناه النظر فى عواقب الأمور وعواقب الانفاق الذى يحترز به عن الاسراف والتقتير فان كمال العيش شأن مدة العمر وحسن العيش فيه فالتدبير المذموم ما كان لجلب حظوظ النفس وما كان الاعتماد فيه على حول العبد وقوته والمحمود ما كان لجلب نفع يقرّب العبد من ربه مع اعتماده على حول الله وقوته لاعلى حول العبد وقوته ، فتى كان التدبير لجلب مافيه حظ للنفس أوفيه الاعتماد على حول العبد وقوته فهو مذموم ☆ وأما مختارات الشرع من الأوامر والنواهى ومايتوصل به الى امتثال أمر الله تعالى فالتدبير فيها محمود لامذموم بشرط التبرى من حول العبد وقوته والرجوع الى حول الله وقوته ☆ قال الشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه ان كل مختارات الشرع وترتيباته هو مختار الله تعالى ليس لك منه شىء أسمع وأطع ☆ قال وهذا هو موضع الفقه الربانى والعلم اللدنى وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله تعالى فأفاد الشيخ رضى الله عنه ان كل مختار للشرع لايناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن إدراك الحقيقة بذلك فيظن أن الوظائف والأوراد ورواتب السنن ارادتهما يخرج بها العبد عن صريح العبودية لأنه قد اختار فبين الشيخ رضى الله عنه ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شىء وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لنيل حظوظها لاعن تدبير الله ورسوله ، ولذلك لما قيل لابى يزيد رضى الله عنه ماذا تريد ؛ فقال أريد أن لا أريد فلم تكن أمنيته من الله تعالى ولاطلبه منه الاسقوط الارادة معه لعلمه بأن ذلك أفضل الكرامات وأجل القربات ☆ واعلم أن بعض القاصرين اعترض على أبى يزيد رضى الله عنه ☆ وقال ان أبا يزيد لما أراد أن لايريد فقد أراد وهذا الاعتراض قول من لامعرفة عنده وذلك لأن أبايزيد رضى الله عنه انما أراد أن لايريد غير ماأراده الله تعالى له لأن الله اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو فى ارادته أن لايريد موافق لارادة الله تعالى ، ولذلك قال الشيخ أبوالحسن رضى الله عنه كل مختارات الشرع وترتيباته هو مختار الله تعالى لك اسمع وأطع ، فقد علمت أن أبا يزيد رضى الله عنه ماأراد أن لايريد إلا لأن الله أراد منه ذلك فلاتخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه ، فقد علمت ان الطريق الموصلة الى الله تعالى هى محو الارادة ورفض المشيئات لغير ماأذن للعبد فيه ☆ قال الشيخ أبوالحسن رضى الله عنه ولن يصل الولىّ إلى الله تعالى ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته ☆ قال ابن عطاء الله وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول ولن يصل الولىّ الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى يريد والله أعلم أنه تنقطع عنه انقطاع أدب لاانقطاع طلب أو أنه يشهد اذا قرب وقت وصوله عدم استحقاقه لذلك بل انما حصل له ذلك بفضل الله ومنته و يستحقر لنفسه أن

يكون أهلا لما هنالك فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لاملا ولا سلوا ولا اشتغالا عن الله تعالى بشيء دونه فان أردت الاشراق والتنوير فعليك بترك التدبير واسلك الى الله كما سلكوا تدرك كما أدركوا

اسلك مسالكهم تدرك مداركهم ✲ والق عصاك فهذا جانب الوادي

ثم قال ابن عطاء الله وقد يتفق للخصوص الكرامات الظاهرة و بقايا التدبير كامنة فيه ، فالكرامات الحقيقية انما هي ترك التدبير مع الله تعالى والتفويض لحكمه ، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه انماهما كرامتان جامعتان محيطتان ، كرامة الايمان بمزيد الايقان ، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذوخطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا ، وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله تعالى فصاحبها مستدرج مغرور أوناقص أوهالك مثبور ، فالكرامة لاتكون كرامة حتى يصحبها الرضا عن الله تعالى ، ومن لازم الرضا عن الله تعالى ترك التدبير معه واسقاط الاختيار بين يديه ✲ قال ابن عطاء الله في التنوير بعد كلام طويل ✲ واعلم أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم ، فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله تعالى قياما بحقه كالتدبير في تحصيل معصية أوحظ نفس أوطاعة مع وجود رياء وسمعة أومع وجود غفلة عن حول الله وقوته وركون الى حول العبد وقوته وذلك كله مذموم ، لأنه اماموجب عقابا أوموجب حجابا ، ومن عرف نعمة العقل استحيا من الله تعالى أن يصرف عقله الى تدبير مالا يوصله الى قربه من الله تعالى ولا يكون سببا لوجود حبه تعالى والعقل من أفضل مامنّ الله به على عباده وبالعقل ونوره واشراقه تتم مصالح الدنيا والآخرة ، فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التي لاقدر لها عند الله تعالى ، كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه في معاده قياما بواجب شكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذي منّ الله به عليك في تدبير الدنيا ، ثم ذكر المثال المتقدم ، فقال ومثال من صرف عقله الى تدبير الدنيا يعني أنه أراد بذلك حظ نفسه ونيل شهوته ، كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره الى آخر ماتقدم ، ثم قال فتبين لك من هذا أن التدبير على قسمين محمود ومذموم فالتدبير المحمود هو ما كان تدبير لما يقرّبك الى الله عز وجل كالتدبير في براءة الذمة من حقوق المخلوقين إما وفاء واما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى المردي والشيطان المغوي ، وكل ذلك محمود لاشك فيه ، فلأجل ذلك قال رسول الله ﷺ فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة ، فتدبير الدنيا للدنيا هوأن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا ، وكلما ازداد فيها شيئا ازداد غفلة واغترارا ، وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر والمكاسب ليأ كل منها حلالا وينعم بها على ذوي الحاجات والفاقة افضالا وليصون بها وجهه عن الناس اجلالا ✲ وأمارة من يطلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والاسعاف منها والايثار وللزاهد في الدنيا علامتان ، علامة في وجدها وعلامة في فقدها ، فالعلامة التي في وجدها الايثار ، والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها ، فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان ، وذلك ثمرة الفهم عن الله تعالى والعرفان لأن الحق سبحانه وتعالى كما قد ينعم

عليك

عليك بوجودها قد ينم عليك بصرفها بل نعمته فى صرفها أتم ، فقد تبين من هذا أنه ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه ونيل حظوظها لا من طلبها لربه والمذموم من طلبها لدنياه لا من طلبها لآخرته . فالناس إذا على قسمين ، عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح فكل مادخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك الى الله متقربون والى رضاه متسببون لأنهم قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاتها ، فلذلك لاتأخذ الدنيا من قلوبهم ولاتخدش وجه ايمانهم فكانت الدنيا فى أيديهم لافى قلوبهم فمن تدبيرا الدنيا للآخرة

قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لأجهز الجيش وأنا فى صلاتى لأن تدبير عمر رضى الله عنه على المعاينة والشهود لربه عز وجل فهو يرى حول الله وقوته و يتبرأ من حول نفسه وقوتها فهو اذا تدبير الله تعالى ، فلذلك لم يكن قاطعا للصلاة ولا منقصا لها من كمالها فهو فيها يشهد عظمة الله وكبرياءه .
ثم أورد اشكالا فى قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) اذ مقتضى ظاهر الآية ان من الصحابة من يريد الدنيا ، ثم أجاب عن ذلك بجوابين ، أحدهما أن المراد منكم من يريد الدنيا للآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله تعالى بما يأخذونه منها بذلا وايثارا أو يستعينوا بها على مايقربهم الى الله تعالى ، ومنهم من لم يكن مراده ذلك بل انما أراد الآخرة أى تحصيل فضل الجهاد لاغير فلم يلو على الغنيمة عنانا ولم يلتفت اليها ايقانا ، فهم الفاضل والأفضل والكامل والأكمل .
والجواب الثانى ان للسيد أن يقول لعبده ماشاء وعلينا ان نتأدب مع عبده لشرف نسبته اليه فليس كل مايخاطب به السيد عبده ينبغى أن نثبته للعبد ولا أن نخاطبه به اذ لسيد أن يقول لعبده ماشاء تحريضا له وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا أن نلزم حدود الأدب معه ، ويجب على كل مؤمن أن يظن فى الصحابة رضى الله عنهم الظن الجميل ، وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل وأن يلتمس لهم أحسن المخارج فى أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم فى حياته ﷺ و بعد وفاته ، لأن الله سبحانه وتعالى زكاهم تزكية مطلقة ولم يقيدها بزمن دون زمن ، وصرح بذلك فى كثير من الآيات ، كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) الى آخر الآيات وكقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وكقوله تعالى (للمهاجرين الذين أخرجو من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والايمان الى آخر الآية) وكذلك تزكية النبى ﷺ لهم بقوله أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضلهم وتزكيتهم تزكية مطلقة ليست مختصة بزمن دون زمن ، فقد تقرر من هذا أنه ليس اسقاط التدبير المحمود ترك الدخول فى أسباب الدنيا والفكرة فى مصالحها ليستعين بها العبد على طاعة مولاه والعمل لأخراه ، وانما التدبير المنهى عنه هو التدبير فيها لها ، وعلامة ذلك أن يعصى الله من أجلها وأن يأخذها كيف كان ولو من غير حلها فالأشياء انما تمدح وتذم بما تؤدى اليه ، فالتدبير المذموم ماشغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمته وصدك عن معاملته والتدبير المحمود ماليس كذلك مما يؤديك الى القرب من الله تعالى ويوصلك الى مرضاته وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولاتمدح كذلك والمذموم منها ماشغلك

عن مولاك ومنعك من الاستعداد لأخراك كما قال بعض العارفين كل ماشغلك عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو عليك مشوم ، والممدوح ماأعانك على طاعة الله تعالى وأنهضك الى خدمته واذا علمت هذا فهمت أن اسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الانسان ضيعة فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله فى اثبات الأسباب وارتباط الوسائط ، نعم الواجب على المتسببين ربط العزم على الله تعالى فلا يعتمدون على الأسباب ولا على حولهم وقوتهم بل يعتقدون انها أسباب عادية لاتأثير لها والمؤثر هو الله وحده سبحانه وتعالى ، وكلام ابن عطاء الله فى التنوير طويل فى هذا الباب مبسوط بسطا كثيرا هذا ملخصه ، قال ابن زكرى فى شرح الحكم وكل من تعاطى السبب مع استحضار ان ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فقد فرّ من الله الى الله

كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفرّ من قدر الله الى قدر الله ، قال ذلك حين أراد البعد عن محل الطاعون الذى كان بالشام ، وقد قال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه اتفر من قدر الله فقال نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله ، أى لأن الموضع الذى فيه الطاعون انما هو بقدر الله والموضع الذى نفر اليه انما هو أيضا بقدر الله فلم نخرج من قدر الله على كل حال لأنا انما نشهد حول الله وقوّته لاحولنا وقوّتنا فمن كانت له ماشية ووجد أرضا مجدبة وأرضا مخصبة فانه يرعاها فى فى الارض المخصبة ويترك الأرض المجدبة ولا يخرج عن قدر الله سواء رعاها فى هذه أو هذه فأرباب الشهود لايغفلون عن حول الله وقوّته فى جميع الأحوال ، فالتدبير المذموم الركون الى النفس وتدبيرها واحتيالها مع عدم التفويض الى الله تعالى ، اللهم لاملجأ ولامنجا منك الااليك ، وأكثر تدبيرات العبد انما تكون فى أمر معاشه ودنياه ، فلذلك عقب صاحب الحكم قوله أرح نفسك من التدبير بقوله اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك ، فهذا يدل على طلب التسليم والتفويض فى أمر الرزق والقيام بامتثال الامر واجتناب النهى مع شهود المنة لله تعالى والتبرى من الحول والقوّة والوقوف تحت اختيار الله تعالى والترك لاختيار النفس ويحسن الظن بربه ويرضى بما أقامه فيه

وقال العلامة العارف بالله تعالى القطب سيدى السيد عبدالرحمن العيدروس المتوفى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف نزيل مصر رضى الله عنه فى شرحه على صلاة القطب سيدى السيد أحمد البدوى رضى الله عنه المعروفة بشجرة الأصل النورانية كلاما نفيسا يتعلق بهذا المبحث فلا بأس بذكره وكان السيد المذكور من أكابر العلماء العاملين العارفين بالله تعالى ، وقد أخذ عنه كثير من أكابر علماء مصر كالشيخ الأمير الكبير كما صرح بذلك فى حاشيته على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة وصرح فى ثبته المذكور فيه مشايخه انه أخذ الطريقة العيدروسية العلوية عن السيد المذكور ، قال السيد رضى الله عنه عند شرح قول سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فى الصلاة المذكورة عدد ماخلقت ورزقت مانصه ، وههنا لطيفة تتعلق بقول الأصل ورزقت وهى التنبيه على أن الرزق قسمان مضمون وغير مضمون ، قال حجة الاسلام الغزالى رضى الله عنه المضمون ماتقوم به بنية العبد من مطعوم ومشروب وملبوس أومايقوم مقام ذلك أى من القوّة التى يعطيها الله للعبد ومعنى كونه مضمونا ان الله تعالى أعلمنا بأنه يوصله الينا لتسكن نفوسنا والا فالتقدير شامل للجميع أى المضمون وغير المضمون ومازاد من التوسعات فهو غير مضمون ، ولهذا لم يفصل سبحانه وتعالى

فى

فى ضمانه بين حيوان وحيوان والشك فى الحصول وعدمه انما يحصل فى الخلق فى غير المضمون وأما المضمون فكل أحد يعلم أنه يجرى عليه الى انقضاء أجله حتى من قدر موته بالجوع والعطش ومثلهم المرضى فى أيام اشتداد المرض وان وجدوا ماياً كلون ودخل فى قولنا أو مايقوم مقام ذلك حفظ القوة بمحض القدرة ، وذلك لطف عظيم وحكمة باهرة وذلك ان الله تعالى خص الآدميين بزيادة ثروة من غير المضمون لما علم طيشهم وقلقهم فشغلهم بالحرص على جمع الأموال وأنساهم بذلك الاهتمام ماضمن لهم ممايقيم البنية لئلا يقع فى قلوبهم شىء من التهمة له فى ضمان الرزق فيستوجبون مقته وغضبه لأن فى التهمة مايشير الى التكذيب ، فكان حرصهم عليها أهون مماتستوجبه التهمة فالاجتهاد فى حصول المضمون أقل الواقع وغير المضمون أقل الواقع ، وقد قيل فى الانسان جزء لايزال يضرب فى الدنيا فاذاوجدت عنده سكن ، ولهذا كان كثيرمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين يدخرون و يبقون عندهم شيئا من الدنيا ومن دعاء بعض السلف ، اللهم اجعلها فى أيدينا ولاتجعلها فى قلوبنا ، وعنه ﷺ ان الفاقة لأصحابى سعادة ، وان الغنى فى آخر الزمان سعادة ، وسبب ذلك ان جل الناس الآن ناظرون الى الدنيا ، وأهل الصدر الأول كان نظرهم الى الآخرة ، وقد شحت أهل الدنيا بها فى هذا الزمن حتى بالقدر الواجب ، فاحتاج أهل العلم والصلاح الى الدنيا ليستغنوا بها عن أهلها ، فان من احتاج اليهم هان عليهم قدره لديهم ، ومن المناسبات هنا قول شيخ والدى سيدى عبد الله بن علوى الحداد العلوى نفع الله به كما نقله عنه تلميذه العارف بالله تعالى سيدى عمر البار نفع الله به انما كان تمثيل الدنيا فى القبر بالمال لأن القليل منه لاغنى عنه والكثير مفرق ، ثم قال واليوم ماننكره لأصحابنا مايسترهم من المال و يغنيهم عن الناس لضعف يقين أهل هذا الزمان وقلة مواساة الأغنياء للفقراء ، وكان للسلف يقين أوقال ايمان كامل يصبرون على الشدائد ، وكان فى أهل ذلك الزمان مواساة للفقراء عكس هذا الزمان المبارك انتهى ، ومن كلام بعض أهل التحقيق نفع الله بهم ماصورته أمر الله السيدة مريم عليها السلام بالسبب بعد المعرفة بقوله (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) اثباتا للاسباب بمقتضى الحكمة الالهية وهذا تحقيق التوكل وأعلى درجاته وهو مقام محققى المتوكلين واليه يشير قوله ﷺ «لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» فأثبت لها الغدو والرواح وهو سبب ودونه السكون الى الله تعالى من غير اضطراب بالاسباب كمقام مريم الأول المحكى فى قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هومن عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا مقام عال فى المتوكلين ودونهما الاضطراب فى الأسباب من غير اعتماد عليها وهو مقام عامة المتوكلين فالمحققون لما علموا علما جهله من دونهم علموا أن الله ماوضع الأسباب عبثا ولاثم مؤثر فى العالم غير الله تعالى ، فأثبتوا ماأثبت له الحكمة الالهية وعلموا به تحقيق العبودية والله العليم القادر الحكيم ولله در الشهاب الخفاجى حيث يقول رحمه الله

والرزق مقسوم وقد ☆ يثمر فيه الطلب
كعقلنا غريزة ☆ ومنه مايكتسب

و بذلك يعلم ان كمال العلم أن يراعى الشخص حكمة الأسباب عند ورود الأقدار فان الاستناد الى العلم بالمقدورات من غير رؤية حكمة الاسباب نقصان ورؤية الاسباب من غير ملاحظة الاقدار أيضا نقصان

والكمال أن يراعى العبد كليهما لانه سبحانه وتعالى جعل العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسبحات شمس أحديته فواقف عندها مخذول ونافذ منها اليه هو بالعناية موصول ، والا فقدرته سبحانه وتعالى لاتتوقف على الأسباب والعوائد هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه على ان عالم القدرة لايخلو عن الأسباب أيضا إلا أن الاسباب فيه خفية بخلاف عالم الحكمة ، ويؤيد ذلك قول العارف بالله تعالى سيدى أبى العباس المرسى نفع الله به للناس أسباب وسببنا نحن الأيمان والتقوى ، قال الله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) ويؤيده أيضا قول العارف القشاشى نفع الله به : والرزق كتبه الله وضمنه وهو مرهون بأوقاته وآجاله وأمكنته التى كتب الله لك ان تناله بها وأسبابه ما كانت التى هى وسائط فيه فهو من جملة الرزق لايجتمع بدونها لاذن الحق بذلك لالكون أمر الحق موقوفا عليها بل لقضاء الحق بها وحكمه فيها بحكمة يريدها لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب وهو أسرع الحاسبين (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال تعالى (ومامن دابة فى الأرض الاعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وأنت من جملة الداوب ورزقك عليه لاعليك واليه أمرك لا اليك انتهى ، قال بعض العارفين ، ومن الاسباب القوية لتسهيل الرزق المأذون فيها من الشارع ملازمة القراءة لسورة الواقعة وملازمة الأذكار المجربة لتسهيل الرزق ، وكثير منها مذكور فى الأحاديث النبوية منصوص فيها على انها لتسهيل الرزق نحو لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة ، قال بعض العارفين ان هذا الذكر يكون الاتيان به عند طلوع الفجر أو عند الزوال ، ونحو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله كل يوم مائة مرة ، ويكون الاتيان به بعد صلاة سنة الصبح وقبل صلاة الفريضة بحيث يكون بينهما ، فان لم يتيسر ذلك فبعد الفريضة ، ومن ذلك اللهم انى عبدك ابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك نافذ فىّ قضاؤك ، وفى رواية عدل فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى فان النبى ﷺ علمه لمن شكا اليه غلبة الدين فقرأه فقضى الله دينه ، وجاء فى بعض الروايات ماأصاب عبدا همّ ولاحزن فقاله إلا أذهب الله عنه همه وحزنه ، والحديث المذكور ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب والقسطلانى فى المواهب ، وهو مروى عن كثير من الصحابة مرفوعا الى النبى ﷺ منهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أخرجه كثير من أهل الحديث منهم الامام أحمد فى سننه وبالجملة فهو من الأحاديث الصحيحة المجربة فى ذلك ✲ وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ما كربنى أمر الاتمثل لى جبريل ، فقال يامحمد قل توكلت على الحى الذى لايموت (الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا)

ومن المجرب لتسهيل الرزق كثرة الاستغفار والصلاة والسلام على النبى ﷺ ومن البشائر قوله ﷺ فيما رواه أبو نعيم ان من الذنوب ذنوبا لاتكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه فما يكفرها ، قال الهموم فى طلب المعيشة وسرّ ذلك ان الذنوب كالأمراض والمكفرات كالادوية فكل صنف منها يكفر صنفا من الذنوب كما ان الدواء أيضا يدفع

المرض المضاد له ، وذكر سيدى القطب محمد العيدروس نفع الله به فى كتابه أسرار علوم المقربين أنه روى أن سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، قال رب جعلت رزقى هكذا على بنى اسرائيل هذا يغدّينى وهذا يعشينى ، فقال الرب سبحانه وتعالى هكذا أصنع بأوليائى أجرى رزقهم على أيدى البطالين من خلقى ليؤجروا فيهم انتهى كلام السيد عبد الرحمن العيدروس فى شرحه على صلاة سيدى أحمد البدوى ، وكتب بعضهم على قوله فيما تقدم اثباتا للأسباب بمقتضى الحكمة الالهية وهذا تحقيق التوكل وأعلى درجاته مانصه ، انما كان هذا المقام أعلى لأن فيه القيام بالعبودية والقيام بالعبودية أتم فيه حيث راعى صاحبه الحكمة التى اقتضتها ارادة الله تعالى مع اعتقاده أن السبب لاتأثير له ، والمؤثر هو الله تعالى وحده ، وأما المقام الثانى الذى يقطع صاحبه النظر عن الأسباب فصاحبه لم يراع الحكمة التى اقتضتها ارادة الله سبحانه وتعالى فى وضع الأسباب التى أجرى العادة بحصول الشىء عندها لابها فلم تتم العبودية لصاحب هذا المقام ، لأنه يريد ان الله تعالى يخرق له العادة ويبطل تلك الحكمة فهو وان كان سكونه الى الله تعالى لكن عبوديته لم تكمل ، ولهذا كان المقام الذى صار لمريم بعد كمالها وخوطبت فيه بقوله (وهزى اليك بجذع النخلة) أتم وأكمل وأعلى من المقام الأول الذى كان لها قبل الكمال الذى أشير اليه بقوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) الآية لكن يشترط لمن يتلبس بالمقام الأعلى ان لايتعمق فى الأسباب بل يتعاطى الأسباب الخفيفة التى أجرى الله العادة يقينا أوظنا عند حصولها أنه يوجد الشىء عندها لابها مع كمال وثوقه بالله تعالى واعتقاد أن لا مؤثر سواه ويتبرأ من حول نفسه وقوتها فهذا أكمل فى العبودية من كون العبد يريد أن يخرق الله له العادة ويوجد له الشىء بلا تعاطى سبب ، وكذا التعمق فى الأسباب فانه مناف لمقام العبودية بل مناف للتوكل ، كما حقق ذلك الامام الغزالى فى الأحياء اه

وذلك أن الغزالى فى الاحياء قسم الأسباب فى كتاب التوكل الى سبب مقطوع به ومظنون وموهوم ، وقال ان تعاطى السبب المقطوع به والمظنون لاينافى التوكل بشرط اعتقاد عدم التأثير مع اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده ، وأما تعاطى السبب الموهوم حصول الشىء عنده فانه مناف للتوكل قال فالمقطوع به مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لايختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج اليه ، ولكنك لست تمديدك اليه وتقول أنا متوكل ، وشرط التوكل ترك السعى ومد اليد اليه سعى وحركة ، وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالى الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل فى شىء وكذلك لولم تزرع الأرض وطمعت فى أن الله يخلق نباتا من غير بذر وتلد زوجتك من غير وقاع فكل ذلك جنون فالتوكل فى أمثال ذلك تعاطى تلك الأسباب مع العلم بأن الله تعالى خالق للطعام واليد وغير ذلك وخالق للشبع عند أكل الطعام لا أن الطعام هو المشبع فيكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى * الرتبة الثانية الأسباب التى ليست متيقنة ولكن الغالب ان المسببات لاتحصل بدونها كحمل الزاد فى السفر مع الاعتماد على الله تعالى لاعلى الزاد * الرتبة الثالثة ملابسة الأسباب التى يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذى يستقصى فى التدبيرات الدقيقة فى طلب الاكتساب ووجوهه فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضر نسبة الكى والرقية انتهى ، قال بعض العارفين مراده الرقية بغير أسماء الله كما كان يصنع أهل الجاهلية ، أما الرقية بأسماء الله تعالى

وبالقرآن فهى من أقوى الأسباب انتهى ، ثم قال الغزالى فان الكى والرقية قد يقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ، ورسول الله ﷺ لم يصف المتوكلين الا بترك الكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب ، ثم قال بعد كلام ولترك الأسباب الواقعة وان كانت مقطوعة وجه ، ومثل ذلك بما اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفى فشرط التوكل الاحتمال والصبر ، قال الله تعالى (فاتخذه وكيلا واصبر على مايقولون) وقال تعالى (ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال عز وجل (ودع أذاهم وتوكل على الله) وقال تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى (نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وهذا فى أذى الناس وأما الصبر على أذى الحياة والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل فى شيء ولا فائدة فيه ولا يراد السعى ولا يترك لعينه بل لاعانته على الدين وليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأسا ، أما فى النفس فكالنوم فى أرض مسبعة أو فى مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك نهى عنه ، وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بلا فائدة ولا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله اما قطعا واما ظنا انتهى ، وبالجملة فالقصد من ذلك كله أن يكون للعبد فى كل حركة وسكون نية صالحة تقربه الى الله تعالى ليس فيها قصد غرض النفس ونيل شهوتها ولذتها ، قال أبو يزيد رضى الله عنه فى بعض مكاشفاته إلهى كيف السبيل اليك قال له ربه فى سره دع نفسك وتعال أى اترك حظوظها وشهوتها واقبل على الله تعالى

وقال رضى الله عنه كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول ياأبايزيد خزائنه مملوءة بالعبادة وان أردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار والاخلاص فى العمل وهذا لا يكون إلا برؤية الفضل والمنة لله تعالى ورؤية العجز والذلة للنفس

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجاب عن ربك ومادمت ترى الخلق لاترى نفسك ومادمت ترى نفسك لاترى ربك ولا يؤثر فيك جفاء الخلق بعدم طاعتك للحق واستصغارك نفسك وعظم المسلمين ولا تستصغر أحدا منهم نظرا لما أودع فيهم من الايمان والحكم * وقال رضى الله عنه اذا مت عن الخلق قيل لك يرحمك الله وأماتك عن هواك فاذا مت عن هواك قيل لك يرحمك الله وأماتك عن ارادتك ومناك فاذا مت عن ارادتك ومناك قيل لك يرحمك الله وأحياك فحينئذ تحيا حياة طيبة لاموت فيها وتغنى غنى لافقر بعده وتعطى عطاء لامنع بعده وتعلم علما لاجهل بعده وتأمن أمنا لاتخاف بعده وتكون كبريتا أحمر لايكاد يرى ، وقال رضى الله عنه افن عن الخلق بحكم الله وعن هواك بأمر الله واشراك الخواص أن يشركوا اراداتهم بارادة الحق على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيتداركهم الله باليقظة والتذكير فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم اذ لا معصوم من هذه الارادة الا الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما بقية الخلق فلم يعصموا منها إلا أن الأولياء يحفظون عن الهوى والابدال عن الارادة ، وقال رضى الله عنه اخرج عن نفسك وتنح عنها وانعزل عن ملكك وسلم الكل الى مولاك وكن بوابا على باب قلبك فأدخل مايأمرك بادخاله واخرج مايأمرك باخراجه ولاتدخل الهوى قلبك فتهلك واذا

أفاض الله عليك شيئا من النور وأنعم عليك بشيء من الأسرار فاشكر الله عليه واكتمه عن الخلق ولا تخبر به أحدا فان ربك كل يوم هو فى شأن فى تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما يزيلك عما أخبرت به ويعزلك عما تخيلت ثباته فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك واكتمه فان كان الثبات والبقاء فتعلم انه موهبة فتشكر واسأل الله التوفيق ، وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة بتصرف الله فيك فتتيقظ وتتأدب فتكتسب بذلك نورا قال تعالى (ماننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أومثلها) فكن حسن الظن بربك فى جميع الأحوال

وقال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عليك بكثرة الاستغفار وان لم يكن هناك ذنب واعتبر باستغفار النبى ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ماتقدم من ذنبه وماتأخر هذا فى معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لايخلو عن العيب والذنب فى وقت من الأوقات ، وقال رضى الله عنه اذا كشف لك عن حقيقة من الحقائق وعارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة ، وقد أجمع العارفون والعلماء العاملون على أنه لايجوز العمل بالكشف ولا الالهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة * وقال رضى الله عنه اذا عرض لك عارض يصدك عن الله تعالى وعن الاقبال على طاعته فأكثر من ذكر الله واثبت قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) فهذا العارض فئة من الفئات فاثبت واذكر الله واستعن به يحصل لك الفلاح ويمنع الله عنك هذا العارض ومن أحصن الحصون من الوقوع فى المعاصى الاستغفار والالتجاء الى الله تعالى قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ومثل الاستغفار كثرة الصلاة على النبى ﷺ وفضلها بعضهم على الاستغفار والأولى الجمع بينهما فيكثر من كل منهما ومن التهليل والتسبيح وبقية الأذكار وتلاوة القرآن وشأن النفس السآمة والملل فاذا انتقلت من نوع من الاذكار الى نوع آخر منها تندفع عنها السآمة والملل ، وقال الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ان النبى ﷺ جاءته النبوة فكتمها سنين حتى قيل له (ياأيها المدثر قم فأنذر * وياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) وأنت ترى شيئا فتظهره ولا تكتمه اذا وقع عليك رزمة ثياب فى دارك فتحت بابك وقلت اشترمني لعلها للجيران عارية أو وديعة وقال رضى الله عنه اذا فاتك شيء فلا تحزن عليه فان الملك ليتصرف فى ملكه والعبد ومايملك لمولاه مايأخذه منك اليوم تجده غدا وتقول له النار جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى هكذا فى الدنيا اذا قوى الايمان واتصل الباطن بقرب الحق عز وجل جاءت نار الآفات فوقعت على طريق القلوب فتأتى نار المجاهدات فتقف فى طريق المريدين فتأخذه لما بقى عليه من بقية الدنيا ورؤية الخلق وتقول له جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى فلا يضرهم فى الدنيا سهام تقع فى جدار القلعة اعملوا عملا لله عز وجل لالغرض ولا لعلة ولا لحظ نفس لاتضركم نار الدنيا ولا نار الآخرة ، وقال رضى الله عنه لله عز وجل عباد يسميهم أطباء القلوب يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية ويدخلهم الجنة فى عافية من عرف الله عز وجل انقطعت عنه الشهوات واللذات وانما يجبر على استيفاء ماقدر وقسم له الجار قبل الدار من حصل له الجار ظفر هذا المبارك بالدار وبمكن من الملك ويقول له الملك (انك اليوم لدينا مكين أمين) من عرف الله وأدخل عليه لايمد عينيه الى شيء من ملكه ولا يديه

كعروس زفت الى الملك طعامها وشرابها قرب الملك جميع شهواتها تجدها فى قربه وقال رضى الله عنه لاتعدل مع الفقر والصبر والسلامة شيئا استغن بالله فى فقرك فان الغنى يطغى وينسى الرب من آثر الحياة الدنيا آثر هواه على أمرالله تعالى آثر الطبع والنفس على أمر الله آثر الفطر على الصوم آثر الحرام على الحلال آثر الغفلة على التيقظ آثر المعصية على الطاعة ويحك سوأتك بادية استحى . عن النبى ﷺ انه قال لأن تسمع برجل خير من أن تأتيه ولأن تأتيه خير من ان تخبره فاذا خبرته مقته ومقت عمله المؤمن ملك فى الدنيا وملك فى الآخرة ارجع الى ربك بالتوبة والذلة والافتقار والمسكنة والتضرع والمسئلة يعطك مما فى خزائنه (وان من شيء الاعندنا خزائنه) وهذه مفاتيح خزائنه قدمكنك منها فاشكرالله على ذلك وتمسك بها وتبرأ من حولك وقوتك وقل بصدق واخلاص لاحول ولاقوة الابالله ، وقال رضى الله عنه كن عنده اذاعرفته فان لم تعرفه فابك على نفسك المعرفة اذاوردت على قلب المؤمن أدهشته وغيبت رشده حتى لا يعرف سوى ربه ، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اذا استحسنت شيئا من أحوالك الباطنة أو الظاهرة وخفت زواله فقل ماشاءالله لاقوة إلابالله ، وقال رضى الله عنه من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا الى ربه وتواضعا لخلقه فهو هالك والصادق الموقن لوكذبه أهل الأرض لم يزده بذلك إلا تمكينا ولاتعطى الكرامات من طلبها وحدث بها نفسه ولامن استعمل نفسه فى طلبها وانما يعطاها من لايرى نفسه ولاعمله وهو مشغول بمحاب الله تعالى ناظر الى فضل الله آيس من نفسه وعمله ، وقدتظهر الكرامة على من استقام فى ظاهره وان كانت صفات النفس فى باطنه كما وقع للعابد الذى عبدالله فى الجزيرة خمسمائة عام فقيل له ادخل الجنة برحمتى فقال بعملى ، فلما حوسب لم تقم عبادته بحق نعمة من نعم الله التى أنعم بها عليه فاعترف أن دخول الجنة برحمة الله فادخلها فعليك بالتمسك بفضل الله ورحمته والاعتماد عليه واياك والاعتماد على عملك ، وقال رضى الله عنه ماثمّ كرامة أعظم من كرامة الايمان ومتابعة السنة فمن أعطيهما وجعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أوذوخطأ فى العلم بالصواب كمن أكرم بشهود الملك فاشتاق الى سياسة الدواب وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله والمحبة لله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور ، وقال رضى الله عنه سمعت هاتفا يقول ان أردت كرامتى فعليك بطاعتى وبالاعراض عن معصيتى ، وقال رضى الله عنه رأيت كأنى واقف بين يدى الله عز وجل فقال لى لاتأمن مكرى فى شيء وان آمنتك فان علمى لايحيط به محيط وهكذا درجوا ، وقال رضى الله عنه لاتركن الى علم ولاعمل ولامدد وكن بالله واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله ☆ واعلم أن العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير فى الايدى ان شاء الله نفعك بها وان شاء ضرك بها . وقال رضى الله عنه اذا أردت الوصول الى الطريق التى لالوم فيها فليكن الفرق فى لسانك موجودا والجمع فى سرك مشهودا يعنى انك تكون بظاهرك مع الخلق وبقلبك وباطنك مع الله تعالى مستغرقا فى شهود عظمته وجلاله وتذكر نعمه وآلائه ، وقال رضى الله عنه العارف بالله تعالى لاتنقصه حظوظ النفس التى تكون لغيره لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك فلا يتناول ولايفعل الاماله فيه نية صالحة تقربه الى الله الا ان كانت الحظوظ معاصى واذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ النفس وستر عنه عيوب دينه فهو يتقلب فى شهواته حتى يهلك ولايشعر ، وقال رضى الله عنه إنا لننظر الى الله تعالى ببصائر الايمان والايقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ، وصرنا نستدل به تعالى على الخلق هل فى الوجود

سوى

سوى الملك المعبود فلاترى غير الله وان كان ولابد لك من رؤيتهم فتراهم كالهباء فى الهوى وان مسستهم لم تجدشيئا ، وقال رضى الله عنه اذا امتلأ القلب بأنوار الله عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة فى عباده المؤمنين ، وقال رضى الله عنه ان أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فاكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا هو اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفرلى ذنبى ، وقال رضى الله عنه ان أردت أن تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك واقطع الطمع عن ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ثم ان أردت أن تكون مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك واخرج من حولك وقوتك ، وقال رضى الله عنه خصلة واحدة اذا فعلها العبد صار امام الناس من أهل عصره وهى الاعراض عن الدنيا واحتمال الأذى من أهلها ، وقال رضى الله عنه حسنتان لا يضر معهما كثرة السيآت الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله ، وقال رضى الله عنه إياك أن تقف مع الخلق بل انف المضار والمنافع عنهم لأنها ليست منهم واشهدها من الله فيهم وفر الى الله منهم بشهود القدر الجارى عليك وعليهم ولك ولهم ولا تخف خوفا تغفل به عن الله تعالى وترد القدر اليهم تهلك ، وقال رضى الله عنه الكاملون حاملون لأوصاف الحق وحاملون لأوصاف الخلق فان رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر وان رأيتهم من حيث الحق رأيت أوصاف الحق التى زينهم بها فظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى تخلقا باخلاق رسول الله ﷺ ، قال تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أفتراه أغناه بالمال كلا وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع وأطعم الجيش كله من صاع وخرج من مكة على قدميه ليس معه شيء يأكله ذوكبد ولا شيء يواريه ابط بلال وانما كان غنيا بالله تعالى واثقا بما عنده

﴿واعلم﴾ أن العارفين بالله تعالى تختلف نياتهم ومقاصدهم فيما يأتون وفيما يذرون فلا يأتون شيئا الا بنية صالحة تقربهم الى الله تعالى ولا يتركون الا كذلك فمنهم من كان يؤثر البذاذة وخشونة العيش واللباس اذا كانت نفسه لها حظ فى خلافه ولم يجد له فيه نية صالحة ، ومنهم من يجد له نية صالحة فيه فيعمل بمقتضاها ، فمن ذلك أن السرى السقطى رضى الله عنه كان يجاهد نفسه كثيرا فى ترك حظوظها حتى انه ترك شرب الماء البارد ، ومنهم من قصد تبريد الماء لا لحظ النفس بل لاستخراج مزيد الشكر من القلب ولكل وجهة هو موليها فلا يعترض على أحدهما حيث كانت النية صالحة والأعمال بالنية ، ومما يستند اليه من يؤثر البذاذة وخشونة العيش واللباس قوله ﷺ البذاذة من الايمان وقوله ﷺ فى الحديث الحسن من ترك اللباس تواضعا لله تعالى وهو يقدر عليه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد حتى يخيره من أى حلل الجنة شاء يلبسها ، وقال ﷺ تمعددوا واخشوشنوا أى اقتدوا بمعد ابن عدنان فانه كان مخشوشنا ، وقال ﷺ رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره ، ولما رأى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه متجردا فى اهاب كبش ، قال دعاه حب الله ورسوله الى ما ترون ، وقد كان مصعب قبل ذلك يلبس عند أهله أحسن الثياب ، فلما أسلم وتبع النبى ﷺ منعوه من ذلك وأبعدوه عنهم ففارقهم ولزم رسول الله ﷺ ورضى باهاب الكبش وفى البذاذة أيضا تواضع واقتداء بالسلف ، فان أكثرهم كان على ذلك ، وأما الذين فعلوا خلاف ذلك وحسنت نياتهم فانهم أرادوا اظهار الشكر لله تعالى لقوله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وقال ﷺ ان الله جميل يحب الجمال ✲ وفى رواية ان الله نظيف يحب النظافة ✲ وحاصله

ان الأول محمول على من آثر ذلك للتواضع والاقتداء بالسلف ، والثانى على من قصد به اظهار نعمة الله تعالى عليه ، وكلا الأمرين اذا كان بنية حسنة فهو حسن والأعمال بالنية ☆ وممن كان من أهل القسم الثانى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن ، قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه برد الماء فانك اذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة واذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب لك كل عضو فيك بالحمد لله ☆ والأصل فى هذا قوله سبحانه وتعالى حكاية عن موسى عليه السلام (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصد الشكر الله تعالى على ما يناله من النعمة بالظل ، قال ودخل فقير على الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه وعلى الفقير ملابس خشنة من الشعر وعلى الشيخ أبى الحسن ملابس لينة فدنا الفقير من الشيخ وأمسك ملبسه ، وقال ياسيدى ماعبد الله بهذا اللباس الذى عليك فأمسك الشيخ أبو الحسن ملبس الفقير فوجد خشونته فقال ولاعبد الله بهذا اللباس الذى عليك ، فان لباسى يقول للخلق أنا غنى عنكم فلا تعطونى ولباسك يقول أنا فقير اليكم فاعطونى ، وهكذا كان طريق الشيخ أبى العباس المرسى وطريق شيخه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ، وطريق أصحابهما الاعراض عن لبس زى ينادى على سر اللابس بالافشاء و يفصح عن طريقه بالابداء ومن لبس الزى فقد ادعى ، قال ولا تفهم رحمك الله انا نعيب بهذا القول على من لبس زى الفقراء بل قصدنا انه لايلزم كل من كان له نسب كما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء ، فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس اذا حسنت نيته وكان من المحسنين (ما على المحسنين من سبيل) ، وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهى وشرب الماء البارد فليس القصد اليه بالذى يوجب العتب من الله اذا كان بنية حسنة وكان معه الشكر لله تعالى ☆ قال الشيخ أبو العباس المرسى دخلت على الشيخ أبى الحسن رضى الله عنهما وفى نفسى أن آكل الخشن وألبس الخشن فقال له ياأبا العباس اعرف الله وكن كيف شئت يعنى اذا لم يكن فى ذلك خروج عن الشرع ، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اذا أتانا مريد له شىء من الدنيا لا نقول له اخرج عن دنياك وتعال ولكن ندعه حتى يترشح فيه أنوار المنة والفضل لله تعالى فيكون هو الخارج عن الدنيا بنفسه ، ومثال ذلك قوم ركبوا فى سفينة ، فقال لهم رئيسها غدا تهب ريح شديدة ولا ينجيكم منها الا أن ترموا بعض أمتعتكم فارموا بها الآن فلا يسمع أحد قوله فاذا هبت العواصف كان الكيس منهم من يرمى متاعه بنفسه كذلك اذا هبت عواصف اليقين يكون المريد هو الخارج من الدنيا بنفسه فلا يبقى لها مقدارا بقلبه ولا يمسك منها الا ما يستعين به على قربه من ربه

﴿وكان رضى الله عنه﴾ يحكى عن الشيخ عبد الرزاق الولى الكبير المشهور بالاسكندرية أن رجلا من أهل المهدية وهى قرية بالمغرب أتاه فقال له الشيخ عبد الرزاق أرى عليك أثر نعمة فمن أين أنت وماقصتك ، فقال له ياسيدى كنت من أكابر أهل المهدية وأعيانها وأكثر أهلها مالا وعزا فورد علينا رجل يدعى انه من الدالين على الله تعالى فجئت اليه وأنا متطلع محترق على الوصول الى الله تعالى ، فقال لى انك لاتصل الى الله تعالى حتى تخرج من مالك كله وحتى تطلق نساءك بتا وحتى تغير زيك ففعلت ذلك كله فما ازداد قلبى الا قسوة فضاق صدرى وحرت فى أمرى ولم أطق ان أقيم فى المهدية وقد ذهب ما كنت فيه من الجاه والمال ولم أتعوض عن ذلك شيئا فى باطنى فجئت الى هنا قاصدا الحج

فقال له الشيخ عبد الرزاق دعوى ذلك الرجل على غير بصيرة ، ثم قال قاتلهم الله امكث عندنا فلما جاء أوان الحج أرسله الشيخ عبد الرزاق مع بعض أهل الاسكندرية ثم رجع من الحج الى الشيخ بالاسكندرية ، فلما جاء أوان سفر أهل المغرب الى المغرب ، قال له الشيخ اذهب الى بلدتك فاذا وصلت اليها فان الناس يسمعون بك و يخرجون اليك مسرعين و يعرضون عليك الملابس والمراكب فخذ أفضلها ملبسا وأحسنها مركبا وادخل الى المهدية فما أجل اليك من الدنيا فاقبله وسيعيد الله لك ما كان لك وأكثر منه وتجد نساءك قد طلقهن أزواجهن فتزوج بهن وتنال من العز والرفعة والغنى أكثر مما كنت فيه ، فاذا تكمل ذلك كله فتح الله عيني قلبك ، قال فسافر الرجل وأتى ساحل المهدية فسمع الناس ان فلانا أتى من المشرق وليس فى البلدة الا من له عليه يد ومعروف فخرجوا اليه يهرعون بالملابس السنية والمراكب البهية فلبس أفضلها ملبسا وركب أفضلها مركبا ودخل المهدية فاهديت اليه الهدايا وحملت اليه التحف والأموال ووجد زوجاته قد طلقهن أزواجهن وانقضت عدتهن فراجعهن فتكمل له ماوعده به الشيخ عبد الرزاق رضى الله عنه ثم فتح الله عيني قلبه واتضح له حق اليقين وصار من أكمل العارفين لان الله لما علم صدقه فى طلب معرفته تفضل عليه والله ذو الفضل العظيم

(وتكلم الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يوما فى فضائل سيدى أبى بكر الصديق رضى الله عنه) فقال قال رسول الله ﷺ مافضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى صدره ، فقال بعض الحاضرين هو المراقبة ، فقال الشيخ أبو الحسن هذا كلام قشور من هو دون أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى الرتبة اذا وجد المراقبة استغفر الله منها كما يستغفر العاصى من معصيته وذلك انه أضاف المراقبة الى نفسه كأنه يقول أنت الرقيب وأنا الرقيب (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) فكان الشيخ رضى الله عنه يشير الى أن أبا بكر رضى الله عنه لا يشهد الا الله تعالى وفنى عن كل ماسواه مع كمال صحوه وحضوره وقيامه بحدود الشرع ، وقال رضى الله عنه يوصى بعض أصحابه لما عزم على الحج اذا وصلت الى البيت لا يكن همك بالبيت وليكن همك رب البيت ولا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام ، ولهذا قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كنا نتراءى الله عز وجل فى الطواف وكذا حالهم فى الصلاة وسائر العبادات ، وقال رضى الله عنه من عرف الله لم يسكن الى الله لان فى السكون ضربا من الأمن (ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وكان رضى الله عنه يقول ان الولى فى فنائه لابد أن يبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب التكليف وذلك كما يكون الانسان فى البيت المظلم فهو عالم بوجوده وان كان غير مشاهد لذاته

(وقال رضى الله عنه) وقد قرئت عليه الرعاية للحارث بن أسد المحاسبى فى آفات النفس ، فقال يغنى عن ذلك كله كلمتان أعبد الله بشرط العلم ولا ترض عن نفسك بشىء ✲ وسئل رضى الله عنه عن بعض المشايخ الكائنين فى وقته فقال ضيق عليه الورع ونحن وسع الله علينا بالمعرفة ، وقال لا تظن ان قولهم العارف وسعته المعرفة انه يأكل حراما أو مافيه شبهة ولكن العارف ذو بصيرة نيرة فيكشف له ماغطى عن الورع فيمد يده الى الطعام لعلمه بحله وسلامته من الشبهة على ماأشهدته بصيرته والورع ذلك مستور عنه فلذلك ربما مد العارف يده الى ماقبض المتورع يده عنه

(وكان رضى الله عنه) يفضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء وأبى عبد الله الترمذى الحكيم وكان رضى الله عنه يقول الشكر صفة أهل الجنة والصبر ليس كذلك ✲ ومسئلة تفضيل الغنى

الشاكر على الفقير الصابر أو عكسه مسئلة شهيرة والكلام عليها طويل وقد بسط ذلك الامام الغزالى رضى الله عنه فى احياء علوم الدين بما يشفى الغليل ، وفصل تفاصيل كثيرة وذكر صورا كثيرة فى بعضها يفضل الغنى الشاكر وفى بعضها يفضل الفقير الصابر ، وأما اذا كان الغنى يصرف النعم فيما خلقت له و يؤدى حقوق المال ولا يصرف الأموال فى تلذذه بالمباح من الشهوات ولا يمسك لنفسه من المال الاقدر الضرورة والباقى يصرفه فى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح له حتى يصرف اليها ثم اذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل أداء لحق الله تعالى فى تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر قطعا ، وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه الشكر انفتاح القلب بشهود منة الرب ، وقال رضى الله عنه لو علم الشيطان أن طريقا يوصل الى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف فيه ألا ترى كيف قال (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين ولا خائفين ولا راجين * وسئل رضى الله عنه ما الذى يصير به الشاكر شاكرا ، فقال اذا كان ذا علم فبالتبيين والارشاد واذا كان ذا غنى فبالبذل والايثار للعباد واذا كان ذا جاه فباظهار العدل فيهم ودفع الضرر عنهم والأنكاد ، وقال رضى الله عنه يقول الله عز وجل عبدى اجعلنى مكان همك اكفك همك عبدى ما كنت بك فانت فى محل البعد وما كنت بى فأنت فى محل القرب

﴿قال ابن عطاء الله﴾ قال بعض العارفين ان لله عبادا كلما اشتدت ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم وروى الترمذى أن النبى ﷺ قال يكون فى أمتى فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم ، قال الترمذى يعنى بالعلم العلم بالله تعالى ، وقال صوفى يوما بحضرة فقيه ان لله عبادا فى أوقات الحن والمحن لا تضرهم ، فقال ذلك الفقيه هذا مالا أفهمه ، فقال له الصوفى أنا أريك مثال ذلك الملائكة الموكلون بالنار هم فى النار والنار لا تضرهم ، قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه الدنيا كالنار وهى قائلة للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبى وقال ان رجال الليل هم الرجال وان أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشئ من الغنى واليقين ، فالغنى لكثرة ماعند الناس من الافلاس واليقين لكثرة ماعند الناس من الشكوك ، قال الامام أبو عبدالله الترمذى رضى الله عنه الناس صنفان صنف منهم عمال لله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون الى خير الزمان واقبال دولة الحق لانه يؤيدهم ، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين الى اقبال الزمان وإدباره وهو قول رسول الله ﷺ ان لله عبادا يغذوهم برحمته يحييهم فى عافية تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم ، قال ابن عطاء الله رضى الله عنه ان أولياء الله منهم الظاهر والخفى والصديق والولى فساد الوقت لا يكدر أنوارهم ولا يحط مقدارهم لأنهم مع المؤقت لا مع الأوقات فمن كان مع المؤقت لا يتغير بتغير الوقت ومن كان مع الوقت تغير بتغيره وتكدر بتكدره ، قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول ولى الله تعالى مع الله تعالى كولد اللبوة فى حجر اللبوة أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله ومن عرف الله تعالى انسد عليه باب الانتصار لنفسه اذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلا لغير معروفه فكيف ينتصر من الخلق من يرى الخالق فعالا فيهم فكيف يدع أولياءه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلما واستسلموا لما يرد منه حكما فهم فى معاقد عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شئ إلا من

ذكره

ذكره ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حبه ويحترزهم من كل شيء إلا من وجود قربه ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بأنواره بهجة وطن لهم موطنا بين يديه فقلوبهم جاثية فى حضرته وأسرارهم محققة لشهود وحدانيته

﴿قال ابن عطاء الله﴾ وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول ان لله عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره مايعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات فهى اذن فناآت ثلاثة أن يفنيك عن أفعالك بأفعاله ، وعن أوصافك بأوصافه ، وعن ذاتك بذاته ، وأصل هذا المعنى مأخوذ من الحديث الصحيح ، وهو قوله ﷺ «ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرب الىّ عبدى بشيء أحب الى مما افترضت عليه ومازال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته وان استعاذنى لأعيذنه» رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ومعنى آذنته بالحرب أى أعلمته انى محارب له ✲ وقال الامام الطيبى فى بيان معنى الحديث أجعل سلطان حبى غالبا عليه حتى يسلب منه الاهتمام بشيء غير مايقربه الىّ فيصير متخلصا عن الشهوات ذاهلا عن الحظوظ واللذات مقبلا بقلب أينما توجه لقى الله تعالى بمرأى منه ومسمع لاتطرق حالته الغفلة ولاتحول دون شهوده الحجب ولايعترى ذكره النسيان ولايخطر بباله الاحداث والأعيان يأخذ بمجامع قلبه حب الله تعالى فلا يرى ولايسمع ولايفعل الامايحبه الله ويكون الله سبحانه فى ذلك له يدا ومؤيدا وعونا ووكيلا يحمى سمعه و بصره ورجله عمالا يرضاه ، وحقيقة ذلك ارتهان كلية العبد بمراضى الله تعالى وحسن رعاية الله له ، فان العرب اذا أرادوا اختصاص الشيء بنوع منه والاهتمام به والعناية به والاستغراق فيه والوله والنزوع له سلكوا هذا الطريق فى التعبير عن مرادهم ، وقيل فى الحديث انه على حذف مضاف أى حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الامايحل سماعه وحافظ بصره فلا يبصر الا مايحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش بها الافيما يحل وحافظ رجله فلا يمشى بها الافيما يحل المشى اليه اما ايجابا واما ندبا أواباحة ✲ وقيل سمعه بمعنى مسموعه وكذا الباقى يؤوّل بمايؤول الى هذا المعنى ، والمعنى لايسمع الاذكرى ولايتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولاينظر الافى عجائب ملكوتى ولايمدّ يده الافى رضاى ومحبتى ولايمشى برجله الا لذلك ، وقيل ان الحديث مجاز أوكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما ذكر وتأييده وصيانته وتوليته فى جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التى يستعين بها ولهذا جاء فى رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى أى أنا الذى أقدره على هذه الأفعال وخلقتها فيه فظهر بذلك كله أن الحديث ليس فيه شيء من معنى الحلول والاتحاد ، فالحلول دخول شيء فى شيء والاتحاد جعل الشيئين شيئا واحدا تعالى الله عما يقول الجاحدون علوا كبيرا

﴿وسئل﴾ والد الشيخ محمد الرملى عن القائل بوحدة الوجود فقال يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب لأن قوله هذا لايقبل تأويلا وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى ، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤوّل كلامهم فرجع عن التأويل قول بعضهم ان القائلين بوحدة الوجود مرادهم بها وحدة الشهود ، قال فمن

زعم ان وحدة الوجود غير وحدة الشهود لم يشم رائحة معنى الوحدة فوحدة الوجود ترجع الى وحدة الشهود من غير حلول ولا اتصال هذا هو القول الحق انتهى ☆ وفى طبقات الشعرانى فى ترجمة العارف بالله تعالى محمد بن أبى جمرة كان رضى الله عنه يقول لو قدرت ان أقتل من يقول لا موجود الا الله فعلت فما يقول هذا فى بوله وغائطه وعجزه ☆ وفى الطبقات أيضا فى ترجمة سيدى على وفا وكان من أكابر الشاذلية ، وكان رضى الله عنه يقول فى معنى قول بعض الصوفية ان الحق ذات كل شىء والمحدثات أسماؤه ان معنى الأول ان كل شىء لا يقيمه ويوجده ويحققه الا الحق ، لأن الذات هى المحققة المقومة للعرض ، ولما كان الحق من المحدثات بهذه المنزلة هو قيومها الذى لا قيام لها دونه أطلقوا عليه ذاتها ، وأما كونها أسماءه فلأنها دلالة عليه دلالة لازمة ذاتية لها كما هو شأن دلالة المفعول على فاعله والاسم ما دل بذاته على ما وضع له فمن ثم سموا المحدثات أسماء لقيومها الذى أوجدها فافهم انتهى وبالجملة فالتباعد عن الالفاظ الموهمة للحلول والاتحاد هو شأن العارفين الكاملين

﴿وليس من الموهم قول الامام سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه﴾ ان الله سبحانه وتعالى تجلى لعباده فى كتابه العزيز لو كانوا يعلمون لأن هذا الكلام ليس فيه إيهام الحلول والاتحاد بل مراده ان الله سبحانه وتعالى ذكر فى كتابه العزيز كثيرا من الآيات القرآنية الدالة على وجوده ووحدته واتصافه بكمال الأوصاف الجلالية والجمالية فمن تدبرها وأمعن فكره فيها حتى وقف على معانيها وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة عرف الله بكمال أوصافه وأسمائه فكأنه رآه وشاهده وذلك كقوله تعالى (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ☆ وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون ☆ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) وأمثال هذه الآيات كثير فى القرآن ☆ وأخذ بعض الصوفية من قول سيدنا جعفر ان الله سبحانه تجلى لعباده فى كتابه العزيز انه يصح أن يعبر عن ذات الحق بالقرآن نظرا الى ما تقدم بيانه ، وقال بعضهم من عبر عن ذات الحق بالقرآن مراده بذلك ان الكلام القديم صفة قديمة قائمة بالذات الكريمة فسماها ذات الحق بهذا الاعتبار ☆ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى بعض الكتب المنزلة على بعض أنبيائه من أطاعنى فى كل شىء أطعته فى كل شىء ، والمعنى من أطاعنى فى كل شئ بهجرانه لكل شئ أطعته فى كل شىء بان أتجلى له دون كل شىء حتى يرى أنى أقرب اليه من كل شىء ، هذه طريقة أولى وهى طريقة السالكين ، وهناك طريق كبرى من أطاعنى فى كل شىء باقباله على كل شىء بحسن ارادة مولاه فى كل شىء ، أطعته فى كل شىء بأن أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كأنى فى كل شىء ، قال ابن عطاء الله واذ قد عرفت هذا فاعلم أنهما ولايتان ولىّ يفنى عن كل شىء ، فلا يشهد مع الله شيئا ، وولىّ يبقى فى كل شىء فيشهد الله فى كل شىء ، وهذا أتم لان الله تعالى لم يظهر المملكة ليشهدها العبد فقط ، وانما أظهرها ليشهد العبد ربه فيها فالكائنات مرايا الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها ، فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كينونتها ومعنى ظهوره فيها دلالتها على وجوده ووحدته وكمال صنعه ، قال ابن عطاء الله ولنا فى هذا المعنى شعره

ما أبنت لك العوالم الا ☆ لتراها بعين من لا يراها

فارق

فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

فالناظر للكائنات غير مشاهد للحق فيها غافل والفانى عنها عبد بسطوة الشهود ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل وانما ترفع الهمة عن الكون من حيث كينونته لامن حيث ظهور الحق فيه فاغضاء الزهاد والعباد وأهل الارادة عن الكون لأنهم لم يشهدوا ظهور الحق فيه ، وذلك لعدم نفوذهم اليه فى كل شيء لالعدم ظهوره فى كل شيء فانه ظاهر فى كل شيء حتى انه ظاهر فيما به احتجب من الكائنات التى قصرت نظرك عليها فأنت المحجوب ولاحجاب له ألبته فما احتجب الحق عن العباد الا بعظم ظهوره ومامنع الأبصار أن تشهده الاقهارية نوره فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب لكن يشم رائحة المسك فلايزال يدنو منها وكلما دنا منها تزايد ريحها ، فاذا دخل البيت الذى هو فيه انقطعت ريحها عنه * قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أنا لننظر الى الله تعالى ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان وانا لانرى أحدا من الخلق هل فى الوجود أحد سوى الملك الحق وان كان ولابد فكالهباء فى الهوى اذا فتشته لم تجده شيئا ،

* ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أوهل لها من الوضوح ماليس له حتى تكون هى المظهرة له ، وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس ذلك لها من حيث ذاتها ، لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت ، فما وصل اليها غير ألوهيته ، ولكن الحكيم هو واضع الأسباب ، وهى ان وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب ، وقد جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ أصبح بالحديبية فى أثر ماء ، أى مطر كان بالليل ، فقال وأتدرون ماقال ربكم ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال قال ربكم أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأمامن قال مطرنا بنجم كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » رواه الامام مالك رضى الله عنه فى الموطأ فلا بد من الأسباب وجودا ولابد من الغيبة عنها شهودا ، وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذى أظهرها ومعرفة له وهو الذى عرفها

(فان قلت) فقد جاء فى الحديث «من عرف نفسه عرف ربه» فهذا يدل على أن معرفة النفس موصلة الى معرفة الله تعالى ، وهى كون من الأكوان ففيه اثبات توصيل الكائنات اليه * فاعلم انى سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول فى هذا الحديث تأويلان ، أحدهما من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف ربه بعزته وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله من بعد * والتأويل الثانى من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على انه عرف الله من قبل أى لأنه هو الذى عرفه نفسه ، فالأول حال السالكين ، والثانى حال المجذوبين ثم قال واعلم بسط الله لك بساط منته وجعلك من أهل حضرته ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الحق سبحانه حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك لقوله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله ﷺ «لم يسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن » فانظر رحمك الله هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب ، حتى صار لهذه الرتبة أهلا ، ولقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لوكشف عن نور المؤمن العاصى لطبق مابين السماء والأرض فماظنك بنور

المؤمن المطيع ، ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول لوكشف عن حقيقة الولى لعبد لأن اوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته ، ولقد أخبرنى بعض المريدين ، قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما أبهر عقلى وذلك أنى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى انى لم أستطع النظر اليه فلوكشف الحق عن مشرقات قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم ، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم ، الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب ، وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ*ـل وشمس القلوب ليست تغيب

لكن الحق سبحانه يوفى أعيان الممكنات حقها و يعطيها قسطها فيقرر لكل كون رتبته و يوفيه دولته ، فلذلك ستر سر الخصوصية فى وجود البشرية ولابد للشمس من سحاب وللحسن من نقاب وهل يكون الكنز الامدفونا والسر الامصونا وصنع ذلك سبحانه ليكون سرّ الولاية غيبا ، فيكون المؤمن به مؤمنا بالغيب ، وأيضا أجلّ سرولايته أن يظهره فى دار لا بقاء لها ، فأرخى عليها ذيل الستر حتى اذا كانت الدار الآخرة التى رضيها أهلا لظهوره واقترابه ووجود كشف حجابه يكشف الحجاب هنالك عن سر الولاية ، و يجلّ مقداره ويرفع مناره انتهى

(قال سيدنا الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن رضى الله عنه) لا يعرف الجوهر الا الجوهر ولا يعرف الولى الا الولى ، وكيف تعرف ولاية شخص وهو يغضب كما تغضب و يأكل كما تأكل و يشرب كما تشرب ، ومن كلامه رضى الله عنه نادى خطيب التوفيق على منبر القبول فى جامع العبادة (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ، فحينئذ حضرت جميع أرواح الأولياء وأقيمت صلاة القرب فى حجرات الأدب باقامة الخلافة النبوية فتسابقت أرواح الأولياء للصف الأول . فسبقهم اليه أكثرهم اتباعا ، فيا أرباب الارادة الصادقة عليكم فى جميع أحوالكم وأفعالكم باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكان رضى الله عنه يسلك أصحابه و يوصلهم الى الله تعالى من باب المحبة لله تعالى ، وكان رحمة من الله على المذنبين المنكسرة قلوبهم يؤانسهم ويفتح لهم باب الرجاء فى عفو الله تعالى ، ولهذا تجد أقواله فى الترغيب دون الترهيب ، وسببه أن طريقه السير الى الله تعالى بالحب وتذكار النعم وحسن الظن فى الله تعالى ، وكان يوصى أصحابه بحسن الظن و يقول هو أدنى عمل يقرب الى الله تعالى ، فقد قال ﷺ «انما الأعمال بالنيات» ، وكان يقول حسن الظن دليل على السعادة و يرجى لصاحبه حسن الخاتمة عند الموت ، وماخسر صاحب حسن الظن وان أخطأ ، وكان كثيرا مايتمثل بقوله ﷺ «يسروا ولاتعسروا و بشروا ولاتنفروا» ، وكان يقول ان القلوب اذا استحكم عليها الهوى لم يزدها التخويف الانفورا ، فان استجلاب القلوب بالرجاء أقرب الى سماع الموعظة ، وكان رضى الله عنه يقول انى اذا رأيت المؤمن قد وفقه الله تعالى لأداء الفرائض واجتناب الكبائر أرحت خاطرى منه لأنه قد صار مع الركب يمشى على قدميه ، وانما أصرف همتى فى خلاص من رأيته منهمكا فى العصيان واقعا فى حبائل الشيطان ، فكان رضى الله عنه اذا وقع من بعض أصحابه هفوة لم ينفره بالتعسف بل يلاطفه و يستنقذه من يد الشيطان ما أمكن ، وكان رضى الله عنه صاحب كرامات وكشف تام وكان يقوم الليل ، قال بعض الثقات خدمته أكثر من ثلاثين سنة ، فما رأيته يستغرق فى نومه أكثر من ثلاث ساعات مع أنه كان ضخم الصورة مواظبا على المطاعم الرطبة كثير الشرب

للماء ، بحيث انه كان يستدعى بالماء وهو فى مجلس الطعام مرتين فأكثر ، والحكماء تقول من شرب كثيرا نام كثيرا ، وذلك مشاهد بالتجربة فكونه لم ينم الا قليلا مع ذلك من أعظم الكرامات وكان يلبس الملابس الفاخرة ويأكل الأطعمة الطيبة تمسكا بقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) وقوله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقوله ان الله جميل يحب الجمال ، وكان رضى الله عنه جميل الصورة بهىّ المنظر وكان له ظهور كبير وهيبة تامة عند جميع الناس حتى الملوك كانت تهابه وتخضع بين يديه ، وكان من أكرم الكرام وأجود الأجواد لاسيما اطعام الطعام وكان يذبح لسماطه فى رمضان كل يوم ثلاثين خروفا ، وكان يكسو يوم العيد خدامه وأصحابه وغيرهم الثياب الفاخرة ويفرق الأموال الكثيرة الوافرة ، ويستدين الديون الكثيرة حتى بلغت مائتى ألف دينار فأكثر مع أنه لايرجو الوفاء من جهة ظاهرة حتى واجهه بعض الناس بالملام ، فقال رضى الله عنه لاتدخلوا بينى وبين ربى ، فما أنفقت ذلك الا فى رضاه ، وقد وعدنى ربى أن لا أخرج من الدنيا الا وقد أدى عنى دينى ، فكان كما قال يسر الله قضاء دينه قبل موته على يد من سبقت له من الله الحسنى وهو الأمير ناصر الدين محمد بن عبدالله باحلوان ، فأرسل بذلك مع ولد الشيخ ، ثم نودى فى الأزقة من له دين على الشيخ أبى بكر العيدروس فليحضر نقضى له جميع ديونه ، وسببه ان ناصر الدين كان له منزلة عظيمة عند مجاهد امام أوسه فلامه بعض الناس فى تعظيمه ناصر الدين ونمّ عليه فأعرض مجاهد عن ناصر الدين وأيقن بالعزل عن منصبه ، فرأى الشيخ أبا بكر العيدروس فى منامه يقول له سينصرك الله على ذلك النمام ، ثم أتاه كتاب من الشيخ أبى بكر وتاريخه موافق لذلك اليوم يبشره فيه بالنصر ، ثم أخزى الله ذلك النمام وطرده مجاهد ورجع الى تعظيم ناصر الدين ، فلما شاهد هذه الكرامة العظيمة شمر لقضاء ديون الشيخ أبى بكر رضى الله عنه ، توفى الشيخ أبو بكر العيدروس رضى الله عنه سنة تسعمائة وأربع عشرة ، ومناقبه أفردت بالتأليف وقبره يزار عليه قبة بعدن ، وكان هذا الظهور للشيخ أبى بكر العيدروس رضى الله عنه باذن من الله تعالى ، قال فى المشرع الروى قال بعض العارفين اذا أراد الله تعالى اظهار أحد من خلقه كساه كسوة الجلال والعظمة والقهر والهيبة وجعل ذلك فى قلوب الناس واليه أشار سبحانه وتعالى بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وبقوله ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر» انتهى ، وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن من أراد الله به أن يكون داعيا اليه من أوليائه فلابد من اظهاره الى العباد اذ لا يكون الدعاء الى الله إلا كذلك ثم لابد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء ، الجلالة لتعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه ويضع له فى قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون اذا أمر ونهى مسموعا أمره ونهيه وجعل هذه الهيبة فى قلوب العباد من تمكين الحق له لتعينه على القيام له بالنصرة قال الله تعالى (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) وهى من اظهار اعزاز الحق سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، قال عز وجل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وهذه الهيبة التى جعلها الحق فى قلوب العباد لأوليائه سرت اليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم ، ألم تسمع قوله ﷺ ونصرت بالرعب مسيرة شهر ألبسهم الله ملابس هيبته وأظهر عليهم جلالة عظمته كما نزلوا أرض العبودية رفعهم الى سماء الخصوصية فهم الملوك وان لم تخفق عليهم البنود والاعزاء وان

لم تسر أمامهم الجنود ، ولله در القائل فى الامام مالك

يأتى الجواب فما براجع هيبة ❊ والسائلون نوا كس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى ❊ فهو المطاع وليس ذا سلطان

ومن ملكه الله نفسه وهواه فقد آتاه الله الملك قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء)

﴿قال وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول﴾ ، قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علىّ ، فقال له ذلك العارف الىّ تقول هذا ولى عبدان ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص فأنت عبد عبدى فكيف أتمنى على عبد عبدى ، الكسوة الثانية التى يلبسها الحق لأوليائه اذا أظهرهم كسوة البهاء وذلك ليحليهم فى قلوب عباده ، فينظرون اليهم بعين المنة والمحبة فيكون ذلك باعثا لهم على الانقياد اليهم ، أفلا ترى كيف قال الله تعالى فى شأن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (وألقيت عليك محبة منى) ، وقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا) فلاهم حلية التهية ليحبهم العباد فيجرهم حبهم الى حب الله تعالى والحب فى الله يوجب المحبة من الله لقوله عليه الصلاة والسلام حا كيا عن الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، وهى أربع مراتب : الحب لله ، والحب فى الله ، والحب بالله ، والحب من الله ، فالحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب فى الله و بالله واسطة بينهما ، فالحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه ، والحب فى الله أن تحب فيه من والاه ، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعا عن نفسه وهواه ، والحب من الله هو أن يأخذك من كل شىء فلا تحب الا اياه ، وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور ، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ مقهورا بنور الله ، وعلامة الحب فى الله أن تحب من لم يحسن لك بدنياه من أهل الخير والطاعة لله ، وعلامة الحب من الله أن يجذبك اليه فيجعل ماسواه عنك مستورا ❊ قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه من أحب الله وأحب لله فقد تمت له ولايته ، والمحب على الحقيقة من لاسلطان على قلبه لغير محبوبه ولامشيئة له غير مشيئته ، فاذن من ثبتت ولايته من الله لايكره الموت ، و يعلم ذلك من قوله تعالى (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فاذن الولى حقيقة لايكره الموت ان عرض عليه وقد أحب الله تعالى من لامحبوب له سواه وأحب له من لايحب شيئا لهواه وأحب لقاء من ذاق أنس مولاه ، والمحبة من أجلّ مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله أيهما أتمّ مقام المحبة أو مقام الرضا ، قال ابن عطاء الله وان كان الذى نقول به ان مقام الرضا أتمّ لأن المحبة ربما حكم سلطانها على المحب وقوى عليه وجود الشغف فأداه ذلك الى طلب مالايليق بمقامه ألا ترى ان المحب يريد دوام شهود الحبيب والراضى عن الله تعالى راض عنه سواء أشهده أم حجبه ، المحب يحب دوام الوصلة ، والراضى عن الله تعالى راض عنه وصله أوقطعه اذ ليس هو مع مايريد لنفسه بل انما هو مع مايريد الله له ، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب والراضى لاطلب له قال ابن عطاء الله ولنا فى هذا المعنى

وكنت قديما أطلب الوصل منهم ❊ فلما أتانى العلم وارتفع الجهل

تيقنت أن العبد لاطلب له ☆ فان قربوا فضل وان بعدوا عدل
وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم ☆ وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد و يفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القرب ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم فمن أجل ذلك قالوا أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون قال له قائل قد علمت الحب ، فاشراب الحب وما كأس الحب ، ومن الساقى وما الذوق وما الشارب وما الرى وما السكر وما الصحو ؟ فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكأس هو اللطف الموصل ذلك الى أفواه القلوب ، والساقى هو المتولى للخصوص الأكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى منه بشىء نفسا أو نفسين ، ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ، ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة فذاك هو الرى ، وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول فذاك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ، ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم و بشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) ، قال ابن عطاء الله رضى الله عنه ان من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة يعنى حسن التعبير عما يريدون التعبير عنه من العلوم والمعارف ، سمعت شيخنا أبا العباس يقول يكون الولى مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن له من الله تعالى فى الكلام ويجب أن يفهم أن من أذن له فى التعبير تهيأت فى مسامع الخلق عبارته وجليت لديهم اشارته ، وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة ، وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان لرجلين يتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما و يرد على الآخر ، ومبنى أمر الولى على الاكتفاء بالله تعالى والقناعة بعلمه سبحانه والاغتناء بشهوده ، قال الله سبحانه وتعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ألم يعلم بأن الله يرى) وقال (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) فبنى أمرهم فى بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الأعمال وكتم الأحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء ردوا الى وجود البقاء ، فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ وظهور الولى ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء ليستغرق فى شهود الله فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه اظهارهم فأظهرهم تولاهم فى ذلك بتأييده وارادة مزيده لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه ياعبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها ، وان أعطيتها عن مسألة وكلت اليها ، ومن

تحقق منهم بالعبودية لله لم يطلب ظهورا ولاخفاء بل إرادته وقفه على اختيار سيده له ، قيل للحسن ابن علي رضى الله عنه ان أبا الدرداء يقول ان الفقر أحب الىّ من الغنى والسقم أحب الىّ من الصحة فقال الحسن رضى الله عنه أنا لا أختار مع سيدى شيئا ، قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبدالله فسواء عليه أظهره أو أخفاه ، وأكبر الكرامات عند أهل الله المعرفة بالله والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه الى غير ذلك ✫ قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه الطى على قسمين طى أصغر وطى أكبر ، فالطى الأصغر لعامة هذه الطائفة ان تطوى لهم الأرض من مشرقها الى مغربها فى نفس واحد ، والطىّ الأكبر طى أوصاف النفوس ، قال ابن عطاء الله وصدق رضى الله عنه فان طى الأرض لو أعجزك الله عنه أو أفقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمت له بالوفاء فى العبودية وطى أوصاف النفوس لولم تقدم عليه به لكنت من المغبونين ، وحشرت فى زمرة الغافلين ، وملاك الامر كله الذلة لله وصدق الافتقار اليه قال الله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وأفهم ههنا قوله ﷺ لاحول ولاقوة الابالله كنز من كنوز الجنة فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها هو صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته ، قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه مخبرا عن مجاهداته فى مبدا أمره جعت مرة ثمانين يوما ، فخطر لى أنه قد حصل لى من هذا الأمر شىء واذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسنا وهى تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما ، فأخذ يدل على الله تعالى بعمله وهوذا لى ستة أشهر لم أذق طعاما ، وقال رضى الله عنه كنت فى سياحتى فى مبدأ أمرى حصل لى تردد هل ألازم البرارى والقفار للتفرغ للطاعة والاذكار أو أرجع الى المدائن الديار ولصحبة العلماء والاخيار ، فوصف لى ولىّ برأس جبل فصعدت اليه فما وصلت اليه الاليلا فقلت فى نفسى لا أدخل عليه فى هذا الوقت فسمعته وهو يقول من داخل المغارة اللهمّ ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك

(اللهم) انى أسئلك اعوجاج الخلق علىّ حتى لا يكون لى ملجأ الا اليك ، قال فالتفت الى نفسى وقلت يانفس انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فأرعبت من هيبته فقلت له ياسيدى كيف حالك فقال أشكو اليه من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حرّ التدبير والاختيار ، فقلت له ياسيدى أما شكواى من حرّ التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه ، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا قال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله تعالى فقلت ياسيدى سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم فانى أسئلك اعوجاج الخلق علىّ حتى لا يكون لى ملجأ إلا اليك فتبسم ثم قال يابنىّ عوض ماتقول سخر لى خلقك قل يارب كن لى أترى اذا كان يفوتك شىء فما هذه الجناية ، وقال رضى الله عنه كنت أنا وصاحب لى قد أوينا الى مغارة نطلب الوصول الى الله تعالى فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من أنت ؟ فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله تعالى فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلاولاية ولا فلاح يانفس لم لا تعبدين الله لله قال فتفطنا من أين دخل علينا ؟ فتبنا واستغفرنا ففتح لنا ، وقال رضى

الله عنه كنت يوما بين يدى الأستاذ فقلت فى نفسى ليت شعرى هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم فقال ولد الشيخ وهو فى آخر المكان الذى أنا فيه يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم انما الشأن من يكون هو عين الاسم ، فقال الشيخ من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدى فهذه نبذة من مبدا أمره رضى الله عنه ، ثم بلغ الصديقية الكبرى وأعطى من المكاشفات وخوارق العادات مالا يمكن حصره

﴿فمن مكاشفاته﴾ ماحكاه تلميذه الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه قال صليت خلف الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه صلاة الصبح فقرأ بحمعسق ، فلما انتهى الى قوله تعالى (يهب لمن يشاء اناثا) فخطر لى أنها الحسنات (ويهب لمن يشاء الذكور) فخطر لى أنها العلوم والمعارف (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) علوما وحسنات (ويجعل من يشاء عقيما) لاعلم ولاحسنة ، فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعانى وقال لقد وجدت فهمك فى الصلاة (يهب لمن يشاء اناثا) الحسنات (ويهب لمن يشاء الذكور) العلوم والمعارف (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) علوما وحسنات (ويجعل من يشاء عقيما) لاعلم ولاحسنة فتعجبت من اطلاع الشيخ على ذلك فقال أتعجب من اطلاعى على فهمك فى الصلاة قد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد أفهام الجماعة الذين صلوا خلفه رضى الله عنه ☆ وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ انه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فأشكل على معناه فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول يامبارك ذاك غين الأنوار لاغين الظلم والاكدار ☆ وقال رضى الله عنه سمعت الحديث المروى عن رسول الله ﷺ من سكن الفقر قلبه قلما يرفع له عمل فمكثت سنة أظن أنه لايرفع عملى أقول من يسلم من هذا فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لى يامبارك أهلكت نفسك فرق بين خطر وسكن يعنى ان الذى قلته فى الحديث سكن الفقر قلبه والذى لايسلم منه أنت ولاأمثالك مجرد الخطور وفرق بين سكن وخطر ☆ وقال رضى الله عنه رأيت الصديق رضى الله عنه فى المنام فقال لى أتدرى ماعلامة خروج حب الدنيا من القلب قلت لاأدرى قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد ☆ وقال رضى الله عنه استنار قلبى يوما فكنت أشهد ملكوت السموات والأرضين السبع فوقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت وقلت حجبنى هذا الأمر الصغير عن هذا الأمر الكبير فقيل لى البصيرة كالبصر أدنى شىء يحل فيها يعطل النظر ☆ وكان رضى الله عنه يقول اذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها فهو والتراب سواء واذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس فى الجماعة فلاتعبأن به ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك ولاتعطى الكرامات من طلبها وحدث بها نفسه ولامن استعمل نفسه فى طلبها وانما يعطاها من لايرى نفسه ولاعمله وهو مشغول بمحاب الله تعالى ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله فاجعل الله مقصدك ولاتنظر الى سواه ، وقال رضى الله عنه ان كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا كما قال ابراهيم عليه السلام (فانهم عدو لى إلارب العالمين) وقال رضى الله عنه من أبغض الخلق الى الله تعالى من تملق اليه فى الاسحار بالطاعات ليطلب مسرة نفسه بذلك قال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين ألالله الدين الخالص)

﴿وكان﴾ الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول اذا عرضت لكم الى الله حاجة فتوسلوا اليه بالامام أبى حامد الغزالى ، ويحث على قراءة كتابة الاحياء ويقول انه يورثك العلم

قال﴿الشيخ العارف بالله منصور البطائحى من عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف الله آثر رضاه ومن لم يعرف نفسه فهو فى أعظم الغرور ، وقال الشيخ أبو يعزى رضى الله عنه من طلب الحق من جهة الفضل وصل اليه ومن لم يكن بالأحد لم يكن بأحد ، وقال الشيخ عدى بن مسافر رضى الله عنه حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع ، وان كان مقامه فوق مايقولونه ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار ، ومع أهل التوحيد بالتسليم ، واذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات فلا تغتروا به حتى تنظروه عند النهى والأمر ، وكان الشيخ على بن الهيتى رضى الله عنه من أكابر العارفين حتى قال فى شأنه الشيخ عبد القادر رضى الله عنه كل من دخل بغداد من الأولياء فى عالم الغيب والشهادة فهو فى ضيافتنا ونحن فى ضيافة الشيخ على بن الهيتى رضى الله عنه ، وقال أيضا انفتق قلب على بن الهيتى وهو ابن سبع سنين فكان يخبر عن المغيبات وتظهر على يديه الكرامات ، ومن كلام على بن الهيتى رضى الله عنه الشريعة ماورد به التكليف والحقيقة ماحصل به التعريف ، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة والحقيقة مقيدة بالشريعة والشريعة وجود الأفعال لله والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل والحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى والاستسلام لغلبات الحكم بتقدير لا بواسطة ، ومن كلامه رضى الله عنه مادام التمييز باقيا كان التكليف متوجها وعلامة صحة الحال أن يكون صاحبه محفوظا فى أحوال غلبته كما كان مغلوبا فى أوقات صحوه وكان يقول الحق وراء كل ما أدركه الخلق بافهامهم وأحاطوا به بعلومهم وأشرفوا عليه بمعارفهم وأنفع العلوم العلم بأحكام العبودية وأرفع العلوم علم التوحيد

﴿وقال﴾ الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشى رضى الله عنه من عرف نفسه لم يغير عليه ثناء الناس عليه ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه الله بصحبة العبيد ومن انقطعت آماله الا من مولاه فهو العبد حقيقة ومن تحقق بالرضا استلذ بالبلا ، وحلية العارف الخشية والهيبة ☆ وقال الشيخ رسلان الكردى رضى الله عنه الكريم من احتمل الأذى ولم يشك عند البلوى وأحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر ، وقال أيضا مكارم الأخلاق العفو عند القدرة ، والتواضع فى الدلة ، والعطاء بغير منة ، واذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا لقدرتك عليه ☆ وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من خرج الى الخلق يدعوهم الى الله قبل وجود حقيقة تدعوه الى ذلك فهو مفتون وكل من رأيته يدعى مع الله حالا لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره ومن تحقق بعين العبودية نظر أفعاله بعين الريا وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعين الافترا وماوصل الى صريح الحرية من بقى عليه من نفسه بقية وفى الجوع صفاء الأسرار فى استغراق الاذكار وفى الصبر حصول النصر

﴿قال الشيخ أبو الحجاج الاقصرى﴾ وكان من أكابر العارفين مبينا مافى الصبر من الفضل لما سئل وقيل له من شيخك فقال شيخى أبو جعران فظنوا أنه يمزح فقال لست أمزح فقيل له كيف ذلك فقال كنت ليلة من ليالى الشتاء سهران واذا بأبى جعران يصعد منارة السراج فيزلق ويرجع لكونها ملساء فعددت عليه تلك الليلة سبعمائة مرة وهو لا يرجع فقلت فى نفسى سبعمائة وقعة ولا يرجع فخرجت الى صلاة الصبح ثم رجعت فاذا هو جالس فوق المنارة بجنب الفتيلة فأخذت من ذلك ما أخذت وقال الشيخ العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشى الزم العبودية وآدابها ولا تطلب بها الوصول وأبت البشرية أن تتوجه الى الله إلا فى الشدائد فقيل له فى ذلك فقال عطشت مرة فى طريق الحاج فقلت

لخادمى اغرف لى من البحر المالح فغرف لى ماء حلوا فلما ذهبت الضرورة غرفت فاذاهو مالح وكان يقول لا يكون الابتلاء إلا فى الفحول من الرجال

﴿وكان الشيخ محمد بن أبى جمرة رضى الله عنه﴾ يقول تدبر الفقيه فى قراءته لاحترق بأنوار القرآن وهام على وجهه وترك الطعام والشراب والنوم وغير ذلك ، وكان سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه يقول احذر ياأخى أن تدعى أن لك معاملة خالصة أو حالا ۞ واعلم أنك ان صمت فهو الذى صومك وان قمت فهو الذى أقامك وان عملت فهو الذى استعملك وان رأيت فهو الذى أراك وان شربت شراب القوم فهو الذى أسقاك وان اتقيته فهو الذى وقاك وان ارتفعت فهو الذى رقى منزلتك وان نلت فهو الذى نولك وليس لك فى الوسط شىء إلا أن تعترف بأنك عاص مالك حسنة واحدة وهو يحبح من أين لك حسنة وهو الذى أحسن اليك وهو الحاكم فيك ان شاء قبلك وان شاء ردك ۞ وكان رضى الله عنه يقول إياكم والدعوات الكاذبة فانها تسود الوجه وتعمى البصيرة ولا يصح شىء إلا لمن ترك الحظ وقابل الأذى والشر بالاحتمال والخير ووسع خلقه والفقير لا يكون له يد ولا لسان ولا كلام ولا شطح ولا فعل ردىء ولا يصرفه عن محبوبه صارف ولا ترده السيوف والمتالف وان الله يحب من عباده أخوفهم منه وأطهرهم قلبا وفرجا ولسانا ويدا وأعفهم وأعناهم وأكرمهم وأكثرهم ذكرا وأوسعهم صدرا ، وكان رضى الله عنه يقول عليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام فى الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها والعلم كله مجموع فى حرفين أن تعرف العبودية وتعبده فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة ولا يكون الرجل غواصا فى الطريق حتى يفر من قلبه وسره وعمله ووهمه وفكره وكل مايخطر بباله غير ربه وكل من تعجبه أعماله وأقواله فهو محجوب عن مقام التوحيد ومقام التفريد ولا يزف الولى الى ربه حتى يترك الوقوف مع سواه من مقام أو درجة وكان يقول ان أردت أن تجتمع على ربك فطهر باطنك وضميرك من الخبث والنية الرديئة والاضمار بالسوء لأحد من خلق الله عز وجل ، وكان رضى الله عنه يقول من شرط الفقير أن لا يكون عنده التفات الى مراعاة المخلوقين له فى الحرمة والجاه والقيام والقعود والقبول والاعراض وغير ذلك من الأحوال الظاهرة لأنه لا يراعى إلا الله عز وجل ومن لم يكن عنده شفقة على خلق الله لا يرقى مراقى أهل الله ۞ وقد ورد أن موسى عليه السلام لما رعى الغنم لم يضرب واحدة منهن بعصا ولا جوعها ولا آذاها فلما علم الله قوة شفقته على غنمه بعثه الله نبيا وجعله كليما داعيا لبنى اسرائيل وناجاه فمن أعز الخلق وشفق عليهم ترقى الى مراتب الرجال والسلام ، وكان يقول الفقير كالسلطان مهابة وكالعبد الذليل تواضعا ومهانة ولا يكون الفقير فقيرا حتى يكون حمالا للأذى من جميع الخلائق إكراما لمن هم عبيده وكلما زاد علم العبد زاد افتقاره لربه وعلت همته ۞ وقال رضى الله عنه لا يكن همك من العبادة الا القرب من المعبود دون الأجر والثواب فانه اذا من عليك بالدخول الى حضرته فهنالك الاجور وأعلى منها ثم ينعم عليك حتى تكون أنت منعما على غيرك

﴿وقال الشيخ داود بن ماخلا رضى الله عنه﴾ لسان العارف قلم يكتب به ألواح قلوب المريدين فربما كتب فى لوح قلبك مالم تعلم معناه ، وبيانه عند ظهور آياته ، واذا أكرم الله عبدا طوى عنه شهود خصوصيته وأقامه فى تحقيق عبوديته ، فالعبد اذا كان غائبا عن حقوق عبوديته خيف عليه من الشطح والانبساط والتعدى عن حدود الأدب والعدول عن سواء الصراط ، ومن أعظم أبواب

الفتح يقظة العبد من غفلته * وقال رضي الله عنه كلما قويت الظلمة فى قلوب الخلائق نطقت ألسنة العارفين بصرائح الحقائق وماذل قلب قط لباريه الا أفاده نوراوخيرا * وقال رضى الله عنه لا تجعل مستند ايمانك نتائج الفكرة البشرية بل فرّ من ذلك الى الله تعالى والى رسوله ﷺ واستمد الأنوار والبركات من رسول الله ﷺ واسأل الله تعالى أن يمنّ عليك بمدد من عنده يغنيك به عن كل شيء سواه حتى لا تشهد فى ذلك الا اياه وقل رب انى أعوذ بك أن يكون ايمانى بك وبما أنزلت وبمن أرسلت مستفادا من فكرة مشوّبة بالأوصاف النفسية أو مستندا الى عقل ممزوج بامشاج الطينة البشرية بل من نورك المبين ومددك الأعلى ونور نبيك المصطفى ﷺ ، وكان رضى الله عنه يقول النعمة العظمى الانطوا بالفناء الأكبر فى ظل الغنى الأعظم (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وقال رضى الله عنه مالاح كوكب كون الاعند غيبة شمس المعرفة ، ومتى طلعت شمس المعرفة من مشارق التوحيد أفلت كواكب الآثار وغابت نجوم الاغيار ، ولو علم الناس قدر الولى لتأدبوا مع كل انسان لأنه لابس مثل لبسته وظاهر فى مثل صورته ، وكان يقول العارف لا يبقى مع غير الله تعالى بحال ولا يقف مع مابدا له من الحق ومتى وقف معه حجب به عن ربه تعالى ، وكان يقول رب شارب دواء نافع ظن الشارب انه سم لكونه على صورته فكان فيه شفاء جميع أمراضه كذلك الولى ربما عثر عليه من رآه فى صورة العوام فوصله الى حضرة ربه وهو غافل لايدرى مقامه ، ثم اذا استنار قلبه عرفه ، وكان رضى الله عنه يقول قال الله تعالى ياعبدى اذ القيتنى وأنت لى عارف كتبت لك بعدد الأكوان حسنات ، وكان يقول اذا كنت مفتقرا فى انشاء طينتك الانسانية الى خلقه وتصويره فكيف لا تكون مفتقرا فى هداية حقيقتك الأصلية الى لطفه وتنويره ، وكان يقول اذا لم يسمعك الغيب بالتجليات والأنوار فاسمعه أنت بالطاعات والاذكار ، وكان يقول رب عبد كان يستصغر نفسه أن يكون موجودا ، فاذا كسى خلعة الفضل صار يستحى من الله أن يرى الوجود الكونى مع الله شيئامشهودا ، وكان يقول العارف ان لم يطلبه الخلق ليصلوا بواسطته طلبهم هو لاقتضاء حق الله تعالى ، وكان يقول العارف أثره فى الآخذين عنه بامداده وأنواره أكثر من أثره فيهم بأذكارهم وأعمالهم ، وقلب العارف كالنار لوّاحة للبشر لا تبقى ولا تذر ، وله رضى الله عنه فى الحقائق والمعارف شيء كثير وهو شيخ سيدى محمدوفا الشاذلى رضى الله عنه ، وكان فى مبدإ أمره شرطيا فى بيت الوالى باسكندرية ، وكان أميا لا يكتب ولا يقرأ ففتح الله عليه فتوحا ربانيا فصار من كبار العارفين ، وله كرامات وكلام عال فى علم الحقائق ، ومن كلامه رضى الله عنه قلوب علماء الظاهر وسائط بين عالم الصفا ومظاهر الاكدار رحمة بالعامة الذين لم يصلوا الى ادراك المعانى الغيبية والادراكات الحقيقية وأهل التصوّف قوم ساروا عن الأجساد الى ماوراءها فنزلوا فى حضرة الوفا وحلوا فى محل الصفا ، وقال رضى الله عنه جلت الحقيقة أن يكون لها جزاء من المخلوقين انما يطلب جزاؤهامن رب العالمين ، ولا يصح من مريد أن يجازى أستاذه الذى أخذ عليه أبدا لان ما استفاده منه لا يقابل بالاعراض ، وقال رضى الله عنه من أعجب العجب محب وقف بباب غير باب الحبيب ، وقال رضى الله عنه ألح على الكرام فى السؤال وان لم تكن أهلا للعطاء ، فان لهم أخلاقا جميلة ، وقال رضى الله عنه لوعلمت النفوس قدر ماتدعى اليه لكانت تسابق داعيها اليها ، وكان يقول لا تشرب من شراب الدنيا الا بعد أن تمزجه بشراب الآخرة وذلك لتكون محفوظا ، وكان يقول عليك باستماع الأخبار

السفية التي لم تحدث عن فكر وروية ، فانها دواء للقلوب يعني بذلك كلام العارفين الذي يرد على قلوبهم بالهام الله تعالى موافقا لما جاء الشرع به ، وقال رضي الله عنه انما زهد العارفون في الدارين لرؤية ماهو أعلى وأشرف ، وكان يقول العابد يعادي فعل نفسه والعارف يعادي ذات نفسه ، وكان يقول لازم لا إله الا الله حتى تغيب عن لا إله إلا الله بلا إله إلا الله ، وقال رضي الله عنه انما صد الناس عن العارف المحقق وجود شركهم لأن العارف يدفع بهم في حضرات الجمع والتفريد فتفر نفوسهم من حر نار الأنوار الى ظل ظلال الأغيار ، وقال رضي الله عنه من أحب الله تعالى أحب كل ما كان منه كما قال مجنون بني عامر

أحب لحبها السودان حتى ✲ أحب لحبها سود الكلاب

وقال رضي الله عنه يقال للعارف اذا اشتكى آثار بشريته انما نريد أن نعمر بك دوائر الحس كما عمرنا بك دوائر القدس ✲ وقال رضي الله عنه من قهر القهار أن يشهدك مايشهدك ولا تستطيع أن تسالك ولا تعمل على مقتضاه الا اذا شاء وأراد ✲ وقال رضي الله عنه كلما ازداد العبد حضورا ازداد الوقت به نورا ولايباح اظهار الأسرار عند الاضطرار الا بفتوى علمائها ، ومن غفلة العبد وعمى قلبه نسبته الأشياء لغير ربه ✲ وقال رضي الله عنه ماتعقب ندامة قط وقتا فارغا أو مظلما الاملأته أو نورته واذا أراد الله بعبد خيرا أوصل الى قلبه العلوم الحقيقية المتلقاة من حضرة الربوبية بطريق ليس فيه اشكال على الظواهر الشرعيات ولا تتعدى القواعد العقليات ✲ وقال رضي الله عنه لو خير العارف بين مائة ألف خصوصية أو كشف حجاب لاختار أن يكشف له ذرة من حجاب والحال ماجذبك الى حضرته والعلم ماردك الى خدمته ولولا ضيق المجاري كنت ترى النور جاري ومامنعك من شم نسيم القرب الازكامك ولاحجبك عن شهود النور الاظلامك ومن تزايد له حب في محبوبه بسبب جديد فهو في دعوى نهاية المحبة بعيد ، والحالة التي لا اعتراض عليها من ظاهر ولاباطن جمع لاشطح فيه وفرق لاشك فيه ، ومن أبدى من أسرار الله تعالى مالايليق ابداؤه وأفشى من العلم المكنون مالايناسب افشاؤه عوتب بسوء الظنون فيه أو بما هو فوق ذلك من العقوبات وقال رضي الله عنه قال الله تعالى ابن آدم لو زال عنك أنا للاح لك من أنا ✲ وقال رضي الله عنه لاينال الشيطان من آدمي نيلا الا ان نزل الى أرض شهواته ✲ وقال رضي الله عنه انما فر العباد من الناس لانهم وجدوا منهم نتن جيفة الدنيا لظواهر بشريتهم وانما أقبل العارفون عليهم لانهم وجدوا معهم طيب ريح الأرواح لباطن خصوصياتهم ✲ وقال رضي الله عنه انما نفر العباد من الخلق لجهلهم بأسرار الله فيهم ولو عرفوا أسرار الله فيهم لأنسوا بهم كما أنس بهم العارفون ولهذا قال بعض العارفين من علامات الافلاس عدم الاستئناس بالناس ، وهذا المقام أعلى من مقام من قال من علامات الافلاس الاستئناس بالناس فانّ هذا بالنسبة للمريدين ، والأوّل بالنسبة للعارفين الكاملين ✲ وفي الجواهر واليواقيت للشعراني نقلا عن ابن عربي رضي الله عنهما أنه قال اجتمعت روحي بهرون عليه السلام ، فقلت له يانبي الله كيف قلت (فلا تشمت بي الأعداء) ومن الأعداء حتى تشهدهم ؟ والواحد منا يصل الى مقام لايشهد فيه الا الله تعالى ، فقال لي السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ماقلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم في نفس الأمر كما هو مشهدكم أم العالم باق لم يزل فقلت له العالم باق في نفس الأمر ولم يزل ، وانما حجبنا نحن عن شهوده ، فقال قد نقص

علمكم بالله تعالى فى ذلك المشهد بقدر مانقص من شهود العالم فانه كله آيات الله فأفادنى عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندى انتهى ، ثم قال الشعرانى فن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله و بالخلق أى فيكون بالظاهر مع الخلق وفى الباطن مع الحق غير غافل عنه ، وقال داود بن ماخلا كل دليل تستدل به على معرفة الله تعالى فأنت أظهر منه وقال رضى الله عنه ماعمل العارفون فى هذه الدار على حال ولا مقام ، وانما عملوا على تحقيق انحيازهم الى الله تعالى وان الكل فى طى ذلك وقال رضى الله عنه كل ما كان من الموجودات بعيدا عن شهود الاختيار فى أفعاله طال بقاؤه كالسماء والأرض والجبال والبحار وكل ما كان قريبا من شهود اختياره قصر بقاؤه كالآدمى والحيوان تذكرة لأولى الألباب ☆ وقال رضى الله عنه سوابق العناية قبل نواطق الهداية وأنت فى الدنيا غير قار فيها والآخرة لم تصل بعد اليها فلم يبق إلا رجوعك الى القريب المجيب وما أكرم الله عبدا بمثل نور أهبطه على قلبه ☆ وقال رضى الله عنه لو تنفس عارف فى بلدة ثبت ايمان كل عبد فيها وكل عارف لايميت وجوده أمام مريده لايصل مريده الى الله تعالى ، وقال أمام كل وصول غيبى عارض شهوانى ، ومانظر مريد لعارف بعين توقير ووداد إلا كان سالكا سبيل حق ورشاد ولايلوح لك نور حقائق الايمان حتى تخرج عن عامّة الأكوان وموادّ الحكمة منطوية فى القوّة الانسانية ، وانما يفضل الحكيم على غيره باستخراجها من القوّة الى الفعل فان كان لك فى الوصول نية فلاتبق منك بقية فابن آدم ذو وجودات مطوية فتبصروا فى خلالها فعسى يلوح لكم شىء من جمالها ، وكان يقول أمتعة الدنيا فيها لطف وبركة لأنها بساط لعطاء لاينقطع وفضل لاينحصر ☆ وقال رضى الله عنه اذا مرّت بك سحابة حقيقية غيبية فقف تحتها فهى اما أن تظلك واما أن تبلك ، ومن علامة عدم حرية الرجل نقله قدمه حيث قاده هواه فاثبت على حسن قصدك لتحقق حصول مقصودك ، ومن دليل استقامة المؤمن شوقه لماليس فيه هوى نفسه وخوفه ورجاؤه مما لايلائم نفسه والمريد سيره بباطنه وظاهره تبع والعابد سيره بظاهره و باطنه تبع فالعابد يراقب أوراده والمريد يراقب وارداته ☆ وقال رضى الله عنه ماتعلم العلماء العلم ليعصموا وانما تعلموه ليرجوا وماتعلموا ليتحصنوا بعلمهم من الاقدار وانما تعلموا ليفروا الى الله تعالى بالالتجا والافتقار ☆ وكان يقول أحوال أهل المعرفة غريبة جدا فانهم ان كانوا مع بشريتهم فحيتان فى ماء ، وان كانوا مع خصوصياتهم فطيور فى هوائهم ، واذا كانوا بوصف نفوسهم غرقى فى بحور الدنيا وان كانوا بوصف أرواحهم جوالون فى أفق العالم الأعلى ، وكلما قلت الحيلة من المخلوقات كثر من الخالق التوفيق والاعانات وميزان الأنوار الى قلوب المريدين صدق المحبة ☆ وقال رضى الله عنه العارف فى الدنيا لغيره لالنفسه وغيره لنفسه لالغيره وكلما وجه العبد قلبه لربه انجمع وكلما وجه قلبه الى الخلق تفرق وكل سبب فرقك فقد أفناك وكل سبب جمعك فقد أحياك وأثبتك ☆ وقال رضى الله عنه ان الله ليغار على وليه ان يعرفه غيره ولايعرف العبد الولى حتى يعرفه الله تعالى لأنه عنده فلايعرف الا بعد معرفته ولو عرفه قبل معرفته لكان حجابا عن الله تعالى ☆ وقال رضى الله عنه كلما قويت معرفة العارف زاد افتقاره وافلاسه وذلك لأنه كلما ازداد معرفة ازداد قربا وعند القرب تزول النسب اذ وجود النسب والأسباب لايكون الا مع البعد وارخاء الحجاب والعارف فى الدنيا كشمعة تضىء مع خفائها ، ومثال العارف مثال رجل عند البحر يغترف منه حيث شاء ، ومثال المريد مثال رجل عنده جد ماء قليل فهو ينتظر حله ليسيغه ☆ وقال رضى

الله

الله عنه إذا حاولت نفسك فى فهم القرآن فذاك من عجيب حالك ، لأنك تريد أن تفعل فيما هو فاعل فيك ٭ وقال رضى الله عنه اذا دعوت عبد الغير هوى نفسه فاتقه ما أمكنك فانه يعاديك بنفسه و يواليك بإيمانه ٭ وقال رضى الله عنه اذا أصلحت عملك أقبلت الجنة عليك و، اذا أصلحت قلبك أقبل الحق سبحانه وتعالى باحسانه اليك ٭ وقال رضى الله عنه اذا أجنب العبد ألف جنابة كفاه غسل واحد وأباح له الدخول فى الصلوات وكذلك اذا أجنب العبد بالغفلة القضائية ثم ذكر الله تعالى مرة واحدة واستغفره كان ذلك مطهرا له من تلك الجنابات ومبيحا له فى الدخول فى الحضرات ٭ وقال رضى الله عنه والله لولا أن الله يريد ستر أوليائه فى هذه الدار ماسلط عليهم أحدا يؤذيهم ٭ وقال رضى الله عنه ان الحق تعالى يقول من طلب منى بما يبدو منه فقد طلب منى بوصفه فالحرمان اليه أقرب ومن طلب منى بوصفى فالكرم اليه أقرب ، وقال اذا نهيت النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى، واذا سعيت بقدم التقوى بما ليس للنفس فيه هوى كانت الحضرة هى المأوى ، ولو رفعت عنك الستور لاحت لك السطور ورأس مالك فى صلاح حالك وجود اقبالك ٭ وكان يقول الصلاة المقبولة قطعا هى التى اتصلت بالمتابعة الحقيقية ٭ وقال رضى الله عنه لو أن عارفا بالله تعالى فى مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محب له فى مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته ٭ وقال رضى الله عنه كل عمل فهو موعود بجزائه آجلا إلا التذكرة فان جزاءها عاجل مع مالها آجلا قال تعالى (وذكر فانّ الذكرى تنفع المؤمنين) ٭ وقال رضى الله عنه عزت معرفة العارفين أن تكون هذه الدار لآثارها مظهرا ٭ وقال رضى الله عنه لأن تلقى الله وعملك قليل وقلبك مستنير خير من أن تلقى الله وعملك كثير وقلبك غير مستنير وقليل من العمل مع رؤية المنة والفضل لله تعالى خير من كثير من العمل مع رؤية التقصير ، ونسبتك الى الله تعالى بالتقصير خير من نسبتك الى غيره بالوفاء والصدق ، وقال لسان الحس أعجمى ولسان القلب عربى فهما وقع لك شئ بعجمة حسك ففسره بعربية قلبك تجد الهدى والبيان ، وأصل هذا حديث «استفت قلبك» والقلوب على أصل سذاجتها لم تزل ولكنها اذا حركت بالتذكرة فاما تستقيم فيعينها الله تعالى أو تعوج فيزيدها الله عوجا قال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) الى آخر الآيتين والقول بالحق وسماعه عبادة عمل به عامل أولم يعمل ٭ وقال رضى الله عنه انما اضطرب العارفون الى ملابسة الخلق والدنيا لانقاذ من فيها من الغرق وتخليص من بها من الاسرى وليتحملوا كثيرا من أكدارها عن الضعفا ٭ وقال رضى الله عنه لسان التوحيد فى الدنيا غراب ينعق بفنائها وزوالها ولما كانت هذه الأمة أقوى الأمم بحقائق التوحيد كانت أضعف الأمم أجسادا وأقلها أعمارا ٭ وكان الله عنه يقول لاواسطة فى شئ من الأسرار المبثوثة فى خواص بنى آدم للملأ الأعلى وانما الحق يوصلها الى سرائرهم بقدرته وما عدا الأسرار فلا يصل شىء منها قط الى الأسفل الا بواسطة العالم الأعلى ٭ وقال رضى الله عنه ماخاطبت قط كونا وخاطبك الا بغير حقيقتك الأصلية الا الحقائق فانك لاتتلقاها الا بعين ذاتك الأصلية أى وذلك لأن العلوم والمعارف هى الفطرة الأصلية التى فطر الناس عليها وأما غيرها فليس كذلك وقال لو باشر صريح الحقائق قلب المريد الصادق لم تسعه الأكوان وقال اذا علت الحقيقة لم تظهر الا على أشرف الخليقة كما أن نور النبى ﷺ لما كان أعلى الأنوار لم يظهر الاعلى أشرف الابشار ﷺ واستقرار الحقيقة فى ذهن السامع أكثر من استقرارها فى

ذهن الناطق لأن الناطق بما يشاهدها عينا فيقل زمن مكثها عنده والسامع يأخذها من شهادة فيطول زمن مكثها عنده ☆ وكان رضى الله عنه يقول متى لاح لك نور فاستصحبت منه شهودا أو محبة فقد حصل لك نصيب من ذلك ☆ وكان رضى الله عنه يقول الأنوار العرفانية بارزة من غير محل البشرية فان أردت تلقيها فلا تجعل البشرية شرطا فيها ومتى سمعت كلام رجل فى كتاب أو غيره فان لم يكن له نسبة فى شهود حقيقته لم تنتفع بكلامه ☆ وقال رضى الله عنه اذا عرض الكون الدنيوى حجب واذا عرض الكون الأخروى أوقف ☆ وقال رضى الله عنه لا يطفى نور الحقيقة وشمسها هبوب هوى النفس والدنيا لأن جواهرها مستقرة فى قعر بحار القلوب لا يصل اليها غواص النفس والهوى ☆ وقال رضى الله عنه لولم يبعد العارف الحقيقة عن ذاته قليلا ما أمكنه التعبير عنها واذا نظر العارف بعين بصيرته غابت الدنيا فى مرآته لأن حدقة بصيرته أوسع منها والعالم الدنيوى محل ظهور المعنى الانسانى ومن بعد الموت الى آخر المحشر محل ظهور النور الايمانى ومن مبتدا دخول الجنة محل ظهور السر العرفانى ☆ وقال رضى الله عنه فى كل حقيقة علم لا يعلمه فيها غيره والناس فيما دون ذلك متفاوتون وقال رضى الله عنه القلوب الغافلة اذا سمعت الحقائق نفرت ولا يثبت لسماع الحقائق الا قلب أراد الحق ترقيه ☆ وقال رضى الله عنه لا يظهر ولى فى الدنيا قط بحقيقته انما يظهر بعلمه لا بعينه فاذا كان يوم القيامة أظهرهم الله بمقامهم وأعيانهم ☆ وكان رضى الله عنه يقول يا ابن آدم ما أنصفت يدعوك داعى الدنيا بكلمة واحدة لشىء ذاهب كدر فان فتجيبه ألف يوم ويدعوك داعى الآخرة لشىء باق صاف ثابت ألف يوم فلا تجيبه يوما واحدا ، فليتك ان لم تقدم الآخرة سويت بينهما ، وكان رضى الله عنه يقول من العجب كون الانسان ينظر لشمس الدنيا فيستضىء بنورها وينتفع بآثارها ، وفى سر وجوده شمس أنوار وهو غافل عن شهود حقيقتها لظلمة ذاته الطينية ☆ وكان رضى الله عنه يقول ديننا هذا قسمان ظاهر علم وباطن حقيقة فظاهره مضبوط بالأصول والنقول وباطنه مضبوط بأنوار القلوب فمن أتاك بشىء منه فاستشهد عليه بما هو منه ، فالظاهر بشواهده والباطن بشواهده ، فمن قبل شيئا من ظاهره بغير نقل ثقة زل ومن قبل شيئا من باطنه بغير شهود قلب ضل ☆ وكان يقول من أحسن الأنوار نور يرد على قلب المريد ولا يلوث بظلمة الدعوى ☆ وكان رضى الله عنه يقول والله ليس قصد الدعاة الى الله تعالى علوما ولا أحوالا ولا مقامات ولا خصائص ولا غير ذلك وانما قصدهم جمع كلمة الدين باطنا كما هى مجموعة ظاهرا ☆ وكان رضى الله عنه يقول لولا أن الله تعالى قيد الأرواح بقيدين ثقيلين لطارت الى الله تعالى طيرانا ☆ قال الشعرانى رضى الله عنه المراد بالقيدين الأمر والنهى ☆ وكان رضى الله عنه يقول قلب العارفين يكتب وقلب المريدين يكتب فيه وقلب الغافلين لا يكتب ولا يكتب فيه ☆ وكان يقول اذا بدت لك الحقائق كان علما واذا بدت فيك كان كشفا والعالم الربانى فى الوجود كالقلب والوجود له كالجوف وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ولو أن المدد الحقيقى ورد فى هذا العالم من عارفين على السواء لسرى فى قلوب الآخذين وجود الشرك الخفى ☆ قال الشعرانى مراده أن الرتبة فى كل عصر لواحد فى نفس الأمر والزائد أعوان له والله أعلم اهـ ، ومراده بالواحد القطب الغوث والله أعلم ☆ وكان رضى الله عنه يقول المؤمن الذى يجاهد نفسه يختم الله له بالاسلام أكثر من مائة ألف مرة لتكرار موته فى ذات الله تعالى بسيوف المجاهدة وكان رضى الله عنه يقول سيرك قدما واحدا على أثر قدم عارف أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها

بهواك ، وكان يقول أعلى مقامات المغفرة وجود الفتح الحقيقي وهو توقيع الولاية * وكان يقول العابد يسلم في عمره مرة والمريد يسلم في عمره كذا كذا مرة وأتباع كل طائفة يأخذون بالايمان وأتباع هذه الطائفة يأخذون بالعيان والعارف لاقلب له يعيش به لأنه بربه لا بقلبه * وكان بعض العارفين يقول عاش من لاقلب له ، وأنشدوا

يقولون لو ترى عيب قلبك لارعوى * فقلت وهل للعارفين قلوب

وكان رضي الله عنه يقول مكث الوارد يدل على علوه * وكان رضي الله عنه يقول لو كشف للعبد المؤمن أو العارف على مافي طي قلبه لأشرقت منه الأكوان * وكان رضي الله عنه يقول لابد أن يجلس العارفون في الجنة ويحدثون الناس حديثا فوق هذا من حديث الجنة وعملها وآدابها * وكان يقول أكثر الناس عطاء وكرما من جعل الله على يديه أرزاق عباده ، قال بعض العارفين وهذا يشمل الرزق الحسي والمعنوي وهو العلوم والمعارف بل هو أعلى لأنه الرزق الحقيقي للأرواح * وكان يقول لولا روح الحقائق ماتت الخلائق * وكان رضي الله عنه يقول لابد للعارف من التنزل من علي همته الى درجة مريده ليربيه * وكان يقول لولم يصبح واحد الزمان يتوجه في أمر الخلائق من البشر لفجأهم أمر الله عز وجل فأهلكهم ، قال بعض العارفين وكأنه يعني بواحد الزمان القطب الغوث والله سبحانه وتعالى أعلم * وكان رضي الله عنه يقول لأن تبيت وأنت في فضل الله طامع خير لك من أن تبيت وأنت ساجد راكع * وكان رضي الله عنه يقول اليوم أنت تقول للكون أخبرني عن مكونك ، وفي الآخرة يقول هو لك أخبرني عن مكوني * وكان رضي الله عنه يقول من خرج عن محبة الدنيا سمي عابدا زاهدا ، ومن خرج عن نفسه وهواها سمي عارفا * وكان رضي الله عنه يقول من عرف مادون الله قبل معرفته لله حجب ، ومن عرف الله قبل معرفته لخلقه لم يحجب * وقال رضي الله عنه كيف تعرف خالقك بشئ هو خلقه فيك اذ كل مدرك له سلطان على ما أدركه * وهو القاهر فوق عباده * وكان رضي الله عنه يقول الجنة حقيقة هي اشراق عوالم الوصول * وكان رضي عنه يقول خدمة استاذك مقدمة على خدمة أبيك لأن أباك كدرك وأستاذك صفاك وأباك سفلك وأستاذك علاك وأباك مزجك بالماء والطين وأستاذك رقاك الى أعلى عليين ، ومن دخل الدنيا ولم يصادف رجلا كاملا يربيه خرج منها وهو متلوث ، ولو كان على عبادة الثقلين * وكان رضي الله عنه يقول انما كان العبد يدخله الوسواس في الصلاة ولا يدخله اذا سمع كلام عارف وهو بين يديه ، لأن المصلي يناجي ربه والمستمع للعارف يناجيه ربه ، ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده أن يظهر بينهم عارفا ، وان لم يعرفوه ولم يروه * وكان رضي الله عنه يقول اذا عرفت الله تعالى فلا تظن شرا فما هناك بعد معرفته شر * وكان يقول انّ الله تعالى يستر عن العارفين كثيرا من مقاماتهم وكراماتهم حتى لاتخطر الدعوى على بالهم وكان رضي الله عنه يقول كل ماحجبك عن الله تعالى فهو ذنب * وكان رضي الله عنه يقول أعظم مايتنعم به أهل الجنة العلم الذي يعطيه الله لهم هناك * وكان رضي الله يقول الكامل من يستر باطنه بظاهره * وكان رضي الله عنه يقول اذا نفخ في الصور قال المريد الصادق سمعت هذا منذ زمان * وكان رضي الله عنه يقول معاصي أهل السعادة كالأوهام ومعاصي أهل الشقاوة تحقيق وسماعك من العارف كلمة أدب في لحظة أفضل من أدب أبيك ومعلمك في الأمر الظاهر

عشرين سنة لأن العارف يؤدب روحك وغيره يؤدب نفسك ✲ وكان رضى الله عنه يقول العلوم ثلاثة ، علم سلوكى فيجب ابداؤه ، وعلم كشفى فقد لايباح ابداؤه ، وعلم سرى فلا يباح اظهاره قط ✲ وكان رضى الله عنه يقول مامن عبد يتوجه الى الله تعالى بعمل الا و ينادى عليه أين قلب هذا العبد اثبتو فى ديوان عمله أين كان قلبه ✲ وكان رضى الله عنه يقول اذاحضر المريد الصادق مجلس العارف سمع كلامه من جهاته الست ، ومراد العارف أن يخرج المريد من الضيق الى السعة فى عالم الغيب ، وان لم يشعر المريد بذلك ✲ وكان رضى الله عنه يقول العارفون يتكلمون مع الخلق وهم بالحق مع الحق كما حكى عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال لى ثلاثون سنة أتكلم مع الله تعالى والناس يظنون انى أتكلم معهم ✲ وكان رضى الله عنه يقول لايوزن عمل العبد الا اذا تعرى من أنوار التجليات فان لبس أنوار التجليات لم يسع عمله ميزان ✲ وكان رضى الله عنه يقول والله ليس قصدى أن أذهب الى الله بصحف أكتبها وانما قصدى انأذهب الى الله بقلوب أجذبها وأميلها الى ماعنده وأحببه اليها ✲ وكان رضى الله عنه يقول أعظم الحجاب الحجاب عن الحجاب وان الله قضى أن لايصل الى العلم الحقيقى الامن أخذ قلبه عن شهود الأكوان ✲ وكان رضى الله عنه يقول كان الله تعالى يقول لعباده العارفين بلغوا عنى حجتى وأوضحوا لعبادى محجتى وأنا أكتب لكم مالا تبلغونه بأعمالكم ، ولا بمحاسن أحوالكم ✲ وكان رضى الله عنه يقول وجودك هذا البشرى قذى فى عين بصيرتك فلوزال عن بشريتك قذاها رأت ماءها ومرعاها ، وابصرت رشدها وهداها وحقيقة الطريق أن تكون مفلسا وأن تكون طالبا للأعلى أبدا ومتى ظننت انك وصلت ، فما وصلت ، ومتى ظننت انك ظفرت فما ظفرت ، ومتى ظننت انك حصلت لك حالا فلا حال لك والعارف يتلون فى اليوم والليلة مائة مرة والعابد يقيم على حالة واحدة كذا كذا سنة وذلك لأن العارف نفسه مائلة الى دائرة التكليف فيدور مع الأمر والنهى مراعاة للتكاليف وأول هذا الأمر سماع وتصديق ، ثم فهم وتدقيق ، ثم شهود وتحقيق ✲ وقال رضى الله عنه كل كون يسبح يقول فى تسبيحه أنزه خالقى عن ادراكى له ✲ وقال رضى الله عنه اذا نودى عليك فى السماء ليعرفك أهل السماء فاذا عليك أن لاينادى فى الأرض أن يعرفوك فكل من جهلك فقد فاته حظه منك فأضر بنفسه لابك ✲ وقال رضى الله عنه من عبر عن التصوّف فليس بصوفى ومن شهد التصوّف فليس بصوفى انما التصوّف أن يغيب العبد عن التصوّف ✲ وكان رضى عنه يقول لأصحابه من يبشرنى بحضور قلبه أبشره بالوصول الى أمر عظيم ✲ وكان رضى الله عنه يقول قلب كل مؤمن ليلة قدر جسده وليلة قدر كل سنة قلب عامها ✲ وكان رضى الله عنه يقول المريدون على قسمين مريد يعرض مايرد عليه من مربيه على عقله قبل أن يصل الى قلبه ، ومريد لايعرض ذلك على عقله بل يصل الى قلبه ببادى الرأى ، وهذا أقرب الى النفع ، وفى كل خير ✲ وكان رضى الله عنه يقول اذا اعترضت النفوس للسالكين أوقفتهم عن مزيد الاذكار وتحصيل الطاعات . واذا اعترضت للعارفين حجبتهم عن لذيذ المشاهدات والارتقاء الى أعلى الدرجات فالنفس مانعة للفريقين عن السير ✲ وكان رضى الله عنه يقول ألجت النفوس فى مفتاح التوحيد بلجام لاحتى ترجع عن جميع دعاويها ✲ وكان رضى الله عنه . يقول الكاس العليا هى التى لايشربها صاحبها وحده ، أى فالعارف بالله تعالى يسقى مريديه مما يشربه والكلام المنقول عنه فى الحقائق

كثير

كثير ، وهذا آخر ماالتقطته من كلام سيدى الشيخ الكبير داود بن ماخلا ، وانما أطلت فى ذكر كلامه لأنه كلام عال وكان أميا لايقرأ ولايكتب ، وكان قبل ذلك شرطيا عند حاكم الأسكندرية ولتعلم بذلك فضل الله ومنته ولاتيأس من روحه وتجدّ فى الذل والافتقار الى الله تعالى طالبا فضل الله ومنته غير معتمد على علمك ولا عملك ، ومثله من فتح الله عليهم وهم أميون كثير كسيدى على الخوّاص وسيدى عبدالعزيز الدباغ رضى الله عنهما . وقد نقل العارف بالله سيدى عبدالوهاب الشعرانى كثيرا من العلوم والمعارف التى أخذها عن الشيخ الخواص ونقل العارف بالله سيدى الشيخ أحمد بن المبارك الفاسى رضى الله عنه كثيرا من العلوم والمعارف التى أخذها عن سيدى عبد العزيز الدباغ وأفرد ذلك فى تأليف سماه الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز ، وذلك فضل الله يختص به من يشاء والله ذوالفضل العظيم

﴿وسئل﴾ الامام قطب الارشاد سيدى عبد الله بن علوى الحداد عن قول كثير من العارفين لايكون الشيخ شيخا حتى يكون عنده علم باصول الدين وفروعه ، فأجاب بأن الشيخ الداعى الى الله تعالى لابد أن يكون عنده علم بأصول الدين وفروعه على الاجمال أو على التفصيل امامن طريق الكسب والتعلم أو من طريق الوهب والالهام كما وقع ذلك لكثير كالشيخ سعيد العامودى ، فانه كان أميا والشيخ أحمد الصياد والشيخ على الاهدل ، والشيخ أبى الغيث وغيرهم فلا بد للشيخ من علم بأمر الدين على الوجه الأكمل فى الباطن والظاهر وقدورد مااتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه انتهى . وحاصله ان هؤلاء المشايخ الذين ذكرهم كانو أميين ثم لما فتح الله عين بصيرتهم تدفقت فى قلوبهم بحور من علوم الشرائع والحقائق وماذاك الا ببركة متابعتهم للنبى ﷺ وصدقهم فى محبته وقال الشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ماحقيقة المتابعة ، فقال رؤية المتبوع عند كل شىء وفى كل شىء والمراد رؤية الشهود ، ولهذا قال تلميذه سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لوحجبت عن رسول الله طرفة عين ماأعددت نفسى من جملة المسلمين ، ونقل مثل ذلك عن شيخه الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه

﴿وقال﴾ الشيخ أبوالعباس رضى الله عنه قد يجذب الله العبد اليه فلا يجعل عليه منة لاستاذ وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذا عنه وكفى بهذا منة فهو ﷺ هو الواسطة فى الفيض العميم لمن له شيخ ومن لا شيخ له وهو ﷺ فيضه من سيده وخالقه سبحانه وتعالى والى الله ترجع الأمور واليه يرجع الأمر كله الى ربك الرجعى والى ربك المنتهى فهو سبحانه وتعالى ولى الجميع وسيدهم والكل عبيده وأصفياؤه والعبد قديفنى فى مقام الشهود لله تعالى فلا يرى إلا الله تعالى ويغيب عن الواسطة ولكن مقام البقاء أعلى وهو اثبات الوسائط مع اعتقاد أن أمور الوسائط قائمة بالله تعالى وهو مولاهم الذى فى مظاهرهم أجلاهم وأعظم واسطة وأكمل رابطة هو سيد الأوّلين والآخرين سيدنا محمد ﷺ ومدد الخلافة من نوره ﷺ الجارى من معنى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال بعض العارفين من خصائصه ﷺ أن نوره محيط بالكون كله من نقطة كن الى أن عاد الدور فى المكون فهو أعظم سبب فى الوصول الى السعادة الأبدية والخيرات الدنيوية والأخروية

﴿قال سيدى﴾ العارف بالله تعالى السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس فى شرحه على صلاة

سيدى أحمد البدوى أن سيدنا محمدا ﷺ هو الذى أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم فى عالم الأرواح حتى بعث بجسمه ﷺ فالأنبياء الذين سلفوا أخذوا منه ﷺ وأولياؤهم ومتبعوهم أخذوامنهم انتهى * وقال سيدى أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه كل نبى وولى مادته من رسول الله ﷺ فمن الأولياء من يشهد عينه ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته فيبقى بالذى يرد عليه ولا يشتغل بمادته * وقال سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه كل نبى وولى انما يأخذ بواسطة روحانية النبى ﷺ من الأولياء من يعرف ذلك ومنهم من لايعرفه ، وأما المهيمون من طوائف الملائكة فانهم لما كانوا فى شدة الاستغراق فى شهود الحضرة جعلوا كأنهم لايعقلون غير الذات العلية فكمال الاستغراق أدرج لهم الحضرة المحمدية ولايلزم من هذا نفى كونه ﷺ واسطة لهم كغيرهم كما لايخفى انتهى ، وما أحسن ماقاله سيدى الشيخ محمد ابن الشيخ أبى الحسن البكرى رضى الله عنه فى هذا المعنى

ما أرسل الرحمن أو يرسل * من رحمة تصعد أو تنزل
من ملكوت الله أو ملكه * من كل مايختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عنده * نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل

والأبيات طويلة ثم قال فى آخرها

وأنت باب الله أى امرئ * أتاه من غيرك لايدخل

وقال بعض العارفين مدده ﷺ موصول بكل موصول ومفصول والتلقى من يده فى كل مدد مشهود لأهل العقول ، فمن زال حجابه عرف ، ومن ران عليه انحرف وانصرف * قال سيدى عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس كل من حصلت له الرحمة فى الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات انما خرج له ذلك على يد رسول الله ﷺ وبواسطته ﷺ وهو الذى يقسم الجنة بين أهلها ولذلك عدوا من خصائصه ﷺ انه أعطى مفاتيح الخزائن أى أعطى مفاتيح خزائن أجناس العالم فيخرج لهم بقدر مايطلبون بحسب القسمة الالهية فكل ماظهر فى هذا العالم فانما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح فلايخرج شىء من الخزائن الالهية إلا على يديه ﷺ وهو معنى اسمه الخليفة فلا طاقة لأحد بالنفى والشهود بدون واسطته ﷺ فهو المرآة الكبرى والمجلى الأعظم وأقواله وأفعاله كلها دائرة على الدلالة على الله والتعريف به ولانهاية للمعرفة فمادام الانسان يترقى فيها فهو مغترف من بحره ومستمد منه حتى الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

غاية الأمر أن صاحب الفناء لايشعر بذلك وقت فنائه فى الله لغيبته فيما فنى فيه فالمنتفى انما هو شعوره وأما استمداده منه وتوجه الفتح له على يديه فثابت فى نفس الأمر فان تنبه لذلك بعد افاقته اعترف ، ولهذا قال كثير من أئمة الطريق المقتدى بهم ان الاشتغال بالصلاة على النبى ﷺ من أعظم أسباب الفتح على العبد وانها تقوم مقام الشيخ فى التربية وقد وصل بها الى معرفة الله تعالى كثير من العارفين ولم يكن لهم شيخ غير ذلك واذا حصل لعبد فتح على يد بعض خلفائه ﷺ

ووسائطه من المشايخ المهتدين فانه يستغنى عنهم بعد الوصول الى المعرفة ولا يستغنى عنه ﷺ
وأما ماوقع فى كلام بعضهم ان العبد اذا وصل الى مقام المعرفة لم يبق للرسول ﷺ إلا حكم الافاضة
على العبد من جانب التشريع والاتباع لأن الرسول ﷺ واسطة بين العبد وربه فى الدعوة الى
الله تعالى فاذا وقع الايمان الذى هو مراد الله من عباده ارتفعت واسطة الرسول وصار الحق أقرب
الى العبد من نفسه ومن رسوله ﷺ فقد تعقب كثير من العارفين هذه المقالة وحقق أنه لاسبيل
لأحد الى الاستغناء عن واسطته ﷺ وان وصل ماوصل * وقال بعضهم يمكن أن مراد هذا
القائل الاحتراز عن الغلط فى شهوده ﷺ بأن يجعل المشاهد بواسطة كالمقصد فقف عند الواسطة
ولا تجعلها مثل المقصد وجعله كالمقصد ان أمكن انما يقع لبليد قاصر اذ الدلالة لأقواله وأفعاله وأحواله
ﷺ على الله تعالى ثابتة فالوقوف عند الدال وجعله كالمقصد مع عدم فهم دلالته غاية فى القصور
فى الجهل بالدال ولا يستغرب هذا فان مصائب الجهل لاتنحصر * وقد حكى عن بعض المشايخ أن
مريدا صدق فى محبته والاقتداء به لكنه توغل فى الوقوف معه والتمسك به فصار ذلك كالحجاب له
فصعد يوما معه على سطح فأمر بطرحه من فوق السطح فجاء يلوذ به فدفعه عنه فطرحوه فحين
كان نازلا فى الهوى انقطع رجاؤه منه ففتح له ، وكثير من الناس يقع لهم الغلط فى صحبة المشايخ فيرون
النفع والضر منهم غافلين عن جانب الربوبية حتى ان بعضهم ينقطع عنهم عند ظهور عجزهم عن
قضاء مايريده ذلك المريد ، وبالجملة فليحترز كل الاحتراز عن حالتين يقع فيهما الغلط ، أحدهما شهود
الواسطة حتى يجعلها كالمقصد والثانى الغفلة عن استحضار أنه لولا تعريفه تعالى لنا به ﷺ ماعرفناه
(وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله * انك لاتهدى من أحببت). اللهم لولا أنت مااهتدينا . ثم قال سيدى
عبدالرحمن العيدروس والى هذه الاشارة يشير قول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه قرأت
ليلة (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) فرأيت النبى ﷺ يقول أنا
عمن يعلم ولا أغنى عنك من الله شيئا . ثم أطال سيدى عبدالرحمن فى ذلك فظهر من تحقيقه انه لابد
من شهود كونه ﷺ واسطة ولا يجعل كالمقصد لأن الضار النافع حقيقة هو الله تعالى وهو ﷺ
واسطة غير مستغنى عنه ، ولذلك قال فى الآية الأخرى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) فهذه الآية
منظور فيها الى كونه واسطة فى الهداية والآية الأولى منظور فيها الى أن خالق الهداية هو الله تعالى ،
ولذلك قال فيها (انك لاتهدى من أحببت) فلا يشتبه عليك الأمران فتقع فى الغلط ولا تجعل الواسطة
كالمقصد وكن قائما بالأمرين ولكن نظرك هكذا فى جميع الوسائط والأسباب العادية واحذر أن تعتقد
التأثير لشئ غير الله سبحانه وتعالى وكن معتقدا أن نوره ﷺ أصل جميع الأنوار ، وان شجرته
مرجع جميع الأثمار ، وان كل خير يصل لأهل الدنيا والآخرة انما هو بسببه وبواسطته ﷺ فهو
سبب الوجود والسبب فى كل موجود ، وتقدم عن سيدى عبدالرحمن العيدروس فى أوائل هذه الرسالة
مانقل عن بعض العارفين أنه يعدم المربيون فى آخر الزمان ويصير مايوصل الى الله تعالى الا الصلاة
على النبى ﷺ وأن العلماء اتفقوا على أن جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة على
النبى ﷺ فهى مقبولة قطعا * قال ابن عطاء الله فى المنن ولقد قال لى الشيخ مكين الدين الأسمر
رضى الله عنه أنا ماربانى إلا رسول الله ﷺ * وكان الشيخ عبدالرحيم القناوى رضى الله عنه
يقول أنا لامنة لأحد علىّ إلا رسول الله ﷺ واذا أراد الله أن يتفضل على العبد ويغنيه عن

الأستاذ فعل ۞ قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه جميع الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا ﷺ عين الرحمة قال الله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد أجمع العلماء على أن رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة واحد من الأنبياء ولاعشر معشارها ۞ وقد سئل أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه عن هذه المسئلة فقال مثل ماحصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زق مملوء عسلا ترشح منه قطرات فتلك القطرات مثل ما لجميع الأولياء وباقى القطرات مثل ما للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما فى الظرف مثل ما لنبينا ﷺ هكذا عبر بعضهم ، وعبارة الطبقات للشعرانى نقلا عن الشيخ أبى العباس المرسى جميع ما أخذ الأولياء بالنسبة لما أخذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كزق مملوء عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما فى باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتلك الرشاحة للاولياء رضى الله عنهم ، وقد صرح كثير من العارفين أن الولى بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات

﴿وممن صرح بذلك قطب الارشاد سيدى عبدالله بن علوى الحداد﴾ فانه قال رضى الله عنه الولى يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم فى حياته لانه فى حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد ، والحى فيه خصوصية وبشرية وربما غلبت إحداهما الأخرى وخصوصا فى هذا الزمان فانها تغلب البشرية والميت مافيه الا الخصوصية فقط ۞ وقال أيضا أن الأخيار اذا ماتوا لم تفقد منهم الا أعيانهم وصورهم ، وأما حقائقهم فموجودة فهم أحياء فى قبورهم واذا كان الولى حيا فى قبره فانه لم يفقد شيئا من علمه وعقله وقواه الروحانية بل تزداد أرواحهم بعد الموت بصيرة وعلما وحياة روحانية وتوجها الى الله تعالى فاذا توجهت أرواحهم الى الله تعالى فى شىء قضاه سبحانه وتعالى وأجراه إكراما لهم وهذا معنى قول بعضهم ان لهم التصرف فالتصرف الحقيقى الذى هو التأثير والخلق والايجاد لله تعالى وحده لاشريك له ولاتأثير للولى ولاغيره فى شىء قط لاحيا ولاميتا فمن اعتقد أن للولى أوغيره تأثيرا فى شىء فهو كافر بالله تعالى فأهل البرزخ من الأولياء فى حضرة الله فمن توجه اليهم وتوسل بهم فانهم يتوجهون الى الله تعالى فى حصول مطلوبه فالتصرف الحاصل منهم هو توجههم بأرواحهم الى الله تعالى والتصرف الحقيقى لله وحده فالواقع منهم من جملة الأسباب العادية التى لاتأثير لها وانما يوجد الأمر عندها لابها على حسب ما أجراه الله من العوائد وعلى هذا المعنى يفسر السلب الذى يسند الى الأولياء فيقال سلب فلان فلانا فهو بتوجهه الى الله فى حصول السلب ان أراده الله يحصل بفعل الله لابفعله فاحذر أن يشتبه عليك أحد المعنيين بالآخر فتزل والله الهادى الى سواء السبيل

﴿قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه﴾ من أراد عز الدارين فليدخل فى مذهبنا يوما أو يومين فقال له قائل كيف لى بذلك قال فرق الأصنام من قلبك أى افرغه من التعلق بغير الله تعالى وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت يعنى بعد امتثال أمر الله واجتناب نهيه فان الله لايعذب العبد على مد رجليه للاستراحة من التعب مع استصحاب التواضع وانما يعذبه على تعب يصحبه التكبر وليس الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة وانما هو بالصبر على الأوامر واليقين فى الهداية قال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك ۞ وقال رضى الله عنه الزم جماعة المؤمنين وان كانوا

عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود واهجرهم لهم رحمة بهم لا تعززا عليهم ☆ وكان رضى الله عنه يقول من أقبل على الخلق الاقبال الكلى قبل بلوغه درجة الكمال سقط من عين الله تعالى فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير وقنعوا بالشهرة وتقبيل اليد فاعتصموا بالله يهدكم الله الى الصراط المستقيم ، وكان يقول من الشهرة الخفية للولى ارادته النصرة على من ظلمه ، وقد قال تعالى للمعصوم الأكبر (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) أى فان الله قد لا يشاء اهلاكهم

﴿وقال رضى الله عنه﴾ اذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفسا أو نفسين قيض الله تعالى له شيطانا فهوله قرين واذا امتلأ القلب بأنوار الله تعالى عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة فى عباده المؤمنين فانظر الى الله تعالى فهو لك مأوى فان تنظر فبه وان تسمع فمنه وان تنطق فعنه وان تسكن فعنده وان لم تسكن فلاشىء غيره ، فالبصيرة كالبصر أدنى شىء يقع فيها يعطل النظر وان لم ينته الأمر الى العمى فالخطرة من صفات الشر تشوّش نظر البصيرة وتكدر الفكر والارادة وتذهب بالخير رأسا والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم الاسلام فان استمر على الشر تفلت منه الاسلام سهما سهما ، فاذا انتهى الى الوقيعة فى العلماء والصالحين وموالاة الظالمين حبا للجاه ، والمنزلة عندهم تفلت منه الاسلام كله ولا يغرنك ماتتوسم به ظاهرا ، فانه لاروح له ، فان روح الاسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة والصالحين من عباده ☆ وسئل رضى الله عنه عن الحقائق ، فقال الحقائق هى المعانى القائمة فى القلوب ، وما اتضح لها وانكشف من الغيوب وهى منح من الله تعالى وكرامات وبها وصلوا الى البر والطاعات ، ودليلها قوله ﷺ لحارثة بن سراقة الأنصارى رضى الله عنه كيف أصبحت ؟ قال أصبحت مؤمنا حقا ، فقال له ﷺ لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها ، وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ، والى أهل النار فى النار يعذبون ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا من أجل ذلك أسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، فقال رسول الله ﷺ ياحارثة عرفت فالزم ، ثم قال رسول الله ﷺ عبد نور الله قلبه بنور الايمان ☆ وقال رضى الله عنه من تحقق الوجود فنى عن كل موجود ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود فاثبت أفعال العباد باثبات الله تعالى ولا يضرك ذلك ، وانما يضرك الاثبات بهم ومنهم وأبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى ، لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية وحقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى فى كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها ، وحقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب ولن يصل العبد الى الله تعالى و بقى معه شهوة من شهواته ولامشيئة من مشيآته ، فالأولياء يفنون عن كل شىء بالله تعالى وليس معهم تدبير ولا اختيار ☆ قال ابن عطاء الله سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول ان لله تعالى عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ماتعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات ، فهى اذن أفنا آت ثلاث أن يفنيك عن أفعالك بأفعاله ، وعن أوصافك بأوصافه وعن ذاتك بذاته ، فاذا أفناك عنك أبقاك به فالفناء دهليز البقاء ، ومنه يدخل اليه فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه ومن كان عما سوى الله فناؤه كان بالله تعالى بقاؤه ولذلك قالوا من كان فى الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم ، الفناء يوجب غيبتهم عن كل شىء والبقاء يحضرهم مع الله تعالى فى كل شىء

فلا ينقطعون عنه فى شىء الفناء يميتهم والبقاء يحييهم * وقال الشيخ أبوالحسن رضى الله عنه ان من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل مايريد وهو لايجد من نفسه بعض مايريد ، وطالب نفسك باكرامك لهم ولا تطالبهم باكرامهم لك لاتكلف الانفسك * وقال رضى الله عنه قد يئست من منفعة نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من منفعة غيرى لنفسى ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى ﴿وقال رضى الله عنه﴾ اذا كثرت عليك الخواطر والوسواس فقل سبحان الملك الخلاق (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز) وان أردت الصدق فى القول فأكثر من قراءة (انا أنزلناه فى ليلة القدر) وان أردت الاخلاص فى جميع أحوالك فأكثر من قراءة (قل هو الله أحد) وان أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة (قل أعوذ برب الفلق) وان أردت السلامه من الشر فأكثر من قراءة (قل أعوذ برب الناس) قال الشعرانى قال بعضهم وأقل الاكثار سبعون مرة كل يوم الى سبعمائة * وقال رضى الله عنه اذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو فى مقالك وانبسطت الجوارح فى شهواتك وانسد باب الفكرة فى مصالحك فاعلم ان ذلك من عظيم أوزارك أولكمون ارادة النفاق فى قلبك وليس لك طريق الا التوبة والاصلاح والاعتصام بالله والاخلاص فى دين الله تعالى ألم تسمع الى قوله تعالى (الاالذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين) ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر ان كنت فقيها وارجع عن منازعة ربك تكن موحدا واعمل بأركان الشريعة تكن سنيا واجمع بينهما تكن محققا * وقال رضى الله عنه أربع لاينفع معهن علم حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس وأصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا واليأس من أهلها على الموافقة * وكان رضى الله عنه يقول اذا تداين أحدكم فليتوجه الى الله تعالى بقلبه ويتداين على الله ، فان كل مايتداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه ، وكان رضى الله عنه اذا تداين يقول اللهم عليك تداينت وعليك توكلت واليك أمرى فوضت * وكان رضى الله عنه يقول خصلة واحدة تحبط الأعمال ولا يتنبه لها كثير من الناس سخط العبد على قضاء الله ، قال الله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) ولايترك منازعة الناس فى الدنيا الا المؤمن بالقسمة * وقال رضى الله عنه رأيت فى النوم صائحا يصيح فى جو السماء انما تساق لرزقك أولأجلك أولما يقضى الله به عليك أوبك أولك وهى خمسة لاسادس لها * وقال رضى الله عنه حسنتان لايضر معهما كثرة السيئات ، الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله * وكان رضى الله عنه يقول مراكز النفس أربعة ، مركز للشهوة فى المخالفات ، ومركز للشهوة فى الطاعات ، ومركز فى الميل الى الراحات ، ومركز فى العجز عن أداء المفروضات (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)

﴿وكان﴾ رضى الله عنه يقول من اعترض على أحوال الرجال فلابد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل وموت بالفقر وموت بالحاجة الى الناس ، ثم لايجد من يرحمه منهم * وقال رضى الله عنه كل حسنة لاتثمر نورا أو علما فى الوقت فلا تعد لها أجرا وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى ورجوعا اليه فلاتعد لها وزرا واياك أن تقف مع الخلق بل انف المضار والمنافع عنهم لأنها

لیست منهم وأشهدها من الله فیهم وفر الى الله منهم بشهود القدر الجارى علیك وعلیهم أولك ولهم ولاتخف خوفا تغفل به عن الله تعالى وترد القدر الیهم تهلك ✲ وقال رضى الله عنه عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما یقع لهم فیها من سوء الأدب وعقوبة المراكنات ترك المزید وعقوبة القلق والاستعجال هلاك السر ومن سوء الظن بالله أن یستنصر بغیر الله من الخلق قال تعالى (من كان یظن أن لن ینصره الله) الآیة

﴿وقال رضى الله عنه﴾ من أحب أن لا یعصى الله تعالى فى مملكته فقد أحب ان لا تظهر مغفرته ورحمته وأن لایكون لنبیه ﷺ شفاعة وقال رضى الله عنه لاتشم رائحة الولایة وأنت غیر زاهد فى الدنیا وأهلها ✲ وكان رضى الله عنه یقول أسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أودنیا ذهبت عنك أوشخص یؤذیك فى نفسك أوعرضك فان كنت أذنبت فاستغفروان كنت ذهبت عنك الدنیا فارجع الى ربك وان كنت ظلمت فاصبر واحتمل هذا دواؤك وان لم یطلعك الله على سبب القبض فاسكن تحت جریان الاقدار فانها سحابة سائرة ✲ وقال رضى الله عنه رأیت كأنى واقف بین یدى الله تعالى ، فقال لى لاتأمن مكرى فى شىء وان أمنتك فان علمى لایحیط به محیط وهكذا درجوا واذا استحسنت شیئا من أحوالك الظاهرة أوالباطنة وخفت زواله فقل ماشاء الله لاقوة الا بالله ✲ وقال رضى الله عنه سمعت هاتفا یقول ان أردت كرامتى فعلیك بطاعتى و بالاعراض عن معصیتى

﴿وقال رضى الله عنه﴾ ان أردت أن لایصدأ لك قلب ولایلحقك هم وكرب ولایبقى علیك ذنب فأكثر من قول سبحان الله و بحمده سبحان الله العظیم لا إله إلا هو اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى ، ولا كبیرة عندنا أكبر من اثنین ، حب الدنیا بالایثار والمقام على الجهل بالرضا ، لأن حب الدنیا رأس كل خطیئة والمقام على الجهل أصل كل معصیة ، واذا توجهت لشىء من عمل الدنیا والآخرة ، فقل یاقوى یاعزیز یاعلیم یاقدیر یاسمیع یابصیر ، واذا ورد علیك مزید من الدنیا والآخرة فقل حسبنا الله سیؤتینا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وقال رضى الله عنه حسنتان لایضر معهما كثرة السیئات ، الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله ، ومن غفل قلبه اتخذ دینه هزوا ، ومن اشتغل بالخلق اتخذ دینه لعبا ✲ وقال رضى الله عنه لاتركن الى علم ولامدد وكن بالله عز وجل ✲ وقال رضى الله عنه اذا كان من یعمل على الوفاق لایسلم من النفاق فكیف بغیره

﴿قال الشیخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه﴾ ولى الله مع الله كولد اللبوة فى حجر اللبوة أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتیاله ✲ وقال رضى الله عنه رجال اللیل هم الرجال ، وكلما أظلم الوقت قوى نور الولى ضرورة ✲ وكان رضى الله عنه یقول معرفة الولى أصعب من معرفة الله عز وجل فان الله تعالى معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك یأكل كما تأكل ویشرب كما تشرب وقال رضى الله عنه علامة حب الدنیا خوف المذمة وحب الثناء فلو زهد لما خاف ولا أحب ✲ وقال رضى الله عنه من لم یصلح للدنیا ولا للآخرة یصلح لله عز وجل ، ومارأیت العز الا فى رفع الهمة عن الخلق وللناس أسباب وسببنا نحن الایمان والتقوى قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا علیهم بركات من السماء والأرض) ✲ وكان یقول اذا ضاق الولى هلك من یؤذیه فى الوقت واذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلین ولم یحصل لأحد منهم بسببه ضرر ولحوم الاولیاء مسمومة ولو لم یؤاخذوك فایاك ثم ایاك ، وكان رضى الله عنه به الحصر وجود الكلى ومع ذلك فكان یجلس

للناس ولايتأوّه فى جلوسه ولايعلم جليسه بما هو فيه ✲ وكان يقول لاتنظروا الى حمرة وجهى فانها من حمرة قلبى ، وأثنى عليه شيخه الشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه وأوصى بالاخذ عنه ، فمن ثنائه عليه قوله للناس عليكم بالشيخ أبى العباس فوالله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى الا وقد أوصله الى الله تعالى ✲ وقال رضى الله عنه والله ماجلست للناس حتى هددت بالسلب ، وقيل لى لئن لم تجلس لسلبناك ماوهبناك ، وكان يقول عن شيخه اصحبونى ولاأمنعكم أن تصحبوا غيرى فان وجدتم منهلا أعذب من هـذا المنهل فردوا ، ويكفيه فخرا أن ابن عطاء الله من تلامذته ، وكان لايثنى على مريد بين يدى اخوانه خشية الحسد ✲ وكان يقول لأصحابه اذا جاءنا رئيس قوم فأخبرونى به أخرج اليـه ، فاذا فارقه مشى معه خطوات ثم رجع ويقول ان هؤلاء كلفوا نفوسهم الى زيارتنا ونحن لم نزرهم ، وكان لايدعو للمحسن اليه حتى يخرج عن مجلسه فيدعو له بظهر الغيب واذا أهدى اليه شىء يسير تلقاه ببشاشة وقبول واذا أهدى اليه شىء كثير تلقاه بعز النفس واظهار الغنى عنه وكان اذا سمع انسانا يقول هذه ليلة القدر يقول نحن بحمد الله تعالى أوقاتنا كلها ليلة قدر ، وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عنـد الله تعالى حتى أنه ربما يدخل عليه المطيع فلايلتفت اليه لكونه يرى عبادته ويدخل عليه العاصى فيقوم له لانه دخل بذل نفس وانكسار ✲ وكان يقول ينبغى للمشايخ تفقد حال المريدين ويجوز للمريدين اخبار الأستاذ بما فى بواطنهم اذ الاستاذ كالطبيب وحال المريد كالعورة والعورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوى ، وكان يقول لمن رأى انه زهد فى الدنيا لقد عظمت ياأخى الدنيا حتى رأيت لها وجودا حتى زهدت فيها وقدرها أصغر من ذلك ✲ وقال فى قول سهل بن عبدالله لاتكونوا من أبناء الدهر وكونوا من أبناء الأزل معناه لاحظوا ماسبق فى علم الله ولاتتكلوا على علمكم ولاعلى عملكم مدة عمركم ✲ وقال فى قول الجنيد رضى الله عنه أدركت سبعين عارفا كلهم كانوا يعبدون الله تعالى على ظن ووهم حتى أخى أبايزيد لوأدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه معناه انهم يقولون مابعد المقام الذى وصلناه من مقام فهذا وهم وظن ، فان كل مقام فوقه مقام الى مالا يتناهى وليس معناه الظن والوهم فى معرفتهم بالله تعالى ، ومعنى لأسلم على يديه أى لانقاد له لأن الاسلام هو الانقياد

﴿وقال فى قول أبى يزيد رضى الله عنه خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله﴾ ، معناه ان أبايزيد رضى الله عنه يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر التوحيـد ووقفوا على الجانب الآخر على ساحل الغرق يدعون الخلق الى الخوض ، أى فلوكنت كاملا لوقفت حيث وقفوا ، قال ابن عطاء الله رضى الله عنه وهذا الذى فسر به الشيخ كلام أبى يزيد هو اللائق بمقام أبى يزيد رضى الله عنه ✲ وقال بعضهم مراد أبى يزيد انه غلب عليه شهود الحقيقة حتى لم يعط المظاهر حقها من كل وجه بخلاف الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم غرقوا فى بحر الحقيقة وأعطوا المظاهر حقها فجمعوا بـين الحق والخلق باعطاء ذى حق حقه ولاشك ان من بساحل البحر يتصرف فى البحر ومن هو غريق فى البحر يتصرف فيه البحر ونقل هذا التوجيه عن الشيخ زروق ✲ قال الشيخ الأمير وهو ظاهر ومن هـذا المعنى قول أبى مدين رضى الله عنه لوكنت موضع آدم لاكلت الشجرة كلها ، أى فكانت تغلب عليـه مشاهدة الحقيقة فيغيب ويزيد على القدر المحتاج له وآدم عليه السلام لكماله لم تغلبه الحقيقة فاقتصر

على

على القدر المحصل للمراد فهو بيان لفضل آدم عليه السلام اهـ وعند التأمل تجد كلام الشيخ أبي العباس يرجع الى هذا الذى نقل عن الشيخ زروق ✲ وقال الشيخ أبو العباس فى حكاية الحارث بن أسد انه كان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه أصبعه أوعرق فى أصبعه ، كيف هذا وقد قدم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لبن فأكل منه ثم وجد كدرته فى قلبه ، فقال من أين لكم هذا اللبن فقال غلام له كنت تكهنت لقوم فى الجاهلية فاعطونى ثمن كهانتى فتقياه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فلم يكن للصديق عرق يتحرك عليه اذا أكل طعاما فيه شبهة مع كونه أفضل من الحارث بالاجماع ✲ الجواب ان أبا بكر رضى الله عنه كان خليفة مشرعا للعباد حتى يقتدى به من أكل طعاما فيه شبهة ولو لم يعلم فيتكلف طرحه بعد أكله فيثيبه الله تعالى على ذلك ، والحارث لم يكن اذ ذاك مشرعا ولا قدوة انما يعمل بقصد نفع نفسه فقط ومعلوم ان القدوة من شأنه التنزل فى المقام للتعليم ✲ وقال رضى الله عنه اذا قيل لك أتخاف الله تعالى فقل نعم لكن بقدر ماخلقه فىّ من الخوف وكذلك اذا قيل لك أتحب الله تعالى فمن سلك ذلك لايقع له امتحان لتعويله على الله تعالى لاعلى قوّة نفسه هو وقد قالوا كل مدع ممتحن ✲ وقال رضى الله عنه فى قول بعضهم لايكون الصوفى صوفيا حتى لايكتب عليه صاحب شماله ذنبا عشرين سنة ليس معنى ذلك أن لايقع منه ذنب عشرين سنة وانما معناه عدم الاصرار وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور

﴿وقال فى قول السرىّ السقطى رضى الله عنه﴾ فى حد التوبة التوبة أن لاتنسى ذنبك هو أولى من قول الجنيد وغيره التوبة أن تنسى ذنبك لأن كلام السرىّ رضى الله عنه يدل على مبادى المقامات ، وكان السرى مكلفا بالكلام على مقامات العباد لكماله والجنيد وغيره لم يكن اذ ذاك أى فى وقت مقالته ذلك قدوة فافهم ✲ وكان رضى الله عنه يقول اذا رفعك الى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل فذاك مقام التعريف والايمان الحقيقى وميدان تنزل أسرار الأزل واذا أنزلك الى محل المجاهدة والمكابدة فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الاسلام الحق وميدان تجلى حقائق الأبدية والمحقق لايبالى بأى صفة يكون ✲ وقال فى قوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) أى على معاينة تعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها وعلى النيابة ✲ وقال رضى الله عنه العارف لادنياله لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه ✲ وقال رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله تعالى حتى ينقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى أى انقطاع أدب لا انقطاع ملل لغلبة التفويض على قلبه ✲ وكان رضى الله عنه يقول ليس العجب ممن تاه فى نصف ميل أربعين سنة يعنى بنى اسرائيل انما العجب ممن تاه فى مقدار شبر الستين والسبعين والثمانين سنة وهى البطن وزاد بعضهم فقال وأعجب من ذلك من تاه فى مقدار أصبع وهو اللسان أى فلم يحفظ لسانه عمانهى عنه ✲ وقال رضى الله عنه الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه المؤمن لايعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت الفعل ولا يصر عليها والفاجر ليس كذلك ✲ وكان رضى الله عنه يحث أصحابه على ذكر اسم الله و يقول هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة فبساطه العلم وثمرته النور واذا حصل النور وقع الكشف والعيان ✲ وكان رضى الله عنه يقول ماسمى ابراهيم الخليل عليه السلام فتى الالكونه كسر الأصنام الحسية التى وجدها وأنت ياولدى لك أصنام خمسة معنوية فان كسرتها فانت فتى ، وهى النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا وافهم ههنا لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الا على رضى الله عنه

وكان رضى الله عنه يقول الكامل من يملك حاله وله سوحة فى العلم واذا اتسع القلب بمعرفة الله تعالى غرقت فيه الواردات ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات واشتهر أهل الأحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها ولضيقهم عن وسعها وربما كان صاحب الحال أحظى عند الخلق باقبالهم عليه من صاحب المقام مع أن بينه و بينه كما بين السماء والأرض ، ولذلك قال ابن عطاء كلما تمكن الرجل فى العلوم الالهية والمعارف الربانية استغرب فى هذا العالم فيقل من يعرفه و يفقد من يحيط به فيصفه وكان يقول عن شيخه خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مغلقة عن الله عز وجل ، أى لأنهم كانوا يعبدون شوقا الى الجنة وفرارا من النار لاشوقا الى ربهم وكان يقول من لم يتغلغل فى هذه العلوم مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم ☆ وقال رضى الله عنه لاينبغى للفقير أن يأخذ من أحد شيئا بقصد نفع نفسه انما يأخذ ليثيب من يعطيه و يعوضه عليه فمن تطهرت نفسه وتقدست فليقبل والا فلا ☆ وكان يقول الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد حضرته فلا تركن الى غيره ☆ وكان يقول لأصحابه اذا وصلتم مكة فليكن همكم رب البيت لا البيت ولا تكونوا ممن يعبد الأصنام والأوثان ☆ وكان رضى الله عنه يقول من عرف الله لم يسكن اليه لأن فى السكون إلى الله ضربا من الأمن (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وكان رضى الله عنه يقول الولى فى حال فنائه لابد أن تبقى معه لطيفة عاملية عليها يترتب التكليف وذلك كما يكون الانسان فى البيت المظلم فهو عالم بوجوده وان كان غير مشاهدله ☆ وكان رضى الله عنه يقول القبض الذى لا يعرف سببه لايكون الا لأهل التخصيص ☆ وكان يقول أبو بكر وعمر رضى الله عنهما خلفاء الرسالة وعثمان وعلى رضى الله عنهما خلفاء النبوّة ☆ وكان رضى الله عنه يقول من صحب المشايخ على الصدق وهو عالم بالظاهر ازداد علمه ظهورا ☆ وقال أيضا لاتطالبوا الشيخ بأن تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم فعلى مقدار مايكون عندكم تكونون عنده وكانت صلاته رضى الله عنه موجزة فى تمام و يقول هى صلاة الابدال ☆ وكان رضى الله عنه يقول العامة اذا رأوا انسانا ينسب الى الولاية جاء من البرارى والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم وكم من بدل وولى بين أظهرهم فلا يلقون اليه بالا مع أن هذا هو الذى يحمل أثقالهم و يدافع الأغيار عنهم فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخاطيط جلده وحسن صورته والحمر التى بين أظهرهم تحمل أثقالهم الى موضع أغراضهم وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون اليها ☆ وكان رضى الله عنه يقول الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجى بها ، وعمل رضى الله عنه عصيدة فى يوم حار فقالوا له العصيدة لاتعمل الا فى أيام الشتاء فقال هذه عصيدة ولدنا ياقوت ولد اليوم ببلاد الحبشة فلم يزل ياقوت يباع من سيد الى سيد حتى جاء الى سيدى أبى العباس وحسبوا عمره فوجدوا عمره كما قال فكان ياقوت من أجل من أخذ عنه وانتفع به و يقال له ياقوت العرشى لأن قلبه لم يزل تحت العرش ومافى الأرض الاجسده وقيل لأنه كان يسمع أذان حملة العرش

﴿وكان ياقوت العرشى رضى الله عنه﴾ يشفع حتى فى الحيوانات وجاءت مرة يمامة فجلست على كتفه وهو جالس فى حلقة الفقراء وأسرت اليه شيئا فى أذنه فقال بسم الله ونرسل معك أحدا من الفقراء فقالت مايكفينى الا أنت فركب بغلته من الاسكندرية وسافر الى مصر العتيقة حتى دخل الى جامع عمرو فقال اجمعونى على فلان المؤذن فأرسلوا وراءه فجاء فقال له هذه اليمامة أخبرتنى باسكندرية

أنك تذبح فراخها كلما تفرخ فى المنارة فقال صدقت ذبحتهم مرارا فقال لا تعد فقال تبت الى الله تعالى ورجع الشيخ الى اسكندرية رضى الله عنه ومناقبه كثيرة مشهورة توفى ياقوت رضى الله عنه سنة سبع وسبعمائة كذا فى طبقات الشعرانى * وقال فى حسن المحاضرة للجلال السيوطى توفى ياقوت سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة وهو من أبناء الثمانين وكان يقصد للدعاء والتبرك ولم يخلف بعده مثله

﴿وقال﴾ ابن عطاء الله توفى سنة تسع وسبعمائة وفى الطبقات سنة سبع وسبعمائة وتوفى الشيخ أبو العباس سنة ست وثمانين وستمائة كما فى حسن المحاضرة وتوفى الشيخ أبو الحسن الشاذلى سنة ست وخمسين وستمائة والسيد أحمد البدوى سنة خمس وسبعين وستمائة ، وكان سيدى على وفا رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى (والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) ياصاحب الحق لا تهتمّ باظهار شأنك اهتماما يحملك على الاستعانة بالخلق فانك ان كنت على نور حق فهو يظهر بالله (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) وان كنت على ظلمة باطل فلا تتسبب فى اظهار ذلك واشاعته فانك لا تتمتع بذلك ان متعت به الا قليلا ثم الله أشدّ بأسا وأشد تنكيلا (أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم انّ علينا بيانه) * وكان يقول من علم أنه لا إله إلا الله لم يبق لأحد عنده ذنب * وكان يقول من استضعف لايمانه فعاقبته التمكين وعلو الشان (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم) الآية

وكان رضى الله عنه يقول حقيقة الشكر لله أن يشهد العبد شكره لله تعالى من الله (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) ولا يشكر الله حقيقة إلا الله والعبد عاجز عن ذلك ومن ملك أخلاقه عبد خلاقه ومن ملكته أخلاقه احتجب عن خلاقه والعادة ما فيه حظ النفوس والعبادة ما كان محضا للملك القدوس من قرب وصيام ونور وقيام وأكل طعام فكل ذلك عند العارف عبادة ومن ملكته عاداته فسدت عليه عباداته ومن رفعت عنه العوائد فهو عارف أو مراد أو مشاهد ومن ذكر ربه بلسان الواحد المختار فقد أخلصه بخالصة ذكرى الدار ومن قال عند ظهور براءته من الريب (وما أبرئ نفسى * قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى)

﴿قال الشيخ أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه﴾ ان أردت أن تهجر اخوان السوء فاهجر أخلاقك السوء قبل أن تهجرهم فانّ نفسك أقرب اليك والأقربون أولى بالمعروف * وكان رضى الله عنه يقول لما علم أهل الله تعالى انّ كل نبات لا ينبت ويثمر الا بجعله تحت الأرض تعلوه الارجل جعلوا نفوسهم للكل أرضا ليعطيهم ما أعطى أصفياءه وأولياءه

﴿وقال سيدى على وفا رضى الله عنه﴾ كنية الشيطان أبو مرة تدرى من هى المرة التى هذا أبوها هى النفس سميت مرة لانها مادخلت فى شىء الا أفسدته * وكان رضى الله عنه يقول لا تهجر ذات أخيك ، ولكن اهجر ماتلبس به من المذمومات فاذا تاب من ذلك المذموم فهو أخوك

ويدل لذلك ماحكاه الشيخ محيي الدين بن عربى قال كنت أبغض انسانا لكونه يسب شيخى فلانا فرأيت النبى ﷺ فى المنام يقول لى لم تبغض فلانا يعنى ذلك الشخص فقلت لأنه يسب شيخى فلانا فقال أما علمت أنه يحب الله ورسوله وفى قلبه الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر فهلا أبغضت الصفة التى أبغضته بسببها وأحببته من حيث كونه (يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر) فقلت تبت

يارسول الله وجزاك الله من معلم خيرا * قال الشعرانى فالايمان فى قلب العبد كعمود من نور والذنوب والمعاصى كمعاليق علقت بذلك العمود فاذا أبغضت عبدا لمعصيته فليكن البغض لتلك المعصية لالذلك العمود

(وقال سيدى على وفا رضى الله عنه) لاتعب أخاك بما أصابه من معائب دنياك ، فانه فى ذلك إما مظلوم لينصرنه الله أو مذنب عوقب فطهره الله أومبتلى قد وقع أجره على الله * وقال رضى الله عنه من الرعونة أن تفتخر بما لاتأمن سلبه أوتعير أحدا بما لايستحيل فى حقك وأنت تعلم أن ماجاز على مثلك جاز عليك وعكسه * وكان رضى الله عنه يقول فى قوله ﷺ لن تروا ربكم حتى تموتوا لما كان ظاهرهذا هوالموت الطبيعى استصعبه الغافلون واستهونه المشتاقون فخفف عن الطائفتين بتوجيهه الى الموت المعنوى فقال ﷺ موتوا قبل أن تموتوا ، أى جردوا نفوسكم من الصفات المذمومة تقتلوها و يؤيده قول عمر رضى الله عنه فى البصل فان كنتم لابد آكليها فأميتوها طبخا يعنى اطبخوها حتى يذهب خبثها * وكان رضى الله عنه يقول الشيطان نار وحضرة الرب نور والنور يطفىء النار فلاتجاهده بأن تبعد معه عن حضرة ربك الحق ولكن جاهده بان تواجهه بنور ربك فان كان له نصيب فى السعادة انطفأت ناريته وعاد نورا مسلما لايأمرك الابخير والا أطفأه نور ربك وأحرقته شهبه فعاد رمادا * وكان يقول فى حديث ابن عمر انه عليه السلام قال له عدنفسك من الموتى يعنى كن بحيث ييأس منك كل كفور كما ييأس الكفار من أصحاب القبور لان الميت لابراح له من المثول بين يدى الله تعالى لايتصرف لنفسه فى شهوة ولاغضب ولايرى سوى ربه كيفما انقلب * وكان رضى الله عنه يقول ألق حبلك وأسبابك وما اعتمدت عليه من معمولاتك بين يدى الداعى الى الله تعالى حتى يلتقمها حكمه وحكمته فلايبقى لك عمدة الاعلى حقه ولاتوصل إلا بصدقه ليسرى بك الى ربك فى حالة محو نفسك ليلا ، ويخرجك من مواطن تحكم العدوّ الى مقامات حكم المولى فهناك لاتزلزلك الزلازل وان اشتدت هولا * وقال رضى الله عنه فى قصة موسى والخضر عليهما السلام ان للحق عبادا أقامهم لبيان المكتسبات وعبادا أقامهم لبيان الموهوبات ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر ولايشاركه فيما أقيم فيه وان كان أحدهما نبيا والآخر وليا * وقال رضى الله عنه الحظوظ الدنيوية زبالة فمن أظهر للناس ماعنده من الخصوصيات الربانية ليتوصل بذلك الى تحصيل حظوظه الدنيوية منهم فقدبرطل بالمملكة كلها على أن يصير زبالا * وقال رضى الله عنه أيها المريدون ان أردتم رضا ربكم و بسط نعمه عليكم فاجتهدوا أن يرضى عنكم العارفون واحذروا العكس فان العكس فى العكس واسئلوا الله توفيقكم * وقال رضى الله عنه المريد الصادق أوّل مايشهد فى شيخه الكمال يجده حضرة الحق التى بها أرواح أئمة الهدى أجمعين بالنسبة اليه ، ومن شأن الامام العادل أن لا يغفل عن تطهير قلوب المريدين الطائفين على مظاهر الحق أن طهرا بيتى للطائفين * وقال رضى الله عنه اطلب من نفسك الصدق فى معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنال منهم ماتريد ولاتطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك وتهمل أنت أمر نفسك فان ذلك قليل الجدوى * وقال رضى الله عنه من كتم سرّه ملك أمره ولم يكتم شيئا من أظهر من الأحوال مايدل عليه فلاتظهر لقومك الاماتعرف منهم قبوله منك (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوالك) الآية * وقال رضى الله عنه اذا علمت من أستاذك الاطلاع على جميع أحوالك فقد عرضت عليه

صحيفتك فقرأ فاما يشكرك و إما يستغفر لك ربك فاسمع لهذا وأطع وان أعطاك الله تعالى بصيرة عملت بذلك فقد أوتيت كتابك بيمينك وان خالفت مافيه فقد أوتيت كتابك بشمالك ، وان أغفلت النظر فيه فقد أوتيته من وراء ظهرك وحيث جاءك هذا البيان فاقرأ كتابك وحرر حسابك (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وأئمة الهدى فى أمان الله عز وجل وانما يبكون و يتضرّعون لأجل أتباعهم اما ليعلموهم كيف يعملون واما انها شفاعة غيبية ولاشك أن التعليم أيضا شفاعة فمن تعلم وعمل فقد قبلت فيه الشفاعة فانتفع ومن لا (فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين) * وقال رضى الله عنه اذا كان للحق بعبده عناية جعل سبب شقاء الأشقياء من أسباب سعادته بذنب فينكسر و يستحى و يتذلل و يذوق طعم الحجاب والبعد فيعرف قدر الوصل فيزداد شكرا فيزداد فضلا والمعكوس منكوس (ان الله يحكم مايريد) * وقال رضى الله عنه من كان خليفته يرشدك و يربيك فهو مربيك والى ربك هاديك ، فاعرف يامريد من هو مرادك و ياتلميذ من هو أستاذك والزم تغنم فان مبدأ حقيقتك الروحانية أحق بك من مبدأ لاحقتك الجسمانية ، فاذا علمت ذلك فقدم مبدأ حقيقتك الروحانية ، وقدم أمر مربيك فهو أحق بك وأرحم وأفرح بك من أمك وأبيك ومن كل شيء دونه «صاحب الشيء أحق بشيئه» * وقال رضى الله عنه علماء السوء أضر على الناس من ابليس لأنّ ابليس اذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدوّ مضل مبين فاذا أطاع وسوسته عرف أنه قد عصى فأخذ فى التوبة من ذنبه والاستغفار لربه ، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيفهم وجدالهم ، فمن أطاعهم ضلّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا فاستعذ بالله منهم وكن مع العلماء الصادقين * وقال رضى الله عنه من المتفقهين تستفيد دعوى العلم بأحكام الدين ، ومن العلماء العاملين تستفيد العمل بأحكام الدين ، فانظر أى الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين فاستمسك بها * وقال رضى الله عنه نية القربات تصير العادات والمباحات عبادات ، حتى انك ترى الجبة الصوف على أهل الله تعالى أحسن من الحرير على غيرهم وذلك لأنهم قصدوا بذلك وجه الله تعالى قال الله تعالى (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) لأن لهم فيها نية صالحة ولايفعلون شيئا الابنية صالحة * وقال رضى الله عنه أستاذك علم مكنون فلايقتدى به الاروحك ولابقاء لحىّ الابغذائه فافهم ، أنت أيها المريد غصن ، ونور أستاذك شمس يحييك ويربيك ومادام معلمك يولد عندك المعلومات بالتعليم فهو أبوك فاذا تحققت روحك بنوره صار علمه يتجلى لك ويكون فيك أبهة معلوماته وذلك هو الوحى وانما يوحى اليك ربك فاشكره واعرف فضله ومنته عليك * وكان رضى الله عنه يقول أستاذك أعلم بك منك لأنه هو حقيقتك ، وانما أنت ظلمة ومعرفتك بحقيقتك على قدر معرفتك باستاذك ومالم يرتفع منك حكم المغايرة لاستاذك فأنت بالحقيقة لاشك ضائع فارجع الحبر بك فاسئله * وقال رضى الله عنه صورة الاستاذ الناطق مرآة سر المريد الصادق اذا نظر فيها ببصيرته شهدها على صورة سريرته ، فأوّل مبادى المريد أن تتحلى طويته بسمات أهل الصلاح والولاية ، فاذا كشف لبصيرته عن أستاذه رأى صورة صلاحه وولايته فى صفاء صورة أستاذه فينطق أن أستاذه هو الصالح الولى فيستمد من بركات ملاحظاته المتوالية وهممه العالية ولايزال مطلبه من الأستاذ دعواته المنيفة وخواطره الشريفة فيتودد اليه تودد المتأنس حتى ينفخ اسرافيل العناية فى صور صورة قلبه روح التخصيص الأولى

فهناك يشهد أستاذه آدم الزمان ومالك أزمة الأكوان فيعظمه تعظيم الشاب لأبيه المهاب الى أن يسفر حجاب صورته الآدمية عن جمال ماخصه من الروح المحمدية ، فهناك يشهد أستاذه سيدا محمديا ويكون له عبدا ، ولا يجعل له فى سواه أربا ولاقصدا الى أن يغشى سدرة سر الأنوار الروحانية وينزع من البصر نزغة الزيغ وخطأ الطغيانية فينظر الى أستاذه فلايرى الا الواحد يتجلى فى كل مشهد على قدر وسع الشاهد فيصير عدما بين يدى وجود ومحوا فى حضرة شهود فأول أمره توفيق وأوسطه تصديق وآخره تحقيق وهذه النهاية هى بداية السعاية بقدم الصدق (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقال رضى الله عنه المخصوص بالله هو الذى نفذ من جميع الأقطار سره وجهره فلم يسعه غير الله ولم يسع الله غيره وغير المخصوص بالله بضد ذلك فهو مقيد فى الأرض أو السماء أو البرزخ أو الجنة أو النار ☆ وقال رضى الله عنه من ليس له أستاذ ليس له مولى ومن ليس له مولى فالشيطان أولى به والمريد من تحقق بمراده فى عين أستاذه ، ومن وافق أستاذه فى أفعاله طابقه فيما أخبر به من معارفه ومن خالفه فى أفعاله فقد المطابقة بتوهم معانى أقواله ومن كان مع أستاذه بلا اياه كان أستاذه معه بالله والمبعود من توهم أستاذه مخبرا عن غيره ومتكل بسواه والمريد الصادق عرش لاستواء رحانية أستاذه ☆ وقال رضى الله عنه كتب الله على نفسه أنه لايدخل قلبا فيه سواه ولا يظهر لعين رأت غيره فى مرآه ☆ وقال رضى الله عنه افلاح المريد مع أستاذه ثلاث علامات أن يحبه بالايثار ويتلقى منه كل ماسمعه منه بالقبول ويكون معه فى شئونه كلها بالموافقة ، ومن تقرب من أستاذه بالخدم تقرب الله الى قلبه بواسطة الكرم ، ومن آثر استاذه على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن نزه أستاذه عن النقائص منحه الله بالخصائص ومن احتجب عن أستاذه طرفة عين أوبقه الله فى موابق البين ومابين المريد وبين مشاهدة أستاذه الا أن يجعل مراده بدلا عن مراده ، ومن لم ينهه أستاذه عن نقائصه لم يفرح بحضرة خصائصه ومن لم يستحل مخاصمة الاستاذ لم يجد أبدا عروس الوداد ، وتبا لمريد جمح طبعه عن الدليل لقد ضل سواء السبيل (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ☆ وقال رضى الله عنه سبقت كلمة الله التى لاتتبدل وسنته التى لاتتحول أن لاينفخ روح علمه فى مخصوص الا انقسم الخلق له بين ملكى ساجد ، وشيطانى حاسد ، فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية محتاجا خاضعا لتسلم أو تعلم أو ترحم ، واياك أن تكون لهم مبغضا أو حاسدا فتسلب أو ترجم أو تحرم ☆ وقال رضى الله عنه قلب العارف حضرة الله وحواسه أبوابها ، فمن تقرب الى حواس العارف بالقرب الملائم له فتحت له أبواب الحضرة ☆ وقال رضى الله عنه فضل العقول فى ترك الفضول وهى كل مافضل عن الكفاية وهى محسوس ومعقول وكل مقصود غير ضرورى فهو من الفضول ، وكل وسيلة لايحصل مقصودها الضرورى بدونها فليست من الفضول فى شىء ويكفيك من الغذاء مايقويك على ما أمرك الله به ☆ وقال رضى الله عنه محل الشعر ظاهر الشخص لاباطنه ولو ثبت فى القلب شعرة واحدة لمات صاحبه لوقته ، فلا تشغل باطنك بشىء من ملاذك الدنيوية الجسمانيه وفرغ قلبك من الشواغل الفانية التى هى بمنزلة الشعر ، فالقلب بيت الواحد الذى من أشرك معه شيئا تركه وشريكه ، ومن وحده بالمحبة سكن قلبه بنور رب لاشريك له فى ملكه ، فمن أحب الله تعالى لم تساو الدنيا عنده رجل ذبابة من الذباب بل صغرت عنده الاكوان كلها فى جانب ذلك الجناب ، ومن أحب صورة عبدها فحب الله مخدوم لسائر الأحباب لاعبد شىء من هذه

الأسباب ومن أحب صورة التبس بها فلحب الله تخضع الرقاب ، فكيف يخضع لزينة ترابية من له هذا العز الهاب من كرم العلي الاعلى الوهاب (انا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) الصعيد هو التراب والجرز القاطع لما تعلق به تعلق اطمئنان واكباب ، فكن من الزاهدين فى الحظوظ الترابية الجروز فانت انك ظفرت بكنز الكنوز وكان رضى الله عنه يقول انما جعل الله لكم الارض بساطا ليعلمكم التواضع فتواضعوا تنبسطوا وكان يقول فى قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) الضمير فى قوله لعباده يعود على الرزق أى لو بسط الرزق لعباد الرزق لبغوا وهم الذين ليس لهم مكنة التصرف من الحكيم الربانى فتصرفاتهم مغلوبة بالحظوظ والشهوات فأرباب المكنة عباد الله الرزاق لاعبيد الرزق فافهم الفرق بين عباد الارزاق وعباد الرزاق هؤلاء الارزاق محتاجة اليهم فى كونها وعباد الارزاق محتاجون الى عينها بل الى أثر كونها ☆ وقال فى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) ان قال قائل لامغفرة الاحيث الذنب ، فالامر بالمسارعة اليها أمر به ☆ فالجواب ان هذا لايقوله امام هدى ربانى الاعلى معنى أنه أمر بأن يرى العبد نفسه مذنبا وان أطاع جهده لتحقق عجزه عن قيامه بتمام حق ربه على كل حال ، وأما على أنه يأتى الذنب فلا لأن المأمور به لا يكون ذنبا فافهم ☆ وقال رضى الله عنه من شهد أن القدوس هو القائم بالأمور لم يشهد فى الوجود إلا الكمال ومن انعكس انتكس ان لكم لما تحبون فاعبدوا ماشئتم ، وقال فى قوله تعالى (وكلمة الله هى العليا) أى لفظ الله هى العليا لأنه الاسم الأعظم الجامع لحقائق جميع الأسماء ☆ وقال رضى الله عنه من عرف الحق لم ير إلا الحق (فماذا بعد الحق إلا الضلال) ☆ وقال رضى الله عنه مهما رآه المأمومون فى أئمتهم من كمال أونقص فهو صورة باطن المأموم أشهده امامه إياها وللامام فوق ذلك مظهر آخر فاياك أن تظن نقصا بأهل الكمال فتقول عصى آدم ربه فغوى ، بل اعرف أن ذلك انما كان اظهارا لك كيف تتداوى اذا ابتليت فى صفاء تلك الحضرة وقس على ذلك ☆ وقال رضى الله عنه من عرف الحق فكل أوقاته ليلة قدر ☆ وقال رضى الله عنه من أحب أن يكون فى حفظ رب العالمين فليخدم بصدق أوليائه العارفين ☆ وقال رضى الله عنه ماأحب الله عبدا إلا ملأ قلبه استغراقا فى محبة مرضاته ، ولا كره عبدا إلا ملأ قلبه محبة لمكروهاته ☆ وقال رضى الله عنه روح المتعلم من روح المعلم وعقل المستفيد من عقل المفيد فرع من أصل ، وأيما مريد أراد الكمال بغير أستاذه فقد أخطأ طريق المقصود لأن الثمرة لاتكمل إلا بوجود النواة التى هى أصلها فكذلك كل مريد لايكمل الابوجود أستاذه متعينا عنده بحقيقة نفسه وروحه وقلبه وفؤاده ☆ وقال رضى الله عنه يخاف الباطل من عرف الحق ومن تعلق بغير مولاه ضره اما بأن يحبه فيشغله عن مولاه أو يكرهه فيشغله عن مولاه مابه حزنه فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ولايلتقى ربه ، وفيه تعلق بغيره ، فالخير كل الخير فى مفارقة الغير وجميع الأعمال انما شرعت تذكرة بمشرعها كى لاينسوه ولايصبوا الى غيره أقم الصلاة لذكرى فافهم ، ومتى شغل الانسان قلبه بالأكوان ذل وهان لأنه جعل نفسه عبد عبده ، ومن شغل نفسه بالرحمن عز لأنه رد نفسه الى غايته ومجده خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما خلق لأجلك عما خلقت من أجله ☆ وقال رضى الله عنه الكامل من يهضم نفسه حتى يزكيه ربه فاحذر أن تتبع من قال (أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ☆ قال الشعرانى معنى يزكيه

ربه ينزل فى قلوب عباده تعظيمه و يطاق ألسنتهم بحسن محامده ٭ وقال رضى الله عنه من أراد أن يخلد الله عليه ماخلعه عليه من المحامد فليضفها الى ربه ويحمده بها فاذا آنس من قلبه علما ، قال ربى هو العليم أو قدرة قال ربى هو القادر وهكذا كل المعانى واذا ذكرت ذنوبك فلا تقل عليها لاحول ولاقوة إلا بالله ولكن قل (رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى انك أنت الغفور الرحيم) ٭ وقال رضى الله عنه من تجمل بصحبة المعرضين عن ربه فقد نادى على نفسه بأنه ممن أهانه الله (ومن يهن الله فماله من مكرم ٭ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وأقبل بكليتك علينا تغنم وكل ماأغفل قلبك عن ربك فهو عدوّ لربك فمن أعرض عنه وتبرأ الى الله منه وتوجه بقلبه وجسده لربه فهو الاوّاه الحليم فانظر حالك فان صديق العدوّ عدوّ فلا تصحب غير من يحبه ربك وهو من يذكرك بربك ٭ وقال رضى الله عنه مادام المريد تحت حكم أستاذه فترقيته دائمة فان خرج عن حكمه اتكالا على ماحصل له منه قولا وفعلا فهو كالحجر المرفوع الى السماء مادامت تلك القوّة الرافعة مصاحبة له فهو متعال ومتى فترانحط الى الأرض فكن تحت حكم أستاذك تغنم ٭ وقال رضى الله عنه مهما أضمرته فى نفسك وكتمته عن الخلق فى خاطرك ظهر يوم تتقلب القلوب وتبلى السرائر فافهم واعمل أن لا يكون فى سريرتك إلا الحق تغنم ٭ وقال رضى الله عنه مرشدك الذى يهديك الله به لما هو الأولى بك عند ربك هو حضرة ربك به تقول وبه تفعل ومهما دعتك نفسك اليه فلا تعجل به قبل معرفة رضائه به ومهما دعاك اليه فبادر اليه ولا تتوانى فيه حتى ترضى به نفسك فانّ فوزك فى امتثال أمره لافى شهوتك ونواطق الأستاذين مطالع شموس حقائقهم ٭ وقال رضى الله عنه لاتأمن المعتقد فيك ولو أظهر لك من نفسه غاية السكون فانها انما سكنت حيث عقلها عقلها النظرى بعقال ظنى والظنون تتناسخ والاعراض لاتبقى فكأنك بالعقال وقد انحل أو تمزق ورجع المعقول الى توحشه وفساده والمحبون قليلون والمعتقدون كثيرون ، وماقل ونفع خير مما كثر وألهى ومن ظن أنه حصل على المراد بالاعتقاد فذلك الذى ضل بالله عن الله فى كل واد (ومن يضلل الله فماله من هاد) ومن علم أنه ليس إلا بالله الى الله يصل ، فهذا الذى هيهات أن يقف أو يضل (ومن يهدى الله فماله من مضل) وقال فى قوله تعالى (انى ذاهب الى ربى) أى انى عدم فى وجود ربى لاحول لى ولاقدرة انما أمرى كله لربى فافهم فما ثم إلا الله فى الحقيقة متى ملأك به أوجدك كل شىء ٭ وقال رضى الله عنه فضل مرشدك الى الله على كل ماترجوه من امداده كفضل الله على عباده فان مرشدك الى الحق هو عين الحق التى ينظر بها اليك ووجهه الذى يقبل به عليك فاعرف والزم وانظر ماذا ترى وقال رضى الله عنه لايصح تجردك عن نفس خلقك مابقى لك شغل شاغل بمحبة مخلوق عن حقك فدع الدنيا للغافلين والبرزخ للجائزين والجحيم للشياطين والجنة للجان وقل (سلام قولا من رب رحيم) ومن تنبه لنقصه لم يقنع بالقال عن الحال ٭ وقال رضى الله عنه لايظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله لأنه يوصلك إلى الله فسلم له ان وجدته تسلم وتغنم ، فأستاذك بالنسبة اليك هو فضل الله عليك ورحمته بك فتحققك به خير من جميع مااستفدته (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ٭ وقال رضى الله عنه من رأيته على عظم مرتبته وعلو قدره عندك يتواضع لعظمة الله ويتصاغر من خشيته علما وحكمة فالزم قدمه فانه الذى ينفخ الأنوار النورانية فى صور صورك وسلام على إسرافيل وماأدراك ماإسرافيل والسلام على من اتبع الهدى ٭ وقال رضى الله عنه

اثبت تنبت فما نبتت شجرة قط قطعت زمانها فى التنقل من مغرس الى مغرس ، واذا أردت التحقق بالأحد فتهيأ افناء مراتبك الخارجية كلها وان من دون ذلك أهوالا (مايلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلاذو حظ عظيم) فكن اما فى مرتبة تحقيق واما فى مرتبة تصديق واحذر مادونهما ، ومن قتل نفسه الردية بالتجرد فما أبدل مكانها نفسا زكية فان قتل نفسه الزكية بتجريدها عن الدعوى بل عن شهود الثنوية لها مع الله فاذا تجردت عن ذلك فقد تقرب العبد حينئذ الى ربه بنافلته فأحبه فكان له بروحه مكان اثنيته التى تجرد عنها لشهود وحدة هويته وتلك الروح خير من تلك النفس الزكية زكاة وأقرب رحما ومهما تحققه المحقق عندك من الأنوار ، فاعلم أن ذلك تجل من تجلياته وأن الذى تعين به من ذلك فى ادراكك تمثل من تمثلاته وذلك المحقق هو أجل حقائق وجودك الذى قام بها فى شهودك ☆ وقال رضى الله عنه المريد عين من عيون أستاذه بالنسبة الى أستاذه ، والأستاذ حقيقة وجود المريد بالنسبة الى المريد والوجود فى الكل واحد محيط ، ولذلك يتحقق المريد بأستاذه فى معانى الكمال وجودا ويتحقق الأستاذ بمريده فى مدارك المتعرفين شهودا ، ومن ثم قال السيد الكامل لمريده الكامل أنت منى وأنا منك ☆ وقال رضى الله عنه من كان لايرى من استاذه الاوجه البشرية فلايزيده ماكشف له من الحق المبين الا اعراضا وتكذيبا ونفورا . ومن ثم لاتجد محققا يظهر لقوم الامن حيث يشهدونه ، ومادام فى ظهور المماثلة لهم لايكلمهم الابلسانهم ولايزنهم الابكيلهم وميزانهم ، ومن ثم قال النبى ﷺ لعموم أصحابه «لاتفضلونى على موسى ولاتفضلونى على يونس» وقال لخواص أصحابه انه أفضل من جميع المرسلين والملائكة المقربين ، وهكذا كل ولى لايقبل منه الاما كان على نهج طريقة النبى ﷺ من تكليمه كل فريق بلسانهم ووزنهم بميزانهم وكيلهم بكيلهم ☆ وقال رضى الله عنه من ادعى له ملكا دون سيده فى شىء من الأمور فقد خان وافترى وكان عليه فتنة ، ومن اعترف بأن جميع مالديه من النعم ملك لسيده جعله عاملا فيه فلا يستكثر عليه مايكثر الاجاهل وانما الانكار موضع الفتنة والاستدراج على من زعم ان مافى يده له وتأمل قوله ﷺ «أعطيت مفاتيح خزائن الأرض» فكان يعلم أن العبد كلما كثر مافى يده كثر فضله واتسع على غيره وكثر فضل الله عليه فاضافة الأموال الى العبد كاضافة الاقليم الى العامل عليه ☆ وقال رضى الله عنه مادامت الملوك مطيعة للاولياء الذين هم العلماء بالحق وأمرهم بينهم نافذ قائم فأمرهم فالح ونظامهم صالح ونورهم واضح ، ومتى انعكس الأمر انتكسوا لأن الاولياء هم ورثة الانبياء على التحقيق ، وأما حملة العلم المولدين للمسائل على وفق الاغراض واتباع الاهواء فليسوا فى هذا الامر فى شىء وانماهم كما وصف الذين حملوا التوراة ، ثم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) فالصواب الانتفاع بمحمولهم من غير تحكيم لهم ولارجوع لرأيهم ولاتمكين لهم من تصرف اذ الحمار للحمل وللانتفاع لا لأن يحكم أو يسمع له أو يطاع ☆ قال الشعرانى ولعل مراد الشيخ قوم ينتصرون لأهوائهم بالباطل كالواضعين للحديث ترويجا لبدعهم وليس مراده بهم هؤلاء العلماء الذين نصبهم الله لاقامة الشريعة ، وقال رضى الله عنه أئمة الهدى فى الحقيقة أرواح مقدسون يتحولون فى بشرياتهم فمن نظر الى ظاهرهم تحير ، ومن نظر الى نور بواطنهم تبصر وورثة النبى ﷺ فى كل زمان هم أنوار أزمنتهم سراجيتهم المقتبسة بالتخصيص من سراجية المشار اليه بقوله (وسراجا منيرا) فماداموا ناطقين ظاهرين فالنور ظاهر شائع والأبصار مدركة والفرق واضح

بين المفاسد والمصالح ، ومتى سكتوا عن بيان الحق تلفوا وتحيروا واختلفوا فلاتقابل سراج زمانك بالاهواء وارع له حقه تدم لك الاضواء ، ومن شرط امام الهدى أن يهاجر بهمته عما تشتهى الأنفس البشرية ألاترى الى آدم عليه السلام ما أعطى الخلافة الا لما هاجر من الجنة ومافيها من شهوات النفوس الى الأرض وهكذا كل من أريد الحق فانه لايقوم به حتى يخرج ويهاجر بهمته عما يشغل عنه (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) * وقال رضى الله عنه اذا قال الجهور عن عارف لم لايظهر معارفه العزيزة الالهية الافى مقام خاص بين قوم خاصين ، ولم لايظهرها للناس يتكلم بها على الجهر للجمهور ان كانت حقا كما يزعم فقل لهم افهموا هذا المثال ، الدنيا غابة والنفوس المحجوبة عن حقائق الحق المبين فيها سباع ووحوش كواسر ، وصاحب القلب السليم أوالسميع الشهيد بينهم كانسان دخل ليلا فى تلك الغابة وهوحسن الكلام والقراءة والصوت ، فلما أحس بما فيها من السباع أوى الى شجرة يختفى فيها منهم ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هناك حذرا منهم فهل يدل اختفاؤه عنهم على انه حكيم أوعلى انه غير انسان لاوالله لانه لوتراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيقه وأكله ، وكان هو الملقى بيده الى التهلكة فافهم هذا المثال وقل للمعترض المذكور قدقال الله تعالى لمحمد ﷺ (ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها) فأمره أن لايجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم ولايخفيه عمن يؤمن به فهل يدل اخفاء النبى ﷺ قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته أو يقدح فى حقيقته ، ثم اذا تهيأ لهذا العارف أسباب اظهار أمره بما ينقهر له المنكرون ويقرون له طوعا أوكرها فحينئذ يظهر عرفانه فى الملأ اتباعا واقتداء باظهار القرآن عند تهيىء أسباب اظهاره بكثرة أنصاره وتمكينه كما أن الانسان لاينبغى له مقابلة السباع والظهور لهم حتى يتهيأ له أسباب القهر لهم من قوة ومكنة وانصار فان قال المعترض فلم لايترك هذا العارف اظهار معارفه ويدخل فيمافيه الجهور حتى يتمكن ويقوى فيكون أسلم له ؟ فقل له ان ورثة النبى ﷺ لايخالفون أمره ، لأن نوره أمام نفوسهم فحيث سلك سلكوا فكما أخفى رسول الله ﷺ مامعه من الحق وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه أمر الله تعالى له باظهار مامعه فكذلك ورثته ، وقل للمعترض أيضا أرأيت لوأنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لأمرهم أينبغى له أن يوافقهم على جنونهم فيتجان مثلهم ويذهب نور عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار منهم بعقله ، وقل له أيضا أرأيت الانسان الكائن بين الكلاب الضوارى اذالم يرضوه بينهم حتى يمشى مثلهم مكبا على وجهه ويعوى كعيهم ، أينبغى له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه وهو يمكنه الفرار منهم ، والحذر منهم مع بقائه على طريقته الانسانية لا والله لاينبغى للقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضى أهل الشر ويقيم معهم (فالله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) فنعوذبالله أن نرد على أعقابنا بعداذهدانا الله فافهموا أيها المريدون (ولايستخفنكم الذين لايوقنون) واياكم أن يلبسوا عليكم دينكم بجدالهم فى الحق بعد ماتبين ، ومن عرف الحق فليلزم * وقال رضى الله عنه أقل حال المريد مع استاذه فى حياته أن يكون لاستاذه كالأم لولدها يؤثره بالراحات ويحمل عنه المشقات ويحبه على جميع أحواله وهكذا يكون الاستاذ لمريده فى معنوياته فافهم ، فان امام هدايتك يهتم بأمرك عند ربك أكثر من اهتمامه بنفسه فهل يرحمك هكذا أب أومألوف سواه وتأمل قول موسى عليه السلام عن عصاه (وأهش بها على غنمى) لم يقل احتط بها أمر حاجتى من الثمر

وانماذكر أمر رعيته ذكر شكر فى حضرة المنعم وماقال (أتوكأ عليها) الاظهارا للضعف والعجز (ولى فيها مآرب أخرى) انما أجمل ماله فيها من المآرب كى لاتحصرها مرتبة عددية فيكون امدادها محصورا فهكذا اذا لم يعد أستاذك خدمك فاعلم انه أراد أن يجبرك من كسر نقص الحصر الى كمال الاطلاق (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فتأمل ذلك ☆ وقال رضى الله عنه المقصود الخلوص من حكم الحجاب لامن صورته ألا ترى الزجاجة وسائر الأجسام الشفافة ، كيف هى صورة حجاب يمنعها وصول الأجسام الى مافى باطنها وليس لها حكم الحجاب بالنسبة الى ظهور الضوء المختزن فيها ونفوذ البصر الى مافى باطنها وانظر الى قوله عليه السلام «فرفع لى كل حجاب» أى خلصت من منع كل مانع وصورته الاحتجاب العزة التى تلى الرحمن وهو مظهر حكم العبودية ☆ قال فى الحديث فخرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر فقال من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر فانظر كيف حصل فى صورة الحجاب ورفع عنه حكمه حتى عرف المتكلم من وراء الحجاب فبحق قال (وماصاحبكم بمجنون) أو ماهو بمحجوب والله أعلم ☆ وقال رضى الله عنه يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعد المريدون عند ربهم وأنوار المريدين رقائق أنوار أستاذيهم وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم فكما أنه ليس فى مرآة البدر إلا الشمس فيضئ الليل كله كذلك ليس فى المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولى كله فافهم واعرف والزم تغنم ☆ وقال رضى الله عنه أدنى التقوى الاحتجاب بالحسنات عن السيآت وأعلاها الاحتجاب بالحق عن الخلق وغايتها الاحتجاب بشهود الله الأحد عن رؤية ماسواه فافهم ☆ وقال رضى الله عنه اذا تجلى سر الوجود بمخصوص فى زمان فقام به ناطقه نادى منادى تخصيصه فى ملأ الأرواح والمعانى ان الله تعالى قد بنى لكم بيتا فحجوه فتأتى وفود المعانى والأرواح الى ذلك الناطق من كل فج قريب وعميق ليشهدوا منافع لهم بالتكميل بين يديه ويذكروا اسم الله الذى يلقيه اليهم زيادة الهية على مارزقهم قبل ذلك وأطال فى ذلك ☆ وقال رضى الله عنه جميع ماتراه من المخصص راجع اليك فمن رآه زنديقا فذلك الرأى هو الذى سبق له فى الغيب الأزلى انه زنديق لأن المخصص مرآة الوجود وان رأى أنه صديق فهو الذى سبق له انه صديق ، وأما حقيقة ذلك المخصص فلايراها الا هو فى كماله أومن هو محيط به فافهم واعرف الحق لأهله واشهده فى مظاهره والزم القيام بحقه على قدر طاقتك تسلم وتغنم والله تعالى أعلى وأعلم ☆ وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (ماودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى) القلى البغض والتوديع البعد أى عدم قلاك خير لك من عدم توديعه لك فماودعك ربك هى الأولى من هاتين الكلمتين وماقلى هى الأخرى منهما والآخرة خير من الأولى وانما كان كذلك لأن البعد مع المحبة والرضا خير من القرب مع البغض والغضب فافهم فمن جعل آخر أمره فى كل حال خيرا من أوله فهو محمدى له نصيب من كنز (وللآخرة خير لك من الأولى) وأطال فى ذلك ☆ وقال بعضهم وللحظة المتأخرة خير لك من المتقدمة لترقيه ﷺ فى المقامات عدد اللحظات ☆ وقال رضى الله عنه فى حديث من اغبرت قدماه فى سبيل الله بعد الله وجهه من النار سبعين عاما يدخل فيه من مشى مع ولى لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته فان الله تعالى يبعد وجهه عن النار حقا ☆ وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) أى ومنكم من يريدنا لايريد سوانا . وفى الآية دليل على أن المؤمن قد يريد الدنيا ولا يقدح ذلك فى أصل ايمانه

وكل من كان يريد النعيم الجثمانى بعد الموت فهو يريد الدنيا فأهل الله تعالى مجرّدون عن المقامين فلم يريدوا الدنيا ولا الآخرة لتعلق همتهم بلا أين ، ومالا يقبل الشركة والبين لاينقسم الى اثنين لأن الأحدية الفردية أمر ذاتى له لاقبله بعده ولامعه عدد وأطال فى ذلك ☆ وقال رضى الله عنه كما أن للعبد من مولاه وجودا فكذلك للمولى من عبده شهود أنت منى وأنا منك فافهم واعرف والزم والمراد من العبد ذله الذى يظهر به عند ربه ، ولذلك أمره بالتعبد فاذا فعلت مايريده منك ربك فعل لك ربك ماتريده منه فاجعل مرادك منههو (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ☆ وقال رضى الله عنه اذا بعت نفسك لمولاك فلاتخف عنه شيئا من عيوبك فان البائع اذا بين وصدق بورك له فى بيعه واذا كذب وكتم محقت بركة بيعه ، والمشترى اذا اشترى بعد بيان العيب لم يسغ له أن يرد السلعة واذا اشترى من غير بيان كان له الرد ، ومن ثم جاء فى الخبر الصحيح «من اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» ☆ وقال رضى الله عنه متى رأيت مظهرا من مظهر الحق المبين فى وصف من الأوصاف فتوجه اليه بقلبك بوجه صدق ومحبة واجعل نفسك له عبدا خالصا لله تعالى فان لسان الحال منه ينادى على أسماع الافهام فى ذلك الوقت قال الله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وحسب الذى صار عبدالله أن العبد من مولاه وكفى من كان محبالله أن المرء مع من أحب ☆ وقال رضى الله عنه لسان حال كل أستاذ ناطق بالحق المبين يقول لكل مريد صادق تقرب الى حتى أحبك فاذا أحببتك رأيتك أهلا لى فظهرت فيك بما أنت مستعدله ☆ وقال رضى الله عنه اذا جئت الى أئمة الهدى فلاتأتهم الا لتهتدى بهم ولا يحصل ذلك الا بأن ترى نفسك على غواية وأنت مضطر الى كشف غمتها بنور روح الهداية (أمّن يجيب المضطر اذا دعاه) ☆ وقال رضى الله عنه من قام به روح العليم الحكيم تمام القيام فهو آدم عباد الله تعالى فى زمانه فيجب عليه القيام بمصالحهم كما يجب للأولاد على أبيهم ومن ثم لم يسع الأقطاب وأئمة الهدى أن يعتزلوا الناس ويقطعوا عنهم مدد رحمتهم ورشد حكمتهم فحاشا مثلهم أن يضيع من يعول (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) ولولا أوجبت لهم الرحمة ذلك والا فلم (صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) ☆ ولكن كتب ربكم على نفسه الرحمة) ☆ وقال رضى الله عنه لولم يصر صدر أبى بكر من رقّ الوهم عتيقا لم يسع ماصبه الصدر المحمدى فيه من التحقيق ، وهو يشير الى قوله ﷺ «ماصبّ الله فى صدرى شيئا إلا صببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه» ثم قال وهذا أصل تسميته عتيقا ☆ وقال رضى الله عنه من أراد أن يظهر فى هذا الوجود دون سيده فجزاؤه الخفاء عكس ماقصد ، ومن طلب الخفاء ليظهر مجد سيده جوزى بالظهور وتفرد الكلمة ☆ وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) شاكلته هى مرتبته الوجودية فلا يمكن كائن أن يخرج عن حكم مرتبته الوجودية وانظر كيف من شاكلته مرتبته جهل وحجاب كيف كلما توغل فى الفنون العلمية وتبحر فى الكشوفات النظرية لايزيده ذلك إلا شكا فى الحق وبعدا عن الصواب ومن شاكلته مرتبة علم وكشف كلما اعترضته الشكوك والأوهام انفتح له فيها أعين يبصر بها الحق ويرى بها الصواب اما بالهام أو بفهم عن تعليم وانظر من شاكلته شاكلة ضعة كيف يتكبر فلايزداد بتكبره فى النفوس إلاضعة وهومذموم مأزور ومن آخر رتبة شاكلته عزّ فلايزيده التواضع إلا عزا وهو ممدوح مأجور ☆ وقال رضى الله عنه أول من وصف بالحسد بغيا والغرور حقدا وحسدا وسوء الظن بربه والتحكم على أمر سيده ومعارضة علمه واختياره بهواه ووهمه هو

ابليس

ابليس فمهماوقع ممن بعده شئ من ذلك فهو قرين ابليس فان لم يعمل بقول ذلك القرين فهو محفوظ منه والافهومصروع معه ، وكلماقلت قرناء السوء كثرت القرناء الكريمة * وقال رضى الله عنه المعانى أرواح الأعيان فما أرواح الكلام إلا ماتبين فيها من الأحكام والحكم وعلى قدر علو هذه المعانى تكون حياة كمال هذه المثانى ، فمن منع العارفين بانكاره العنيف أن يبينوا فى الحديث الكلامى مايأتون به من معنى لطيف وروح شريف ، فانه عدوذلك الكلام بجهله يريد أن يذره ميتا دراسا وهو يحب أن يحفظه من اللغو والتحريف فيا أيها العارف اذا رأيت من هذا شأنه فأنزله الى اللفظ الذى ليس عنده من الحق سواه وأت أنت بمواجيدك وما أحوج العارفين الى التعرض من اظهار معارفهم فى مظاهر ظواهر النصوص التى ليس مبدأ الفكر من الحق سواها ، فان نفوس غالب الناس كثيفة ومشاهد الحق شريفه ولايؤذى الأستاذين بالانكار إلا أصحاب النفوس الكثيفة * وقال رضى الله عنه مدد أمر الأستاذ حبة وضعها فى أرض قبول تلميذه وسقاها بتفهيمه وتأييده فمهما ظهر من التلميذ أوعنه من ذلك فهومن ثمرات تلك الحبة ونتائج الحبة وثمراتها ، وان كثرت أنما هى ملك لغارس الحبة أرض يستحقها فكل ماللتلميذ من أمر رشده فانما هو فى الحقيقة حق لأستاذه فلايظن مريد أنه ظفر بشئ لم يظفر به أستاذه ومن ظن ذلك فهو جاهل * وقال رضى الله عنه انظر الى السحاب كيف يتفرق و ينحط لجهة التراب فاجعل نفسك بالعبودية ترابا يخدمك من جعل نفسه بالرياسة سحابا * وقال رضى الله عنه التراب محل الراحة (ومن آياته ان خلقكم من تراب) وانظر الى الاشارة فى تكنية على بابى تراب تجد العلو فى التنزل من لم يطرح نفسه فى التراب لم يسترح * وقال رضى الله عنه من شهد أن الأمر كله لواحد ثم فعل غيره و إيجاده مطابق معلومه ومراده لم ير فى العالم الا صادقا مطابقا فليس عنده فى العالم الا الصدق لاضده * وقال رضى الله عنه من توهم فى نفسه الكبرياء والعظمة فلافرق بينه و بين من قال (انى إله من دونه) وكفى بذلك افتراء ، وكان يقول فى حديث أعوذ بك ان اغتال من تحتى أى أعوذ بك أن يتغلب على من مرتبته دون مرتبتى بتحكمه حتى يخرجنى من نفوذ حكمى بالدخول فى قيود حدود مرتبته ، فهذا هو الاغتيال من تحتى وهذا هو حقيقة قوله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) * وقال رضى الله عنه المحقق المجرد المطلق يخاطب أهل كل مرتبة بلسانها (وكل شىء عنده بمقدار) فيخاطب أهل الخبر بخبرهم وأهل النظر بنظرهم وأهل الذوق بذوقهم * وقال فى قوله تعالى (فان اتبعتنى فلاتسئلنى عن شئ) الآية أى لأن الكمال للتابع أن يتحقق بمتبوعه وطريق ذلك المحبة والتعظيم ومن توابعها مطابقة ارادة المحب لارادة محبوبه فلايسبقه بقول ولافعل وأيضا فان التابع اذا سأل متبوعه عما لم يحدث له منه ذكرا فقد تقتضى حكمة المتبوع أن لايجيب التابع عن ذلك فان أجابه حصل له الضرر من مخالفة الحكمة وان لم يجبه فلا يأمن من ثوران نفس التابع فيكدر عليه صفاء المودة و يقطع عليه طريق المطلوب من متبوعه * وقال رضى الله عنه من سياسة الداعى الى الله تعالى أن يؤلف الناس عليه أولا بالاحسان وطيب الكلام وتخفيف المأمورات ، فاذا رسخوا فله التحكم عليهم كيف شاء ، وعليه يحمل أمر بعض العارفين لمريده أن يعتزل زوجته وأولاده وعشيرته اذا خاف عليه الفتنة والشغل عن الله تعالى ، ولهذا وجبت الهجرة من أرض الفتنة * وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (ان الله لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء) هذه الآية تدل على نفى الجهة عن الله تعالى . وجه الدلالة ان قاعدة الترقى تقتضى أن يكون الاطلاع

على مافى الأرض للأرض أقرب من الاطلاع على مافى السموات فلوكانت السماء جهة لله تعالى لم تؤخر فى الآية اذلا يحسن أن يقال لايخفى عن الملك شىء فى البلاد القاصية ولافى بيته أو بلده وانما يحسن أن يقال لايخفى عليه شئ فى بلده ولافى البلاد القاصية عن بلده فلوكان للحق جهة لاقتضت هذه الآية جهته لكن نحن متوافقون على أن الحق تعالى منزه عن جهة الأرض ، والآية تدل على أنه منزه عن جهة السماء فمافوقها ولاجهة غيرهما فلاجهة للحق أصلا فافهم ٭ وقال رضى الله عنه من نسب الى نفسه الامكانية أى مايزول و يفنى فقد نسبه الى محل الزوال والفناء فهو عرضه الزوال والمحو ، ومن نسب الى مولاه الحق الواجب فقد نسبه الى حضرة البقاء والدوام ، فهو فى مراتب البقاء دائما فانسب الى نفسك أيها العبد ماتحبه أن يزول و يفنى وانسب لربك ماتحب أن يدوم و يبقى ٭ وقال رضى الله عنه من شغله الحق به لم يشغله عن شئ أقامه فيه من الخلق لأنه فى ذلك بظاهره واما باطنه فعند ربه يقول الله عز وجل فى العبد اذا نام فى سجوده أنظروا الى عبدى جسمه بين يدى وروحه بين يدى فيباهى به ملائكته حيث لم يشتغل بسجوده عن معبوده ٭ وقال رضى الله عنه اذا دعوت ربك ولم تجب فذلك لعدم صدق اضطرارك عند الدعاء كما وجب ، ويجب على أئمة الهدى أن لايقطعوا مددهم وغذاء حكمتهم عن العباد فانهم عيالهم والكريم لايضيع عياله ٭ وقال رضى الله عنه السر فى المتكلم لافى كلامه فمتى انبسط المتكلم الى السامع انشرح له كلامه وان قل ومتى انقبض المتكلم لم تنبسط للسامع معانى كلامه وان كثر ، والكلام صفة المتكلم فمن وجد الموصوف وجد صفته والافلا اذالصفة متى انفصلت عن موصوفها زالت مرتبتها وغاب عنها موصوفها وقوّة الاعتقاد موجبة لقبول النصح وعدم الاعتقاد أوضعفه موجب للرد ولابد لكل امام حق أن يقابله امام باطل الا نبينا ﷺ فانه لم يكن له مقابل حقيقة لانه حق قذف به على الباطل فاذاهو زاهق ولم يعدوا أبا جهل له مقابلا ، ولهذا قال أبوجهل والله انى لأعلم ان محمدا صادق ٭ وقال رضى الله عنه العارفون يظهرون مواجيدهم للناظرين فى مرايا الأدلة المقبولة عندهم والنظار يأخذون مواجيدهم من تلك الأدلة المقبولة ٭ وقال رضى الله عنه محبة الله قطب والخيرات كلها دائرة عليها ٭ وقال رضى الله عنه لسان الكسب يقول (ماعندكم ينفد وماعند الله باق) ولسان الوجود يقرأ (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها) ٭ وقال رضى الله عنه من استضعف لايمانه فعاقبته التمكن وعلو الشان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض) الآية ٭ وقال رضى الله عنه ماعبدالله أحد إلا على الغيب لكن فتح لك الشرع فى الذوق الشرعى المحمدى بابا الى الجمع بأن تشهد كل شئ من معبودك حتى عبوديتك فتراه هو الذى يجرى تلك الأحكام عليك و يقيمها فيك بقيوميته فتصير عند شهودك هذا تعبده كأنك تراه لأنك لورأيته رأيت وجودك القائم بجميع صفاتك وسمى اللسان المحمدى هذا الشهود مقام الاحسان وليس بعده إلامقام الايقان وهو العيان وكلامه رضى الله عنه فى هذا الباب كثير

«توفى سيدى على وفى رضى الله عنه سنة سبع وثمانمائة وعمره ثمان وأربعون سنة»

﴿قال﴾ سيدى محمد أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه من علامة المرائى اجابته عن نفسه اذا أضيف اليه نقص وتنقيص الصالحين من أهل زمانه اذا ذكروا والفقراء يراءون بالأحوال والفقهاء يراءون بالأقوال ، ومن طلب الشهرة بين الناس فمن لازمه أن يرضيهم بما يسخط الله عز وجل وأن

يصحبهم لهواه لالله عز وجل والعارف يمو حاله حال حياته ولا يشتهر الا بعدمماته ، والعارف كلما علا به المقام صغر فى أعين العوام كالنجم يرى صغيرا وانما العيب من العيون ☆ وقال رضى الله عنه اذا أردت أن تفتح كنزا فاياك أن تلهو عن صرف العوائق أو تغفل عن العزيمة قبل حضور صاحب الكنز ، فاذا فتحت الكنز فاياك أن تشتغل بشىء من الأمتعة عن الملك بل اجعل قصدك الملك لاغير حتى يهبك الخاتم خادم الاستخدام ان شاء فان لم يعطك الملك سر الخاتم فانما ذلك لكونه يريد اتخاذك جليسا له ، وذلك أعظم من سر الخاتم فان جليس الملك لايحتاج قط الى استخدام ولاتعب ☆ وقال فى معنى قول العارفين ان للربوبية سرا لوظهر لعطل نور الشريعة المراد به الفناء واعطاء سر التكوين ، وان العبد يفعل ماشاء يعنى لوأعطى العبد ذلك لتعطلت أفعال الشريعة كلها و بطل القول بالكسب واختل النظام ☆ وقال فى معنى قول بعضهم يصل الولى الى حد يسقط عنه التكليف المراد به سقوط كافة الأعمال ومشقتها من باب أرحنا بها يابلال ☆ وقال فى قول سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه ☆ وكل بلا أيوب بعض بليتى ☆ ان بلا أيوب عليه السلام كان فى الجسد دون الروح و بلاء العارف فيهما جميعا ☆ وقال فى معنى قول بعضهم مقام النبوة فى البرزخ دون الرسول ودون الولى ان النبوة تعطى الاخذ عن الله بواسطة وحى الله ومقام الرسالة يعطى تبليغ ماأمره الله به للعباد ومقام الولى دونهما ومقام الولاية الخاصة أخذ عن الله بالله من الوجه الخاص وهذه الحقائق الثلاثة كلها موجودة فى الرسول ، أى فيمن كان رسولا ولاتظن ان أحدا من أهل الله تعالى يعتقد تفضيل الولاية على النبوة والرسالة ☆ وقال فى انكار بعضهم على من قال حدثنى قلبى عن ربى لا انكار لأن المراد أخبرنى قلبى عن ربى من طريق الألهام الذى هو وحى الأولياء وهو دون وحى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا انكار الاعلى من قال كلمنى الله تعالى كما كلم موسى عليه السلام ففرق بين أخبر وكلم يامن أنكر وتوهم ☆ وقال رضى الله عنه أقسم الحى القدوس أن لايدخل حضرته أحد من أصحاب النفوس واحذر أن تخرق سور الشرع يامن لم يخرج عن عادة الطبع ، واحذر أن تقول أنا مطلوق من الحدود لأنى دخلت حضرة الشهود ، فان الذى دعاك هو الذى نهاك ☆ وقال رضى الله عنه أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم متأسف عليهم بعدمماتهم وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم ☆ وكان رضى الله عنه يقول لأصحابه عليكم بالتسليم للفقراء فيما ادعوه من المقامات والأحوال ☆ وكان رضى الله عنه يقول من تحقق فغاب فى الحضرة الالهية وانمحق وصفه بوصفها خرج من الاعتماد على عمله وعلمه وعن كل شئ من بقايا كونه وكينونيته التى كان بها مع معية وجوده تدقيقا وتحقيقا لابباطل وهمه فى اثبات وجوده ، والاعتماد على العمل أول عائق يقع لأصحاب السلوك فى بدايتهم وذلك من غلبة الوهم على وجودهم وتراكم الخيال على مرايا عقولهم فلا يخرجون من ذلك الا بنور الكشف بأن الله تعالى خالق لأعمالهم ☆ وقال رضى الله عنه قد ادعى أقوام محو آثار البشرية فأخطئوا الطريق فان الأكابر من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وصلوا الى محو الصفات البشرية وماتركوا قط شيئا من الواجبات الدينية علما منهم أنها اختيار الرب لهم ودعوته لهم حين أذن لهم أن يأتوا بها ومن كان بأمر سيده كان بغير أمر نفسه فافهم معنى الفنا يامن وقع فى العنا (ومايعقلها الا العالمون) ☆ وقال رضى الله عنه علامة الخروج من الشىء تعسره وعلامة الدخول فى الشىء تيسره فمن صدق فى خروجه عن الدنيا

تعسرت أسبابها عليه فلا يتيسر له الا ما كان على اسم غيره

﴿وقال رضى الله عنه﴾ لا تطلب الأكوان فانها ما خلقت بالاصالة الا لك وأنت خلقت لربك فان طلبت ما خلق لك وتركت ما أنت مطلوب له انعكس بك السير وان أقبلت على ربك طلبتك الأكوان بنفسها وخدمك كل شيء ، وقد قال الحق لسيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه فى منامه ماتريد يا أحمد ، فقال أريد ما تريده قال تعالى لك المراد ولك منى كل يوم مائة حاجة مقضية ☆ وكان رضى الله عنه يقول اذا فتح على السالك فتح التعرف لا يبالى قل العمل أو كثر ☆ وقال رضى الله عنه وقوع بعضهم فى بعض المحرمات ليستتر بها عن أهل الزمان يقاس على من لم يجد ما يسيغ به اللقمة الا الخمر قاله الغزالى ، قال واذا ساغ ذلك لأجل حياة دنيوية ، فاولى ما يفوت به حياة أخروية . لا يقال ارتكابهم فيه يوقع الناس فى سوء الظنون بهم وهو حرام . لانا نقول ان من أخلاقهم العفو والصفح وعدم المؤاخذة بل هم رحمة بين أظهر العباد ، وقال الشعرانى ولو سامح العبد فحق الله باق من حيث أنه تعدى حدود الله تعالى فالاشكال باق ☆ قال بعض العارفين ولا مانع من عفو الله عن ذلك الظن السيء حيث كان حصوله نشأ من شبهة أوقعت صاحبه فيه ☆ وقال رضى الله عنه لا تصلح العزلة الا لمن تفقه فى دينه ، وقد كان السلف يشتغلون أولا بالعلم الى سن الأربعين ثم يعتزلون للاستعانة بالعلم على العمل بما علموا ☆ وقال رضى الله عنه دليلنا فى القول بالخلوة ما صح انه ﷺ كان يختلى فى غار حرا حتى فاجأه الوحى ، فدل على أن الخلوة حكم مرتب عليه الوحى وذريعة لمجيء الحق وظهور نور الله ☆ وقال رضى الله عنه من شرط الخلوة الطى يعنى ترك الأكل أو تقليله وله تأثير كبير ، واختار القوم الأربعين ، لأن الأربعين فيها يكون نتاج النطفة علقة ثم مضغة ثم صورة وهى مدة الدر فى صدفه ، وعدد أيام توبة داود عليه الصلاة والسلام ☆ وقال رضى الله عنه الفرق بين الكشف الحسى والخيالى انك اذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال الخلق فغمض عينيك فان بقى لك الكشف فهو خيالى ، وان غاب عنك فهو حسى ، فان الادراك تعلق به الموضع الذى رأيته واذا ورد عليك وارد الوقت فاقبله ولا تعشقه فان تعشقته حجبت به عن الترقى واذا ورد عليك وارد فاحفظه فانك تحتاج اليه اذا ربيت فان أكثر الشيوخ انما أتى عليهم فى التربية لتفريطهم فى حفظ ما ذكرناه وزهدهم فيه ☆ وكان رضى الله عنه يقول من المحال أن ينفتح لك باب الملكوت والمعارف ، وفى القلب شهوة كما أن من المحال أن ينفتح لك باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة وفى القلب لمحة للعالم بأسره الملكى والملكوتى ☆ وكان رضى الله عنه يقول اذا ورد الوارد بخفة ولطافة وأعقب علما فهو من الملك وان ورد بثقل وتعب فى الأعضاء فهو من الشيطان ، فاعلم ذلك تفرق بينهما ☆ وكان رضى الله عنه يقول لما خلت المرآة المحسوسة من جميع الألوان انطبعت فيها صور الأكوان وكذلك القلب ان تفرغ من انطباع الطباع والأوهام أشرق فيه نور الشعاع فأحرق هشيم الشهوات فتتراءى لك المغيبات وتبصر ما مضى وما هو آت ☆ وقال رضى الله عنه التطهر من الجنابة المعنوية مقدم على الحسية فان الجنابة الحسية ربما رخص لصاحبها فى بعض الأوقات والمعنوية لا رخصة فيها ألبتة ، ولهذا ترى كثيرا من الموسوسين ليس عنده نشقة من نسيم الحضرة القدسية لعمى بصيرة قلبه ☆ وقال رضى الله عنه أهل الطبيعة هم الدهرية القائلون بأن لا صانع للعالم الا وجود الطبيعة وأهل العلة هم الفلاسفة القائلون بقدم العالم وكلهم فى ظلمات بعضها فوق بعض ☆ وكان

رضى

رضى الله عنه يقول كل مادلك على الله فهو نور وكل مالم يدلك على الله فهو ظلمة ✫ وكان رضى الله عنه يقول فى معنى قول بعضهم فى كل شىء اسم من أسمائه تعالى أن وجود الأشياء كلها مضافة الى أسمائه تعالى متعلقة بها غير خارجة عنها من خير وشر ونفع وضر واعطاء ومنع وغير ذلك ✫ وقال رضى الله عنه يصل العارف الى مقام يكون خطابه لغيره من باب خطاب الصفة لموصوفها فافهم ماتحته ✫ وقال رضى الله عنه ليس فى الوجود الا ماسبق به العلم وأوجدته القدرة وخصصته الارادة ورتبته الحكمة فذرّات الوجود ماخرجت عن حكم هذا الشهود فكيف يكون الغير حجابا عن الحق والغير منفى بهذا الاعتبار ، الله أكبر قد طلع النهار وأضاءت الأنوار على رغم أنف الكفار ✫ وقال رضى الله عنه لما طلب موسى عليه السلام من الحق لرؤية زيادة على ما أتاه من الكلام لم يجبه ، وقال (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فدلت الآية على انه لاينبغى للعبد أن يطلب الزيادة على ماأعطاه الله تعالى الامع التفويض ✫ وقال رضى الله عنه الفتح على المريد بالأمر قد يكون امتحانا وقد يكون تأنيسا وقد يكون تثبيتا و ينبغى للمريد أن يجتهد أن لايخرج له نفس الا بمحمود ولا يدخل عليه نفس الا بمحمود ، فان تم له ذلك فهو المريد وهذا شىء لايجىء بالتفعل انما هى خلعة يخلعها الله تعالى على من يشاء ، فعليك بالتذلل لمولاك والالتجاء والخضوع بين يديه فانه بيده كل شىء قال تعالى (وان من شىء الا عندنا خزائنه) ✫ وقال رضى الله عنه كل ماسوى الله تعالى لهو ولعب ، ولو أعطاك من الشهود ما أعطاك ولكل مقام مقال ولكل حال رجال ، ولما سمعت رابعة العدوية رضى الله عنها شخصا يتلو قوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون) قالت نحن اذا صغار حتى نفرح بالفاكهة والطير فانظر رحمك الله كيف لم تفرح بغير الله تعالى وعلمت ان ماسواه من الموهبة والعطاء كالشخشاخة التى يسكت بها الصغير ✫ وقال رضى الله عنه شهود حضرة الحق بحسب الحاضر لابحسب الحضرة لأن الحقائق الربانية لاتدركها الانسانية من جميع وجوهها فافهم تعلم أن تلون حقائق التجريد فى مقامات التوحيد بحسب الرائى لابحسب المرئى فى جميع أطوار التجليات مما يقال ومما لايقال ✫ وقال رضى الله عنه احذروا زخارف أقوال أهل الرضا عن النفس خصوصا الذين اتخذوا العلم حرفة وشبكة لصيد حرام الدنيا مع تكبرهم على الناس فانهم قد حرموا خيرى الدنيا والآخرة ولهم نعوت ممقوتة وأحوال مزرية لم تبق لهم بين الناس حرمة ولاقبول شفاعة اتخذوا حسن الزى شعارا وتكبروا بذلك استكبارا ،

وقد قال الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى فى الحكم لأن تصحب جاهلا لايرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه ✫ وقال رضى الله عنه ، ومما جربناه فصح ان من أراد قضاء حوائجه ودفع مصائبه فليرفع الأمر الى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أوّل مرة فاعمل على ذلك فانه الكبريت الأحمر والفرج القريب والمعين على ذلك الصبر ✫ وقال رضى الله عنه بلغنا أن يونس عليه السلام اجتمعت روحه بروح قارون لما التقمه الحوت فرأى قارون نازلا ، فقال ليونس عليه السلام تعلق بربك يايونس فى أوّل أمرك ينجيك فقال له يونس وأنت ؟ قال تعلقت بابن الخالة موسى فوكلنى اليه ، أى لأنه لما أمر موسى الأرض أن تأخذه كان يستغيث به وهو يقول ياأرض خذيه ، ولهذا قيل عاتب الله موسى عليه السلام ، وقال وعزتى وجلالى لواستغاث بى لأغثته ✫ وقال رضى الله عنه أحسن الظن بربك من حيث محبة

جماله وجلاله فان ذلك وصف له لا يتحوّل ولا تحسن الظن بربك لأجل احسانه اليك فربما قطع ذلك عنك فتسيء الظن به فليحذر السالك من علة هذا المقام ✲ وقال رضى الله عنه غاية رحلة السائرين بالاشباح السير الى الله تعالى وبداية رحلة السائرين بالأرواح السير فى الله ، أى فى التنزه فى عجائب قدرته فالأوّلون ينتهى سيرهم والآخرون لا ينتهى لهم سير ، وقد قيل مرة للشيخ أبى الفتح الواسطى رضى الله عنـه ماتقول فى جماعة من أئمة الزهاد من صدور هذه الامة فلان وفلان وفلان ، فقال أولئك قوم خرجوا عن شهواتهم الدنيوية لأجل شهواتهم الأخروية فأين الفناء فى الله والبقاء به ، ولما سمع الشبلى رضى الله عنه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) صاح صيحة عظيمة ، وقال فأين الذين يريدون الله تعالى ✲ وكان يقول فى قوله تعالى (كلوا واشربوا) وان كان ظاهره انعاما فباطنه انتقام وابتلاء واختبار لينظر تعالى من هو معه ومن هو مع حظ نفسه فافهم دقائق الكلام الباطن ولا تغتر برخص الظاهر تكن من العارفين أهل الفهم عنه ✲ وكان رضى الله عنه يقول اذا لم تجد أيها المريد صاحب الحال فعليك بصاحب المقال (فان لم يصبها وابل فطل) واياك وصحبة من لا بحال ولا بمقال ✲ وقال رضى الله عنه مارقى أحد الى مركز عال الا قلت أشكاله المعنوية وجلت نفائس دقائقه على غالب الافهام ، وهذا موجب قلة الاتباع والأصحاب لكمل العارفين وقال رضى الله عنه ينبغى لمن خدم كبيرا كاملا ثم فقده أن لا يخدم من دونه الا اذا كان أكمل منه والا جعل صحبته مع الله تعالى ✲ وكان رضى الله عنـه يقول ماتقل عن الأشياخ خدمة أحد من الفقراء لهم الا لعلة فى قلب الخادم كتمها عنهم ، وهذه علة لا يسلم منها (إلا من أتى الله بقلب سليم) ولو أن الخادم كان أظهر لهم تلك العلة لربما وصفوا له دواءها أوشفعوا له فمحاها الله عنه من اللوح أوسألوا النبى ﷺ فى الشفاعة فيه فيشفع الا اذا كان قضاء مبرما لا مرد له ، وقد رأى السيد عبد القادر الجيلى رضى الله عنه لمريد له أنه لابدّ له أن يزنى بامرأة سبعين مرة ، فقال يارب اجعلها فى النوم فكان كذلك ✲ وقال رضى الله عنـه مما اخترته من أدب المصاحبة والمجالسة انك اذا جالست أهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تعظيم الآخرة ، واذا جالست أهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب وآداب السنة وتعظيم دار البقاء ، واذا جالست الملوك فحاضرهم بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الآداب معهم والعفاف عما بأيديهم ، واذا جالست العلماء فحاضرهم بالروايات الصحيحة والأقوال المشهوره فى المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الانصاف لهم فى القول والفهم المبتكر اذا وافق الصواب مع عدم المراء والجدال المظهر لحب العلو عليهم ، واذا جالست الصوفية فحاضرهم بما يشهد لأحوالهم الحقانية ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع آداب الباطن قبل الظاهر ، واذا جالست العارفين فحاضرهم بماشئت فان لكل شيء عنـدهم وجها من وجوه المعرفة لكن بشرط صدق الكلام وحفظ الأدب والحرمة فان حضرتهم صباغة . فالمعنى الذى تدخل به عليهم يخرج منهم مايكسوك مشهدك فيهم ويلبسك ماتوجهت به اليهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشر وكان رضى الله عنه يقول عليك بتكثير سواد القوم فان من كثر سواد قوم فهو منهم

﴿وكان﴾ رضى الله عنـه يقول سمعت شيخنا أبا عثمان المغربى رضى الله عنه يقول اذا زار الانسان قبر الولى فان ذلك الولى يعرفه ، واذا سلم عليه يردّ عليه السلام واذا ذكر الله على قبره ذكر معه لاسيما ان ذكر لا إله إلا الله فانه يقوم ويجلس معه متربعا ويذكر معه ، ثم قال الشيخ أبو المواهب

رضى

رضى الله عنه وحاشا قلوب العارفين أن تخبر بغير فهم . ومعلوم ان الأولياء أحياء فى قبورهم انما ينقلون من دار الى دار ، فحرمتهم أمواتا كحرمتهم أحياء والادب معهم بعد موتهم كالأدب معهم حال الحياة وفى حال الموت ، واذامات الولى صلى عليه جميع أرواح الأنبياء والأولياء ، ثم قال وعلى هذا الذى ذكره شيخنا قول صاحب الحقائق والدقائق حاشا الصوفى أن يموت * وكان رضى الله عنه يقول من الأولياء من ينفع مريده الصادق بعد مماته أكثر مما ينفعه حال حياته ، ومن العباد من تولى الله تعالى تربيته بنفسه بغير واسطة ، ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتا فى قبره فيربى مريده وهو فى قبره ويسمع مريده صوته من القبر ، ولله عباد يتولى تربيتهم النبى ﷺ بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه ﷺ ، قال الامام فخر الدين الرازى فى المطالب فى الفصل الثالث عشر فى بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى ان الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوى النفس كامل الجواهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير فى نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة ، فلا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحى ولنفس ذلك الانسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما الى الأخرى فكل ما حصل فى نفس هذا الزائر الحى من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور الى روح ذلك الانسان الميت ، وكل ما حصل فى ذلك الانسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة ينعكس منه نور الى روح هذا الحى الزائر ، وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سببا لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ولروح المزور فهذا هو السبب والاصل فى مشروعية الزيارة . ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخر أدق وأخفى مما ذكرنا ، وتمام الحقائق ليس الا عند الله انتهى كلام الرازى * قال بعض العارفين وللأولياء عند زيارة الأولياء وقائع كثيرة تدل على اعتناء المزور بالزائر وتوجهه اليه بالكلية على قدر توجهه وقابليته انتهى ، وفى تفسير البيضاوى عند قوله تعالى (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) ما نصه فادخلى فى جملة عبادى الصالحين وادخلى جنتى معهم أو فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة انتهى ، وبسط العبارة الامام الرازى فى تفسيره فقال أدخلى فى عبادى ، أى انضمى الى عبادى المقربين وهذه حالة شريفة وذلك لان الأرواح الشريفة القدسية تكون كالمرايا المصقولة فاذا انضم بعضها الى بعض حصلت فيما بينهما حالة شبيهة بالحالة الحاصلة عند تقابل المرايا المصقولة من انعكاس الأشعة من بعضها عن بعض فيظهر فى كل واحد منها كل ماظهر فى كلها ، وبالجملة فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل تلك السعادات وتعاظم تلك الدرجات الروحانية وهذا هو المراد من قوله تعالى (فأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) وذلك هو السعادة الروحانية انتهى * قال بعض العارفين ولهذا المعنى الذى ذكروه شرع الله صلاة الجمعة والجماعة والاجتماع بعرفة والطواف والسعى ليحصل بتلك الاجتماعات تقابل الأرواح وتكون كالمرايا المصقولة فيظهر فى كل واحد منها ماظهر فى كلها * وكان شيخنا الشيخ عثمان الدمياطى رحمه الله يطوف كثيرا لاسيما فى أيام الحج مع شدة الازدحام فقيل له ما السبب فى ذلك . فقال انى أجد فى قلبى من النور فى حالة الطواف لاسيما فى أيام الحج مالا

أجده فى سائر العبادات ✲ والسبب فى ذلك كثرة الطائفين فتتقابل أرواحهم و يشرق نور بعضها على بعض . فهذا المعنى الذى ذكره البيضاوى والامام الرازى أجده محسوسا ذوقا لا أشك فيه والله سبحانه وتعالى أعلم ✲ ولنرجع الى اتمام كلام سيدى أبى المواهب الشاذلى ✲ وقال رضى الله عنه سمعت شيخنا أبا عثمان رضى الله عنه يقول بالدرس على رءوس الاشهاد لعن الله من أنكر على هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه ✲ وكان يقول من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبدا ✲ وسمعت شيخنا أبا عثمان رضى الله عنه يقول انما جاءت (ألم نشرح) عقب (وأما بنعمة ربك فحدث) اشارة الى أن من حدث بالنعمة فقد شرح الله صدره كأن الله تعالى يقول اذا حدثت بنعمتى ونشرتها فقد شرحت صدرك ✲ ثم قال رضى الله عنه اعقلوا هذا الكلام فانه لا يسمع الا من الربانيين ✲ وكان أبو المواهب رضى الله عنه كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ ✲ وكان يقول قلت لرسول الله ﷺ ان الناس يكذبونى فى صحة رؤيتى لك ، فقال رسول ﷺ وعزة الله وعظمته من لم يؤمن بها وكذبك فيها لا يموت الا يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة فوضع يده على قلبى وقال ياولدى الغيبة حرام ألم تسمع قول الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) وكان قد جلس عندى جماعة فاغتابوا بعض الناس ، ثم قال لى ﷺ فان كان ولا بد من سماعك غيبة الناس فاقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين وأهد ثوابها للمغتاب ، فان الغيبة والثواب يتوازنان ويتوافقان ان شاء الله تعالى ✲ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقال لى هات يدك أبايعك ، فقلت يارسول الله لا قدرة لى أخاف أن يقع منى معصية بعد المبايعة ، فقال هات يدك فبايعنى ولا تضرك الفلتة والزلة ان وقعت وتبت منها ، وكأنه يشير ﷺ الى أن العبد قد يصلح الله حاله ان وقع منه زلة ليسد بها عنه ثلمة تقع فى دينه بعجب أو كبر أو نحوها ✲ وقال رضى الله عنه جاءنى جماعة يأخذون عنى الطريق فرأيت النبى ﷺ فقال لى الجماعة غير مؤمنين بك الا واحدا بعض الايمان فهو يراك بالعين العوراء وسيختم الله له بخاتمة الخير والموت على الاسلام ✲ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى قل عند النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا بسم الله الرحمن الرحيم خمسا قل اللهم بحق محمد أرنى وجه محمد حالا ومآلا فاذا قلتها عند النوم فانى آتى اليك ولا أتخلف عنك أصلا ، ثم قال وما أحسنها من رقية ومن معنى لمن آمن به ✲ وقال رضى الله عنه ألبسنى رسول الله ﷺ خرقة التصوف ✲ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ . فقلت يارسول الله لا تدعنى ، فقال لا ندعك حتى ترد على الكوثر وتشرب منه لأنك تقرأ سورة الكوثر وتصلى على أما ثواب الصلاة فقد وهبته لك وأما ثواب الكوثر فأبقه لك ، ثم قال ولا تدع أن تقول أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة انه هو التواب الرحيم مهما رأيت عملك أو وقع خلل فى كلامك ✲ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقال لى أنت تشفع لمائة ألف ، فقلت له بم استوجبت ذلك يارسول الله ؟ فقال باعطائك لى ثواب الصلاة على ✲ وقال رضى الله عنه استعجلت مرة فى صلاتى عليه ﷺ لأكمل وردى ، وكان ألفا ، فقال لى ﷺ أما علمت ان العجلة من الشيطان ، ثم قال لى قل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا بتمهل وترتيل الا اذا ضاق الوقت فما عليك اذا عجلت ، ثم قال وهذا الذى ذكرته لك على جهة

الافضل

الافضل والافكيفماصليت علىّ فهي صلاة ، والأحسن أن تبتدئ بالصلاة التامة أول صلاتك ولومرة واحدة وكذلك في آخرها تختم بها ، والصلاة التامة هي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم و بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقال لي ان شيخك أبا سعيد الصفروي يصلي علىّ الصلاة التامة ويكثرمنها وقل له اذا ختم الصلاة أن يحمد الله عز وجل * وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقبل فمي وقال أقبل هذا الفم الذي يصلي علىّ ألفا بالنهار وألفا بالليل ، ثم قال وما أحسن (انا أعطيناك الكوثر) لوكانت وردك بالليل ، ثم قال لي ويكون دعاؤك اللهم فرج كرباتنا اللهم أقل عثراتنا اللهم اغفر زلاتنا وتصلي علىّ وتقول وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله صلاة الله عشرا على من صلى عليك مرة واحدة ، هل ذلك لمن كان حاضر القلب ، فقال لا بل لكل مصل علىّ ولوكان غافل القلب ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما اذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك الا الله تعالى

﴿ قال بعض العارفين ﴾ من فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ فانه من صلى على النبي ﷺ مرة صلى الله عليه عشرا فلوفعل الانسان جميع الطاعات طول عمره وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ماعمله جميع عمره من جميع الطاعات لأنك تصلي على حسب وسعك والله يصلي عليك أي يرحمك على حسب ربوبيته «عطية القوم على قدر أقدارهم» هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة فما أحسن عيش من أطاع الله بذكره والصلاة على رسوله ﷺ فكم من صنائع صنعت لك وأنت لاتدري ، وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت بها أحاديث لاتحصى ويفهم من مجموعها حصول فوائد للمصلي عليه لاتحصى ، فنها امتثال أمر الله تعالى حيث قال صلوا عليه وهذه الفائدة أعظم الفوائد وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد ، ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ وان اختلف معنى الصلاتين ، ومن فوائدها صلاة ملائكة الله على العبد مادام يصلي عليه ومنها صلاة رسول الله ﷺ على المصلي عليه ﷺ ، ومنها انه يحصل للمصلي عليه عشر حسنات بواحدة وتكفير عشر سيآت ورفع عشر درجات ومنها عتق عشر رقاب ، ومنها كونه ﷺ شفيعا وشهيدا للمصلين عليه يوم القيامة ، ومنها أن الملائكة يكتبون ذلك بأقلام الذهب وصحائف الفضة ويقولون للمصلين زيدوا زادكم الله ، ومنها كتابة براءة من النفاق وبراءة من النار ، ومنها أن المصلي يسكنه الله مع الشهداء يوم القيامة ، ومنها أن كتفه يزاحم كتف النبي ﷺ يوم القيامة ، ومنها أنها زكاة للأعمال وكفارة ، ومنها أن الملائكة تستغفر للمصلي وتقر بها عينه ومنها أنه اذا مات تكون الصلاة عند قبره تستغفر له ، ومنها أن له بالصلاة الواحدة قيراطا من الأجر كجبل أحد ، ومنها أن الملائكة تبلغها النبي ﷺ فيرد على المصلي فكل صلاة المصلين تعرض عليه ﷺ ، ومنها أنها تكون سببا للكيل بالمكيال الأوفى من الثواب ، ومنها أنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة وقضاء الحاجات وكشف الكربات وغفران الذنوب وان من

جعل صلاته كلها للنبى كفى همه من أمر دينه ودنياه وغفر ذنبه ، ومنها أنها أفضل من عتق الرقاب ومن الضرب بالسيف فى سبيل الله ومنها أنها تكف الكاتبين أن يكتبوا على المصلى ذنبا ومنها أن المصلى يحفظ من دخول النار ، وجاء فى بعض صيغها أنّ صلاة واحدة تكفر ذنوب ثمانين سنة ومنها أنها سبب لرضا الله وسبب لغشيان الرحمة ، ومنها أنّ الملائكة اذا وجدوا حلقة المصلين يحفون بهم و يغشونهم بالرحمة ، ومنها أنها موجبة للأمن من سخط الله تعالى ، وسبب لثقل الميزان وللأمن من العطش يوم القيامة ، ومنها أنها تأخذ بيد من يعثر على الصراط ومنها أن من صلى على النبى ﷺ فى يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وحتى تبشره الملائكة بالجنة ، ومنها أنها تعدل عشرين غزوة فى سبيل الله ، ومنها انها سبب لتكثير الزوجات فى الجنة ، ومنها أنها تقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة ، ومنها أن من صلى مائة مرة فى كل يوم قضى الله له مائة حاجة سبعين لأخراه وثلاثين لدنياه ، ومنها أن المداومة عليها كالمداومة على العبادة طول الليل وطول النهار ، ومنها أنها أحب الأعمال الى الله تعالى وانها زينة المجالس ونور يوم القيامة ونور على الصراط ، ومنها أنها تنفى الفقر ، ومنها أن المصلى يكون أولى الناس بالنبى ﷺ يوم القيامة وان أكثر الناس عليه صلاة أكثرهم نورا يوم القيامة ، ومنها أن العبد اذا أكثر منها يكون أحب ما يكون الى الله وأقرب اليه ومنها أن المكثر منها قد لا يسأله الله يوم القيامة فيما افترض عليه ، ومنها أن من صلى عليه فى كل يوم خمسين مرة صافحه النبى ﷺ يوم القيامة . ومنها جلاء القلوب من الصدا وطهارتها من النفاق ، ومنها أن الاكثار منها سبب لورود الحوض يوم القيامة ومنها أنها سبب لاجابة الدعاء وسبب لنجاة المؤمن من خطئه طريق الجنة ، ومنها أنها سبب للبركة فى ذات العبد وعمره وأسباب مصالحه ومنها دوام محبته ﷺ وزيادتها ومضاعفتها ، ومنها أنها سبب للنصر على الأعداء ، ومنها أنها سبب لمنع الغيبة من الناس وموجبة لمحبة الناس للمصلى ، ومنها نموّ المال ببركتها ويلقى العبد بسببها وجوه الخير كل هذه الفوائد جاءت بها أحاديث ذكرها العلماء فى كتبهم ، وزاد كثير من العارفين أنها تقوم مقام الشيخ فى التربية وزاد بعضهم أنها تمنع العطش مطلقا وكذا فى وقت الحمى وغيرها * قال الشيخ عبد الغنى النابلسى بشرط أن لا يكون فى تلك الصيغة التى يصلى بها ذكر الله تعالى لأنه حار ومثل ذلك بأن يقول الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام فعليك بالاكثار من الصلاة على النبى ﷺ واتخذها وردا فى ليلك ونهارك تفز بكل خير فى الدنيا والآخرة واسئل الله التوفيق لى ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ان الله على ذلك قدير وبالاجابة جدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم * قال الشيخ أبو المواهب رضى الله عنه رأيت امرأة بمصر تدور على الأبواب وهى تغنى فى مدح النبى ﷺ فرأيت النبى ﷺ فسألته عنها فقال هى ولية كبيرة ولكنها تتستر بذكر محبوبها ألا تراها لا تذكر فى كلامها الاجدا

وقال رضى الله عنه وقع بينى و بين شخص من أهل الجامع الأزهر مجادلة فى قول صاحب البردة رحمه الله

فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

وقال لى ليس له دليل على ذلك فقلت له قد انعقد الاجماع على ذلك فلم يرجع فرأيت النبى ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسا عند منبر الجامع الأزهر وقال لى مرحبا بحبيبنا ثم قال لأصحابه أتدرون ما حدث اليوم قالوا لا يا رسول الله فقال ان فلانا التعيس يعتقد أن الملائكة أفضل

منى

منى فقالوا بأجمعهم يارسول الله ماعلى وجه الأرض أفضل منك ، فقال لهم مابال فلان التعيس الذى لا يعيش وان عاش عاش ذليلا خمولا مضيقا عليه خامل الذكر فى الدنيا والآخرة يعتقد أن الاجماع لم يقع على تفضيلى أماعلم أن مخالفة المعتزلة لاهل السنة لا تقدح فى الاجماع ☆ وقال رضى الله عنه رأيته ﷺ مرة أخرى فقلت يارسول الله قول البوصيرى ☆ فمبلغ العلم فيه أنه بشر ☆ معناه عندى منتهى العلم فيك عند من لاعلم عنده بحقيقتك أنك بشر والا فأنت وراء ذلك كله بالروح القدسى والقالب النبوى فقال ﷺ صدقت وفهمت مرادك ☆ وقال رضى الله عنه امتنعت عنى رؤيتى لرسول الله ﷺ ثم رأيته فقلت يارسول الله ماذنبى فقال انك لست بأهل لرؤيتنا لانك تطلع الناس على أسرارنا وقد كنت أخبرت شخصا من اخوانى بشىء من الرؤيا فتبت الى الله تعالى فرأيته بعد ذلك ☆ وقال رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس ولا يقوم منها ☆ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ ، فقال لى يامحمد ماهذه الغفلة وماهذه الرقدة وماهذا الاعراض مالك تركت قراءة القرآن وماهذه الوريدات فى جانب تلاوة القرآن لاتفعل ذلك أصلا بل اتل كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم . قال بعض أصحاب الشيخ فما ترك الشيخ تلاوة القرآن من ذلك اليوم وكان يردد بعض الآيات مرارا كثيرة ويبكى وتنحدر دموعه على خديه ولحيته ويتأوه حتى لا يقدر أحد أن يتكلم بحضرته لما يرى من وجده وكثرة بكائه ☆ وقال رضى الله عنه رأيت النبى ﷺ فقلت يارسول الله قد وهبت لك ثواب صلاتى عليك وثواب كذا وكذا من أعمالى ان كان ذلك ما أردته بقولك للسائل الذى قال لك أفأجعل لك ثواب صلاتى كلها فقلت له اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك فقال لى رسول الله ﷺ نعم ذلك أردت ولكن ابق لنفسك ثواب كذا وكذا فانى غنى عنه ☆ وقال رضى الله عنه لا يأتى النصر قط إلا بعد حصول الذل قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) ☆ وقال رضى الله عنه قلت مرة فى مجلس محمد بشر لا كالبشر بل هو ياقوت بين الحجر فرأيت النبى ﷺ فقال لى غفر الله لك ولكل من قالها معك فكان رضى الله عنه لم يزل يقولها فى كل مجلس الى أن مات ☆ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقال لى عن نفسه لست بميت وانما موتى عبارة عن تسترى عمن لا يفقه عن الله تعالى وأما من يفقه عن الله تعالى فها أنا أراه ويرانى ☆ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فسألته عن الحديث المشهور اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ، وفى صحيح ابن حبان أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون ، فقال ﷺ صدق ابن حبان فى روايته وصدق راوى اذكروا الله فانى قلتهما معا . قلت هذا مرة ومرة قلت هذا ☆ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقال لى لا تخف من الحساد فانهم ان كادوك فان الله عز وجل يكيدهم ألم تسمع قول الله عز وجل (انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) ورأى بعض العارفين رسول الله ﷺ جالسا فى مكان فدخل عليه الشيخ أبو المواهب فقام له ﷺ فقص ذلك على سيدى أبى المواهب فقال له يافلان اكتم مامعك فان النبى ﷺ هو روح الوجود وماقام لأحد إلا قام له الوجود ☆ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت له يارسول الله انى متطفل فى علم التصوف فقال ﷺ اقرأ كلام القوم فان المتطفل على هذا العلم هو الولى وأما العالم به فهو النجم الذى لا يدرك ☆ وكان رضى الله عنه يقول من أراد أن يرى النبى ﷺ فليكثر من ذكره ليلا ونهارا مع محبته فى السادة

الأولياء والاقطاب الرؤية عنه مسدود لانهم سادات الناس وربنا يغضب لغضبهم وكذلك رسول الله ﷺ ☆ وقال رضى الله عنه ان أولياء الله يطلعون على أمور لم يطلع عليها العلماء فلايسع الخائف على دينه الا الأدب والتسليم ☆ وقال رضى الله عنه عليك بصحبة الفقراء لولم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع مايحملونه عن أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب والهموم والأحزان ومايتلقون به القادم عليهم فى البرزخ من الاكرام وينبغى للفقير أن يتعاهد مع أخيه ان كل من سبق لحضرة الله تعالى منهما يكون وسيلة له عنده به

﴿وقال رضى الله عنه﴾ انظروا الى المؤمن لمامحب الحق تعالى من حيث تخلقه باسمه المؤمن كيف لاتقدر عليه النار وتقول له جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى ☆ وقال رضى الله عنه بلغنا انه يؤتى بمن اسمه محمد يوم القيامة فيقول الله له أما استحيت اذعصيتنى وأنت سمى حبيبى لكن أنا أستحى أن أعذبك وأنت سمى حبيبى اذهب فادخل الجنة ☆ وقال رضى الله عنه التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم فكم استغنى بصحبتهم فقير وجبر كسير وارتفع وضيع وستر شنيع ومات غوى وهلك ظالم ورفعت مظالم . وفيهم ورد الحديث بهم ترزقون وتمطرون وترحمون ☆ وقال رضى الله عنه احذر بعد صحبة القوم أن تفشى أسرارهم لغيرهم ومن ليس له مشربهم ولاذوقهم فان الله تعالى ربما مقتك فخسرت الدنيا والآخرة ، فلايخفى أن اظهار السر كاظهار العورة ، وقد حرم كشفها والنظر اليها والتحدث بها ، وورد من ستر عورة أخيه ستر الله عورته ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه وهذا الأمر قد يقع فيه كثير ممن يدخل فى صحبة الفقراء من غير صدق ويفارقهم بغير جميل ☆ وقال رضى الله عنه اذا نقل اليك أحد كلاما عن صاحب لك فقل له ياهذا أنا من صحبة أخى ووده على يقين ومن كلامك على ظن ولايترك يقين لظن ☆ وكان رضى الله عنه ينشد كثيرا

شاور أخاك اذا نابتك نائبة ☆ يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا مانأى ودنا ☆ ولا ترى نفسها إلا بمرآت

وقال رضى الله عنه إياك وعثرات اللسان عند بعض الأصدقاء فقد أصيب من هذا الباب خلق كثير لثقتهم بأصدقائهم وماعلموا أنهم جعلوا ذلك سلاحا لوقت العداوة فاياك ثم إياك ☆ وكان رضى الله عنه يقول اذا كثرت النيات كثر بعض العمل وان كان منفرد الصورة وذلك كمن صلى صلاة واحدة ناويا بها أداء الفرائض واحياء سنة الجماعة والاقتداء به فى ذلك واظهار بهجة الاسلام وتكثير سواد المصلين مع زيادة الزهد فى الثناء عليه بذلك وعدم الالتفات اليه فهذه حسنات كثيرة حفت عملا واحدا ☆ وقال رضى الله عنه العبادة مع محبة الدنيا شغل قلب وتعب جوارح فهى وان كثرت قليلة وانما هى كثيرة فى وهم صاحبها وهى صور بلا أرواح انما هى أشباح خالية غير حالية ولهذا ترى كثيرا من أرباب الدنيا يصومون كثيرا ويصلون كثيرا ويحجون كثيرا وليس لهم نور الزهاد ولا حلاوة العباد ☆ وقال رضى الله عنه (انما ضرب الله مثل الحياة الدنيا) بالماء لأن الماء اذا أمسكته تغير وأنتن وصار بلية ، فكذلك الدنيا تصير بلية ☆ وقال رضى الله عنه أعلى الزهد زهد الرجل فى المقامات العلية والأحوال السنية ، أى فلايعمل العبد لنيل المقامات العلية وانما يعمل امتثالا لأمر ربه وقياما بالعبودية ☆ وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) انما كان ذكر الله أكبر من الصلاة لأن الصلاة وان كانت أشرف العبادات

فقد لاتجوز فى بعض الأوقات بخلاف الذكر فانه مستدام فى عموم الحالات ✲ وقال رضى الله عنه لايجد أنس الذكر الا من وجد وحشة الغفلة ✲ وقال رضى الله عنه اختلفوا أيما أفضل الذكر سرا أو جهرا والذى أقول به أنا ان الذكر جهرا أفضل لمن غلبت عليه القسوة من أهل البداية والذكر سرا أنفع لمن غلبت عليه الجمعية ✲ وقال رضى الله عنه انما اختار أهل التعريف ذكر الله الله الله فقط دون لا إله إلا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الالهية حتى ينفونها والذى أقول به ان من غلبت عليه الأهواء فذكر لا إله إلا الله أنفع له ، ومن خلص من الأهواء فذكر الجلالة فقط أنفع له ✲ وقال رضى الله عنه كل عمل اتصل به شهود فهو غير متقبل لأنه تعالى يقول (والعمل الصالح يرفعه) يعنى عن رؤية العبد له ، فمن شهد له عملا ودام ذلك فعمله عند نفسه لاعند ربه ، والطامع كلب المطموع فيه فان لم يكن عنده طمع سلم من ذلة الكلاب أى فلا يرجو العبد الا فضل الله ولايكون رجاؤه فى عمله ومع ذلك يعمل عبودية لله تعالى ، فان العمل للاولياء عبودية كالتيجان على الملوك ✲ وقال رضى الله عنه الله أكبر ما أخفى لطائف التعريف يشرد عبده عن حضرته فيرده اليها بالتعنيف يعنى بالبلايا والمحن مع انه فى ذلك رب لطيف ✲ وقال رضى الله عنه من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها واحذر أن يكون شكرك لأجلك ، بل اجعل شكرك امتثالا لأمر ربك لك بالشكر ، ولهذا قال تعالى (أن اشكرلى) فافهم تعلم وان لم تعلم تعلم واعرف قدر ذوق أهل المعرفة ومقام الفقر لله من كل شىء لله أتم ممن طلب المزيد ✲ وقال رضى الله عنه ذكر أهل الحضرة الحمد لله وأستغفر الله ولاحول ولاقوة الا بالله ، وزدت عليهم آية من كتاب الله تعالى لتكون حرزا عليهم لأن كل أحد يحب دوام النعمة عليه وهى قوله تعالى (ماشاء الله لاقوة الا بالله) وهى كانت هجيرى الامام مالك رضى الله عنه ، أى دأبه وشأنه فكان لايقوم ولايقعد الاقالها حتى انه كتبها على باب داره وقال جنة الرجل داره والله تعالى يقول (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) أى لوقالها الرجل لسلمت جنته من الآفات ✲ وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لايعلمون) أى لايعلمون بحقيقة الاستدراج وذلك أن يغطى عليهم حقائق الحق ويلقى فى أوهامهم انهم على صواب وحق وانهم غير مؤاخذين على أفعالهم نسئل الله اللطف ، فمن أراد الوقاية من الاستدراج فليخف عند ورود النعم عليه أن يستعملها فى غير ماوضعت له ✲ وقال رضى الله عنه ربما منع المريد من المزيد من أجل قوله لشيخه لم فانه ذنب عند أهل الطريق لايشعر به كل أحد والطريق كله أدب وتأديب فهم يناقشون من جهة الحق مناقشة الجليس جليسه والصاحب صاحبه لانهم جلساء الحق وصاحب الأدب لم يزل مستور العورة فى الدنيا والآخرة والعكس بالعكس ✲ وقال رضى الله عنه لاتجالسوا العارفين الابالادب فربما مقت من أساء أدبه معهم ومحى من ديوان القرب ومن لم تؤدبه الصوفية فليس بأديب ✲ وكان رضى الله عنه يقول الواردات مختلفة من حيث الموروده عليه لامن حيث نفسها فانها واحد فهى كالمطر على أرض فيها أنواع من البذر فالمطر واحد والنبات مختلف (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) والتعبد هو مفتاح باب الخير فمن فاتته الأوراد فى بدايته فقد حرم الواردات فى نهايته فللاعمال أنوار كما أن للعارف أسرار ، فعليك أيها السالك بالدوام على الأوراد ولو بلغت المراد ✲ وقال رضى الله عنه فى معنى قول القوم فلان عنده استعداد أى صقل مرآة قلبه بأنواع المجاهدات التى بسببها يكون الجلاء

الموجب لتجلي صور الخائق فى القلب الصافى كما هو معلوم حسا هـذا فى المحبين ، وأما فى المحبوبين فقلوبهم منوّرة مصقولة اختصاصا إلهيا ✲ وكان رضى الله عنه يقول ماورد عليك هو ماظهر منك لك وماجلى عليك هو منك عليك ، مثال ذلك النواة اذا زرعت فكل شيء ورد عليها من ورقها وثمرها كان فيها مودعا بالقوّة ، كذلك أنت أيها الانسان لايرد عليك قط خارج منك من غيرك بل الوارد عليك فيك غيبا ثم ظهر لك شهادة لتعرف مقدار ما أنعم الله عليك ووراء ما أشرت اليه رموز وافوز ضمنها كنوز سعد من لها يحوز ، و بحرها يجوز ، قال بعض العارفين وتأمل قول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ، لما قال (رب اشرح لى صدرى و يسرلى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) قال الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى أذ أوحينا الى أمك) الى آخر الآيات التى عدد الله فيها مننه عليه للاشارة الى أن عنايتنا بك سابقة ومننا عليك كثيرة وأنت طلبت أشياء تراها عظيمة عندك ومننا عليك السابقة واللاحقة أعظم من ذلك كله ، وهكذا كل انسان اذا فكر فى مطالبه وفيما أنعم الله به عليه من غير طلب يجد ماأنعم الله عليه به من غير طلب شيء كثير لايعدّ ولايحصى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فليستغرق زمنه فى شكر الله تعالى يعطه أكثر مما يطلب باضعاف مضاعفة ، وقال الشيخ أبو المواهب رضى الله عنه من العلوم اللدنية مالايمكن الجواب عنها حقيقة ولا شريعة مع أن التعبير عن كل مايشهده الانسان غير ممكن وذلك أن من المشهود ماهو أوسع من أن يدخل فى ضيق العبارة وألطف من أن تكشفه الاشارة ، وذكر كل معلوم يدلّ على قلة علم صاحبه لأن من العلوم مالايدخل تحت دائرة الحصر كالعلوم الملكوتية المفاضة من عوالم الغيوب مما لايفهمه العقل ولايدركه الوهم ولا يسعه الحفظ وهو فى قلوب العارفين به يكون أولا مجملا ثم يفصل لهم بحسب الوقائع والحاجة اليه ، ثم منه مالايكون الاغيبا فى غيب ومنه مايكون غيبا فى شهادة ، ومنه مالايؤذن فى افشائه لأحد البتة ، ومنه مايؤذن فى افشائه لقوم دون قوم ، واذا كان كذلك فالجواب عن كل سؤال غير ممكن ✲ ثم قال قال بعض من لاح له ما أشرنا اليه أكون حالة الأخذ عن البشرية فى حضرة أشاهد فيها ملائكة يتكلمون بعلوم لدنية أفهمها هناك بفهم يناسب تلك الحالة الملكية فاذا عدت الى بشريتى نسيت ماعلمت ولم أذكر شيئا مما سمعت ، وذلك لأنى خرجت من وصف الى وصف ومن عالم الى عالم وكل علم له عالم بوصف ذلك العلم يدرك حقائقه العالم ولهذا كانت العلوم الكشفية غير العلوم العقلية ، والعقلية غير النقلية وعلم العبارة غير علم الاشارة ، فمن أراد أن يأخذ علم الاشارة من العبارة فقد طلب المحال وأنكر على الرجال وحرم تمام الكمال ، قال بعض العارفين و يؤيد هذا الذى ذكره ان الانسان قد يرى فى منامه أشياء يفهمها فى حال الرؤية لها فاذا استيقظ من نومه محيت من قلبه ولايكاد يدرك شيئا منها ولايستطيع أن يعبر عنها ✲ وكان رضى الله عنه يقول الدرجات فى الدنيا دليل على الدرجات فى الآخرة ، والكرامات هنا دليل على الكرامات فى الآخرة كما أن العبد هنا دليل على الطرد فى الآخرة قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) والمراد بهذا العمى هو عمى البصيرة بالضلال عن الرشد وطريق الحق نسأل الله العافية ، قال بعض العارفين ان قوله الدرجات فى الدنيا دليل على الدرجات فى الآخرة مراده ان ذلك هو الغالب لحديث «ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة» الى آخره فانه يدل انه قد يسلب ذلك

كله لـكن ذلك نادر جدا فلم ينظر اليه ، وانما نظر الى الغالب الذى أشير اليه بقوله تعالى (فامامن أعطى واتقى) الآية ✡ وقال رضى الله عنه من كان علمه متعلقا بالظواهر فله فى الجنة منزله تناسب الظواهر ومن كان علمه متعلقا بالبواطن فله منزلة تناسب البواطن ، ومن كان علمه بدنيا فله منزلة فى الآخرة تناسب أعماله العلمية وكذلك القول فيمن كان علمه قلبيا أوروحيا أوسريا فلـكل حال مقام عند الله تعالى وعلى قدر سلوك الطريق يكون التحقيق ✡ وكان رضى الله عنه يقول احذروا من قولـكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء فانهم ماذهبوا حقيقة ، وانما هم كـكنز صاحب الجدار وقد يعطى الله من جاء فى آخر الزمان ماحجبه عن أهل العصر الأوّل ، فان الله تعالى قد أعطى سيدنا وحبيبنا محمدا ﷺ مالم يعط الأنبياء قبله ثم قدمه ﷺ فى المدح عليهم و يالله العجب من كثير من المتفقهة ينـكرون ما أجمع عليه الأولياء و يصدقون بما وصل اليهم على لسان فقيه واحد ور بما يكون استناده فى ذلك القول الى دليـل قياسى ضعيف أو الى شذوذ من القول ماذاك والله الا لغلبة الحرامان ، ثم مع انـكاره اذا أصابه همّ أومصيبة يأتى الى قبورهم و يتوسل بهم دون الفقيه الذى صدق قوله وقدمه عليهم ، وكان الأمر بالعكس فاياك يا أخى أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت ، فان من أنـكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه ✡ وقال رضى الله عنه انقطعت عنى رؤية رسول الله ﷺ مدة فحصل لى غم بذلك فتوجهت بقلبى الى شيخى ليشفع لى عند رسول الله ﷺ فرأيته فى النوم وقد حضر عنده رسول الله ﷺ فقال ها أنا فنظرت فلم أره فقلت مارأيته ؟ فقال ﷺ سبحان الله غلبت عليك الظلمة وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة فى الفقه ووقع بينى و بينهم جـدال فى ادحاض حجج بعض العلماء فتركت الاشتغال بالفقه فرأيته ﷺ فقلت يارسول الله الفقه من شريعتك ، فقال بلى ولـكنه يحتاج الى أدب بين الأئمة ✡ وقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ تفل فى فمى فقلت يارسول الله مافائدة هذا التفل ، فقال لاتتفل بعدها على مريض الا ويبرأ ✡ وقال رضى الله عنه من وقف مع عاداته وعلومه ولم يظن أن فوق علمه علوما فهو محروم من جميع المواهب حتى من أهل مذهبه و يسمى هذا بالجاهل المركب فاياك والبحث مع مثل هـذا والجدال ليرجع فانه لايرجع و يتسع المجال بينـكما وربما صار يسفتى عليك فى نقص ينسبه اليك و ينسبك الى أمور أنت منها برىء حتى يتعب سرك فـكف عنه مادام يرى نفسه عليك فان الجاهل لاينصف الحق أبدا لعدم ذوقه لحاله الا أن يتداركه الله تعالى بالتسليم و يؤمن أن فوق كل ذى علم عليم ✡ وقال رضى الله عنـه اذا رأيت نفسك معرضة عن موادة أهـل الله تعالى فاعلم أنك مطرود عن باب الله تعالى ✡ وقال رضى الله عنه من أنـكر مالم يجد حرم بركة ماوجد ✡ وقال رضى الله عنه من علامة من أذن له فى الـكلام قبول الناس له ومن ادعى انه برّ فلايؤذى الذر ✡ وقال رضى الله عنه لاينبغى للفقيران يستـكثر شيئا من الدنيا فى مقابلة عمل قليل أخروى يبقى وقدأعطى الشيخ ابن أبى زيد القيروانى مؤدب ولده مائة دينار حين أقرأه حزبين من القرآن ، فقال المؤدب هذا كثير فأخرج ولده من عنده ، وقال هذا يعظم الدنيا ✡ وكان رضى الله عنه يقول فى قول بعضهم مافعلت كذا الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن نور يقع فى القلب ينشرح له الصدر وليس ذلك بحجة لفقد العصمة لاسيما اذا كان على غير قانون الشرع فما كل واقع للفقير حق فالرجوع الى ميزان الشرع هو الصواب ✡ وكان رضى يقول هذا الـكون كبيت معه الصدى

ماقلته فيرده عليك ومرآة يتجلى فيها مابدا منك اليك ✲ وقال رضى الله عنه العابد فى وهم وتقييد والمقرب فى فرح وتأييد وتنزهت أبناء الأزل عن الوقوف مع العمل والعلل فلاتكن ممن يعبد ليعبد ولاممن يسود الجباه للجاه بل اعبد ربك لالعرض ولالغرض ✲ وقال رضى الله عنه الوارد مثل العطاس لايرد اذا ورد ولايستجلب بحيلة ولو دفع كان عناء وتعبا وعللا وكل وارد لايوافق الشرع مثل الظلمة وأحسن بذر الفلاح مابذره الفلاح ثم ستره بعد بذره حتى ينبت فى بطن الأرض وأقبحه مانبت فوقها لأنه لاثبات له واتباع شهوات النفوس هى التى تنكس الرءوس ومن أطلعه الله على دسائس نفسه أمن من عكسه ونكسه ، وعلامة فتح القلوب أن لايدخل فيه خلل ، وعلامة قبح النفوس السامة منه والملل ✲ وقال رضى الله عنه حقيقة الكشف أن تنظر الظلمة عين النور وتشهد رفع الغطاء فى الستور وأعلى مراتب الكشف أن يطلعه الله على المقر والمستودع ودونه من أطلعه الله على البداية دون الغاية ، ومن شهد بواطن الأوانى نال أسرار المعانى ومن علامة المعتنى به فى الأزل ان لايسلب مافتح ولا يخلع ومن رام مزاحمة أهل العناية وقع فى شرك العناء والتعب ولايقضى أرب ومن أراد الوصول بلاتعب فليستمسك بأهل الحسب ومن كان له بالتعظيم من العوام صورة لم يكن له بالتخصيص عند أهل التحقيق سورة وذلك لأن محب الله مشهور ومحبوب الله مستور واساءة الأدب على أهل الرتب توجب العطب ومن كان للخلق أرضى فهو لربه أرضى ومن على الخلق يتعالا لايقال له تعالى ✲ وقال رضى الله عنه الأسرار بالذكر من شأن الخواص لا المريدين لأن المريد يذكر ليستنير قلبه والمراد من وجد النور قبل الذكر ومن العجب ذكر القريب الحاضر فمابقى للذكر سلطان الا على سبيل التعظيم أوحال غيبة الذاكر عن المذكور ✲ وقال رضى الله عنه فى قولهم قيل لى ليلة البارحة كذا مثلا مرادهم اماهاتف الحقيقة أوانه سمع الملك من غير رؤية لشخصه أورؤيته على غير صورته الأصلية أومرادهم مايسمعونه من قلوبهم أومايفهم من حال الشيء بحسب مراتبهم فى ذلك الوقت والأخير خاص بالمريدين ✲ وقال رضى الله عنه اذا رأيت فى منامك شيئا من البشرى فلا ترض عن نفسك حتى لاتعلم رضا الله تعالى عنها ✲ وقال رضى الله عنه من حمل الفقراء مايرد عليه من النكد فكأنه بال عليهم اذاورد ✲ وقال رضى الله عنه من شرط المريد أن لايخرج عن التحديد وكلامه رضى الله عنه فى الحقائق كثير وفى هذا القدر كفاية

﴿وكان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه﴾ يقول لأصحابه اذا أراد أحدكم تغيير منكر فليتوجه الى الله بقلبه فى ازالته و يقلب قلوب أصحاب المنكر فيزيلوا ذلك المنكر ✲ وكان رضى الله عنه يقول طهر قلبك من محبة الدنيا يجرى ماء الايمان فى قلبك جداولا ومن لم ينظف قلبه من ذلك لايجرى فى قلبه ماء ايمان

﴿وسمع الشيخ شمس الدين الحنفى الشاذلى رضى الله عنه﴾ امرأة تقول ماأحسن السجود فى السماء بين الملائكة فقال لها محبة الله خير من ذلك ✲ وكان رضى الله عنه اذا رأى فى جبهة فقير أثر سجود يقول ياولدى أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء ✲ وكان رضى الله عنه يقول الفقراء ماعندهم عصا يضربون بها من أساء الأدب فى حقهم وماعندهم الاتغير خواطرهم ، وسألوه مرة ماتقول الساقية فى غنائها ، فقال تقول لايرى ملآن الاطالع ولا فارغ الانازل ، وتكلم مرة فى درسه وهو على الكرسى فى معنى قولهم يافقيه فق فاقه ياصريم الناقة ، قلت له قم صلى قام خرى

فى الطاقة حتى أبكى الناس وزعق بعضهم وتخبط عقل بعضهم ، وكان من جملة ماقال معنى فق أى على أبناء جنسك فاقة أى ولو مرة واحدة ، وقولهم ياصريم الناقة أى يازمام الناقة التى هى مطية المؤمن التى بها يبلغ الخير فقط فزاد على ذلك طاقته من الاذكار والصيام والقيام وجدّ فى الاجتهاد والطاعات ومعنى خرى فى الطاقة ، أى أسرع وبادر وفعل ماأمر به وزاد فى الطاقة جهد الاستطاعة التى هى الطاقة وليس المراد بها الكوة المثقوب به فى الحائط ٭ وكان رضى الله عنه فى خلوته توتة مزروعة قال رضى الله عنه فخطر لى ان أباسطها فقلت ياتوته حدثينى حدوثه ، فقالت بصوت جهورى نعم انهم لما زرعونى سقونى فلما سقونى أسست فلما أسست فرعت فلما فرعت أورقت فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت أطعمت ، قال فكان كلامها سلوة لى وقد حصل لى بحمد الله ماقالت التوتة ٭ وكان رضى الله عنه يتكلم على خواطر القوم ويخاطب كل واحد من الناس بشرح حاله ، وحضر الشيخ جلال الدين البلقينى يوما درسه فى تفسير القرآن ، فقال والله قد طالعت أربعين تفسيرا للقرآن مارأيت فيها شيئا من هذه الفوائد التى ذكرها سيدى الشيخ محمد ، وجاءه رجل فقال ياسيدى أنا ذو عيال فقير الحال فعلمنى الكيمياء ، فقال الشيخ رضى الله عنه أقم عندنا سنة كاملة بشرط أنك كلما أحدثت توضأت وصليت ركعتين ، فأقام على ذلك ، فلما بقى من المدة يوم جاء الى الشيخ ، فقال غدا تقضى حاجتك ، فلما جاءه قال له قم فاملأ من البئر ماء للوضوء فملأ دلوا من البئر فاذا هو مملوء ذهبا ، فقال ياسيدى مابقى فى الآن شعرة تشتهيه ، فقال الشيخ صبه مكانه واذهب الى بلدك فانك قد صرت كلك كيمياء ، فرجع الى بلده ودعا الناس الى الله تعالى وحصل به نفع كبير ، وكان شديد الكرم ، ركب مرة على حمار مكارى فأعطاه انسان عشرين دينارا ، فقال أعطها للمكارى فأعطاها له وأرسل اليه الأمير يشبق بشكارة فضة فوجده القاصد على الكرسى ، فصار يقبض منها ويرمى للناس حتى أفناها كلها كأنه يريد أن الفقراء فى غنية عن ذلك وانهم لو أحبوا الدنيا ما كان لهم هذا المقام بين الناس ، ثم ان الأمير بلغه ماوقع ، فجاء الى الشيخ فقبل يده ، فقال له الشيخ قم الى هذا البئر فاملأ منه هذه الفاسقية للوضوء ويصير ثواب ذلك فى صحيفتك الى يوم القيامة ، فخلع الأمير ثيابه وملأ دلوا فوجده ثقيلا فعالجه حتى طلع به فوجده ذهبا ، فقال ذلك للشيخ فقال صبه فى البئر واملأ فملأه ثانيا وثالثا فكان كذلك ، فقال له قل للبئر مالنا حاجة الابالماء فاستحقر الامير ما كان أرسله للشيخ ٭ وكان رضى الله عنه يقول لقدمرت بنا القطبية ونحن شبان فلم نلتفت اليها دون الله عز وجل ٭ وقال رضى الله عنه ان القطب اذا تقطب تحمل هموم أهل الدنيا كالسلطان الأعظم بل أعظم ، ولعن شخص ابليس بحضرته فقال لاتعوّد لسانك الاخيرا ولوكان ذلك جائزا ٭ وكان يقول اذكروا الله فى هذه الأماكن حتى تشهد لكم يوم القيامة وتخرقوا ناموس طبع النفس فانكم فى حجاب مالم تخرقوه ٭ وكان رضى الله عنه اذا زار القرافة سلم على أصحاب القبور فيردون السلام عليه بصوت يسمعه من معه وسمع مرة مدرسا من الحنفية يقول فى درسه الحكم كذا خلافا للشافعى فزجره وقال تقول خلافا للشافعى بقلة أدب لم لاتقول رضى الله عنه أورحمه الله ، فقال المدرس تبت الى الله ياسيدى ، وسئل رضى الله عنه يوما عن الصالح فقال هو من صلح لحضرة الله عز وجل ولا يصلح لحضرة الله عز وجل الامن تخلى عن الكونين ٭ وكان رضى الله عنه يقول قوموا لأهل العلوم الربانية فان قيامكم فى الحقيقة انما هو لصفة الله تعالى التى أنار بها قلوب أوليائه ، توفى رضى الله

عنه سنة سبع وأربعين وثمانمائة

﴿وكان من تلامذته الشيخ مدين بن أحمد الأشمونى﴾ وكان من أصحاب الكرامات * قال العارف بالله سيدى محمد الحريفيش الدنوشرى سافرت للأخذ عنه فدخلت عليه فوجدته رجلا بعمامة كبيرة وجبة عظيمة وأبريق وطشت وعبد حبشى واقف بالمنشفة يصب عليه يتوضأ فقلت فى نفسى سرا * لاذا بذاك ولاعتبا على الزمن * بتحريك المثناة من فوق ، فقال لى أصلح البيت قل * لاذا بذاك ولاعتبا على الزمن * بسكون الفوقية فقلت الله أكبر فقال على نفسك الخبيثة تسافر من البلاد الى هنا تزن الفقراء بميزان نفسك التى لم تسلم الى الآن ، فقلت تبت الى الله تعالى وأخذت العهد عليه ، وجاء شخص قد طعن فى السن وقال ياسيدى مقصودى أحفظ القرآن فى مدة يسيرة ، فقال ادخل هذه الخلوه فأصبح يحفظ القرآن كله

﴿وكان الشيخ محمد المغربى الشاذلى من مشايخ الشيخ الشعرانى﴾ كان يقول فى رؤية النبى ﷺ يقظة ان المراد برؤيته كذلك يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية لأن من بالغ فى كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق ، واذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحال اليقظة التى لغيره وحينئذ لا يرى رسول الله ﷺ الا بروحه المتشكلة بتشكل الاشباح من غير انتقال بانتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كافة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح

﴿وكان شيخ الاسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه لا تأخذه فى الله لومة لائم﴾ فكان يخطب والسلطان قايتباى حاضر فى المسجد فيأتى بكلام يعظه به ، من ذلك انه كان يقول أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت عدما فصرت وجودا وكنت رقيقا فصرت حرا وكنت مأمورا فصرت أميرا وكنت أميرا فصرت ملكا تجبرت ونسيت مبداك ومنتهاك الى غير ذلك من أمثال هذا الكلام ، وطلع له مرة فى القلعة وأغلظ عليه القول حتى اصفر لونه فقبل يده وقال جزاك الله خيرا ، فقال له والله ماأفعل ذلك الاشفقة عليك وسوف تشكرنى عند ربك وانى والله لا أحب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار ، فصار ينتفض كالطير ، وقال الشعرانى كان شيخ الاسلام زكريا الأنصارى رضى الله عنه كثير الكشف لا يخطر عندى خاطر الا ويقول لى قل ماعندك وكنت اذا حصل عندى صداع حال المطالعة يقول انو الشفاء بالعلم فأنوى به فيذهب الصداع لوقته * وكان لا يدعو لأحد أو عليه الا ويستجاب فيه الدعاء فأشار عليه بعض الأولياء بالتستر بالفقه وقال له استر الطريق فان هذا ماهو زمانها فلم يكد يتظاهر بشىء من أحوال القوم ، وجاءه مرة رجل أعمى وسأله أن يدعو له برد بصره فدعا له وقال له سافر خوفا أن يرد عليه بصره فيهتكه بين الناس فسافر ، فلما كان فى غزة رد الله عليه بصره وكتب للشيخ يخبره بذلك

﴿وكان﴾ الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه يقول مادخلت على فقير الا وأنظر نفسى دونه وما امتحنت فقيرا قط ، وحكى عن الشيخ عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه انه رأى مرة فى عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالا للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية * وكان الشيخ محمد السروى المشهور بأبى الحمائل يحث المريدين على الاكثار من لا إله إلا الله بدلا عن كثرة الأوراد ، ويقول مارأينا قط أحدا وصل الى الله تعالى بمجرد قراءته الأحزاب والأوراد * وكان يقول نحن مانعرف

الا لا إله إلا الله بعزم وهمة ✲ وكان يقول أمثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلا ونهارا ان الله تعالى يزوّجه بنت السلطان ✲ وكان يقول للمكثرين من الأوراد مع عدم اكثارهم من لا إله إلا الله على وجه التوبيخ بلسان حالهم اجعل لى واعمل لى واصطفينى ولاتخل أحدا فوقى وأحدكم نائم بطول الليل ، ومهما وجده من الحرام والشبه يلف ما هكذا درج السلف

﴿ ومن مشايخ الشيخ الشعرانى الشيخ على الخواص ﴾ وكان أميا وفتح الله عينى قلبه فجاء بعلوم تبهر العقول ، نقل الشيخ الشعرانى عنه كثيرا منها ، فمنها قوله رضى الله عنه اذا حفت العناية الالهية عبدا صار كل ذرة من عمره تقاوم ألف سنة ، ومن كلامه رضى الله عنه فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة جميع أبواب الأولياء قد تزحزحت للغلق ومابقى الآن مفتوحا إلا باب رسول الله ﷺ فأنزلوا كل ضرورة حصلت لكم به ﷺ ولا يكمل الفقير فى باب الاتباع لرسول الله ﷺ حتى يصير مشهودا له فى كل عمل مشروع ويستأذنه فى جميع أموره من أكل ولبس وجماع ودخول وخروج فمن فعل ذلك فقد شارك الصحابة فى معنى الصحبة ✲ وكان رضى الله عنه يقول لوشهد المعتزل عن الناس أن الناس خير منه مااعتزل عنهم بل كان يطلب الخلطة بهم ويتعلم من أخلاقهم ✲ وكان رضى الله عنه يقول فى قولهم بئس الفقير بباب الأمير هذا فى حق من يأتى الأمير يسأله الدنيا فان كان لشفاعة ونحوها فنعم الفقير بباب الأمير ✲ وقال رضى الله عنه من أدب الزائر أن لا يشغل المزور عن الله تعالى بدخوله عليه إما لقوة حال المزور واما أن يكون وقت فراغ ✲ قال الشعرانى ويقاس على ذلك تعطيله من الحرفة التى تكفه عن سؤال الناس ✲ وقال رضى الله عنه من أدب الزائر أن لا يزور أحدا الا ان كان يعرف من نفسه القدرة على كتمان مايرى فى المزور من العيوب والافترك الزيارة أولى ✲ وقال رضى الله عنه زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى أصول شجر الحنظل فكلما ازداد ريا ازداد مرارة ✲ وسئل رضى الله عنه عن السر الذى وقر فى صدر أبى بكر رضى الله عنه . فقال هو عدم وقوفه مع الوسائط فكان مع الله عز وجل ✲ وكان يرى محمدا ﷺ طريقا يجرى له الخير منها كحكم المريد مع شيخه اذا كمل حال المريد ، وقد ظهر ذلك السر يوم وفاته ﷺ فانه ثبت وخطب الناس وحضهم ولم يظهر عليه تأثر كما وقع لعمر رضى الله عنه ولغيره من الصحابة رضى الله عنهم ✲ وكان رضى الله عنه يقول لاتبدؤا أحدا بهدية إلا ان كان فقيرا محتاجا أولا يتكلف للمكافأة فان من بدأ من يكافئه أساء فى حقه لأنه عرضه لكلفة المكافأة ✲ وقال رضى الله عنه لاتقوموا لأحد من الاخوان وغيرهم الااذا علمتم منهم عدم الميل الى القيام فان من قام لمن يحب القيام كبر نفسه بغير حق وأساء فى حقه من حيث لايشعر ✲ وقال رضى الله عنه فى قوله ﷺ ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر يدخل فيه العالم والسالك اذا لم يعمل بعلمه فى نفسه ولكن أفتى ودل الناس على طريق الله عز وجل وكذلك يدخل فيه العالم والعابد اذا زهدا فى الدنيا طول عمرهما فلما قربت وفاتهما مالا الى الدنيا وأحباها وجمعا المال من غير حله فيموتا على ذلك ويحشرا مع الفجار الخارجين عن هدى العلماء العاملين ✲ وقال رضى الله عنه جميع المنافع التى أوجدها الله تعالى فى هذه الدار انما أوجدها بالاصالة لتسبح بحمده ، وأما انتفاع عباده بها فانما هو بحكم التبعية ومن قال بعكس ذلك فهو مكر واستدراج ✲ وقال رضى الله عنه منع قوم التفكر للمبتدى وهو

كلام من لاتحقيق عنده والحق أنه ينفع المبتدى لأن القلب أو النفس أو الروح أو السر اوغيرها من المعانى الباطنة يألفون صفاتهم الباطنة فاذا ألفوا التفكر ولدوا وهما والوهم يولد خيالا والخيال يولد علما والعلم يولد يقينا فلا يزال العبد المتفكر يترقى بهمته وفكره حتى يبلغ درجة الكمال فاذا كمل كان مايدركه بالفكر من طريق كشفه وتعريفه ولايحتاج بعد ذلك الى تفكر ولو أنه أراد التفكر لم يجد مايتفكر فيه مع أنه فى حال كماله يدرك فى الزمن الفرد من العلوم والمعارف مالايوصف ☆ وقال رضى الله عنه ليس لفقير الدخول بنفسه فى مواطن التهم بل من شأن الفقير أن يخاف على نفسه من مواطن التهم أكثر مايخاف من وجود الألم لأن مواطن التهم توجب السقم على القلب كما توجب الأغذية الفاسدة السقم على البدن لاسيما وأطباء القلوب قليل ومواطن التهم كثير وان كنت بريا فانها تحكم عليك كما تحكم الشمس بضيائها وحرها على الأمكنة وهى برية من النور والحر ☆ وقال رضى الله عنه انما أخبر الحق تعالى بأنه أقرب جار لنا بشارة بافاضة فضله ورحمته علينا قبل كل أحد من الخلق فنحن أقرب الى عفوه ومغفرته وفضله ومسامحته لأنه أولى من أوفى بحق الجوار وان كنا نحن لم نوف به ☆ وقال رضى الله عنه عداوتنا لأفعال من أمر الحق بعداوته عداوة شرعية وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية والسعادة فى الشرعية لاالطبيعية ☆ وقال رضى الله عنه كما لم يجب الحق تعالى عبده فى كل مسئلة كذلك العبد لم يطعه فى كل مأمره به (جزاء وفاقا) ☆ وقال رضى الله عنه يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمراضه الباطنة وان كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها وان لم يفعل وترك ذلك حياء طبع فربما مات بدائه لأن حياء الطبع مذمومة لكون الافصاح عن المرض فيه زوال رياستها وذمها ☆ وقال رضى الله عنه من تحقق بكتم الأسرار سمع كلام الموتى ورأى ماهم فيه وتأمل البهائم لما لم تكن من عالم التعبير كيف سمعت عذاب الموتى ☆ وقال رضى الله عنه اذا توجهت الى الله تعالى فى حصول أمر دنيوى أو أخروى فتوجه اليه وأنت فقير ذليل فان غناك وعزتك يمنعانك الاجابة وان كان بالله عز وجل لأن الغنى والعز صفتان لايصح للعبد الدخول على الله بهما أبدا لأن حضرة الحق تعالى لها العزة ذاتية فلاتقبل عزيزا ولاغنيا وهذا أمر من ذاقه لايمكنه أن ينكره من نفسه ☆ وقال رضى الله عنه انما سمى المجذوب مجذوبا لأن العبد لم يزل يتعشق حاله ويألفه ولا ينجذب عنه إلا بما هو أقوى منه واذا أراد الله تعالى أن يخلص عبدا ويستخلصه لنفسه جذبه عما كان واقفامعه من أمر الدنيا والآخرة فاذا تعشق بما جذبه الحق اليه ثانيا جذبه عنه ثالثا وانما فعل الحق تعالى ذلك بعبده لينبه العبد على أن جميع حركاته معلولة وربما زها العبد بالقوة الالهية التى أعطاها الحق تعالى له ، فاذا زها قال الحق له ماجذبتك عن ميل منك لى وانما هو لشدة تعشقك نفسك لأحوالها الناقصة فلولا وجود الحلاوة والالتذاذ ماجذبتك فلنفسك سعيت لالى ☆ وقال رضى الله عنه إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فان الخيرة فيما اختاره الله تعالى لك ، وتأمل السيد عيسى عليه الصلاة والسلام لما فر من بنى اسرائيل حين عظموه (١) وأطروه كيف عبد من دون الله تعالى فوقع فى حال أشد مما فر منه ، وأصل اختيار العبد مع الحق انما هو لظن العبد انه مخلوق لنفسه والحق تعالى ماخلق العبد الاله تعالى فلا يعطى تعالى لعبده الامايصلح أن يكون له

(١) قوله وأطروه قال فى المصباح وأطريت فلانا مدحته بأحسن مافيه ، وقيل بالغت فى مدحه وجاوزت الحد اه

تعالى

تعالى ☆ وقال رضي الله عنه لا يكمل ايمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب و يسرى منه الايمان في نفس العالم كله فيأمنوا بالقطع على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من أن يتخلل ذلك الأمان تهمة ☆ وقال رضي الله عنه اذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يرأس على أحد من المخلوقين لأنه يرى الوجود لله تعالى ☆ وقال رضي الله عنه من كمال الرجل أن يحسن الى أعدائه وهم لا يشعرون تخلقا بأخلاق الله عز وجل فانه تعالى دائم الاحسان الى من سماهم أعداءه ☆ وقال رضي الله عنه من صح توحيده لله عز وجل انتفى عنه الرياء والاعجاب وسائر الدعاوى المضلة عن طريق الهدى وذلك لأنه يشهد جميع الأفعال والصفات ليست له وانما هي لله وحده ولا يعجب أحد قط بعمل غيره ولا يتزين به ☆ وقال رضي الله عنه لا يصحب كمال الاسلام اعتراض ولا يصحب كمال الايمان تأويل ولا يصحب الاحسان سوء أدب ولا يصحب المعرفة همة ولا يصحب الاخلاص في العمل لذة ولا يصحب العلم جهل ☆ وقال رضي الله عنه من ملكته نفسه عذب بنار التدبير ومن ملكها لله تعالى عذب بنار الاختيار ومن عجز عن العجز ذوقه الله حلاوة الأعمال ☆ وقال رضي الله عنه من أدرك من نفسه التبديل والتغيير في كل نفس فهو العالم بقوله تعالى (كل يوم هو في شأن) وقال رضي الله عنه من علامة فقد النفس عدم شهوته لشيء من أمور الدنيا والآخرة ☆ وقال رضي الله عنه خص بالبلاء من عرفه الناس أو عرف الناس لكن الأول مبتلى بالله تعالى والثاني مبتلى بنفسه ☆ وقال رضي الله عنه لا تثبت السيادة إلا له تعالى ولا تثبت العبودية إلا لك فالسيد لا يملك والعبد لا يملك والمكاتب قن ما بقي عليه شيء فان وفى خرج من رق سيده ودخل في رق نفسه وان يوف فحاله موقوف وخاتمته مجهولة والعبد يحمل اليه رزقه وهو في رق سيد واحد والمكاتب يسعى في طلب رزقه وهو في رق ثلاثة سيده ونفسه ودينه ☆ وقال رضي الله عنه من طلب دليلا على الوحدانية كان الحمار أعرف منه بالله تعالى ☆ وقال رضي الله عنه لا تنصح من لا يستشيرك ولا يسألك الا ان أعطاك الله أحد أمرين إما الكشف التام الذي لا يدخله محو ولا اثبات ، وأما الالقاء في الروع لأن القصد من استشارة الفقراء انما هو الكشف عن حقيقة الشيء الثابت لا غير ☆ وقال رضي الله عنه الرزق في طلب المرزوق دائر والمرزوق في طلب رزقه حائر و بسكون أحدهما يتحرك الآخر ☆ وقال رضي الله عنه أخلاق الورثة امتثال الأوامر الالهية وأخلاق كمل المؤمنين اجتناب المناهي وأخلاق الشياطين بالضد من ذلك فمن لم يعلم حقيقة نفسه فليعلم حقيقة عمله فان الثوب يدل على لابسه ☆ وقال رضي الله عنه العلوم الالهية لا تنزل إلا في الأوعية الفارغة ثم أنشد لبعضهم

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ☆ وصادف قلبي فارغا فتمكنا

وقال رضي الله عنه على استعداد الجسد ينفخ فيه الروح وليس الاستعداد الا العمل ولا الروح الا المعرفة ☆ وقال رضي الله عنه اياكم والوقوع في المعاصي ثم تقولون هذا من ابليس فان ابليس يتبرأ منكم في مكان يصدق فيه الكذوب وذلك حين يخطب في النار و يقول في خطبته (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يعني ما أغويتكم حتى ملتم بنفوسكم الى الوقوع في المعاصي (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني قبل أن تميلوا ☆ وقال رضي الله عنه العارفون يعرفون بالابصار ما تعرفه الناس بالبصائر و يعرفون بالبصائر ما لا يدركه أحد غيرهم ومع ذلك فهم لا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم ☆ وقال رضي الله عنه لا تنازع أحدا في طبعه فانه مملوك لنفسه أو للكون ، وان كان ولا بد فاعرف مالكه ثم نازعه

وقال رضى الله عنه أشد العذاب سلب الروح وأكمل النعيم سلب النفس وألذ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب وبداية الاسلام التسليم وبداية الايمان الرضا ☆ وقال رضى الله عنه علامة الراسخ فى العلم أن يزداد تمكينا عند السلب لانه مع الحق بما أحب لامع نفسه بما تحب فمن وجد اللذة فى حال علمه وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضورا ☆ قال بعض العارفين والسلب شامل لكل مزعج وبلية وشدة تذهله عن علمه فان بقى معه الحضور مع الله وبقيت معه لذة العلم بالله عند وقوع الشدائد والمزعجات وقابل ذلك بالرضا والتسليم ، فانه من الراسخين الذين يزدادون تمكينا عند السلب والافهو مع نفسه ☆ وقال رضى الله عنه من شرط التواضع أن يغيب عنك شهود التواضع ☆ وقال رضى الله عنه يقبح على العبد أن يميل بنفسه الى خرق العوائد ويألف النعمة دون المنعم فان الله تعالى ماأعطى عبده النعم الاليرجع اليه بهاعبدا ذليلا ليكون له ربا كفيلا فانظر بأى شئ استبدلت ربك (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى لأجل اختيارهم مع الله تعالى ☆ وقال رضى الله عنه الميل الى كل شئ دون الله تعالى مذموم الا فى حقوق الله تعالى ومأموراته ☆ وقال رضى الله عنه إياكم والجزع فى مواطن الامتحان يمتحنكم الله بأشد من ذلك ☆ وقال رضى الله عنه لا يكمل الفقير حتى يحمل كله عن شيخه فان من رمى أثقاله على شيخه فهو سيء الأدب ☆ وسئل رضى الله عنه عن القساوة التى يجدها العبد فى قلبه فقال للسائل اشكر الله تعالى حيث ستر عنك حالك لتكون عبدا له صرفا لاعبد خشوعك وحضورك . فقال له السائل وأنا ان شاء الله عبدله صرفا مع ذلك ومع غيره فقال صحيح لكن الامتحان آفاته كثيرة والمحبوب عند الله من ادخر له ماوعده به على أعماله الى الدار الآخرة وخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير خسارة ، ثم قال رضى الله عنه وإياك وكل شئ ألفته نفسك فان السم فيه ولا بد لنفوذ السم من معين ولا معين له الا النفس وانظر الى قوله تعالى لآدم وحواء (ولاتقربا هذه الشجرة) مع علمه بها حال علمه بالأسماء . فلما أراد الله تعالى نفوذ قدرته ألف بينه وبين من كان سببا فى أ له وليست إلا نفسه التى حواء مظهرها فما نزل به البلاء إلا منه وبه ☆ وقال رضى الله عنه اذا بلغ العارف مقام الكمال فليس له الاستناد لغير مايظهره الله فيه من العلوم وشكا اليه بعضهم مايقع له من كثرة النوم فقال رضى الله عنه لاتلتفت الى شيء دون الله تعالى فان من وقف مع الأسباب أشرك مع الحق فارجع الى ربك وفى لمحة تقع الصلحة فقال له الشاكى ويقع لى كثرة السهر والقلق فى بعض الأوقات فقال له ان كان فى فكر فى المصالح الدينية فلذة وخير كبير وان كان السهر مع الغفلة فبلاء نزل يوزعه الله على المؤمنين حتى يرتفع فارجع الى ربك وقال رضى الله عنه كل وصف ونعت محمود فباطنه ذم وتخويف وكل وصف ونعت مذموم فباطنه مدح ورجاء لمن استبصر هكذا حكمة الله فى كلامه ☆ وقال رضى الله عنه فى قوله ﷺ يحشر المرء على دين خليله النفس أقرب خليل اليك فانظر كيف تكون فانه من هنا جاء البلاء والخوف فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ☆ وقال رضى الله عنه اذا كنت مؤمنا وسمعت أنه تعالى يمدح المؤمنين فلاتبادر الى كونك مؤمنا وتأمل قبل ذلك هل أنت على ماوصف الله به المؤمنين من الصفات التى مدحهم عليها أم لا ثم ان كنت على ماوصف فهل تموت على ذلك أم لا فان علمت انك تموت على ذلك فقد أمنت مكر الله (ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وان علمت انك تموت

على

على غير ذلك فقد أيست من رحمة الله (ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) فكن بين الخوف والرجا. فانه الصراط المستقيم * وقال رضى الله عنه قد يثقل الله تعالى البلاء على العاصى حتى يرجع عما هو عليه لالتذهب به يدالشقاء حيث أراد الله عز وجل * وقال رضى الله عنه من قرب من أخلاق رسول الله كان له الاطلاق والسراح فى البرزخ تبعا لرسول الله ﷺ فيجتمع كلما شاء بمن شاء من أصدقائه وغيرهم وأما من بعد من أخلاق رسوله ﷺ بالأفعال الرديئة فان شاء أطلقه وان شاء قيده فلايصح له الاجماع بمن يريده * وقال رضى الله عنه يقول الله لعبده ياعبدى افعل ماأمرتك فانك عبد مأمور مأجور ولاتشهد الفعل لك فان الفعل لى وأنت محدث متردد بين العدم والوجود وأنا الفعال لما أريد بفعلك لى وثواب فعلك لك لأنى غنى عنك وعن فعلى فيك ولك وبك فان شهدت الفعل لك فانت مشرك وان لم تفعل فأنت كافر فاحذرنى وافعل كل ما أمرتك به ولاتنسب لنفسك قولا ولافعلا وأنا الخلاق العليم * وقال رضى لله عنه اذا صلح القلب كان بيتا لله ومهبط الوحى والأنوار واذا فسد كان بيت الشيطان والهوى والظلمة فالبيت لايقبل الاماشاكله وقال رضى الله عنه لايخرج أحد من الدنيا حتى يكشف له عن حقيقة ماهو عليه ويتساوى مع أهل الكشف انما هوتقديم وتأخير والحقائق المقولة عنه رضى الله عنه كثيرة وفى هذا المعنى القدر كفاية والله أعلم

﴿وكان الشيخ أبوالفضل الأحمدى رضى الله عنه﴾ يقول من نظر الى ثوابه فى أعماله عاجلا أوآجلا فقد خرج عن أوصاف العبودية التى لاثواب لها الا وجه الله تعالى * وكان رضى الله عنه يقول عليك بحسن الظن فى شأن ولاة أمور المسلمين وان جاروا فان الله تعالى لا يسأل أحدا قط فى الآخرة لم حسنت ظنك بالعباد ولا تسب أحدا من خلق الله على التعيين بسبب معصية وان عظمت فانك لاتدرى بم يختم لك وله ولاتسب من أحد اذاسببت الا فعله لا عينه فان عينك وعينه واحدة فلاتسب الا الفعل الردىء المذموم لقوله ﷺ فى الثوم انهاشجرة أكره ريحها، فلم يقل أكرهها وانما أكره ريحها الذى هو بعض صفاتها * وكان رضى الله عنه يقول لايخلو المنقص لأعراض الناس عن ثلاثة أحوال اما أن يرى نفسه أفضل منهم فهو حينئذ أسوء حالا منهم كما وقع لابليس مع آدم عليه السلام واما أن يرى نفسه مثلهم فما أنكر الاعلى حال نفسه حقيقة، واما أن يرى نفسه دونهم فلايليق به تنقيص من هو خير منه * وقال رضى الله عنه كفوا غضبكم عمن يسىء اليكم لأنه سلط عليكم بارادة ربكم * وقال رضى الله عنه افعلوا ماأمركم الشرع به ولكن من حيث مشروعيته والأمر به لامن حيث علة أخرى واتركوا العلل كلها فى جميع أحوالكم وأعمالكم واقطعوا الكل بقوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت) * وقال رضى الله عنه لاتركن الى شىء ولاتأمن نفسك فى شىء ولاتأمن مكر الله لشىء ولاتغير شيء ولاتختر لنفسك حالة تسكون عليها، فانك لاتدرى أتصل الى ما اخترته أم لا، ثم ان وصلت اليه فلاتعلم ألك فيه خير أم لا، ان لم تصل اليه فاشكر الله الذى منعك فان لم يمنعك عن بخل فكن حسن الظن بربك واذاخيرك الحق تعالى فى شىء فاختر عدم الاختيار ولاتقف مع شىء ولاترى لنفسك شيئا ولاتحزن على شىء خرج عنك فانه لوكان لك ماخرج عنك ولاتفرح قط بما حصل لك من أمور الدنيا والآخرة دون الله فان ماسوى الله عدم

﴿قال الجنيد رضى الله عنه﴾ من عرف الله بالربوبية وافتقراليه بالعبودية وشهده ... ما كشف

الله له من آثار القدرة بقوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها﴾ الآية فسمع هذا من ربه وشهده بقلبه وقع فى الروح والراحة وانشراح الصدر وهان عليه مايصيبه ، فاذا فنى العبد عن أوصاف النفس تخلص من الاضطراب وجاز الى عالم السكون ومعرفة سر القدر ، وفى الحديث الايمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن

﴿قال أبو عبد الله الترمذى الحكيم رضى الله عنه﴾ ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله منها مثلت نفسى بين مادبر الله لى فى هذه العلة فى مقدار هذه المدة و بين عبادة الثقلين فى مقدار أيام علتى فقلت لوخيرت بين هذه العلة و بين أن تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها فصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى على أن مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيه اذ كان فعله ، فشتان بين فعله بك لتنجو و بين فعلك لتنجو به ، فلما رأيت هذا دق فى عينى عبادة الثقلين مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى الله فصارت العلة عندى نعمة ، وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الأمل عطفا ، فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرئون البلاء على طيب النفوس مع الحق و بهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء

﴿قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه﴾ اذا أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية نصب عينيه

﴿قال عبدالله بن منازل رضى الله عنه﴾ العبد عبد مالم يطلب شيئا لنفسه فاذا طلب شيئا لنفسه سقط عن حد العبودية وترك آدابها لكونه عظم نفسه ورآها أهلا لأن تعطى شيئا فلا يرى الفضل لمولاه فى لطفه به حيث أعانه على طاعته وأجراها عليه وفوق العبودية مقام الحرية ، وهو أن يكون بكمال العبودية لأن كمالها افراغ الوسع والجهد فى الطلب بالبدن والقلب فى كل مايرد عليه من الله تعالى فاذا صدقت عبوديته خلصت عن رق الاغيار حريته فأما من توهم أن العبد يخلع وقتا عذار العبودية ويحيد عن حد الامر والنهى وهو مميز فى دار التكليف زعما منه انه مشتغل بالربوبية ، فذلك انسلاخ من الدين

﴿قال﴾ الجنيد لما قيل له ان من أهل المعرفة قوما يقولون ترك الأعمال من البر زعما منهم أنهم وصلوا فقال الذى يسرق ويزنى أحسن حالا ممن يقول هذا لو بقيت ألف عام لم أنقص من أورادى شيئا ✲ وقال غيره لما سئل عمن يقول ذلك نعم وصل ولكن الى سقر قال الله تعالى لنبيه ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعنى الموت

﴿والذى أشار اليه القوم من الحرية﴾ هو أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شىء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا من أعواض الآخرة فلا يطلب حالا ولا مقاما ولا قربا من جنة ولا بعدا من نار يفعل ماأمره الله به ويجتنب مانهاه عبودية لله تعالى فان طلب الجنة أوخاف من النار يكون انما يفعل ذلك امتثالا لأمر الله تعالى فان الله تعالى أمر عباده أن يسألوه الجنة ويستعيذوه من النار فاذا فعل ذلك امتثالا للامر لا طلبا لحظ النفس كان قائما بحق العبودية وله الثواب الأوفى على ذلك فقول من قال ماعبدناه طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره ليس مقصودهم أنهم لا يرجون ولا يخافون فانهم مأمورون بذلك بل مرادهم أنهم مافعلوا ذلك طلبا لحظ أنفسهم بل حيث مافعلوه انما يفعلونه عبودية وامتثالا لأمر الله تعالى فصاحب هذا المقام يكون فردا لفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل

منى

مني ولا نيل أرب ، فالحر من لم يعلق قلبه فى الدنيا بعرض ولا فى الآخرة بعوض وأول الأمر وأساسه امتثال الأمر واجتناب النهى فمن لم يكن كذلك وادعى هذا المقام فهو كذاب مخادع مخذول مغرور ولهذا كان هذا المقام عزيزا ، وأعلى من الحرية الفتوة وهو مقام جليل وهو أن تكون ساعيا فى أمر غيرك ولا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا على غيرك

﴿قال الشيخ أبو على الدقاق هذا الخلق لا يكون كماله الا لرسول الله ﷺ﴾ فان كل أحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو عليه الصلاة والسلام يقول أمتى أمتى لأن الشغل بالغير عن النفس فى هذا المقام غاية الفتوة . ومن الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان فالفتى من لا خصم له لكمال أخلاقه الجيدة و بعده عن الذميمة ، وقيل الفتوة أن تكون خصما لنفسك لأجل ربك بأن تمنعها عن الميل الى الشهوات والكسل والبطالات وتحثها على الاستقامة على الطاعات لا للخوف والرجاء بل لكمال المحبة والقيام بالعبودية ، ويقال الفتى من لا يكون خصما لأحد ☆ وقال بعضهم الفتى من كسر الصنم قال تعالى (فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) وقال (فجعلهم جذاذا) وصنم كل انسان نفسه فمن خالف نفسه وهواها فهو فتى على الحقيقة

﴿وقال﴾ الحارث بن أسد المحاسبى الفتوة أن تنصف غيرك ولا تنتصف من غيرك بل تعطى الحق الذى عليك ولا تطالب غيرك بحقك لزهدك وكمال عدلك وانصافك ☆ وقال النصر اباذى الفتوة الاعراض عن الكونين أى الدنيا والآخرة والاستنكاف منهما بأن يعمل العبد لله فلا يكون له حظ سوى موافقة مولاه والعمل بما يرضاه ☆ وسئل الامام أحمد عن الفتوة فقال ترك ما تهوى لما تخشى عواقبه ☆ وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع السنة وهو ما كان عليه النبى ﷺ ، وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ☆ وقال الجنيد الفتوة كف الأذى عن الناس و بذل الندى يعنى الجود بالموجود من علم أو مال ، وقيل الفتوة الوفاء بما عليك لله تعالى ولخلقه وحفظك الحدود بان لا تتعداها ، وقيل الفتوة أن تكون أعمالك صالحة ولا ترى نفسك فيها بأن تتبرأ من حولك وقوتك وترى انها من فضل ربك عليك ، وقيل الفتوة اظهار النعمة و إسرار المحنة لأنه تعالى اذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يظهرها فان إظهارها سبب لشكرها وأسرار المحنة دليل على الصبر واحتمال الأذى لأنه باسرارها يسلم من اطلاع الخلق عليها فى ذلك كمال المروءة والفتوة

قال الامام القشيرى رضى الله عنه﴾ واعلم ان مدار الأمر كله فى الوصول الى الله تعالى الاستقامة والعمل على منهاج الشريعة مع الاقتداء والمتابعة للنبى ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أمته وكل من للشرع عليه اعتراض فهو ممكور به مخادع وقد ارتحل عن بعض القلوب حرمة الشريعة فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة لمقاصدهم الخسيسة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام فعدوا ذلك فى جملة الصدق وهو جهل منهم ، فكيف يكون صادقا من لم يعظم ما عظمه الله ولم يحترم من أمره الله باحترامه واستخفوا باداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلوات وركضوا فى ميدان الغفلات لزعمهم بجهلهم ان العبادات انما هى وسيلة لحضور القلب مع الله تعالى فاذا حضر المتوسل اليه أغنى عن الوسيلة

﴿وقد سئل الجنيد عن هذه الطائفة﴾ فقال الذى يسرق ويزنى أحسن حالا ممن يزعم هذا

قال الامام القشيرى وماقاله حق لأن من يسرق ويزنى يعتقد نقص نفسه وعصيانه لربه وترجى له التوبة ، بخلاف من اعتقد أن من جملة مايقرّبه الى ربه ترك هذه العبادات فلا يرجع عن ذلك أبدا ونقل عن بعضهم انه قيل له عمن يقول ذلك ويزعم انه وصل ، فقال قد صدق ولكنه وصل الى سقر فهؤلاء ركنوا الى الشهوات وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، ثم انهم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا الى وصولهم الى أعلى الحقائق والاحوال وادّعوا انهم تحرروا عن رق الاغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه وهم محو لا تكليف عليهم فيما يأتون أو يذرون وأنهم لا عتب عليهم ولا لوم وأنهم كوشفوا بأسرار الاحدية واختطفوا عن أنفسهم بالكلية وزالت عنهم أحكام البشرية وبقوا بعد فنائهم بأنوار الصمدية وأنهم القائل عنهم غيرهم اذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فيما يصرفوا فيه بل فيما صرفوا عنه وذلك كله كذب اذا الدرجات العلية لاتنال بما اتصفوا به فالاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال تعالى (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) أى إحكام ، وحقيقة الاستقامة أن تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة وهى بالنظر الى محالها خمسة أنواع ، استقامة اللسان ، واستقامة القلب واستقامة النفس ، واستقامة الروح واستقامة السر ، فالأولى بالنطق بالحكمة والثانية بصدق الهمة والثالثة بحسن الخدمة والرابعة بتعظيم الحرمة والخامسة بالاشتغال بالمنعم دون النعمة

﴿قال أبو على الجوزجانى كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة﴾ فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة ، فاستقم تكن آتيا بما طلبه منك ربك ، بخلاف من عمل لحصول الكرامة فانه عمل لغير الله تعالى فلا يكون مخلصا وهو مأمور بالاخلاص قال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

﴿قال أبو على الشبوى﴾ رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت له روى عنك يارسول الله انك قلت شيبتنى هود ، فما الذى شيبك منها ، أشيبك قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال لا ولكن انما شيبنى قوله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) اذ قوله كما أمرت يدل على ان الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كانت معرفته بربه كاملة عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم انه طولب باستقامة تليق بمعرفته بكمال الأمر له وحقيق لمن فهم ذلك أن يشيب اذ لا يطيق أحد أن يأتى بعبادة على حسب مايعرف من عظمة ربه بل لابد أن يستصغر جميع مايأتى به وان كان كاملا بالاضافة الى من لا يعرف مثل مايعرفه من عظمة ربه ولذلك لما نزل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قلقت الصحابة خوفا من كونهم لايقدرون على القيام بمعنى ذلك فأنزل الله رحمة لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) فالاستقامة لا يطيقها الا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات والمألوفات ومفارقة الرسوم والعادات من حظوظ النفس والقيام بين يدى الله على حقيقة الصدق ولذلك قال ﷺ استقيموا لن تحصوا * قال الواسطى الخصلة التى كملت بها المحاسن هى الاستقامة ، حتى لو فقدت من أحدهم ادعى كرامة قبح ذلك منه وعد نقصا فى حاله ولو جرى ذلك له كان استدراجا ومكرا نعوذ بالله من بلائه وفتنته ، وقد قال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة)

﴿قال الشبلى رضى الله عنه﴾ الاستقامة ان تشهد لوقت الذى أنت فيه قيامة قامت تستشعر فيها قيامك بين يدى مولاك فتحسن استقامتك له فى دنياك وتنظر الأمر المطلوب منك فى ذلك الوقت فتأتى به مخلصا لله تعالى ، والاخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق بأن لا تفرح برؤيتهم لما أنت فيه من العمل ليمدحوك وان لا تخشى ان ينتقصوك ، ولابد أن تكون مع الاخلاص صادقا والصدق التنقى عن مطالعة النفس بان تتخلص من الاعجاب فلا تستحسن عملك ولا تضفه الى نفسك ، فالمخلص لا رياء له والصادق لا اعجاب له ، ومتى شهد العبد فى اخلاصه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص بل سماه بعضهم رياء ، فقال رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين فحق المخلص أن لا يرى اخلاصه ولا يسكن اليه ، فتى خالف ذلك لم يكمل اخلاصه ☆ قال ذوالنون رضى الله عنه من علامات الاخلاص استواء المدح والذم من جميع الناس ☆ وقال أبو عثمان المغربى الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال بأن لا يكون فيه رياء ولا عجب وهذا اخلاص العوام ، وأما اخلاص الخواص فهو ما يجرى عليهم من ربهم من الأعمال خالصة كاملة فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل فلا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد ، وانما اعتدادهم برحمة ربهم وفضله عليهم فذلك اخلاص الخواص فى أعمالهم الجارية عليهم من ربهم ☆ وقال أبو بكر الزقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فى عمله رؤية استحسان لا رؤية كمال وصحة ومنة لله وفضل منه ، فاذا أراد الله لعبده أن يخلص اخلاصه من الرياء والعجب أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه رؤية استحسان فيكون مخلصا بفتح اللام وهو من أخلصه الله من كل شىء لا مخلصا بكسرها وهو من أخلص فى عمله ☆ وقال سهل ابن عبد الله رضى الله عنه لا يعرف الرياء الا مخلص ، لأن الاخلاص ضد الرياء فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه وهو لا يشعر ، ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه بمعرفته بربه ☆ وقال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين لأن غاية المريد المبتدىء أن يخلص عمله من الرياء المبطل له فيكون مخلصا ثم يدخل عليه فيه العجب لكونه أضافه الى نفسه وقد يسلم عمله من الرياء والعجب وتسكن نفسه الى حسنه ويعتمد عليه فيكون نقصا والعارف يرى نفسه محلا لجريان الطاعة بشرط كمالها ويكون مشغولا بافراد ربه بعلمه الشريف عن سكون نفسه الى عمله فاذا سكنت نفسه الى عمله عده رياء لكونه خطر بباله فى عمله غير الله تعالى ، واذا كان هذا رياء العارفين فأين هو من اخلاص المريدين الذين تخلصت أعمالهم من الرياء المحرم خاصة وبينه وبين ماعده العارفون رياء درجات ☆ وقال أبو عثمان رضى الله عنه الاخلاص نسيان رؤية الخلق فى العمل به بدوام النظر الى فضل الخالق عليك به وهذا اخلاص العارفين فانهم يخلصون حتى من رؤيتهم له استحسانا ☆ وقال حذيفة المرعشى الاخلاص أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن بأن يكون عمله لله فى الظاهر كعمله له فى الباطن فلا يتغير بوجود الخلق ولا بعدمهم فالاخلاص ما أريد به الحق وقصد به الصدق ☆ قال السرى السقطى رضى الله عنه من تزين للناس بما ليس فيه من الطاعات سقط من عين الله تعالى لكونه بذلك صار مرائيا ان كان تزينه لطلب حمدهم وخوفا من ذمهم وكذابا ان كان تزينه لاظهار كمال ليس فيه كما قال ﷺ المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبى زور

﴿وقال الفضيل رضى الله عنه﴾ ترك العمل من أجل الناس رياء أى من حيث انه يتوهم منهم انهم ينسبونه بالعمل الى الرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم له بالاخلاص فيكون مرائيا بتركه لدوام نسبته الى الاخلاص لا للرياء والعمل من أجل الناس شرك لكونه أشرك فى عمله غيره والاخلاص أن يعافيك الله منهما أى من الرياء والشرك . والصدق أعلى من الاخلاص وبه يتم سلوك العبد فمن وزن حاله بميزان الشرع ومنّ الله عليه بالصدق قطع فى المدة القريبة مالا يقطعه غيره فى المدة الطويلة وأقل الصدق استواء السرّ والعلانية والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله ☆ قال أحمد بن خضرويه رضى الله عنه من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله مع الصادقين بالحفظ والعون لهم لأنهم صدقوا فى القيام بحقه ☆ قال الجنيد رضى الله عنه الصادق يتقلب فى اليوم أربعين مرة فى أحواله ومعاملاته على مايقتضيه الحال والدليل مما هو الأفضل فى حقه ويدور مع الدليل حيث دار فنى رأى حالة هى أولى انتقل اليها ولا يقف مع حال واحد ولو كانت نورانية اطمأنت نفسه اليها لانه قائم بعبوديته لا لطلب مقام ولا حال قال تعالى (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم إياه تعبدون) والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة يستحسن حالها ويظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل فى الحقيقة فى غضب ربه وابعاده منه ☆ وقال عبدالواحد بن زيد رضى الله عنه الصدق لله سبحانه وتعالى هو الوفاء بالعمل المطلوب منك ومنه قوله تعالى (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) وقال تعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) ☆ وقال سهل بن عبدالله رضى الله عنه لايشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أوغيره بأن يسمح باختلال بعض دينه بخلاف المداراة بأن يسمح ببعض دنياه جبرا لحاله ☆ وقال أبو سعيد القرشى رضى الله عنه الصادق هو الذى يتهيأ له أن يموت بأن يهجم عليه الموت ولايستحى من سره لوكشف للناس بأن يستوى ظاهره وباطنه وربما يكون باطنه خيرا من ظاهره بخلاف من كان عنده نقص يخفيه عن الناس فهو يكره اطلاعهم عليه فى حياته وبعد وفاته خوفا من أن تزول درجته عندهم فهو يستحى أن ينكشف سره ☆ وسئل الحارث المحاسبى عن علامة الصادق فقال هو الذى لايبالى لوخرج كل قدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولايحب اطلاع الناس على مثاقيل الذرّ من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السىء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحبّ الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين

قال الجريرى من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة بأن يأتى بالمأمورات وينكف عن المنهيات على وجهها لم يصل الى الكشف والمشاهدة والمراد بهما غلبة حال الحق على القلب حتى لايلتفت لغيره مع القيام بشعب الايمان وعدم ترك شئ من آداب الشرع ☆ قال الامام الغزالى فى الاحياء من الغرور الاشتغال بنوافل الطاعات وترك كثير من الواجبات ☆ وقال الواسطى التقوى أن يتقى العبد من تقواه أى من رؤية تقواه بأن يعرض عنها ولايركن اليها شغلا بمولاه وحذرا من سكونه لغير من تولاه وقاله معاذ بن جبل رضى الله عنه كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا أى اذكره كثيرا لعلّ قلبك يرى الله تعالى فاذا كنت من الذاكرين الدائمين على ذكره كنت ممن يعبدالله كأنه يراه وممن لايقصد فى حوائجه سواه ويلزم من ذلك أنه لا يكلم الناس الالحاجة مهمة

وقال معاذ أيضا رضى الله عنه ان المؤمن الكامل العارف بأحكام ربه لايطمئن قلبه ولاتسكن

روعته من الآفات التى تقع فى أعماله المطلوبة منه حتى يخلف جسر جهنم وراءه ☼ وسئل ذوالنون المصرى رضى الله عنه متى يتيسر على العبد سبيل الخوف قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى من كل شيء مخافة طول السقام فتى أنزلها منزلها وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ماينفعها ودفع مايضرها الابالله وأدام النظر فى ذلك سهل عليه أمر الخوف أى عمل بمقتضاه و بعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة فى ارتكاب المخالفات لهواه لما يؤمله فى عقباه ولذلك شبهه بالمريض الذى يحتاج الى الأدوية و يتحمل فى تناولها ماتكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه و بلواه

قال بشر الحافى الخوف من الله ملك لايسكن الافى قلب متق لانه لايقوى ولا يكمل و يحمل على الخير و يصرف عن الشر الافى قلب تطهر من الشهوات بأنواع المجاهدات كما أن الملوك لاتسكن فى محل الأوساخ والقاذورات فاذا نزلوا فى موضع وفيه قذر غسل من ساعته ونظف لأن شرف هممهم تنافيها ☼ وقال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه عيب الخائف من خوفه السكون الى خوفه من أمر خفى لأن من سكن الى مقام شريف منعه السكون عن الارتقاء الى ماهو اكمل منه ☼ وقال النورى الخائف يهرب من ربه الى ربه ومن معصيته الى طاعته ومن سخطه الى رضاه أى لايهرب من الله الى غيره وعلامة الخوف التحير والقلق فى أسباب النجاة والفكرة فى الخلاص عما يوجب العقاب فلا يقف عند شئ من الطاعات بل يتنقل منها تعرضا للنفحات فالخوف وقوف على باب الله من لازم بتذلل الباب يرجى له نيل الثواب فضلا عن خلاصه من العقاب ☼ وقال الجنيد الخوف هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس لأن الخوف يرفع عن القلب الحجاب و ينيله المراقبة لرضا الأكرم الوهاب ☼ وقال أبو عثمان أصدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا و باطنا لأن الورع هو تجنب مايحذر فكل خوف لايثمر تجنب المخوف فليس بخوف صحيح ☼ قال القشيرى العبد لايدرى أين يصير لكنه ان رأى نفسه على الصراط المستقيم غلب عليه الرجاء وان رآها بعكس ذلك خاف عليها ، فهو وان غلبت طاعاته يخاف التغيير والتبديل ولا يغتر بحاله التى هو عليها كما قال تعالى (و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) فرب معصية احتقرها فى عينه كانت سبب خسرانه عند الله تعالى فكم من مغبوط فى أحواله انعكست عليه الحال التى هو فيها وابتلى بقبيح الأعمال فبدل بالأنس وحشة و بالحضور غيبة فلا يغتر العبد بحالته التى هو فيها وان سكنت نفسه اليها وأثنى عليه الناس بها ولينظر ماهو الواجب عليه لله تعالى فى كل وقت فليقم به قال وسمعت الأستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ☼ ولم تخف سوء مايجرى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ☼ وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وليعتبر العبد بقصة ابليس و بلعام بن باعوراء الذى قال الله فيه (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) الى آخر الآية وكل ذلك بسبب رؤية النفس والتقصير فى القيام بالحقوق

قال حاتم الأصم رضى الله عنه لاتغتر بمكان صالح فلامكان أصلح من الجنة فلقى آدم عليه السلام فيها مالقى ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقى مالقى ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام بن باعوراء كان من علماء بنى اسرائيل وكان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب ولا تغترر برؤية الصالحين فلاشخص أكبر قدرا من النبى صلى الله عليه

وسلم ومع ذلك لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه ولا تغتر بشرف النسب فقد قال الله تعالى (يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) وقال تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون) فالاعتماد على الأعمال والرضا عن النفس من أقبح الخصال وهى منافية للخوف من ذى الجلال * قال بعضهم مارأيت رجلا أعظم رجاء فى هذه الأمة ولاأشد خوفا على نفسه من ابن سيرين حيث نظر الى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجالهم العفو عمايقع منهم ، وأحسن ماينفع العبد المراقبة وهى دوام النظر بالقلب الى الله تعالى ومراقبة مايبدو من أفعاله وأحكامه ويعبر عن ذلك باستشعارك نظر الله اليك فى حركاتك وسكناتك ، وسببها معرفة الله تعالى بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه ، وثمرتها حسن الآداب والسلامة من شديد الحساب والتحلى بحلية الأولياء ذوى الألباب ، فلاتقصر فى شيء من المأمورات ولاتتناول شيئا من المحظورات لأنك تراقب ان الله لايراك حيث نهاك ولايفقدك حيث أمرك قال ﷺ «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ثم ينتهى الحال بأهل المراقبة حتى لايشهدوا بقلوبهم غير الله وعلامة صدقهم فى ذلك أن لايقصروا فى شيء من مأمورات الشرع ولايرتكبوا شيئا من منهياته فكل من للشرع عليه اعتراض فهو مخادع مخذول ممكور به . فالمراقبة أصل كل خير ولايصل العبد الى هذه المرتبة الابعد فراغه من المحاسبة لنفسه وهى التثبت قبل الفعل ليزنه بميزان الشرع فاذاحاسب نفسه على ماسلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله وبينه وبين عباد الله وحفظ مع الله الأنفاس دام له الشهود وقلت غفلاته وارتفعت حالاته فيكون قلبه وأقواله وأفعاله فيمافيه رضا مولاه . قال ذى النون المصرى المراقبة إيثار ما آثر الله وتعظيم ماعظم الله وتصغير ماصغر الله ، ولايتم للعبد ذلك الا باستشعاره نظر الله اليه فى حركاته وسكناته فلايفعل شيئا لحظ نفسه انمايفعل مافيه القيام بعبوديته ، وقال الجريرى رضى الله عنه أمرنا هذا مبنى على فصلين ، وهما أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى فى حركاتك وسكناتك وأن يكون العلم على ظاهرك قائما بأن تكون حركاتك وسكناتك موزنة بالشرع وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه مراعاة أحكام الله تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر لله تعالى فى أعمال القلب والجوارح * وقال أبوعثمان المغربى أفضل مايلزم به الانسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم بأن يزن ماهو فيه بالعلم الشرعى وهو يجرى فى الأعمال والأحوال والحقائق فوزن الأعمال أن تقع على مقتضى الطلب ووزن الأحوال أن يلازمها بشرط الأدب ووزن الحقائق أن يغلب الحق على القلب حتى لايلتفت لغيره

﴿وقال أبوعثمان﴾ قال لى أبوحفص اذا جلست للناس : أى لوعظهم فكن واعظا لقلبك ولنفسك لينتفعوا بوعظك فانه اذاصحت نيتك فى وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك ووقع فى قلب السامعين ولايغرنك اجتماع الناس عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله سبحانه وتعالى يراقب باطنك ، ولتكن راضيا بقضاء الله عليك وبما يصل منه اليك . قال شيخ الاسلام زكريا الأنصارى فى شرحه على رسالة القشيرى يجب على العبد أن يرضى بما يجريه الله عليه بشرط أن يكون الذى يجرى عليه مطلوبا شرعيا وأما اذا كان غير مطلوب شرعا فهو فى رضا الشيطان لافى رضا الله تعالى نعم يجب عليه الرضا بالقضا من حيث القضا أى من حيث صدوره من الله تعالى لامن حيث المقضى أمامن حيث المقضى فلايرضى به الا ان كان موافقا للشرع فيجب الرضا بالقضاء وبعض المقضيات لا بكلها اذ ليس كل ماهو

بقضائه

بقضائه يجوز للعبد أن يرضى به كالمعاصى والكفر قال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) فلا يرضى العبد بالمعاصى ولا بما كان مخالفا للشرع ولو مكروها أو خلاف الاولى وان كانت مرادة لله تعالى واختلف العارفون فى أن الأولى للعبد الدعاء أو الامساك لأنه لا يرد القضاء والمختار التفصيل وهو أنه ان كان فى مقام الجمال والبسط فالأولى له الدعاء تلذذا بمخاطبة مولاه وان كان فى مقام الجلال والهيبة فالأولى له الامساك كما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار ، وقد جرت عادة الملوك أنهم فى حال الغضب لا يقدر أحد أن يكلمهم ولا يراجعهم بخلاف حالة البسط (ولله المثل الأعلى) فالأولى للعبد التسليم فى مقام الجلال والهيبة والغضب والأولى به الدعاء فى مقام الجمال والبسط ثم اذا دعا فليكن بدعائه ممتثلا لأمر الله تعالى حيث يقول (ادعونى أستجب لكم) ولا يكن قاصدا لحظ نفسه بل يفعل ذلك عبودية وامتثالا للأمر وعلامة صدقه أن لا يضطرب قلبه اذا لم يحصل مراده بل كان بعض العارفين يطمئن قلبه ويسكن اذا حصل غير مراده أكثر مما حصل مراده ويقول ان مراد الله خير من مرادى وهو أعلم بالمصلحة منى ، وأما اذا حصل مراده فانه يقول أخشى أن يكون ذلك استدراجا فمن كان يدعو امتثالا للأمر على هذا الشرط فهو خير له من الامساك بخلاف من يريد أن الأشياء تجرى على مراده ويضطرب قلبه ويسخط اذا تأخر مراده فهذا خلق مذموم ليس من أخلاق الخاصين

﴿ومن يكون مطمئن القلب اذا حصل مراد الله كان راضيا بقضاء الله فانيا فى الله﴾ والفناء فى الله من أعظم المقامات وعلامته أن يوفق صاحبه لاداء العبادات المفروضة ولا يخل بشئ منها ، ومن كان فناؤه فيه إخلال بشىء من الفرائض يخشى عليه السلب والانتكاس والعياذ بالله تعالى ، وصاحب الفناء الكامل يكون رجوعه الى الصحو والى الخلق خيرا له لارشاد العباد ودعوتهم الى الله تعالى ، وانما يجرى عليهم أولا الفناء عن الخلق ليتجلى عليهم بصفة قهره فيسلبهم أعمالهم وأحوالهم ومقاماتهم ويقهرهم حتى يخافوه ولا يأمنوا مكره ويعرفوا قدر ما حباهم من النعم فاذا رجعوا الى الخلق يكونون معهم باللطف والذل والتواضع والنصيحة والارشاد ، وأيضا يزيل عنهم بذلك القهر ما بقى من رعونة النفس من عجب وكبر وغير ذلك فاذا عادوا الى حالة الصحو والجمع يكونون على أكمل الحالات فيحصل بهم الهداية والارشاد للخلق وهذا كله انما يكون لمن كان مستقيما فى حال سلوكه وأما من لم يكن كذلك فانه يحصل له فناء من بعض المجاهدات والرياضات والأذكار وغير ذلك لكنه يستمر فى فنائه ويصير كالمجنون وتضطرب أحواله ويخل بوظائف الشرع فيعود الى الانتكاس وربما سلب ومات على الكفر والعياذ بالله تعالى ، وسبب ذلك عدم أحكام البدايات فمن أحكم البدايات استقامت له النهايات وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى

﴿فعليك بحسن النية وحسن ظنك فى الله تعالى﴾ ومما يعينك على حسن الظن بالله تعالى تذكرك كثرة إنعامه عليك واحسانه اليك فقد منّ عليك الله سبحانه وتعالى بما هو أصل الخيرات وأساس الفضائل والكرامات فأعطاك الايمان من قبل أن تسأله إياه وما هيك أنه يوصلك بالايمان الى النظر الى وجهه الكريم الذى يتلاشى فى جنبه كل نعيم بعد أن تتوصل به الى الجنة بما فيها من أجناس النعيم ، وبعد أن أعطاك الايمان عاملك بضروب النعم الدينية والدنيوية البدنية والمالية مما لا سبيل الى استقصائه وعدّه فتذكر ذلك وتفكر فيه ، ومما يعينك أيضا على حسن الظن بالله ضروب المحن والبلايا وأنواع الهم والحزن فانها وسائل الى طرقات رفيع المقاصد لا يعرف قدرها إلا أهل الهمم العالية ، والقلوب

الطاهرة الزكية لأنها نعم باطنية حتى قال بعضهم فى قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) النعم الباطنة هى البلايا والمحن وأنواع الهمّ والحزن فليكن العبد عند نزولها أشد فرحا منه عند نزول المحابّ فذلك كله مما يقوى حسن الظن لا مما يضعفه كما يتوهمه بعض القاصرين فقد يجهل بعض الناس فيظن أن شدة البلاء وكثرته انما تنزل بالعبد لهوانه وهذا لا يقوله إلا من أعمى الله قلبه بل العبد يبتلى على حسب دينه فكن حسن الظن بربك عند كل نعمة وبلية ، واعتقد أنه لا يريد بك إلا خيرا . قال ابن عطاء فى الحكم ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى اليك إلا مننا ☆ وقد أشار بذلك إلى أن الناس على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ، فينبغى لك أيها المريد أن تحسن ظنك به مطلقا فى إيصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذى هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن به بمقام العامة وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لورود فضله ورحمته ولا يعظم الذنب عندك عظمة تصدّك عن حسن الظن بالله فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه فاذا استعظمت الذنب فاستعظمه عظمة تحملك على التوبة والاقلاع وصدق العزم على أن لا تعود لمثله فهذه عظمة محمودة وهى من علامات إيمان العبد والعظمة المذمومة هى التى توقع فى اليأس والقنوط وتؤدى الى سوء الظن بالله تعالى ومن الذنوب التى يجب أن تتوب منها وتقلع عنها سوء ظنك بالناس فان ذلك من معاصى القلب الرديئة الموجبة سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ☆ قال الشافعى رضى الله عنه من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس ☆ وقال بشر الحافى رضى الله عنه من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت وحسن الظن بالناس ☆ وقال الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه من أراد أن الوجود كله يمده بالخير فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم فى الدرجة ، فان المدد الذى مع الخلق كالماء والماء لا يجرى إلا من المواضع المنخفضة دون العالية والمتساوية ولا يرى الانسان نفسه كذلك إلا ان أحسن الظن بالناس ومحل حسن الظن فيما يحتمل الخير والشر ، أما الأفعال التى صرح الشارع بتحريمها كالزنا وشرب الخمر وأخذ الرشا والمكس وأكل الحرام ونحو ذلك فلا يجوز فيها للمؤمن أن يحمل صاحبها على محمل حسن وقد أجمعوا على أنه لا يصل أحد الى مقام حسن الظن بالناس إلا ان طهر الله قلبه من سائر الرذائل بحيث لا تخطر الفحشاء بقلبه ومادام فى باطنه شىء من الرذائل فمن لازمه غالبا سوء الظن بالناس قياسا على ما عنده ولذلك قيل

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ☆ وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ☆ وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ولا يسلم العبد من سوء الظن بالناس إلا بالتواضع ولا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغليانها فالتواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته والمؤمن الكامل يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق

الله

الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا حتى انه لايلتفت فى نسبة شىء من المحاسن الى نفسه ولا يطلب حظا لها بل يكون حريصا على توفية حقوق الله وحقوق عباده فالسير إلى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها حتى تطهر من ذلك و يحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الأشياء لم يتيسر السير والسلوك فما حياة القلب إلا فى إماتة النفس ، فالنعمة العظمى الخروج عن النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك و بين الله تعالى ، قال أبو يزيد رضى الله عنه من لم يمت لم ير الحق عزّ وجل ولا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس بالله تعالى

قال ابن عطاء الله فى الحكم ماتوقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فمن أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب اليه كل بعيد و يسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله وغفل عن ربه واعتمد على حوله وقوّته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه فاذا ظهر وصف الكرم والفضل من الله تعالى لمن أحبه وفقه للرجوع اليه والوقوف على بابه والالتجاء الى فضله وكرمه ، فعند ذلك تنجح مطالبه وتتيسر مآربه وترجع سيآته حسنات واذا ظهر وصف العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر ✲ قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة . ومن دعائه رضى الله عنه إلهى ان أحببتنى غفرت سيآتى وان مقتنى لم تقبل حسناتى ، وما أحسن قول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة لاتضر مع الحب فيك

﴿ومن مناجاة ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ إلهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك ✲ وقال فى الحكم رضى الله عنه لاصغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله وعلامة القبول لك عند الله تعالى والرضا منه أن لاتلتفت الى شىء من أعمالك ولا يتعلق قلبك بها بل يكون تعلقك بالله ورجاؤك لفضله ومنته ✲ قال سيدنا على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما كل شىء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لايقبل منك لأن القبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول ✲ وقد سئل بعض العارفين ماعلامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لايبقى عندك منه شىء فانه اذا بقى فى نظرك منه شىء لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغى للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا حتى يحصل له قبوله

﴿ولهذا قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ فى الحكم قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم وقال أيضا لاعمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده و يحتقر عندك وجوده أى بأن لاتعتمد على عملك فى تحصيل أمر من الأمور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله والناس فى ورود المنن عليهم من الله تعالى على ثلاثة أقسام قسم يفرحون بالنعم من حيث ان فيها قضاء أوطار

نفوسهم ونيل أغراضهم و لتمتع بشهواتهم ولذاتهم فأحوال هؤلاء مذمومة جدا أشبه شئ بهم الأنعام والبهائم وهذه أحوال أهل الطرد والبعد والاستدراج والمكر والغفلة وعليهم يصدق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وحالهم هذه بعيدة من الشكر منافية له ، وقسم لهم نصيب من الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث انها منة من الله أرسلها ونعمة أوصلها فمن حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت أقدارهم وكانت أحوالهم محمودة وهي شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم لأنفسهم و بقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الأعلين وارتقوا بالوصف الأول عن أحوال الأدنين فخوطبوا بما خوطب به عامة المؤمنين وعليهم يصدق قوله تعالى (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فالفرح من حيث بروزها من الله تعالى كمال والنقص من حيث انه ملتفت الى النعمة والقسم الثالث من كانوا في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم من حيث ان فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من حيث كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث منّ بها عليهم كما هو حال القسمين الأولين فان القسم الأول التفت الى ظاهر النعمة من أجل أن فيها لذتهم وغابوا عن المنعم ، والقسم الثاني التفت الى باطنها من حيث بروزها عن الله تعالى وان في حصولها لهم اعتناء منه تعالى بهم ، وأما أهل القسم الثالث فما شغلهم عن الله تعالى ظاهر التمتع بالنعم ولا باطن المنة بها بل شغلهم النظر الى الله تعالى عما سواه وجمعية قلوبهم عليه فهم فرحون بالله ولا تشهد قلوبهم الا إياه و يصدق عليهم قوله تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وحال هؤلاء الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو يرى الأشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه التغير والانقلاب لتغير الأفعال والأسباب ما يخاف على غيره الباقي على حظه ، وقد أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود قل للصديقين بي فليفرحوا أي حيث كنت لهم ربا وكانوا لي عبيدا خالصين من حكم بشريتهم و بذكري فليتنعموا ، أي لا يتنعمون إلا بذكري لا بلذات الدنيا وشهواتها فان المشتغل بذكر الله تعالى يحصل عنده من اللذة والانس بالله تعالى ما لا يوازيه لذة من لذات الدنيا ، وأسأل الله أن يجعلني و إياكم ممن يكون فرحهم بالله و بالرضا منه وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه وأن لا يجعلنا من الغافلين عنه وان يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه وكان نبينا ﷺ أكمل من أوتي الفرح بالله

(ولهذا) قال ﷺ وجعلت قرة عيني في الصلاة لما فيها من القرب الى الله لأن الصلاة فضل من الله و بارزة من عين منة الله فكيف لا تكون قرة العين بها ، وكان فرحه ﷺ فيها بالله ، وفي قوله تعالى (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا) اشارة خفية الى أنه ﷺ انما يكون فرحه بالله حيث قال فيها (فبذلك فليفرحوا) أي الأمة وما قال فبذلك فافرح يا محمد ، وانما قال قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل وهو الله تعالى كما قال الله تعالى في الآية الأخرى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي افرح به لا بغيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وهو فرحهم بغير الله تعالى ، قال بعض العارفين في قوله تعالى (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا) فضل الله هو سيدنا محمد ﷺ الذي أفاض الله به على الخلق الرحمة حتى عمتهم الرحمة وآمنوا به فبذلك وهو الايمان بك فليفرحوا لانك مظهري وواسطة بيني و بينهم ، واما أنت في فافرح

اذ

اذلا واسطة بيني و بينك لانك سر حكمتي التي لا يعلم معناها أحد غيري اذ سرعة الانفعال بها لا تدركه العقول وذلك خير مما يجمعون ، أي من كل ما أعطوه سواك علما وعملا ☆ قال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يشهد المنعم في النعمة كانت النعمة في حقه استدراجا ، لأنه يؤديه الى أن يسكن اليها ، فاذا نزعت منه لزمه أن يتغير عليها ، وانما قيل انها استدراج لأنه اذا فرح بها ، فكلما أعطى نعمة ازداد غفلة ولم يشكر المولى عليها حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر ☆ قال سيدي ابراهيم الخواص رضي الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب ، والأولى رتبة كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب ، فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه ، وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة و يستحلي الأشياء المرة كما قيل

ومن يك ذافم مرّ مريض ☆ يجد مرا به الماء الزلالا

﴿وقال بعضهم﴾ في قوله تعالى لداود عليه السلام و ذكرى فليتنعموا أي بذكرى اياهم في الأزل حيث لا وجود لهم والا فان الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل ، وهم أجلّ رتبة من أن يكون نعيمهم بشيء ملتبس بهم وليس في هذا توهين لذكر العبد ربه ، بل فيه التنبيه على أنه اذا ذكر ربه فليذكر منة الله عليه حيث قدمر في الأزل توفيقه له فان الذكر أقرب الطرق الموصلة الى الله تعالى وهو من علامة الولاية كما قيل الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل ولذلك قيل

الذكر أعظم باب أنت داخله ☆ لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام القشيري رضي الله عنه ، الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز (فاذكروني أذكركم) وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ « انا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرّب الي شبرا تقرّبت منه ذراعا وان تقرّب اليّ ذراعا تقرّبت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة » لكان في ذلك كفاية ، وهذا الحديث متفق على صحته وهو يدل على عظيم فضل الذكر وان العبد اذا عمل عملا قليلا يجزيه الله جزاء كثيرا ، وخرج ذلك مخرج المثل المحسوس بقوله وان أتاني يمشي الى آخر الحديث . ومن خصائص الذكر انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب منه اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات ☆ قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يفرض الله فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال ، وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه أبدا ، وروي عن رسول الله ﷺ اذكروا

الله حتى يقولوا مجنون وروى « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » رواه ابن حبان فى صحيحه ، قال أبو مدين وكنت أسمعه اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ، فرأيت النبى ﷺ فى المنام فسألته عن ذلك ، فقال صدق ابن حبان فى روايته وصدق راوى اذكروا الله فانى قلتهما معاصرة ، قلت هذا ، ومرة قلت هذا .
فنقل كل ما سمع فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته و يستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه ، وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه وعدم حضور قلبه فان تركه وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة ، وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهى مرتبة العارفين المحققين من الأولياء قال الله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) أى اذا نسيت ما دون الله تعالى فعند ذلك تكون ذاكرا لله ، وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان ٭ قال الواسطى الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره ، لأن ذكره سواه وقال أبو العباس البنا ، ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره ، وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن فى الاسرار ، وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر ، فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم ، و بيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره ، فيصير القلب بيت الحق و يمتلىء منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير ، وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذى ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وان سمع كان سمعه الذى يسمع به قد استولى المذكور العلى على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء فى مرضاته ، فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الأعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٭ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحق (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى فارغا من كل شىء الا من ذكر موسى فكادت تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها للتصريح بذكره صبرا بما ربطه الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل فى شأن موسى و بأنه من المرسلين ، و بذلك يندفع الاشكال وهو اجتماع الضدين فى بادى الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقى لا يعرفها و يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم والبكم فى الظلمات ، ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا تجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجرى عليه صفات المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شىء وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلى الكبير انتهى كلام الشيخ أبى العباس البنا رضى الله عنه فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو فى غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق ، فلا ينبغى

ان

أن يستبعد العبد الوصول الى هذا من المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الأسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب

﴿ولذلك قال بن عطاء الله فى الحكم لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه﴾ لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، أى لأن ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر باللسان فانك ان بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك ، فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا حال الذكر فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور (وماذلك على الله بعزيز) أى لأنه قادر على كل شىء فاياك أن تزهد فى الذكر أو يصغر فى عينك فائدته أوتستقلل ثمرته فان ذلك من تسويلات الشيطان وتلبيساته يحقر العمل فى عينك لترغب عنه وتتركه ومن شأن نفوس أهل العجز أن تتعلق بالنهايات بدون البدايات فتطلب المقاصد بلا وسائل والله تعالى يقول (وأتوا البيوت من أبوابها) والسر فى الصدق والصدق بالدوام من لازم قرع الباب فتح له

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ☆ ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

غيره

اطلب ولا تضجر من مطلب ☆ فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره ☆ فى الصخرة الصماء قد أثرا

﴿قال﴾ رسول الله ﷺ « مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر كمثل الحى والميت » وقال ﷺ « ماصدقة أفضل من ذكر الله تعالى ولو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر لله تعالى أفضل » وقال ﷺ ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها الى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله تعالى ☆ وقال ﷺ ماعمل أنجى للعبد من عذاب الله من ذكر الله تعالى قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات ☆ قال بعض العارفين ان العبد بالاكثار من ذكر الله يتجوهر قلبه حتى تنفتح له شقائق نعمان الجنان وتهتف برائق معناه حركات اللسان فاذا حصلت فهذه الحالة الشريفة والخاصية المنيفة لازمتها ملكة يقتدر بها على قلب الأعيان فى كل زمان ومكان وهى التى تصرف بها فى القلوب حتى ترهبت فيه كل مرهوب باذن علام الغيوب ولذلك يقولون الولى نهاب وهاب فلهيبته يقال الولى اذا أرادك أغناك والولى اذاشاء كوّن والولى أكسير لأنه كامل التدبير عملا بقوله ﷺ فيما يحكيه عن ربه « لايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده الذى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته وان استعاذنى لأعيذنه » رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أيجوّز عاقل حلول القديم تعالى ربنا عن الحدوث والحلول والمكان والزمان كان الله ولامكان ولازمان وهو الآن على ماعليه كان ولاضدله ولاندله ولاحدله ولاحدود ولاشبيه له ولامثل ولاكفء له ولاشريك له ولاوزير له له الملك والملكوت والعزة والجبروت وانما معنى ذلك عبارة عن تغطية أوصاف المحبوب من البشر بأوصاف الملك الأكبر

ومعنى قوله كنت سمعه الى آخر الحديث اجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى يسلب منه الاهتمام بشيء غير مايقرب به الى فيصير منخلعا عن الشهوات ذاهلا عن الحظوظ واللذات مقيما بقلبه أينما يتوجه الى الله بمرئى منه وسمع لاتطرق حالته الغفلة ولاتحول دون شهوده الحجة ولا يعترى ذكره النسيان ولايخطر بباله الاحداث والأعيان ، يأخذ بمجامع قلبه حب الله فلايرى لايسمع ولا يفعل الامايحب الله ويكون الله تعالى فى ذلك له يدا ومؤيدا وعونا ووكيلا يحمى سمعه و بصره ويده ورجله عما لايرضاه

﴿وحقيقة هذا القول ارتهان كلية العبد بمراضى الله تعالى وحسن رعاية الله له﴾ فان العرب اذا أرادوا اختصاص الشيء بنوع منه والاهتمام به والعناية والاستغراق فيه والوله والنزوع له سلكوا هذا الطريق ، تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلك يمدك بعزه ، تحقق بضعفك يمدك بقوته وحوله ، تحقق بفقرك يمدك بغناه فان من ثبت له الفقر الأكبر ثبت له الغنى الأكبر ، ووجه الحيلة أن لاتكون للعبد حيلة حتى لايركن الى شيء سوى مولاه فمن تحقق بأوصاف العبودية يمده بأوصاف الربوبية لاسيما اذا لازم الذكر الذى هو مغناطيس العبودية فيستوحش أن يسمى بالعبد فى الحضرة الالهية فيمده بأوصاف الربوبية وأدنى ذلك شهادته إسراع اللطف من اللطيف لأن من لازم العبودية والافتقار والاضطرار والاحتياج أسرعت اليه المواهب ، فمن أراد أن تسرع اليه المواهب فليتحقق بالفقر قال تعالى (انما الصدقات للفقراء) وجدير لمن اعترف بالملكية لمولاه أن يغتنى به ثم لايسأل عمن شاناه وناواه ، ومن لازمه اظهار انعام مولاه عليه فيخلع هو على من يشاء ممن قصده أوأوى اليه ، وفى الأمثال «ضيف الكرام لايضام» وكيف لايثبت ذلك لعبد أكرم الأكرمين * وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وناده من البسط الأربعة فقل ياعزيز من للذليل غيرك ياقوى من للضعيف غيرك ياقادر من للعاجز غيرك ياغنى من للفقير غيرك ، فاذا فعلت ذلك كانت الاجابة طوع يديك ، و يفهم من قوله ﷺ أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون ان الذاكر عاشق والعشق إفراط المحبة ومن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولذلك صاروا لها حتى قيل فيه انه مجنون وذلك كله رجاء أن يكون محبوبا ، هو السر فى الحقيقة بل هو أساس الطريقة ، ولذلك يقال ليس السر كونك محبا بل الشأن كونك محبوبا * قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فلم يستلزم حبهم لله حبه لهم وانما صيرهم محبوبين عنده اتباعهم لنبيه ﷺ وهو قدر زائد عن حبهم لله وما أحسن قول مجنون ليلى

رأى ليلى فأعرض عن سواها * محب لا يرى حسنا سواها
لقد ظفرت يداه ونال ملكا * اذا كانت تراه كما يراها

فعلم مما تقرر أن الذاكر محبوب لأن الله تعالى جعل اللسان عنوان الجنان والجوارح الظاهرة كلها عنوان الباطنة فما هتف اللسان الابحب الجنان ، ولاصدق الجنان الابحب الرحمن عملا بقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام : القلب بيت الرب لم يسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن والسر فى السكان لافى المساكن وهل يأوى الساكن الى مسكن غير محبوب ، ومن جوز ذلك فهو محجوب ، وعن نتائج القلوب مسلوب وسكناه سبحانه للقلب على مايليق به من الكمال من غير تكييف ولاحلول ولا تشبيه ولاتمثيل بل بمعنى التجلى بالجلال والجمال إذ هو منزه عن الاستقرار فى المكان والحلول بل بالمكانة والشرف والكلاءة والحفظ والنظر والاحاطة والقيومية من غير وجوب

عليه ولا اجبار (وربك يخلق مايشاء ويختار) قال تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وجدير بهذه البيوت التى يسكنها الرب أن ترفع ولداقل ويذكر فيها اسمه والقلب محل الذكر دائما ذكر اللسان أولم يذكر فالولى تولى الله فتولاه وتولى الاله سابق لتوليه قال تعالى (يحبهم ويحبونه) فبحبه أحبوه وبحفظه حفظوه وبذكره ذكروه وبفضله شكروه (قل كل من عندالله فمال هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) والمعنى أنه لما خلق لهم حبه فهو قد أحبهم قبل أن خلق لهم الحب (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) فاحسانه سابق لاحسانهم لأن احسانهم من احسانه فهو المحسن حقا بدأ وعودا ✡ قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كنت رأيت النبى ﷺ مرة فقال لى احسانى لأمتى من احسان الله الخ فثبت أن الذاكر محبوب فياله من ملك ظفرت به يداه ، ويا حبذا أن يتمثل بقول مجنون ليلى السابق

لقد ظفرت يداه ونال ملكا ✡ اذا كانت تراه كما يراها

ويؤخذ من حديث الذكر السابق أن الذاكر مسهل رزقه لقوله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك) فأمر بالاصطبار على الصلاة ، ووعد الكفاية من الرزق وقد قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) فلما لزمت الكفاية فى الرزق من المثابرة على الصلاة كان الذكر ألزم لأنه أكبر منها لقوله تعالى (ولذكر الله أكبر) بل قال العلماء ان القصد من الصلاة انما هو ذكر الله بدليل قول الله تعالى (أقم الصلاة لذكرى) وما كان الذكر أكبر من الصلاة الا لكونه هو المقصود منها ويؤخذ من ذلك كله أن للأعمال أثرا فى الأنوار لأن هذه الكفاية للرزق انما حصلت بلزوم الذكر ولذلك قالوا من أعوزه نوع من انواع الطاعات أعوزه نوع من أنواع الأنوار لأن فى كل نوع من العبادات نورا يخصه وفهم من قوله تعالى فى الآية (نحن نرزقك) ان رزق المصلى مضمون وكذا الذاكر لله تعالى لأن الذكر صلاة بل أكبر منها ، وفهم من الحديث السابق أن الذكر بالجهر مشروع لقوله فيه حتى يقولوا مجنون وهم لا يقولون ذلك الا بعد جهره به وسماعهم إياه منه وهذا هو عين الجهر والأدلة الدالة على ذلك كثيرة ، وفهم أيضا من الحديث المذكور أن الذاكر كثيرا لا يسلب إيمانه عند الموت لقوله ﷺ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على مامات عليه والظن بالله جميل وقد قال سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا ويستفاد من الحديث أيضا أن الانسان ينبغى له اذا رأى صورة تشبه الجنون أن لا يبادر بقوله مجنون إذ يمكن أنه يكون من تلوين أهل التمكين وبه يكونون على الله تعالى قادمين وليتدبر قوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) بل ينبغى أن يتثبت قبل قوله مجنون بل العاقل الورع لا يقولها أصلا ، ويؤخذ من الحديث السابق أن الذاكر لله كثيرا ممتثل أمر الله منفق مما عنده باذل وسعه فيدخل فى قوله (لينفق ذو سعة من سعته) وفى قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وفى قوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) اذ الانفاق لا يختص بالنقدين بل كل من أعطى القياد من نفسه فى شيء فقد أنفقه لأن قوله من شيء نكرة عامة مقرونة بمن الاستغراقية والذكر من أنفس ماوقع عليه شيء ويؤخذ من قوله تعالى (وهو خير الرازقين) أن الخلف أفضل من المنفق والانفاق سر المجاهدة والهداية عنوانها المجاهدة والخلف مسبب عن فيض الفضل ، ويؤخذ من قوله فى الحديث

السابق حتى يقولوا مجنون ان الداعى الى الله لا يسأم وان رمى بالجنون فيثبت له القدم بصبره على وجود الألم ليفوز بالحضرة التى ليس فيها ندم وعلى هذا جرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع الأمم وأفضل الذكر لا إله إلا الله لقوله ﷺ أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وهو سرّ جميع الأذكار ومنه تتفجر للمريدين الأسرار بقدر ماقسم لهم من الكريم الغفار ، فلا يزال العبد يكررها حتى يغلب عليه الشهود فلايرى فى الكون غيرالله تعالى ، فمن غلب عليه هذا الشهود يخضع لكل ذرة فى الكون لالها بل لمكونها الذى أظهرها فجميع مافى الكون مظاهر أفعاله وصفاته سبحانه وتعالى ☆ كان الشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه اذا طلع القلعة للسلطان بالقاهرة يقبل الأعتاب فقيل له فى ذلك فقال هذا موضع يقسم الله فيه الأرزاق فنحن لانرى إلا الله فى كل شىء قال الله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) ومن هنا تاه ابليس لما أمر بالسجود لآدم عليه السلام فتاه عن الحقيقة ووقف مع الظاهر لما سبق له من الشقاوة ، فالعاقل يطوى بساط الكثرة ولاينظر الا الى الوحدة المجردة أبدا فى جميع الكثرات ، فانها مظاهر للوحدة فهو الواحد فى كل واحد من وحدات جزئيات الكون المتكثر تحقيقا لقوله ﷺ وهو الآن على ماهو عليه كان من غير حلول ولا اتصال فى جميع الأزمان ، ومن فضيلة الذكر قوله تعالى (اذكرونى أذكركم) ولم يقل أجازيكم عليه بالحور والقصور بل قال أذكركم ومن أنت حتى يذكرك مع عجزك ، واذا بلغك ان السلطان ذكرك امتلأت فرحا فاذاقيل لك انه قال فيك انك صاحب وفاق وصدق تزداد فرحا فوق ذلك ، فاذاقيل لك انما شكرك من حيث انك تذكره وتثنى عليه ازداد ذكرك له فكيف اذاعلمت أن الله يذكرك اذا ذكرته ☆ قال ابن عطاء الله من كان يكثر من ذكر الله تعالى لم يقطع عنه لطفه أبدا ولا يكله الى غيره فمن فاته الصيام والقيام فليكثر من ذكر الله تعالى ومن الصلاة على النبى ﷺ فقد قال ﷺ من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فلو فعل الانسان جميع الطاعات مدة عمره ثم صلى على النبى ﷺ مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ماعمله فى جميع عمره من الطاعات لأنك تصلى عليه على حسب وسعك والله يصلى عليك على حسب ربوبيته عطية القوم على قدر أقدارهم ، هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة ، فما أحسن عيش من أطاع الله بذكره وبالصلاة على رسوله ﷺ فكم من صنائع صنعت لك وأنت لاتدرى ☆ روى انه مامن صيد يصاد ولاشجرة تقطع الالغفلتها عن ذكر الله تعالى وكل اسم لله تعالى ذكرته فأنت ذاكر ولكن عكاز المريد لا إله الا الله فهى عصاه التى يتوكأ عليها ويمشى بها على عوالمه الباطنة (وله فيها مآرب أخرى) من الفتوحات وأعظمها يقظته من غفلة قلبه بذكر الله تعالى وبها يأمر الأشياخ المريدين فى البدايات ، ومنها يخرج لكل واحد رزقه اللائق به ومنها تتفجر المعارف فلا إله إلا الله فيها من الكنوز مابه الذاكر يفوز ولا إله إلا الله هى الحاجة الكبرى ان النار يوم القيامة تأتى العصاة لتأخذهم فيقولون لا إله إلا الله فترجع عنهم مقهورة ، فيقول الله سبحانه وتعالى لها لم لاتأخذيهم ؟ فتقول يارب قالوا لا إله الا الله فلاأقدر على الدنوّ منهم ، فيقول الله تعالى خذيهم على قدر ذنوبهم فتأخذهم فاذا فرغ مقدار الذنوب وضعفت القلوب تقول كلمة لا اله الا الله يارب فأين حق فتمنع النار من أخذهم ☆ قال ابن عطاء الله العجب ممن يدخر الياقوتة الثمينة ومعه الكنز الأعظم ولم يعرفه وهى لا إله إلا الله وتجدها عند اللقاء والميزان وعند تطاير الصحف وعند

الصراط

الصراط فاذا قامت عليك النفس فقلها فانك تعصم بها من سفك دمك فى الدنيا أفلا تعصم بها من نفسك فلوقلتها من موطنهالا بسك الله لسانا يقيك بها من معصيته ، فيا أيها المؤمن سبحان من جعلك كنزا لا يعرف الناس مافيك الناس يسيرون الليل والنهار للكنوز وفيك كنز لا تعرفه فماذا فيك من الأسرار والودائع ولاتعرفها ، فلو أراد الله استخراج مافيك من الأنوار والأسرار لانكسفت لها أنوار الشمس والقمر ولو أراد الله استخراج كان مافيك لاندرج فى ذلك ظلمة الليل فجعلك صندوقا لا يعرف مافيك ☆ وكان بعض الأشياخ لايزيد على لاإله إلا الله شيئا من الأذكار وكان اذا أراد حاجة عند الله تعالى أو عند بنى آدم استفتح ذكر لاإله إلا الله فتنقضى على أحسن وجه فى الوقت وكان اذا قالها وضرب برجله الأرض اهتزت وذلك لأنه تحقق بشروطها من ترك المعصية واليقظة والحضور حتى وجد قلبه فانيا فى الله تعالى فان لله عبادا مقرات قلوبهم وأرواحهم وهممهم عنده كالأسير والقلب بيت الرب ألاترى الى قوله تعالى فى الحديث القدسى «فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به» الحديث واعلم أنه ليس فى الوجود الارب وعبد فعليك أن تستشعر عظيم ر بو بيته وحقارة نفسك وأن تكون مطروحا بباب مولاك بالذل والفقر والمسكنة والاحتياج وأن تكون بأوصاف ر بو بيته متعلقا و بأوصاف عبوديتك متحققا ، هذا هو السر الأكبر وان كان العبد لايجىء الى باب مولاه حتى يتطهر فنى يتطهر فانه سبحانه وتعالى انما يعطى بوصفه لا بوصفك ألاترى الى ابليس سلخ عن أوصاف الكمال ولم يبق فيه الا الوصف الخسيس ثم انه طلب فاعطاه ماطلب حيث قال بعد طرده (انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين) أيعتقد مؤمن عاقل أنه انما أعطاه بوصف فيه بعد قوله (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) بل انما أعطاه بوصفه سبحانه وتعالى الجيل لانه يستحي سبحانه وتعالى أن يطلبه أحد فيرده خائبا من دعائه فانه محسن سبحانه وتعالى بدون وعد ، واذا وعد فهو منجز وعده ، وفى الحكم الفاخرة ألح على الكرام وان لم تكن أهلا للعطاء فان لهم أخلاقا جيلة ماذل قلب لباب ر به إلا جبر ، وفى الحكم العطائية لوأنك لاتصل إلا بما منك اليه لاتصل أبدا ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فيوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه ☆ قال أبو حامد فعلى العبد أن يرجع إلى باب مولاه ولاينتظر أن يكون كاملا فانه قد يموت قبل ذهاب أوصافه ، ومثال ذلك من عقد بامرأة ، فان أراد أن لايدخل عليها حتى يكون جهازه وجهازها كاملين فقد يموت وهو لايراها انما الكيس من يبادر بها على أى حالة كانت فيتمتع بها قبل موته (ولله المثل الأعلى) ☆ قال سيدى تاج الدين ان الشكلى لاعيد لها بل العيد لمن قهر نفسه لاعيد إلا لمن جمع شمله ، فان العبد اذا عصى شمتت به أعداؤه عبر بعضهم على دير فنظر الى راهب فيه فقال ياراهب متى عيد هؤلاء . فقال يوم يغفر لهم اذا علمت هذا فعيد الفقراء حضرة الذكر بلاإله إلا الله فانه هناك جمع شملهم وهناك يغفر لهم ☆ قال رسول الله ﷺ هم القوم لايشقى بهم جليسهم فاذا كان جليسهم وقت الذكر لاشقاوة له كيف يكون ولاواسطة بين الشقاوة والسعادة ؟ فلما نفى عنهم الشقاوة بقى الغفران والسعادة ورحم الله من قال

ادفع الهم الى ماطرقك ☆ وكل الأمر الى من خلقك

واذا أمل قوم أحدا ☆ فالى ربك فامدد عنقك

قال بعض العارفين اقبال القلب على لاإله إلا الله خير من ملء الأرض عملا مع الاعراض عن

الله تعالى ورؤية العافل سم قاتل ، ومن أعظم أبواب الفتح يقظة القلب من غفلته نهى فى الذكر أولى . ومثال من يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه غافل كملك طلبك فبعث اليه غلامك أتكون ممتثلا أمره بل أنت مخالف ☆ قال سيدى تاج الدين أتحسب أنهم فروا الى الله بشىء لم تعمله بل بما تقوله أنت من قول لا إله إلا الله لكنهم اتصفوا بما ذكروه وتحققوا به وأنت ذاهل وهم متحققون بها وصادقون فيها ولولا علمه بضعفك لطالبك بالذكر على الدوام بل قال (اذكروا الله ذكرا كثيرا) ولم يجعله موقتا ولكن فتح لك الباب وأراد أن يدخلك أليس أنه تلطف معك ، وقال (اذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) فاذا كان الأب لم يخلقك ولم يرزقك ولم يسوك وقد طلبك أن تذكره مثل ذكرك له وربك هو الذى خلقك وسواك ورزقك وأعطاك فما أخجلك اذا لم تذكره فشارك الملائكة فى تلاوة الذكر ولج على الله وإياك أن تخرج من هذه الدار وماذقت حلاوة حبه كانوا يورون فى اشاراتهم بسعدى وسعاد ولبنى والرباب وزينب فى كل ناد و يريدون بذلك صيانة ذكر حبيبهم فيذكرون غيره قال بعضهم ان مجنون ليلى كان وليا من أولياء الله وانما رمز الى محبوبه بليلى ، ومن ذلك قول بعضهم

لا تقل دارها بشرقى نجد ☆ كل دار للعامرية دار
فلها منزل على كل ماء ☆ وعلى كل دمنة لها آثار

فاذا لم يكن همك الا الأكل والشرب ، فالكافر والدابة أكثر منك أكلا وشربا والأرواح لا تحمل رشاشة النفوس ، فاذا انغمرت فى جيفة الدنيا لا تصلح للحضرة لأن حضرة الله لا يدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية ☆ قال أبو حامد رضى الله عنه من قارف ذنبا واحدا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا ،فطهر قلبك بالتوبة والذكر والانابة فاذا انجر قلبك الى خاطر الردى فقل حسبى الله ونعم الوكيل فهذا هو الدواء ☆ قال بعض العارفين فى قوله تعالى (وابراهيم الذى وفى) أى بقوله حسبى حين كان فى المنجنيق وذلك مقام التفويض والتبرى من الحول والقوة وهو مقام ابراهيم الحقيقى الذى أشير اليه بقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) وعن محمد بن على الترمدى قال يأتى العبد يوم القيامة فلا يجد لا إله إلا الله فى الميزان فيقول يارب لا أجدها فى ميزانى فيقال له لا يسعها الميزان ولا تسعها السموات ولا الأرض بدليل قوله ﷺ سبحان الله و بحمده تملأ مابين السماء والأرض، والحمد لله تملأ الميزان فاذا امتلأ الميزان بالحمد لله لم يسع ما بعدها ، ومامن عبد يقبض الا شخصت له ملائكة السموات والأرض تنظر بماذا يختم له فاذا قبض على الايمان فرحوا ☆ قال ابن عطاء الله وكيف لا يفرحون ، وقد قال تعالى (ويستغفرون لمن فى الأرض) أتحسب أنك اذا قلت لا إله إلا الله تفرغ أو تنقضى آثارها كلا ، ومثال ذلك كالنجار يصنع الباب ويفرغ منه ويبقى بعد موته دهرا طويلا فقوة الذكر على حسب الذاكر فان كانت همته قوية يتوجه ذكره الى الله ليس الشان لمن انجر لنفسه بل الشان لمن انجر الله له لانه يخلق من لا إله إلا الله ملائكة ثم يخلق من تلك الملائكة ملائكة آخرين ☆ قال ابن الصباغ اعرف من يقول لا إله إلا الله فتخرج منها دائرة ثم يخرج من الدائرة ملك يقول لا إله إلا الله وعنى به نفسه ولا عبادة أنفع من الذكر لانه يمكن المريض والشيخ الكبير الذى لا يستطيع القيام والركوع ، واذا أتاك الشيطان فى سوقك أو فى شغلك أو فى بيتك وقال لك لا تذكر لئلا يرانى فلا تسمع منه فانه يقول لك اسكت حتى يسلموا منك أى من الوقوع فيك ، فمثاله كمن يقول لك لا تتجر واقعد

في بيتك وتوكل على الله فقل له أنا أتجر وأتوكل على الله تعالى في تجارتي ، فهذا قوله : كما يسر لي الذكر يسلمني من الرياء ، وإذا قال لك إنهم يسيئون الظن بك فقل له إنما تريد أني أسيء الظن بالمسلمين وإذا قال لك لا تذكر الله لئلا ينسبوك إلى الصلاح فلا تسمع منه ، ثم يقول لك أنت تذكر الله وتقطع ذكره إذا جاءك من يشتري منك فتترك ذكر الله لأجل حظ نفسك فلا تسمع منه ، ثم يأتيك فيقول لك لا تذكر في السوق فإن قلبك غافل لأن فيه لغط الناس بل اصبر حتى تأتي المسجد فتذكر (في بيوت أذن الله أن ترفع) فقل له الغفلة في الذكر خير من الغفلة عن الذكر ، فهذا جهد المقل فإذا عرف الله منك الرغبة في الذكر يسر لك حضور القلب ورب ما يختبرك بذلك فيجدك محبا فيفتح عليك . فالمريدون يصحبون العارفين حتى يزجوا بهم إلى الحضرة فمن كان عارفا للعوم في الماء إذا أراد أن يعلم الصغير العوم يحاذ به إلى أن يصلح للعوم وحده فإذا صلح زجه في اللجة وتركه هل رأيت مملوكا أول ما يشترى يصلح للخدمة ؟ بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الأدب عشر سنين أو أكثر فإذا عرف الأدب قدمه للملك ، كذلك العارفون علموا أولادهم الأدب وأدبوهم بما يصلحهم (الرحمن علم القرآن) لأن الفتاح هو الله تعالى ، والأستاذ سبب عادي لا تأثير له ، ولما كان النبي ﷺ الفاتح الخاتم كان أفضل الأنبياء ولما كانت لا إله إلا الله الفاتحة الخاتمة كانت أفضل الذكر ، أما كونها فاتحة فلقوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأما كونها خاتمة فلأنها خاتمة العمل عند الموت ومن ختم له بها كان سعيدا ، ولها حقوق فمن حقوقها ترك الدعوى ولزوم التقوى * قال ابن شافع لو مزق المريد الصادق قلبه لأجل شهوده لم يكن بكثير ولا يعلم كنه عظمة الله إلا الله ، ولا إله إلا الله هي الكلمة المترجمة عن التوحيد وهي أول مقام الإسلام ووسطه وغايته فهي قاعدة الإسلام والإيمان والإحسان وعليها وضعت الملة والقبلة وهي الجامعة لمعاني التوحيد الكلي وبها جاء كل رسول وكل كتاب وهي الخاصة من الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، وكل مقام لا يقوم بها فهو باطل وكل عمل من أعمال البر لا يقبل إلا بها ومعناها إفراد الذات قدما أزليا وأبديا ويشرح معناها (قل هو الله أحد) والأحد لنفي ما يذكر معه من العدد والله هو الاسم الأعظم وجميع الأسماء شارحة له ، فمن قال لا إله إلا الله ومعناها نفي الشريك وهو توحيد الجمهور ومن قائل لا إله إلا الله ومعناه لا حي على الحقيقة إلا الله ، ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا موجود على الحقيقة إلا الله ، ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها عنده لا فاعل على الحقيقة إلا الله وكل على قدر ذوقه ومعرفته * قال ﷺ أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله فهي معدن الأسرار ومنها يخرج للمريدين أسماؤهم الخاصة بهم ، وإذا قال القائل لا إله إلا الله اهتز لها العرش . ويروى أن عمودا من نور عند العرش ، فإذا قال القائل لا إله إلا الله اهتز فيقول الجليل جل جلاله اسكن فيقول لا أسكن حتى تغفر لقائل لا إله إلا الله ، وفسر الطبري سورة غافر بلا إله إلا الله فقال (غافر الذنب) لمن قال لا إله إلا الله (وقابل التوب) لمن قال لا إله إلا الله (ذي الطول) لمن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) على من لم يقل لا إله إلا الله ، وصح عن النبي ﷺ أنه قال الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، فينبغي لمن أراد فعل الخير أن يزيل الحجر من الطريق بنية زوال الأذى عن المسلمين ويقول لا إله إلا الله مع زواله ليجمع بين أعلى الإيمان وأدناه (والله لا يضيع أجر من أحسن عملا * أن الله لا يظلم مثقال ذرة * وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولا إله إلا الله للعامة طهارة لأفهامهم من سنة الخيالات بإثبات الوحدانية ونفي الاثنينية ، وهي للخاصة

قوة فى أديانهم وزيادة نور فى إيمانهم باثبات الذات والصفات وتنزيهها عن تغير الأحداث وهى لخاصة الخاصة تنزيه عن ذكرهم ورؤية الفضل والمنة لله تعالى واستدعاء مزيد على شكرهم ، وفى ذكرها خمس خصال رضا الله تعالى ورقة القلب وزيادة فى الخير وحرز من الشيطان ومنع من ركوب المعاصى وكان بعضهم يقول الله الله خاصة فسئل عن ذلك فقال أخاف أن تخترمنى المنية على كلمة الجحد وهى لا إله قبل أن أنطق بكلمة التوحيد وهى الا الله ✲ وفى الحديث عن النبى ﷺ لكل شىء مصقلة ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا إله إلا الله جلى القلب و بياضه وتنويره بالذكر ولا إله الا الله أبلغ من قولنا الله و بينهما ما بين قولنا لاصديق لى الا زيد أوصديقى زيد يعلم ذلك من شد طرفا من البيان ✲ وروى ان من أكثر من قراءة (قل هو الله) أحد فى بدايته نور الله قلبه وقوى توحيده ✲ وروى البزار عن النبى ﷺ انه قال (من قرأ هو الله) أحد مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وأرضه الا أن فلانا عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل

●(وفى المشرع الروى نقلا عن القطب سيدى عبدالله العيدروس رضى الله عنه) ان كثرة قراءة آية الكرسى يثبت الله بها القلب لاسيما عند الموت ، وعن بعض العارفين من قرأ آية الكرسى إحدى عشرة مرة مع هذا الدعاء أمنه الله مما يخاف وقضى حوائجه والدعاء هو هذا «اللهم انك آمن من كل شىء وكل شىء خائف منك فيأمنك من كل شىء وخوف كل شىء منك أمنى مما أخاف واحذر ياالطيف ياالطيف الطف بى فى أمورى كلها كما تحب ورضنى فى دنياى وآخرتى ياستار سبع مرات استرنى بسترك الذى سترت به على ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل اليك ياأرحم الراحمين » ومن قرأها عدد كلماتها وهى سبعون أوعدد حروفها وهى مائة وخمسون أوعدد المرسلين ، وذلك ثلثمائة وثلاثة عشر ثم يدعو بهذا الدعاء «اللهم اجعل لى برهانا يورثنى أمانا وآنسنى بك عن كل مطلوب واصحبنى بعون عنايتك فى نيل كل مرغوب ياقادر ياجليل ياقاهر ياعظيم ياناصر (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)» قضيت حوائجه وسهلت أموره ، وجاءت أحاديث كثيرة فى فضل قراءة الاخلاص إحدى عشرة مرة ومائة ومن قرأ يوم الجمعة اذا سلم الامام الفاتحة والاخلاص والمعوذتين سبعا سبعا أعاذه الله من السوء الى الجمعة الأخرى وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ✲ قال بعض العارفين من أكثر من قراءة سورة يس أطال الله فرحه وسروره وقضى حوائجه ، وقد جاء فى فضلها أحاديث كثيرة ✲ قال العارف بالله سيدى عمر بن السقاف باعلوى ان سورة يس فى القرآن كالملك بين الرعية وجاء فى الحديث لكل شىء قلب وقلب القرآن سورة يس ، قال بعضهم وهى لما قرئت له قال بعض العارفين من هلل الله أجله ومن سبحه أصلحه ومن حمده أيده ومن استغفره غفر له ومن رجع اليه أقبل عليه وذكر الغفلة جزاؤه الطرد وذكر الحضور جزاؤه القرب وذكر الاستغراق جزاؤه محبة ومشاهدة ووصل وذكر اللسان يقرع باب الملك وهو كفارة ودرجات وذكر القلب زلفى وقربات وذكر الروح مكالمة ومحادثة . وأوصى الشيخ أبو عثمان بعض تلامذته بقوله اطلب من الله إسقاط الهوى ومحبة المولى فذلك الخير كله ولا تترك الذكر على كل حال وتكون لك كيفية من الصلاة على النبى ﷺ وكيفية من الاستغفار صباحا ومساء ✲ واعلم أن جلاء القلب ودواءه فى خمس قراءة القرآن بالتدبر وقيام الليل واخماص البطون والتضرع بالأسحار ومجالسة الصالحين ، وان الأمر اذا أحبك

مولاك

مولاك سهل يسير لأنه اذا أرادك قضى مرادك اذا رأيته فى كل شىء قضى لك كل شىء ، واذا حفتك العناية منه فاضرع له يبلغك اليه ولا تستبعد بأن تكون عمن قليل فى زفف الأولياء فانه قل ماتحل متحل بالاستبعاد الاورجع بالخيبة والابعاد ، وما الذى صنع الأولياء وما الذى فعلوا بل هو الذى فعل بهم ذلك وسلك بهم تلك المسالك ؛ والامتى كان يصل من طواب بالكمال وجبل على النقصان لكن اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلقه فيك ونسبه اليك وقاعدة التحقيق سابقة التوفيق فالكل منه سبحانه وتعالى أقام كل أحد حيث أراد (لايسئل عما يفعل) وعلى كل انسان أن يحرص على ماينفعه ولا يكل ذلك الى القدر ☆ حكى أن الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله عنه أتاه انسان فقال ياسيدى أريد صحبتك فقال ما الذى تريد فقال الدلالة على الله فقال مامثلك الا كرجل رفع ولده على عنقه وسار يفتش عليه فى الأسواق فقال له رجل أين ولدك من هذا الذى على عنقك فى السن ؟ فقال بل هو ولدى ولعلك تفهم من هذه الحكاية الاستغناء عن الشيخ مطلقا بل نقول يؤخذ منها انه لابد من الشيخ لأن الذى ذكره بولده المنسى هو الشيخ ولولاه لتاه أبدا فى ولده نعم لله رجال تولاهم بنفسه ولم يكلهم الى غيره ، ومنهم من جعل واسطته اليهم نبيه ﷺ ، ومنهم من جعل واسطته اليهم ملكا يلهمهم الى غير ذلك من ألطافه التى لاتحصى ☆ قال بعض العارفين الئن كان عند الأطباء أن الترياق الكبير ينفى جميع السموم الحارة والباردة و يعدل الطبع فلا إله إلا الله عند العارفين تنفى سموم النفوس والشياطين والهوى وتزيد كشف نور التوحيد بالاتباع ، فالموت الاختيارى سبب العروج فى ملكوت السموات لقول النبى ﷺ موتوا قبل أن تموتوا ، ولهذا لما سأل علىّ رضى الله عنه النبى ﷺ فقال يارسول الله دلنى على أقرب الطرق الى الله تعالى وأسهلها عبادة وأفضلها عند الله فقال : عليك بمداومة ذكر الله تعالى فى الخلوات فقال أهكذا فضيلة ذكر الله تعالى وكل الناس يذكرون ؟ فقال النبى ﷺ مه ياعلى لاتقوم الساعة حتى لايبقى على وجه الأرض من يقول الله الله فقال على كيف أذكر ؟ فقال ﷺ غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ، ثم قل أنت وأنا أسمع ، ثم قال ﷺ لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلىّ يسمع ، ثم قال على رضى الله عنه لا إله إلا الله مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع ثم لقن علىّ الحسن البصرى وهو لقن حبيبا العجمى وهو لقن داود الطائى وهو لقن معروفا الكرخى وهو لقن سريا السقطى وهو لقن أبا القاسم الجنيد وهكذا الى زماننا هذا ، ولمعروف الكرخى طريق أخرى من جهة أهل البيت وهو أنه أخذ عن مولاه الامام على الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الامام السبط سيدنا الحسين وعمه الامام السبط سيدنا الحسن وهما عن أبيهما وأمهما وجدهما سيدنا رسول الله ﷺ وأكثر طرق الصوفية تنتهى الى الجنيد رضى الله عنه ، واعلم أنه وقع اختلاف كثير فى سماع الحسن البصرى من على بن أبى طالب رضى الله عنه فأنكر ذلك كثيرون وقالوا لم يثبت للحسن البصرى سماع من علىّ رضى الله عنه فضلا عن تلقينه والباسه الخرقة وأثبت ذلك جمع منهم العلامة أحمد بن حجر الهيتمى تبعا للحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، والحافظ جلال الدين السيوطى ثم قال وقد استنبطت للخرقة أى التى يتعارفها الصوفية أصلا واضحا وهو ما أخرجه البيهقى فى شعب الايمان من طريق عطاء الخراسانى ان رجلا أتى الى ابن عمر رضى الله عنهما يسأله عن إرخاء طرف العمامة ، فقال له عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ بعث سرية وأمر عليهم

عبدالرحمن بن عوف وعقدله لواء وعلى عبدالرحمن بن عوف عمامة من كرابيس مصبوغة سوداء فدعاه رسول‌الله ﷺ فحل عمامته ثم عممه بيده الكريمة وأفضل من عمامته موضع أربع أصابع أونحو ذلك فقال هكذا فاعتم فانه أحسن وأجمل ، ومما يستدلون به على الباس الخرقة الباس النبي ﷺ أم خالد رضى الله عنها وحديثها مذكور فى صحيح البخارى ويستدلون على المبايعة بحديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا وأن لانخاف فى الله لومة لائم » والحاصل أن المؤمن حقا من لازم الذكر والمخلص حقا من اتصف بالفكر لان الذكر عنوان الفكر والفكر معدن ينابيع الذكر ✡ قال ﷺ من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه و يؤخذ من حديث أكثروا من ذكر الله السابق ان الولى ينبغى له أن لا يغفل عن ذكر الله الا باستغراقه فى الفكر أو لاشتغاله بذكر فى السر أو لراحة النفس وتسليتها بدفع السآمة عنها ليستعين بذلك على رجوعها الى العبادة بنشاط لان النفس تصدأ كما يصدأ الحديد ، ولذلك قال ﷺ اكلفوا من العمل ما تطيقون وقد ذم المنبت لانه لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع ، وقال ﷺ الرفق ما كان فى شيء الا زانه ، وقال ﷺ ان لنفسك عليك حقا وسأل رسول الله ﷺ حنظلة وقال له كيف أصبحت ؟ فقال نافق حنظلة يارسول الله فقال له ﷺ وماذاك فقال نكون بين يديك فتذكرنا الجنة والنار حتى تكونا عندنا كأنهما برأى العين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الزوجات والضيعات فنسينا كثيرا ، فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو كنتم تدومون على ما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى الطرق ولكن ياحنظلة ساعة وساعة فهذا أدل دليل على ما قلنا قال الامام الغزالى رضى الله عنه من مكر الأولياء بالشيطان تسلية النفس بفتور فى العبادة لانه يفرح بفتورهم ولايدرى انهم انما فعلوه ليرجعوا الى العبادة بنشاط ✡ قال وفى اللهو بالنساء كبير سلوة فهم يمكرون بالشيطان كما يمكر بهم وانما احتيج الى الراحة وتسلية النفس لأن المواظبة التى لا يتخللها فتور لاتمكن عادة للبشر فمن ضروريات البشر الأكل والشرب والاشتغال بأمر المعاش والنوم قال الله تعالى (جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا) وأثبت الله ذلك للأولياء فقال (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) وقال تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أى من فاته ورده بالليل أنعمنا عليه بالنهار ليقضيه فيه ومن قضى ورده بالنهار كان كمن لم يفته وكان نومه بالليل صدقة عليه فصح الفتور والاستراحة فى الجبلة ✡ قال الامام النووى فى الاذكار ان فضيلة الذكر ليست منحصرة فى التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير بل كل عامل لله تعالى بطاعته فهو ذاكر فالآكل والشارب للتقوى على طاعة الله ذاكر لله تعالى وقس على ذلك والذكر يكون باللسان و بالقلب وأفضلهما ما كان باللسان والقلب جميعا فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل وذكر اللسان وحده لايخلو أيضا عن ثواب ✡ وسئل أبو عثمان المغربى وقيل له نذكر الله ولانجد فى قلوبنا حلاوة فقال احمدوا الله الذى زين جارحة من جوارحكم بطاعته ✡ وقال الغزالى رضى الله عنه فى حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب ونفيه انما هو بالنسبة لعمل القلب ✡ وقال القشيرى رحمه الله الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وهو العمدة فى هذه الطريق ولا يصل أحد الى الله الا بدوام الذكر والذكر على ضربين : ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان يصل به العبد الى استدامة

ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه وإياك أن تصغى لقول بعض المغرورين الكامل لا يحتاج الى عمل ظاهر لأن عمله قلبى فلا يحتاج الى ورد ، فهذا كلام غير مقبول بل الصوفى من صافى ونصب نفسه فى القيام بأنواع الخدمة بالظاهر والباطن فان القيام بأنواع العبادات مشترك بين العباد والزهاد والمحبين والعارفين ، وانما يختلفون فى النيات والمقصود فلا يستحقر الورد الا جهول ، فان اتخاذ الأوراد فيها العبودية لله تعالى والحضور بين يديه والتنعم بذكره وهى تورث تصفية الباطن وجلب الأنوار ، وهى الواردات التى ترد على قلب العبد وينشرح بها الصدر والوارد يوجد فى دار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار فينبغى للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فوتها والورد حق الله وهو طالبه منك والوارد أنت تطلبه ، فقيامك بما هو طالبه منك أولى وأحق وأليق بالعبودية من طلبك حظوظك فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقار الورد من نهاية الجهل ومستحقره جهول . ومن أفضل الذكر والأوراد الاشتغال بتلاوة كتاب الله بل هو أفضل الاذكار بعد كلمة التوحيد الا ما ورد مقيدا بوقت فالأفضل اشغال ذلك الوقت به قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال ﷺ من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله ☆ وقال ﷺ قال الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ويحصل الثواب بقراءة القرآن بفهم وبغير فهم بخلاف غيره من الأذكار والقرآن أعظم واعظ وأشد زاجر ومخوف عن ارتكاب معاصى الله ومحارمه وعن الاستخفاف بالقيام بأوامر الله ونواهيه ، ففى بعض الآثار ان قارئ القرآن اذا ارتكب المعاصى يناديه القرآن من جوفه أين زواجرى أين قوارعى أين مواعظى ☆ قال ميمون بن مهران رحمه الله ان أحدكم يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه قيل له كيف ذاك ؟ قال يقرأ (ألا لعنة الله على الكاذبين) وهو يكذب (ألا لعنة الله على الظالمين) وهو يظلم وورد أن القرآن غريب فى جوف الظالم وينبغى لكل مسلم لاسيما مريد طريق الآخرة أن يرتب له وردا من القرآن ليلا ونهارا وان قل مع مراعاة الترتيل والحضور لما فى ذلك من جزيل الثواب ومناجاة رب الأرباب ، وأما الأئمة الذين صفت قلوبهم وانشرحت صدورهم لفهم خطاب الله تعالى ولذة مناجاته فلهم فى تلاوة القرآن ليلا ونهارا المورد الأسنى والمشرب الأعذب الأهنى حتى أن بعض العارفين من السادات آل باعلوى كان لا يقرأ القرآن فى أيام رمضان ☆ قال لانه يجد فى التلاوة حلاوة ذوقية حسية ربما يحكم الشرع ببطلان الصوم بها

﴿وكان العارف بالله السيد محمد بن حسن المشهور بجمل الليل باعلوى﴾ يكثر من تلاوة القرآن فيفتح عليه من المعانى والأسرار ما يبهر العقول ويعجز عن إدراكه الفحول ، وكان يردد الآية الواحدة نصف ليلة وربما مضت عليه ليلة كاملة وهو يرددها ويتفكر فيها فقرأ ليلة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وليلة أخرى قرأ (وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) وليلة قرأ (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) الى آخر الآية وكذلك قوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) الآية

﴿وكان يقول﴾ يفتح على من القرآن ما لا أقدر أن أصفه ويظهر لى شىء ما أحسن أن أعبر عنه ☆ وكان يقول اذا ظهر لى شىء غبت عن الوجود حتى لو ضربت بالسيف لم أشعر به ، وله رضى

الله عنه ترجمة كبيرة وكرامات شهيرة توفى سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وللسادة الصوفية مشارب ذوقية يفهمونها من القرآن العزيز وهى معان اشارية غير المعانى الظاهرة التى يفهمها الناس ومذهبهم فى ذلك غير مذهب الباطنية وهم الذين يصرفون القرآن عن معانيه الظاهرية ويفسرونه بمعان باطنية على حسب أغراضهم ويقولون ان هذه المعانى هى المرادة منه فكلام الباطنية هذا باطل مردود فان المعانى الظاهرة هى المطابقة للغة العرب ، وجاءت عن الصحابة والسلف فهى المرادة الا أن السادة الصوفية يقولون ان هذه المعانى الظاهرية تشير الى معان اشارية خفية فاذا زكى ظاهر العبد وباطنه وصفى قلبه من الاغيار بالقانون المحمدى انجلت مرآة قلبه من الكدورات الكونية ، وانمحى عنها صدا النقوش النفسيه ، فيتأهل حينئذ القلب لتنزل الفيوضات الربانية ، ويصير أهلا للمشاهدة والمكالمة فيفهم من القرآن فهما لا يفهمه غيره ويتنزل عليها معنى يخصه ويعم سواه خيره ✡ قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه القرآن نزل وتنزل فالنزول قد مضى والتنزل باق الى يوم القيامة أى القرآن نزل على قلب سيدنا محمد ﷺ بلسان جبريل عليه السلام وتنزل على قلوب أوليائه مما يلهمهم إياه فى أوقات صفاء قلوبهم ويفهمهم معناه اذا خلوا بمحبوبهم كما أشار الى ذلك قوله ﷺ استفت قلبك وان أفتاك المفتون ✡ وقال بعض العارفين أفتانى قلبى عن ربى ✡ وقال أبو يزيد رضى الله عنه أخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فقيل له هل لك من شاهد على ذلك فى الكتاب والسنة ؟ فقال شاهدى من الكتاب قوله (تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله) ومن السنة قوله ﷺ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فمن المعانى الاشارية مانقل عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال بقرة كل انسان نفسه والله أمرك بذبحها يعنى بتزكيتها بالمجاهدة ✡ وقال فى قوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) ويولج المعصية فى الطاعة والطاعة فى المعصية يفعل العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيآت ويذنب الذنب فيلجأ الى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فايهما الطاعة وايهما المعصية ✡ وقال فى قوله تعالى (يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ) كانسان أذنب ذنبا فتلافاه بالاعتذار والذلة والانكسار فهذا حىّ وهو الاعتذار خرج من ميت وهو الذنب وانسان آخر فعل طاعة وبهدمها بالعجب والافتخار فهذا ميت وهو العجب خرج من حى وهو الطاعة ✡ وقال فى قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونهر) فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى جنات العلوم والمعارف وفى الآخرة فى الجنة التى وعدوابها (فى مقعد صدق) فى هذه الدار وفى تلك الدار (عند مليك مقتدر) فى هذه الدار وفى تلك الدار ، وبسط الشيخ ابن عطاء الله رضى الله عنه كلامه هذا فقال هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمتقين فى هذه الدار فما كان لهم فى الجنة حسا يكون لهم فى هذه الدار معنى ✡ قال ومثل هذه الآية قوله تعالى (ان الابرار لفى نعيم) أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى الدنيا فى نعيم الشهود وفى الآخرة فى نعيم الرؤية وكذلك قوله تعالى (وان الفجار لفى جحيم) أى فى هذه الدار وفى تلك الدار فى هذه الدار فى جحيم البعد والقطيعة وفى تلك الدار فى جحيم العقوبة وقوله (فى مقعد صدق) أى فى هذه الدار فى مقعد صدق العبودية وفى تلك الدار فى مقعد صدق الخصوصية (عند مليك مقتدر) فى هذه الدار وفى تلك الدار فى هذه الدار لهم عندية الامداد وفى تلك الدار لهم

عندية

عندية الاشهاد * وقال فى قوله تعالى (يهب لمن يشاء أناثا) انها الحسنات (و يهب لمن يشاء الذكور) أنها العلوم (أو يزوجهم ذكرانا وأناثا) علوما وحسنات (و يجعل من يشاء عقيما) لاعلم ولاحسنة ، ومن المعانى الاشارية ماذكره الغزالى رضى الله عنه فى احياء علوم الدين فى كتاب الصبر من ان الموت هو القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض فان أرضك الخاصة بك تزلزل فى الموت فحظك من زلزلة الأرض كلها أن تزلزل بدنك فبدنك أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك و بصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا جميع أجزائك فاذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا أبطل سمعك و بصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت حتى ألقت مافيها وتخلت و بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولايفوتك شىء من القيامة الكبرى مما يخصك انتهى

﴿قال بعض العارفين﴾ ان كل آية فى القرآن جاءت فى القيامة الكبرى تشير معانيها الى القيامة الصغرى حتى كأنها هى وبما يؤيد فهم العارفين لتلك المعانى الاشارية مانقل عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه لما سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء دون الناس ؟ فقال ليس عندنا الافهم فى كتاب الله تعالى ومافى هذه الصحيفة ، وليس فى الصحيفة الامسائل معدودة لاتعلق لها بالمعارف وانما الشأن كله فى كتاب الله الذى تنزل على القلوب الصافية من الأغيار فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار كمالايحب العمل المشترك لايحب القلب المشترك العمل المشترك لايقبل والقلب المشترك لايقبل عليه ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت ، فنزول القرآن قد مضى والنزول على قلوب الأولياء باق الى يوم القيامة بل العارفون يجدون فى قلوبهم تأثرا وعبرة من كل الأكوان ليس شىء إلا هو يدعوك إلى مولاك بلسان حاله ويناجيك فى سرك ان كنت من أهل الأسرار

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد

فواعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد

ولذلك قالوا الطرق الموصلة الى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق * وقال بعضهم الطرق الى الله بعدد ذرات الموجودات فما من ذرة إلا وهى طريق إلى مولاك تناجيك برمزها ونحواها اذا أذن لك فى الدخول من بابها كان بعضهم يبيع سعترا و ينادى و يقول سعتر برى فسمعه جماعة من السالكين فواحد منهم فهم من مقاله اسع ترى برى وآخر فهم ماأوسع برى والثالث فهم الساعة ترى برى فكل منهم فهم على حسب حاله وتنزل عليه الفيض الالهى بحسب مايناسب استعداده الصادر من فضل الله تعالى ونواله ، فعليك أيها السالك بالاقبال عليه واخرج عن حولك وقوتك وانطرح بين يديه ، وانما أطلت الكلام فى هذا المبحث ترغيبا للسالكين فى ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز فان

الذكر منشور الولاية والركن الأقوى فى الطريق والله الموفق وله الحمد فى الأولى والآخرة فانه حيث وفق عبده لذكره فقد جمع له كل المفاخر والمحامد حيث جعله ذاكرا له باللسان وعابدا له بالظاهر والجنان ولولا فضله لم يكن أهلا لجريان ذكره عليه لأنه مجبول على النقص والكسل والفتور فحصول الذكر منة وفضل من الله على عبده ومن هو العبد حتى يكون محلا لذكره تعالى وموضعا لطاعته والتعلق به وأردف سبحانه وتعالى ذلك بمنة أخرى وفضل عميم فجعله مذكورا به بأن يقال هذا ذاكر لله وهذا ولى لله وهذا صفيه ومختاره وحقق خصوصيته لديك بأنوار الذكر الذى استنار به ظاهر العبد الذاكر وباطنه فتحقيق الخصوصية هى السبب فى الذكر والانتساب له ومن كانت له أدنى نسبة عند ملك من ملوك الدنيا تراه يصونها ويحفظها ويفرح بها ويجد فى نفسه انبساطا عند تذكرها فكيف بهذه النسبة العظيمة التى صار العبد بها يذكر فى الملأ الأعلى وعند المؤمنين إلى آخر الدهر ، فان من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليهم ولا ينقطع ذكرهم والدعاء لهم ومن مات من غيرهم مات ذكره معه وأردف سبحانه وتعالى ذلك أيضا بمنة ثالثة وهو ان جعل الذاكر مذكورا فى الملأ الأعلى للحديث القدسى «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملئه ، فقد تمم نعمته على من ذكره بذكره عنده (ولذكر الله أكبر) قال بعض العارفين معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله وهذا غاية الانعام ومنتهى الفضل والاكرام ، وإلى هذه المعانى أشار ابن عطاء الله فى الحكم بقوله أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك ، والثانية أن جعلك مذكورا به اذ حقق نسبته اليك ، والثالثة أن جعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك فثبت أن له الحمد فى الأولى والآخرة سبحانه وتعالى ، واذا فكرت ونظرت ترى أن الذكر لله انما كان بعد شهود القلب لله والاعتراف بربوبيته فالذكر الظاهر لامحالة ثمرة باطن الشهود والفكر وذلك الشهود انما كان بالهام الله تعالى وتجليه للقلب فهو الخالق له فى قلبك فله الحمد فى الأولى والآخرة

﴿والى هذه المعانى أشار فى الحكم بقوله﴾ ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود و بقوله أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بألوهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر ومعنى قوله أشهدك من قبل أن يستشهدك أنه تجلى لقلبك فشهدته قبل أن يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك فان الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود واعتراف بوحدانيته ☼ قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه وتعالى (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)

﴿قال ومعنى كلام الشيخ هذا﴾ ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوى مهامه نفسه و بيداء طبعه الى أن وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله (يختص برحمته من يشاء) فالأول حال السالكين والثانى حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ، ومن كان مبدؤه المواصلة ردّ الى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لاطريق له بل له

طريق

طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ماتسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف طريقا بها توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لاطريق له وهو كذلك بالنسبة لأغلب المجاذيب فأما غير الأغلب فليس الأمر كما زعموا بل له طريق طويت عنه فان هذا المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه ، وانما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب حاله كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا انتهى

﴿والى ذلك أشار فى الحكم بقوله﴾ قوم تسبق أذكارهم أنوارهم وهم المريدون السالكون ، وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فيأتون بالاذكار فى حال تكلف منهم ليحصل بها الأنوار وقوم تسبق أنوارهم أذكارهم وهم المجذوبون المرادون ، فلما واجهتهم الأنوار حصلت منهم الاذكار بسهولة وخفة بلا تكلف ، فالاولون وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله ، والآخرون وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله فيصدق عليهم قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) و يصدق على الاولين قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) و يصدق على السالك قوله فى الحكم ذاكر ذكر ليستنير قلبه وعلى المجذوب قوله وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا فالذكر له كالنفس الطبيعى بل أسهل فالامداد الالهية التى يمد الحق بها عباده المؤمنين زيادة فى إيمانهم وتقوية لايقانهم انما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم و بهذا فضلت هذه الأمة على سائر الامم على قصر أعمار هذه الأمة وطول أعمار غيرهم ☆ قال أحمد بن أبى الحوارى لأستاذه أبى سليمان الدارانى رضى الله عنهما غبطت بنى اسرائيل قال بأى شىء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ماظننت الا وقد جئت بشىء لاوالله مايريد الله لنا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولايريد منا الاصدق النية فماعنده هذا اذا صدق فى عشرة أيام نال مانال ذلك فى عمره

﴿والى ذلك أشار فى الحكم﴾ بقوله رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده و بقوله من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة أى لاتحيط به العبارة لكثرته وشرفه ولاتصل اليه الاشارة لرقته وغاية صفائه فيرتفع له فى شهر مثلا مالايرتفع لغيره فى ألف شهر بمنزلة ليلة القدر والعمل فيها لمن صادفها خير من العمل فى ألف شهر ☆ قال بعضهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر ☆ وكان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول أوقاتنا كلها ليلة القدر ، والحمد لله فهذا هو البركة فى العمر لا تطويله وزيادة مدته ☆ قال بعضهم وهذا معنى ماروى البر يزيد فى العمر فمن الخذلان ان تصدك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك أن تبادر الى ذلك وترمى بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) ☆ قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فراغ القلب من الأشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر فى قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء لبه ، ولاشىء أنفع للعبد فى اصلاح قلبه من الفكر فانه سراج القلب ☆ قال الجنيد رضى الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد

﴿وقال الامام القشيرى﴾ التفكر نعمة كل طالب وثمرة الوصول بشرط لعلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ، وانما كان الفكر سراج القلب لانه يصير فى القلب كالمصباح الحسى الذى يضيء فيه فيستنير به وتنجلى له حقائق الأمور فيظهر به الحق حقا والباطل باطلا فيعرف به عظمة الله تعالى وجلاله و يطلع على خفايا النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا و يعرف وجوه الحيل فى التحرز عنها الى غير ذلك ، ثم ان فكر الزاهدين فى فناء الدنيا وقلة وفائها اطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه ، وفكر العارفين فى الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق المنعم سبحانه وتعالى ، فالفكر جولان القلب فى صنوف المخلوقات وأنواع المكونات لاستخراج مافيها من العلوم وماانطوت عليه من العبر والآيات الموصلة الى العلم بالله تعالى وماله من صفات الكمال ونعوت الجمال وغير ذلك فاذا تفكر فى وجود المخلوقات هداه ذلك التفكر الى وجود موجدها وصانعها وخرج بالتفكر فى المصنوعات والموجودات التفكر فى ذات الله تعالى فانه منهى عنه ٭ قال ﷺ تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لاتقدرون قدره فالقلب الخالى عن الفكر خال من النور كالبيت المظلم ولا يكون فى البيت المظلم الا الجهل والغرور ، ثم ان أصحاب الفكر قسمان منهم من تكون فكرته ناشئة عن الايمان والتصديق وقصده بالفكرة الترقى فى الايمان وزيادة اليقين وهذا حال السالكين فى حال ترقيهم ، والقسم الثانى من تكون فكرته ناشئة عن شهود وعيان وهذا حال المجذوبين الى الحق المستدلين بالمؤثر على الأثر ، والاولون مستدلون بالأثر على المؤثر ، وهذان القسمان بالنسبة للمشتغلين بالله تعالى وهم السالكون والمجذوبون وأما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق والايمان لا لزيادته و يقال للسالكين أرباب الاعتبار وللمجذوبين أرباب الشهود والاستبصار واذادام الذكر والفكر نشأ عنهما واردات الهية ترد على قلوب العارفين ، ولذلك قالوا لولا الورد لما كان وارد و بالعكس وتلك الواردات منح وعطيات تفضلا من الله عليهم فلا تستحقون شيئا من أورادهم ولولم تر عليهم سما العارفين

﴿قال ابن عطاء الله﴾ اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقون مامنحه مولاه لأنك لم تر عليه سما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد ثم قسمهم الى مقربين وأبرار ، فقال قوم أقامهم الحق لخدمته يعنى الأبرار وقوم اختصهم بمحبته يعنى المقربين (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ٭ وقال قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد ، أى فهى تحف الله وهداياه مقدسة عن أن تعلل بأمر ومنزهة عن أن تقابل بأعمال بر بل هى محض كرم وفضل من الكريم المتفضل ٭ ثم اعلم أن الواردات يكشف لهم بها عن كثير من الحقائق الغيبية وأول ماتنجلى وترد الحقائق على قلوبهم ترد مجملة ، ثم بعد أن تعيها قلوبهم تتبين لهم على طبق قول الله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) وشرط قبول تلك الواردات مطابقتها لما جاء مقررا فى الشريعة فاذا خالفها الشرع فهى باطلة ٭ قال بعض العارفين حقائق العلوم اللدنية التى يقذفها الحق تعالى فى أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الأشياء وتعرضهم بسيرهم الى نفحات الحق بالنجاء والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة ، وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون

جهات

جهات حقيقتها ، فاذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم النقلية والعقلية من غير مخالفة فهي علوم وأسرار ذوقية ومنح الهية ترد على الأرواح لاتنال بمعتاد الطلب ☆ قال الشبلي رضي الله عنه الألسنة ثلاثة ، لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق ، فلسان العلم ماأدى الينا بالوسائط ، ولسان الحقيقة ما أوصله الله الى الأسرار بلا واسطة ، ولسان الحق ليس اليه طريق ☆ وقال رويم أصح الحقائق ماقارن العلم ☆ وقال أبو بكر الدقاق كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي أن علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بي وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر ، واشتهر على ألسنة العارفين حقيقة بلاشريعة باطلة وشريعة بلاحقيقة عاطلة وقالوا الحقيقة كلها علم ومتى وردت الواردات الالهية على قلب العبد فانها تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مسترعاداته ، لأن لها سلطنة عظيمة على ذلك ، فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الرذائل والقبائح والخبائث أزالت ذلك وأثبتت عوضامنه أحوالاعليه ، وأوصافاسنية مرضية (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فالواردات الالهية شبيهة بجنود الملك اذا حلت قلبا قهرت مافيه وأزالته وسرت أنوارها في الجوارح فلا يرى صاحبها الاساعيا في مرضاة ربه بأتباع المأمورات واجتناب المنهيات وزيادة نوافل الخيرات رغبة في مرضاة المحبوب وهذه حالة السالكين وقد يقوى عملها في القلب حتى يفنى صاحبها عن الكون وعن نفسه وهذه حالة المجذوب ، لايقال ان العوائد مما جلبت عليها الطبائع فكيف تزيلها الواردات ، لأنا نقول ان الوارد له القهر كجند الملك ولذلك

قال ابن عطاء الله في الحكم الوارد يأتي من حضرة قهار لاجل ذاك لايصادمه شيء إلا دمغه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ☆ وقال ابن عطاء الله لاتزكين واردا لاتعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الأمطار انما المراد منها وجود الأثمار ، والمعنى لاتمدح الوارد وتفرح به وأنت لاتعلم ثمرته وثمرته تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة فان لم يوجد هذا عندك فلاتفرح به فان ذلك نوع من الاغترار والخداع بلبسة الاظهار فكن على حذر منه فالوارد انما يراد لثمرته لالحظ النفس فان كثيرا ممن يحصل عندهم تلك الأحوال القلبية يغترون بها وربما تركوا الأعمال الظاهرة مع وجود عقلهم ☆ ثم اعلم ان الواردات وسائل لحصول مقاصدها وهي ثمراتها التي تكون بعد حصولها ، فاذا حصلت مقاصدها فلا وجه لطلب بقاء الواردات كما أنه لايطلب بقاء السحاب والأمطار بعد حصول الأثمار (وأن الى ربك المنتهى) فاياك أن تقف مع الواردات فتصير حجابا في حقك والمقصود أمامك ولا تحزن على فقد الوارد اذا فقدته فان في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عن الله شيء ورحم الله القائل

لكل شيء اذا فارقته عوض ☆ وليس لله ان فارقت من عوض

فلابأس على فقد شيء اذا وجدت الله في كل شيء ، وكيف يأسى على فقد شيء من عنده مالك كل شيء وكيف تتعلق همة من رضى عنه الملك بغير الملك وليس يغنيك عن الله شيء اذا فقدته ولقد أحسن من قال

الملك ملكي اذا ظفرت ☆ بالوصل ممن به كلفت

ان يكن من أحب عندى * فى جنة الخلد لانعمت

فالله تعالى انما أدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك لأنها جاءت حاملة هدية التعريف من الله اليك ، فاذا أوصلت اليك ما كان فيها فلا تطلب بقاءها إذلا يطلب بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أدى أمانته فان طلبت بقاءها كنت عبد الحامل لاعبد المحمول ، فجميع أنوار الواردات المنبسطة على قلب العبد تكيف ظاهره و باطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيها بما لاح له من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه فى حال وجوده ولا تأس على فقده اذا فقدته فان لك فى الله غنى عنه وعن غيره ، وليس لك غنى عن الله فى شىء من الأشياء قال ابن عطاء الله إياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ، فيدخل فى هذا جميع الأغيار والأنوار والمقامات والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقى أوذهب فان ذلك قادح فى اخلاص التوحيد

﴿قال فى التنوير﴾ واعلم أن البارى سبحانه وتعالى انما يدخلك فى الحال لتأخذ منها إلى آخر ما تقدم الى أن قال فتوجه اليه باسمه المبدىء فأبداها وأبقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان له فيها ، فلما أدت الأمانة توجه اليها باسمه المعيد رجعها وتوفاها ، فلا تطلب بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا أمين بعد أن بلغ أمانته وانما يفتضح المدعون بزوال الأحوال و يعزلهم عن منازل الأنزال ، هنالك يبدو العوار وتنهتك الأستار فكم من مدع الغنى بالله ، وانما غناه بطاعته أو بنوره أو فتحه ، وكم من مدع العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ماثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لاعبد العلل وكما كان الله لك ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى * وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحوّل فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحوّل عبد المحوّل ، وأمارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها و يفرح بها اذا وجدها ، والذى هو فى الحال بالمحوّل لايفرح بها إذا وجدها ولا يحزن عليها اذا فقدها ، وفى الاشارات عن الله سبحانه وتعالى لاتركنن الى شىء دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك ، فان ركنت الى العلم تبعناه عليك ، وان أويت الى العمل رددناه اليك ، وان وثقت بالحال وقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه ، وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم ، وان اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك ، فأى حيلة لك وأى قوّة معك ، فأرضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا

﴿قال ابن عطاء الله فى الحكم﴾ تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ماسواه دليل على عدم وصلتك به يعنى أن تطلعك الى بقاء غيره من الواردات المذكورة وغيرها كالأنوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة دليل على عدم وجدانك له اذلو وجدته فى قلبك واجتمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره واستيحاشك لفقدان ماسواه كالواردات المذكورة دليل عدم وصلتك به اذلو وصلت اليه لنسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شىء سواه ، فالسالك اذا وردت على قلبه واردات الهية و بسطت فيه أنوارها وأودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين فان كان يتطلع و يتشوف الى شىء من الأغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه فذلك دليل على عدم تحققه بهذا المقام الشريف * قال الجنيد رضى الله عنه انك لن يكون له على الحقيقة عبدا وشىء

عما سواه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية * والحاصل أن وجدان العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطلبه ومنتهى آماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم ، وعندذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب ، وهذه هي صفة أهل التفريد الذين استتروا فى ذكر الله المجيد كما روى عن أبى عبدالله البسرى رضى الله عنه ، قال سألت رجلا باللكام ما الذى أجلسك فى هذا الموضع ، فقال لى وماسؤالك عن شيء ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه ، قلت تخبرنى ماهو ؟ قال علمى بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان ، ثم قال آوّاه قد كنت أظن أن نفسى ظفرت ومن الخلق هربت ، فاذا أنا كذاب فى مقالتى لوكنت محبا لله صادقا ماأطلع على أحد ، فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله فى أرضه مستأنسين بخلقه يبعثونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لى : يامخدوع لوشممت رائحة الحب وعاين قلبك ماوراء ذلك من القرب مااحتجت أن ترى فوق مارأيت ، ثم قال ياسماء وياأرض أشهدا أنى ماخطر على قلبى ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمتنى فوالله ماسمعت له كلاما بعدها ومات ، وخفت أن يسيء الى الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت ، فبينما أنا على ذلك واذا أنا بجماعة فقالوا مافعل الفتى فكنيت عن ذلك ، فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه ، وقلت لهم من هذا الرجل ومن أنتم ، قالوا ويحك هذا رجل به كان قد يمطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أمارأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ماخطر على قلبه ، فهل كان أحد كذا الا ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، فقلت من أنتم ؟ قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال ، قلت علمونى شيئا قالوا لاتحب أن تعرف ولاتحب ان يعرف انك ممن يحب ان لايعرف . وقد سئل أبوسليمان الدارانى رضى الله عنه عن أقرب مايتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى ، فقال أقرب مايتقرب به اليه أن يطلع الله على قلبه وهولايريد من الدنيا والآخرة غيره سبحانه وتعالى فهذه هى العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشيء من الأغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها واستوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل فى تصحيح هذا المقام جهده

﴿واعلم ان الوصول الى الله تعالى الذى يشير اليه أهل هذه الطريقة﴾ هوالوصول الى العلم الحقيقى بالله تعالى وهذاهوغاية السالكين ومنتهى سيرالسائرين ، وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه سبحانه وتعالى ، قال الجنيدى رضى الله عنه : متى يتصل من لاشبيه له ولانظيرله بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الابما لطف اللطيف من حيث لادرك ولاوهم ولااحاطة الااشارة اليقين وتحقيق الايمان ، وقال السهروردى رضى الله عنه فى عوارف المعارف ، واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليهما الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة فى الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة التجلى فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج فى هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة فى الوصول ، ومنهم من يقف فى مقام الهيبة والانس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهورتبة فى الوصول ، ومنهم من يرتقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه نور اليقين والمشاهدة معمى فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين ، وهذه رتبة فى الوصول وفوق هذه

رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روح العبد وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى مراتب الوصول ، فاذا تحققت الحقائق بعلم العبد من هذه الأحوال الشريفة انه في أول المنزل فأين الوصول ؟ هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الابدى فكيف بالعمر القصير الدنياوى ٭ والحاصل ان الوصول الى الله هو الوصول الى العلم به أى الى مشاهدته بعين البصيرة مشاهدة تغنى عن الدليل والبرهان ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلى وبالفيض الرحمانى والتعرف العيانى والذوق الوجدانى ٭ وحاصل كلام السهروردى تقسيم الوصول الى ثلاث مراتب كلها ذات تجلّ وشهود ، لكنها اختلفت باختلاف المتجلى فالاولى تجلى الفعل بأن يكشف لصاحبها عن صدور الافعال كلها من الله تعالى فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره مع ذلك وانما ينكشف ذلك لبصيرته ، فمهما رأى فعلا من الافعال أو نظر أثرا من الآثار من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يرى السماء والارض والحيوان والشجر من حيث انها أرض وسماء وحيوان وشجر بل من حيث انها صنع الله تعالى فمن ناظرها من هذه الحيثية كان ناظرا الى الله تعالى وهو الذى يقال فيه انه فنى فى التوحيد وفنى عن نفسه واليه الاشارة بقول بعضهم : كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بالله ، وفى هذا المقام يسقط التدبير والاختيار وذلك أساس الطريق وعمدته ، وصاحب هذا المقام صاحب مقام علم اليقين ، والثانى تجلى الصفات الجمالية من كرم وحلم ورفق واحسان ورحمة ولطف وعطف وفضل وامتنان التى هى منشأ الأنس والجلالية من بطش وسطوة وعزة ونقمة التى هى منشأ الهيبة ، وهذا صاحب تجريد وتفريد ، أى لا يفعل الطاعة لأجل الأغراض الدنيوية أو الأخروية ، بل ما كوشف به من العظمة يقتضى انه يؤديها عبودية وانقيادا فهو مجبول على قصد الأغراض ولا يرى نفسه فيما يأتى ، بل يرى نعمة الله عليه فهو صاحب فناء لفنائه عن السوى وبقاء لشهوده صفات الحق وافناء صفاته المذمومة وبقاء صفاته المحمودة ، وصاحب هذا المقام صاحب عين اليقين له سكر عما فاجأه تجلى نور الجمال والجلال يزيد على سكر صاحب علم اليقين ، والثالث تجلى الذات المقدسة بما يتكامل من تشعشع أنوار قلبه فى اليقين فيستولى على قلبه أنوار الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس ، وليس من ضرورته الفناء بل الكامل فى ذلك هو الذى يكون فى غاية الصحو يجمع بين الحق والخلق ، فعلم من ذلك ان قربك من الله سبحانه وتعالى أن تكون مشاهدا القربة منك قربا معنويا فتستفيد بهذه المشاهدة شهود المراقبة فى التأدب بآداب الحضرة ولولم نقل ذلك بل أردنا القرب الذى هو من صفات الاجسام فهذا لا يصح لان ذلك مستحيل على الله تعالى فمن أين أنت ووجود قربه قربا حسيا ، فالقرب الحقيقى قرب الله منك قال تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) وقال تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقال تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) فحظك أنت من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط وأما حقيقة قربك فليس لك منه شئ ولا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من نفسك

﴿وفى مناجاة ابن عطاء الله﴾ الهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك لكن ينبغى للعبد أن لا ييأس من قبول العمل اذا لم يجد فيه حضور قلب فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ولو لم يكن الا قصد التقرب به وسقوطه عن نظرك لكان كافيا ، وقد تقدم أن من علامات قبول العمل نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية وتقدم

أيضا قول الحكم لاعمل أرجى للقبول من عمل تغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده ﴿ قال عيسى بن دينار ماوفق الله عبدالعمل الاوهو يريد أن يقبله منه ولاوفق الله عبدا للنزوع من ذنب الاوهو يريد أن يغفره له ، فكن حسن الظن بربك واشكره على أن وفقك للقيام بأمره ولولم تجد لذلك حضور قلب ولاثمرة عاجلة فلاتطلب الاماهو طالبه منك ﴿ قال ابن عطاء الله خير ماتطلبه منه ماهوطالبه منك أى فان كان ولابد من الطلب منه فاطلب ماهوطالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خيرمن طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون بوله و يسعفك بطلوبك عاجلا من غير تأخير ، وأمااذاطلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل فى ذلك تأخير ومنع مع مايفوتك حينئذ من حسن الأدب فى الطلب فمن رزقه الله شيئامن الطاعة وفنى عنها ولم ينظر اليها فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة وأحياه حياة طيبة ﴿ فان قيل بأى سبب يتوصل الى هذه الحالة وكيف الطريق الى سلوك هذه المنزلة ﴿ فالجواب ان الطريق الى ذلك اللجا الى الله تعالى والاضطرار وصدق الافتقار والدعاء بطلب هذا المطلب الذى هو أفضل المطالب والمشرب الذى هو أعذب المشارب ، فاطلب منه أن يرزقك الطاعة وأن تفنى عنها وعن رؤيتها وملاحظتها وعن الاعتماد عليها ، وهذا الدعاء تضمنته سورة الفاتحة فان قوله (واياك نستعين) فيه التبرى من الحول والقوة وقوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) فيه غاية المطلوب فلهذا كررت فى الصلاة فالاكثار من قراءتها متضمن خيرالدنيا والآخرة والاشتغال بالدعاء كله خير لكن هذا أفضل مايطلب . ومن دعاء أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه «اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لى بالسؤال فاجعل سؤالى اليك سؤال محابك ولاتجعلنى ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك اللهم أسألك منك ماهو لك وأستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم ولاتشغلنى بشغل من شغله عنك ماأراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلنى ممن يذكرك ذكرمن لايريدبذكره منك الا ماهو لك اللهم اجعل غاية قصدى اليك ماهو لك ولاتجعل قصدى اليك ماأطلبه منك»

﴿قال ابن عطاء الله﴾ اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فماذا يقيمك فبى رزقك الطاعة والفناء بها عنها فاعلم انه قدأسبغ عليك نعمه ظاهرة و باطنة فالمطلوب من العبد شيآن اقامة الامر فى الظاهر والتعلق بالله فى الباطن وهو الاستغناء به عن غيره ، فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة وأوصله الى غاية الأمل فى الدنيا والآخرة ، فالواجب على العبد أن لايركن الى شىء من الطاعات فى نيل مطلوبه ، بل يعلق قلبه بمولاه و يغيب عن كل شىء سواه

﴿قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ كفى من جزائه اياك على الطاعات أن رضيك لها أهلا فهذا من الجزاء المعجل ، وهو انه عرفهم سبحانه وتعالى من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لأن يكلفهم القيام بطاعته و يعدهم فيها بتيسيره ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست اذذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هوغاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع لغيره من الحظوظ العاجلة والآجلة ، فانظر أيها العبد الذليل كيف وفقك لطاعته وأقدرك عليها والافصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها نفسك وأدخلك فى عباده الطائعين والافمن أنت ؟ حتى تقف ببابه وتنتسب الى جنابه وتتمكن من مناجاته وذكره وتلاوة كتابه فانت بحسب ذاتك لاتستحق

اليسير من ذلك فان اليسير منه كثير فاشكره عليه يزيدك منه فى تاهيلك لطاعته عطايا كثيرة الالهام والاقدار وصرف الشواغل وقطع القواطع فهذا هو العطاء ، وان أردت أن تعرف قدر ذلك فانظر من طرده عنه وحرمه منه ولم يوفقه ولم يستطع الوصول اليه من هو أقوى منك وأقدر وأكثر جاها وأنفذ كلمة وبضدها تتميز الأشياء ولوصرفك عن جنابه وطردك عن بابه ماذا كنت تفعل فاذا صفالك وقت وتيسرت لك طاعة وصدر منك توجه واقبال فافرح بذلك واشهد الفضل والمنة لله عليك واشهد حصول ذلك من حيث انه منه لا منك فانك عاجز عن تحصيله ولا استحقاق لك فى ذلك عنده فتى نظرت الكسب فاشهد القصور والدخل والعلل ولا يسترقك العجب والنظر الى عبيد الملك من ملوك الدنيا فانهم يتقربون اليه بكل مايستطيعون من أنواع الخدمة ولا يطلبون منه جزاء على ذلك بل اذا قرب الملك أحدا منهم يوما من الايام ولو بكلمة ولو على سبيل الاستسخار فرحوا غاية الفرح وافتخروا بذلك وصاروا يتلذذون به ، فاذا وفقك مولاك للقيام بشىء من طاعته كان لك ذلك جزاء معجلا لك فى الدنيا لما يترتب عليه من مزيد الزلفى وأنت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك أهلا لها نعمة عظيمة منه عليك ، وأيضا هناك جزاء آخر معجل أنت غافل عنه وهو مايحصل للعبد فى اثناء الطاعة وقت التلبس بها من لذاذة المناجاة وحلاوة المصافاة ، فهو عطاء آخر حاصل باستشعار العبد عظمة من توجه اليه وذلك حاصل لكل مؤمن قائم بشىء من الطاعات وان تفاوتوا فى لذاذة المناجاة وحلاوة المصافاة ، وأعلاهم من توجه اليه حتى لا تبقى فيه بقية لغيره فيتذلل تذلل عبد حقير بين يدى ملك عظيم كبير فيحلوله ذلك التذلل ويتلذذ به ويغيب فيه وهذه الحلاوة هى المعبر عنها بقوله ﷺ من وجد لايمانه حلاوة خشع ومن لم يجدها لم يخشع ، وبقوله ﷺ ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ، والاستلذاذ بالايمان والعمل والاغتباط بهما من الفرح بالله ورسوله ﷺ فلا يزال يزداد حتى يغيب العبد عن وجوده وعن غيبته ، ويعبر عن ذلك أهل الطريق بالأحوال والمواجيد والأذواق

﴿والى ماذكرناه أشار ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ بقوله كفى العاملين جزاء ماهو فاتحه على قلوبهم فى طاعته وماهو مورده عليهم من وجود مؤانسته أى من المواهب الالهية والالهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدى ملك الملوك فهو بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو أن العاملين لربهم يفتح لهم من المعاوف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف مايتنسمون منه روح الأنس ويتنعمون به فى حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذى يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر ، كان بعض العارفين يقول ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة * وقال آخر التملق للحبيب والمناجاة للقريب المجيب فى الدنيا ليس من الدنيا بل هو من الجنة ظهر لأهل الله تعالى فى الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم جعله الله تعالى روحا لقلوبهم ، قال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دخلت على أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه يوما وهو يبكى ، فقلت له ومايبكيك ؟ فقال ياأحمد لم لا أبكى انه اذا جنّ الليل ونامت العيون وخلا كلّ حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاربهم أشرف الجليل سبحانه ، فنادى ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ذكرى وانى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاهم فلم لا تنادى فيهم ياجبريل ماهذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيبا يعذب

أحبابه أم كيف يجمل بي أن آخذ أقواما اذا جنهم الليل تملقوا الي في حلفت اذا وردوا علي يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وأنظر اليهم انتهى . وقوله لاكشفن لهم عن وجهي كناية عن ازالة الحجب عنهم لانهم هم المحجوبون ، وأما الله تعالى فلا يلحقه حجاب وبالجملة فالواجب على العبد امتثال الأمر واجتناب النهي امتثالا لله تعالى واظهارا لذله وعبوديته وافتقارا ولا يطلب جزاء فان الله قد تفضل عليه وغمره باحسانه من غير طلب

﴿قال ابن عطاء الله رضي الله عنه﴾ من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه ، أي فعطاء الله لا يتقيد بأعمال العاملين بحيث لا يكون الامر تبا عليها ومسببا عنها بل يكون وقت الاعمال وقبل الاعمال ، بل الاعمال نفسها من عطائه وفضله واحسانه بل عطاؤه سبحانه وتعالى عام للطيعين والعاصين وانعامه شامل للمحسنين والمسيئين ، واذا كان كذلك فحق العاملين أن لا يقصدوا بأعمالهم التوصل الى عطائه تعالى بل ينبغي أن يخاف من هذا السيد المحسن في حالتي الاقبال والاعراض فلا يسلك معه طريق المعاملات والاعواض ، بل يعبد ويخضع لجلاله وجماله اللذين دل عليهما عموم احسانه ، فمن عبده ليتوصل بعبادته الى عطائه فقد جهل حق ربوبيته ولم يخلص في عبوديته ، لأنه انما يعمل لنيل حظه فكأنه يدفع شيئا ليأخذ في مقابلته أكثر منه فليس عبدا على الحقيقة وكأنه يستشعر أن معبوده انما يعطيه بعمله وعلى حسب عمله وليس ذلك مقتضى الكرم الذي هو وصفه سبحانه وتعالى ، فالكامل من العبيد من يعمل عبودية وخضوعا ويعتمد على فضل الله وكرمه ، والذي يبين الربط السابق احسانه السابق على الاعمال بل قبل وجودك

﴿وقد قال في الحكم﴾ عنايته فيك لا لشيء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في أزله منك اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الامحض الفضل وعظيم النوال * والحاصل أن عمل العاملين لأجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين المخلصين ، لأن قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضي أن لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا يستحق عليه هو شيئا ، وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لأن المحب يجتمع الهم بأمر محبوبه لا مراد له الا ما أراد ، فعلى العبد أن يعمل لربه عز وجل لأجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها ، فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه ، وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته ، أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الأوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليقضي الربوبية حقها ، ونقل وهب بن منبه ان في الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو لنار لولم أخلق جنة ولا نارا ، ألم أكن أهلا لأن أطاع ، وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية ، فقال من أنتم ؟ فقالوا نحن عباد الله تعالى ، قال ولأي شيء تعبدتم ، قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها ، فقال حق على الله تعالى أن يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فرآ آخرين يتعبدون أشد عبادة من الاولين ، فقال لأي شيء تعبدتم ، قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لأوليائه فنحن نرجوها ، فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم

ومن بآخرين يتعبدون ، فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله ، قال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ولمن بعدهم مخلوقا أحببتم وللآخرين أنتم المقربون ، وقال نبينا ﷺ «لايكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط الأجرة لم يعمل» وممن أقيم في هذا المقام أعني العمل عبودية لله تعالى جماعة من التابعين باحسان ، منهم أبو حازم المدني فكان يقول انى لأستحي من ربي سبحانه وتعالى أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأستحي أن أعبده لأجل الثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له ، وتقدم قول معروف الكرخي رضي الله عنه لما قال له بعض أصحابه أخبرني عنك ياأبا محفوظ ، أى شيء هاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت ، قال فقلت له ذكر الموت ، فقال وأى شيء الموت ؟ قلت فذكر القبر ، قال وأى شيء القبر ، فقلت خوف النار ورجاء الجنة ، فقال وأى شيء هذان من كان ملك هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع هذا ، وان كان بينك و بينه معرفة كفاك جميع هذا ، وعن علي بن الموفق رضي الله عنه قال رأيت في النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ، ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين ، قال ثم جاوزتهما الى حضيرة القدس فرأيت في سرادقات العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر الى الله تعالى لايطرق ، فقلت لرضوان من هذا ؟ فقال هو معروف الكرخي عبد الله تعالى لاخوفا من ناره ولاشوقا الى جنته بل حبا له ، فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ☆ وكانت رابعة العدوية ممن اتصف بكمال المحبة ، وكان يجلس بين يديها سفيان الثوري ويقول لها علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة ، وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا ، وكان يعترف لها ويسلم لها قولها ، وكان عالما زاهدا الا أنه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس للتعليم ، والناس أبواب الدنيا ، فقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة ، فما حقيقة ايمانك فقالت ماعبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولاحبا للجنة فأكون كالأجير السوء ان أعطى عمل ، ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه ، والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لاتنحصر ، فاذا عمل المريد على ماذكرناه كان عبدالله حقا ، فان طلب منه الثواب أو استعاذ به من العقاب فانما يطلبه أو يستعيذ به انتجازا لوعد ربه وفرارا من دعوى رؤية حظه واتباعا لما أحبه منه وأذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه . فاندفع بهذا اشكال مشهور في قول كثير من العارفين مانعبده طمعا في جنته ولاخوفا من ناره ، فان هذا القول ربما يقتضي تحقير شأن الجنة والنار مع أن الله عظم شأنهما وأمر بسؤاله الجنة والاستعاذة به من النار ☆ وحاصل الجواب انهم لايجعلون أعمالهم معللة بذلك فان الله يستحق العبادة لذاته وصفاته ولو لم تكن جنة ولانار ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذون به من النار امتثالا لامره وتعظيما لما عظم شأنه لافي مقابلة الاعمال ، وعلى هذا يحمل الحديث المشهور المروى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ لرجل ماتقول في الصلاة ، قال أتشهد ثم أقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن

دندنتك ولا دندنة معاذ فقال ﷺ حولها ندندن هـذا مذهب العارفين والمحققين ، أعنى العمل امتثالا للأمر وقياما بالعبودية لالحظ وغرض ، وعليه تنبنى قواعد التصوّف كلها فليس رجاؤهم لحصول الجنة ولاخوفهم للبعد من النار ، أى ليس ذلك هو الباعث على القيام بالطاعة وملازمة العبادة حتى يكون العمل مدخولا معلولا بل يعبدون الله امتثالا لامره ، ولكونه يستحق العبادة لذاته وصفاته ويرجون و يخافون امتثالا لامره ولكونه سبحانه وتعالى يستحق أن يرجى و يخاف منـه لذاته وصفاته لانه يفعل مايشاء ويختار ويسألونه الجنة ويستعيذون به من النار امتثالا لأمره وتعظما لما عظمه سبحانه وتعالى ، فطلب العارفين من الله تعالى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية من غير مراعاة حظ ولابقاء مع نفس ، وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والأغراض فى مطالبهم ﴿ كما تقدم فى قول ابن عطاء الله ﴾ خير ماتطلبه منه ماهو طالبه منك قال سيدى أبومدين رضى الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ، فالصدق فى العبودية هو التزام آدابها والتخلق بأخلاقها والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ماأولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لابسا ثوب التواضع والذلة باسطا يد الفقر مالكا حبل الرجاء مرتديا برداء الخشية الى غير ذلك من أوصاف العبودية وأخلاقها فمن صدق فى ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه ، وأما القيام بحقوق الربوبية فهو فى ظاهرهم بالطاعة وفى باطنهم بدوام المراقبة له والحضور معه فلا يطلبون منه الاهذين الأمرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والأغراض فى مطلب فلذلك كان مطلبهم أعلى المطالب ، قال العلامة بن زكرى فى شرح الحكم : ان العامة يرجون فى الدنيا السلامة من الآفات وتسهيل الرزق وصحة البدن ، وفى الآخرة غفران الذنوب والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل ذلك عند الخاصة شفقة على النفس واشتغال بها وهم منزهون عن ذلك لعلمهم ان الله تعالى أولى بها لأنه خلقها أوّلا ثم اشتراها ثانيا ، فخرجت عن ملكهم وصارت فى ملكه يفعل فيها مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ، فالاشتغال بها حجاب عن المقصود بالذات فطلب الخصوص أن يجعل لهم مسلكا يصلون منه اليه وأن يسهل لهم أسبابا تسوقهم الى معرفته حتى يغيبوا فى شهوده عن رؤية نعمته و بلائه ، وهـذه أحوال غير موجودة فى كل الأوقات ولا يفهمها الا أهلها ولايبسط القول فيها للعموم اذلو تكلفوا ماتكلفوا لم يصلوا الى فهمها ، فان الآنية لوصبّ فيها البحر لم تزد على وسعها قطرة واحدة فهم الذين أتوا البيوت من أبوابها حيث طلبوا الوصول الى المسببات بأسبابها ، فان وظيفة العبد السعى فى خدمة سيده و بذل المجهود فى رضاه من غير اشتغال بمصالح نفسه ، لأن سيده قائم بها ومتكفل له بها ، وفى بعض الأحاديث القدسية « قال الله تعالى عبدى أطعنى فيما أمرتك ولاتعلمنى بما يصلحك » وانظر مابين عبدين أحدهما يطلب من سيده ان يسامحه فى تقصيره معه وأن يتفضل عليه ويكثر الاحسان اليه ويحلم عليه و يصفح عما يصدر منه ، والآخر يطلب منـه أن يستعمله فى خدمته و يصرفه لتعظيم حرمته و يأذن له فى اقامة حقوقه و يرضاه أهلا للوقوف ببابه أيهما أحظى عنده ، والى هذا يشير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) فقدم ذكر العبادة وعقبها بذكر الاستعانة حتى ينصرف العبد اليها و يتسلط عليها ، أى واياك نستعين على عبادتك ، فأرشدهم الى أن عبادته أهم مايسألونه وأحق مايطلبونه ، بل أرشدهم الى ان الاولى بهم أن يكون ذلك هو مطلبهم والأليق

فى حقهم أن يبادروا اليه و يطلبوا العون منه ، ففيه تنبيه على أنهم لايرجون لانفسهم ولايخافون عليها فرجاؤهم انما هو الأنس بالله تعالى والوصول اليه وشهوده فذلك عندهم هو النعيم ، ولو فرض انهم فى الجحيم وخوفهم انما هو هيبة واستحضار عظمة فهم يشهدون الجلال فيهابون والجمال فيأنسون اللهم اجعلنا منهم انتهى

(واعلم) انك اذا طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه وانى لك أن توفى بذلك مع انك طالب حظ نفسك فانت لامحالة مريب فيكفيك وجود السلامة من غير مزيد عليها قال الواسطى رضى الله عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذى العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها * وقال خير النساج رضى الله عنه ميزان أعمالك مايليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فاذا طلبت العوض بان عملت لاجل جزاء آجل وهو الثواب فى الآخرة أو عاجل فى الدنيا كالامدادات التى ترد عليك من الحق سبحانه وتعالى وطالبك الحق تعالى بوجود الصدق فيه بان قال لك انك لم تصدق فى انك عملت العمل لأجلى بل عملته لحظ نفسك ماذا يكون جوابك ؟ والصدق مطابقة الباطن للظاهر وهو مفقود فيك ، لأن ظاهر عملك أنك عملت لله قياما بحق الوهيته ، واطلع الحق سبحانه وتعالى انك لم تعمله الا لحظ نفسك فتكفيك السلامة من العقاب عليه ، لانك لو عملت لله مخلصا لم يخطر الجزاء ببالك ، فلما طلبت الجزاء كان عملك مدخولا فأنت لاتستحق عليه الجزاء والمنهل العذب الصافى أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لالما يعود عليه فى دنياه أو أخراه

(واعلم) ان الصدق أخص من الاخلاص فان الاخلاص تجريد العمل من الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى لايكون له باعث غير قصد التقرب فلايبعثه عليه قصد الحظ العاجل ولا الآجل ، وهذا اخلاص خاصة المقربين ، وأما الابرار فاخلاصهم السلامة من الرياء والسمعة وأن لاحظوا طلب الثواب والفرار من العقاب ثم ان اخلاص المقربين هو العمل بقصد الامتثال من غير طلب جزاء وان أمكن حصوله فللنفس فيه تلبيس ومخادعة كثيرة فمن للعامل بصدقها وسلامتها من العيوب حتى يحصل الصدق ، وهو مطابقة الباطن للظاهر فانى لك به ، ومن يهدى للملوك الامور لنفسه ليس كمن يهدى لهم شيئا معيبا ، فان المهدى للعيب إلى العقوبة أقرب . فالعامل على خطر يخاف أن يظهر فى عمله عيب أخفته نفسه (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) ولهذا وصف الله الكاملين بقوله (يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) فاذا حصل الريب فى السلامة من العيب تكفيك السلامة من العقاب ، فالواجب على العبد أن يكون مستحيا من مولاه منكسر القلب بشهود التقصير فى العبودية فبذلك تتحقق فاقته واضطراره ، وخير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذاتك وبذلك يكثر العطاء (انما الصدقات للفقراء) وأيضا العمل الذى وجد منك هو بخلق الله وايجاده وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله تعالى فكيف تطلب أنت الجزاء عليه وليس لك الامجرد الكسب ، والخالق هو الله تعالى قال تعالى (الله خالق كل شيء) وقال تعالى (والله خلقكم وماتعملون) وقال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) واذا كان العمل مخلوقا لله تعالى فكيف تطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا

اليك

اليك الا بطريق الكسب ، فاشكر الله على توفيقه اياك ويكفى من الجزاء لك على العمل عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا بقصدك به طلب الجزاء فهو المتفضل عليك بايجاده العمل فيك (فله الحمد فى الاولى والآخرة) فانه اذا أراد ان يظهر فضله عليك خلق العمل فيك ونسبه اليك بان قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق ومجتهد وعامل ونسبه اليك أيضا على ألسنة العباد بان يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق ومجتهد وعامل ، فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم يستولى عليه الحياء والخجل من سيده الكريم ، فكيف ينسب لنفسه شيئا من محامد الصفات ومحاسن الأعمال لم يكن منه حقيقة فالذى يجب عليه أن ينطلق لسانه فى هذه الحالة بالدعاء والسؤال ويقول يارب كما تفضلت على بخلق الطاعة فى وخلقتنى بها ووصفتنى بصفات حميدة أنا خلى عنها فى الحقيقة ووعدتنى مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل منى عملى وأنجزلى ما وعدتنى كان فى ذلك مصيبا والاحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيئا من محامد الصفات حقيقة ولا أدبا اذلا أهلية فيه لذلك ، وأما مذام الصفات والأعمال ومساويهما فمقتضى الأدب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بان ذلك من ظلمه وجهله ※ قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اذا عمل العبد حسنة قال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله له ذلك وقال له ياعبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت ، واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال ياعبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت ، واذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له ياعبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت ، واذا قال يارب أنا ظلمت نفسى وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت ※ والحاصل أن كل شىء باعتبار الخلق والايجاد ينسب الى الله تعالى وأما باعتبار الكسب فحق الحسنة أن لا ينظر فيها العبد الى الكسب بل الى الخلق والايجاد وينسبها الى الله تعالى ويتبرأ من حوله وقوته عملا بقول الله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله) ، وحق السيئة أن ينظر فيها الى كسبه وينسبها الى نفسه ويعترف بظلمه وإساءته عملا بقوله تعالى (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولا ينظر الى أنها بخلق الله وايجاده الذى دل عليه قوله تعالى (قل كل من عند الله) ، ومما تفضل الله به على عبده الذى خلق الطاعة فيه قوله تعالى (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) وذلك منظور فيه الى كسب العبد ليتفضل عليه بنسبة العمل اليه ، وأما قوله ﷺ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله ، قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته فهو منظور فيه الى حقيقة الامر الى كسب العبد فيجب على كل من خلق الله فيه شيئا من الطاعات أن يستحضر أن ذلك فضل الله ورحمته ولو شاء عدم ذلك لما وجد شىء منه بل لو شاء ضد ذلك لأوجده فيه فيعلم أن الله تعالى هو المستحق للحمد حقيقة وكل من يحمد ويثنى عليه من الخلق فهو يرجع الى أن الله تعالى هو المحمود حقيقة لأنه الخالق للعبد وفعله فالعبد اذا خلى وطبعه ووكل الى نفسه لا يصدر منه الا الشر لان النفس مجبولة على الشر فاذا لم يعنك الله عليها ولم يحكمك فيها غلبتك وتحكمت فيك وأوقعتك فى أنواع القبائح حتى لا يبقى فى أعمالك ما يستحسن ولا فى أحوالك ما يحب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله تعالى ، واذا تولى الله عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فانها تصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مدائحك ولا تنقضى محاسنك ، وذلك من علامات اصطفائه لك

واجتبائه إياك وقد علم أنه لاطريق للنجاة من النفس وغوائلها إلا التعلق بالله والالتجاء اليه فيظهر حينئذ من النتح على العبد العجب العجاب

﴿والى هذا المعنى أشار ابن عطاء الله فى الحكم بقوله﴾ لانهاية لمذامك اذا أرجعك اليك ولاتفرغ مدائحك أن أظهر وجوده عليك ، ويقال للصديقين على لسان الحضرة اذ رددنا كم اليكم لم يبق إلا العجز والضعف والفاقة والذلة واذا أخذنا كم عن أنفسكم صرتم بنا أقوياء قادرين أعزاء تنفعل لكم الأكوان وتتسخر لكم الأشياء ، ولبعضهم

اذا كنا به تهنا دلالا ✡ على كل الموالى والعبيد

ولكنا اذا عدنا الينا ✡ يعطل ذلنا ذل اليهود

والحاصل أن من آواه الله اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل

لما انتسبت الى جنابك تعرفت ✡ ذاتى فصرت أنا والا من أنا

قال سهل بن عبدالله رضى الله عنه يلقى الله على الخصوص الفاقة ويحوجهم الى الخلق ويلقى فى قلوب الخلق المنع لهم وحرمانهم مافى أيديهم ليردوهم اليه سبحانه وتعالى ، فاذا رجعوا اليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لايحتسبون ، فمن أراد أن يتضح له ذلك ويظهر له كل الظهور فليتعلق بأوصاف الربوبية وذلك فرع معرفتها على الجملة ، ولاشك أنك اذا نظرت وجدت أنه سبحانه وتعالى متصفا بالقدرة الباهرة والاختيار التام والعلم المحيط والغنى المطلق والعزة التى لاحد لها والقوة التى لاغاية لها والعظمة التى لانهاية لها والرحيمية والرحمانية التى لاحصر لآثارها ومن كان كذلك فينبغى أن يكون الاعتماد عليه ، ويجب أن يكون الاستناد اليه فيتحقق العبد بأوصاف نفسه من حيث أنه عبد وهى الفقر والضعف والعجز والذلة فهذه أوصاف العبودية وهى الأصول للأوصاف وتحتها من الفروع مالاينحصر كالاغتمام والاهتمام والخوف والحيرة والفضيحة وفوات المحاب وحصول المكاره وناهيك مايحصل لأهل الدعاوى وأرباب الرياسة والجاه ، فان فرعون ادعى الربوبية ، فلما رأى عصى موسى عليه السلام ثعبانا ويده البيضاء ذات النور والشعاع تنكس وافتضح فقال للملأ حوله ماذا تأمرون فصير نفسه مأمورا ورعية بعد تلك الدعاوى ، ولاتسأل عما حصل له من الغم والخوف والحيرة ، وقس على ذلك أمثاله كالنمروذ لما قال له ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) ✡ والحاصل ان الذى يبعث العبد على الاعتماد على الله تعالى والالتجاء اليه أمران . أحدهما النظر الى صفات الله تعالى العلية ونعوته السنية وثانيهما النظر الى صفات العبد المقابلة لها فكما انهما يبعثان العبد على اطراح نفسه وعدم التعلق بها يقتضى أيضا أن يكون تعلقه بالله وأن يرجع اليه فى كل شىء فيشكره على ما أولاه ويرضى بما تولاه فيكون تارة بالالتجاء والافتقار ، وتارة بالاستسلام وترك الاختيار ، ويقتضى أيضا ترك التدبير ومنازعة الاقدار ونفى الدعاوى والعجب والاستكبار ويرى المنة لله تعالى وينتفى خوف الخلق من قلبه وهموم الدنيا فيستغنى بالله وذلك يقتضى اظهار الفاقة والفقر اليه والتعلق بعزة الله تعالى وذلك يقتضى رفع الهمة عن الخلق

﴿قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا وقال

تحقق

تحقق بأوصافك يمدك باوصافه فظهر بذلك كله أنه لاحظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وليس له أن يدعى شيئا من صفات الربوبية ، فمن ادعى شيئا فقد ارتكب كبيرة من معاصى القلب وانخرط فى سلك من ادعى مشاركة الرب فليحذر العبد من هذه الرعونة المنافرة لوصف العبودية فالعبد اذا رأى من نفسه تمام ادراك ووفور قوة رؤية توجب أدنى سكون أو ركون الى مايلوح له من علم أو عمل فهو مدع لأنه اذ ذاك مشاهد كل نفسه ويلزمه طلب الحظوظ فلولا مشاهدة نفسه لم يصدر منه الفرح بوجود آثار ذلك فيرى لنفسه حولا وقوة وغنى وعزة ، فمن ادعى شيئا من ذلك فقد نازع الله فى صفاته ، فاذا منعك الله منازعة الخلق فيما هو لهم ، فكيف لاتكون ممنوعا من منازعة ماهو له فاحذر أيها العبد من الدعوى فانها أعظم البلوى ، وأماماصرح به بعض الأئمة العارفين من أنه ينبغى للعبد أن يتصف بالتخلق بأخلاق الله فالمراد به غير المعنى المذكور هنا لان مرادهم التخلق على حسب مايليق به ، فيتخلق بالعزة يعنى انه لايذل نفسه للخلق لأجل تحصيل الدنيا والاغراض التى يحصلها بالذل لهم ويتخلق بالغنى يعنى انه لايمد نظره الى مافى أيدى الناس ولايطمع فيهم ويرفع همته عن التعلق بهم والتملق لهم ، ويتخلق بالقدرة يعنى انه لايعجز عن أداء ماكلف به من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ، وهذا هو العجز الذى استعاذ منه النبى ﷺ حيث قال وأعوذ بك من العجز والكسل ، وقس على ذلك ولايلتبس عليك الحال فالمحذور انما هو رؤية الكمال لنفسك ونسبة الحول والقوة لها وذلك وصف رب العالمين لاشريك له، فمن ادعى شيئا من ذلك لنفسه فقد ارتكب أعظم الظلم وأشد العدوان : عافانا الله من ذلك وهذه المسئلة هى الغرض الاقصى الذى هو مرمى غرض الصوفية ، وكل ماصنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال انما هى وسائل لهذا المقصد الشريف والمقام المنيف ، فشأنهم أبدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفى دمه هدر وملكه مباح ، وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك مايلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لايشاركونه فى شىء منها ألبتة ، وهذا هو كيميا السعادة الذى أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذى لامقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

ألست لى خلفا منى كفى شرفا ✲ فماوراءك لى قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل مايقتضى بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة اثيمة قادحة فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شره ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذاقلت ماأذنبت قالت مجيبة ✲ وجودك ذنب لايقاس به ذنب

ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه ، فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام فى الولاية ، فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة فى الطافه بأنواع الكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ، ثم

أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ، فى هذا عبرة لأولى الأبصار وتبصرة لأرباب الاعتبار ، والى هذا المعنى الجليل المؤدى الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : حدث يحيى بن معاذ رضى الله عنه أنه رآه فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لايطرف ، قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد ، فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ، ثم التفت الى ورائى ، فقال يحيى قلت نعم ياسيدى ، قال منذ متى أنت ههنا ؟ قلت منذ حين فسكت ، فقلت ياسيدى حدثنى بشيء ، فقال أحدثك بشيء يصلح لك أدخلنى فى الفلك السفلى فدورنى فى الملكوت السفلى فارانى الارضين وما تحتها الى الثرى ، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوفنى فى السموات وأرانى مافيها من الجنات الى العرش ، ثم أوقفنى بين يديه ، فقال سلنى أى شيء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت ياسيدى مارأيت شيئا أستحسنه فاسألك اياه ، فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء ، فقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه ، فقلت ياسيدى لم لم تسأله المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك سلنى ماشئت ، قال فصاح به صيحة وقال ويلك اسكت ويلك غيرة عليه منى حتى لاأحب أن يعرفه سواه ، قال الشيخ أبو طالب المكى فهذا حال عبد فان عن نفسه مأخوذ اذ كان ربه عز وجل له موجدا طال مقامه فى المقامات ، فقصرت عن وصفه الصفات حقق له اذا نظر الى الحسن الذى حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعا بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذى تجمل الجمال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه ، وكيف يحب غير مااستحسن أو تزين فى عينه أم كيف يطلب غير ماأحب أو يصبر مع غير ماطلب بل كيف يهتم بغير ماطلب ، فهذا نعت عبد مطلوب بعين ماطلب ووصف شخص محبوب بعين ماأحب (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ، وفى الاشارات عن الله سبحانه وتعالى ياعبدى اعزل نفسك ينعزل معها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندى من وراء ماأبدى فلا يستطيعك ماأبدى لانك عبدى واذا كنت عندى كنت عبدى حقا واذا كنت عبدى كان عليك نورى فلا يستطيعك ماأبدى وان أرسلته اليك لأن نورى عليك وليس نورى عليها فاذا جاءك لم يطفك فأوذنك به فتأذن أنت له * والحاصل أن ورود الامداد بحسب الاستعداد من العبد بتطهير قلبه ، ولذلك قيل عن الله تعالى طهر قلبك من الاغيار نملأه بالمعارف والاسرار وشروق الانوار على حسب صفاء الأسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة الأوراد والأذكار ، فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله ، وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا والافبحسبه و يعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله تعالى أدومه وان قل ومتى كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من أهم المهم والاستعداد والقيام بالأوراد انما يستقيم و يتيسر لأهل اليقظة وأرباب العقل المعظمين لله تعالى الذين يرجعون فى أوقات مبادى الامور الى الله تعالى و يعتمدون

عند

عند افتتاح التصرفات فى الامور والتلبس بها على الله تعالى ويستحضرون قبل الشروع فيها أن لاحول ولاقوة إلا بالله لأن الله تعالى يكفيهم مهمات أمورهم ويعينهم عليها بخلاف أهل الغفلة الذين يرجعون الى تدبيرهم ويركنون الى حولهم وقوتهم فلايتيسر لهم مايتوجهون اليه

﴿ولذلك قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ الغافل اذا أصبح ينظر ماذايفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به يعنى ان الغافل عن التوحيد وان كل شىء بقضاء الله وقدره اذا أصبح ينسب أفعاله الى نفسه فيقول ماذا أفعل فى هذا مثلا ، والعاقل المستيقظ الذى لايغفل عن التوحيد ولايغيب عنه ان كل شىء بقضاء الله وقدره ينظر ماذا يفعل الله به ، أى ينسب أفعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا أصبح ماذا يفعل الله بى فى هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه ربما كان سببا لأن يكله الله الى نفسه فلاتنجح مطالبه ، ونظر العاقل لربه يكون سببا لأن يكفيه الله ما أهمه وييسر له مطالبه ، فهذا ميزان يعرف به المريد نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه فى أول وهلة الى حوله وقوته فهو منقطع عن الله تعالى وان عاد الى الله سبحانه وتعالى فهو واصل اليه ويصح أن يكون معنى نظره الى مايفعل الله به أن ينظر مايرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون إقدامه وإحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق ، وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره فلاجرم أن يكفيه الله تعالى تعلقات الآمال ويفرغه من جميع الأشغال ويرضيه ويقر عينه بما هو فيه من أعمال أويورد عليه من أحوال ، وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده جسيمة * قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أصبحت ومالى سرور إلا فى مواقع القدر * وقال أبوعثمان رضى الله عنه منذ أربعين سنة ماأقامنى الله فى حال فكرهته ولانقلنى إلى غيره فسخطته * ومن أملح مايحكى فى هذا الباب ماذكره الشيخ أبوالقاسم الصقلى رضى الله عنه فى كتاب صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء عن أيوب بن بشر الطالقانى رضى الله عنه قال حدثنى رجل من أصحابنا ، قال رأيت رجلا فى مرج الديباج ليس معه شىء فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله أين تريد ؟ فقال ماأدرى ، فقلت هل رأيت أحدا يريد مكانا لايدرى أين يذهب ، فقال نعم أنا واحد ، فقلت فأين تنوى ، قال الى مكة ، قلت تنوى مكة ولاتدرى أين تذهب قال نعم ، وذلك أنى كم مرة أردت أن أذهب الى مكة فيردنى الى طرسوس ، وكم مرة أردت طرسوس فيردنى الى عبادان فنيتى الى مكة ولاأدرى ، قلت فمن أين المعاش قال لاأدرى ، قلت أخبرنى بأسباب ذلك ، قال من حيث يريد يجيعنى مرة ويشبعنى مرة ويكرمنى مرة ويهيننى مرة ، ومرة يقول لى ماعلى وجه الأرض أزهد منك ، ومرة يقول لى أنت لص ، ومرة ينومنى على الفراش ويطعمنى الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ، ومرة يطردنى الطرد العنيف ولاينومنى إلا عند النواويس ، قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك ؟ قال الله عزوجل قال فألقانى فى بحر ، قلت فسر لى يرحمك الله كيف هذا ، قال أنا رجل أسير نهارى فإنما جن بى الليل بت فربما يأوينى الليل الى قرية فاذا نظر إلى أهلها ، قال بعضهم لبعض هذا لص لاتدعون هذا يأوى الليل فى هذه القرية فاذا صليت العشاء الأخيرة يدخل المسجد رجل فيقول يانائم فأقول لبيك فيقول لى بالعنف قم من ههنا ليس لك هنا موضع فأقول حبا وكرامه فأين أبيت الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فأقول نعم وكرامة لايكون لى مأوى إلا عند النواويس تلك الليلة ، فاذا أصبحت سرت فيأوينى

الليل إلى قرية ، فاذا رآنى أهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندى يبيت ويقول هذا عندى يبيت ، فاذا صليت العشاء الأخيرة يقول رجل منهم قم بنا إلى البيت فأقول نعم حبا وكرامة ، فأمضى معه الى المنزل فيأتينى بالطعام الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ويأتينى بالفراش اللين فينومنى عليه ولايدع شيئا من البر إلا فعله بى حتى أصبح فهذا حالى مع سيدى ، فقلت رحمك الله متى قدرلك أن تدخل بغداد فان منزلى فى موضع كذا وكذا ، قال فأنا يوم قاعد فى منزلى واذا انسان يدق الباب فخرجت فاذا أنا بصاحبى فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له أى شىء صنع بك مولاك ؟ فقال آخر مافعل بى ضربنى ضربا شديدا وقال لى يالص ثم أرانى ظهره فاذا أثر الضرب عليه ، فقلت له ايش القصة ؟ قال كان أجاعنى جوعا شديدا فلما بلغت الأنبار جئت الى مقثاة قد نبذ منها المدود والمر فقعدت مقعدا آكل منه فنظرنى صاحب المقثاة فأقبل إلى بعصا فجعل يضرب ظهرى ويقول يالص ما أخرب مقثاتى غيرك مذكم أرصدك حتى وقعت عليك واذا أنا بفارس قد أقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط فى رأسه ، وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه أو يقال لمثل هذا يالص ، قال فما كان بأسرع من أن كنت عنده لصا فصرت زاهدا كما حدثتك قال فأخذ بيدى صاحب المقثاة فذهب بى الى منزله فما أبقى من الكرامات شيئا الافعله واستحلنى فخرجت من عنده وجئت اليك انتهى

﴿وقال سيدى أبومدين رضى الله عنه﴾ احرص من أن تصبح وتمسى الامفوضا مستسلما لعله ان ينظر اليك فيرحمك ☆ وقال بعض العارفين من اهتدى الى الخلق لم يهتدالى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله سبحانه وتعالى ، فكل العالم فى قبضته سبحانه وتعالى وتخصيص أهل الوصلة انهم فى كنف ايوانه لا يكلهم الى غيره ، واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبى ﷺ لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم نسكه رجع فى الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل به فى الظاهر عزه أونصره بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وماعزم عليه من مناجزة الحرب لمن حاده من الكفرة وعمل فى ذلك على ماأظهره الله له من آياته العظام عند بروك ناقته لما أراد توجيهها الى البيت الحرام ، وقال حينئذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لايدعونى اليوم قريش الى خصلة فيها صلة الرحم إلا أجبتهم اليها فكان كما قال ﷺ ، صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا فى الأرض آمنين فلما استتب بينهم الصلح وأنزل الله سورة الفتح ظهرت الفوائد التى تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت أعين الصحابة رضى الله عنهم بما أبرزه الله تعالى اليهم من ألطاف ومنن ، وقد صح بالمعنى جميع ماقلناه فى الخبر ، ونقله الينا علماء الحديث فى السير ، وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده قوله فى جميع تصرفاته الدعاء المشهور المروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه : اللهم انى لاأملك لنفسى ضرا ولانفعا ولاموتا ولاحياة ولانشورا ولاأستطيع أن آخذ إلا ماأعطيتنى ولاأتقى إلاماوقيتنى اللهم وفقنى لماتحبه وترضاه من القول والعمل فى طاعتك انك ذوالفضل العظيم ، وليقل أيضا ماهو مروى عن الامام الشاذلى رضى الله عنه : اللهم ان الأمر عندك وهومحجوب عنى ولاأعلم أمرا أختاره لنفسى لكن أنت المختارلى فانى فوضت مقاليد أمرى اليك ورجوتك لفقرى وفاقتى فارشدنى الى أحب الأمور اليك وأرجاها وأحمدها عندك عاقبة فى الدين والدنيا والآخرة إنك على

كل

كل شيء قدير وتفعل ماتشاء وتحكم ماتريد * واعلم أن هذا العاقل المستيقظ الذى اذا أصبح ينظر ماذا يفعل الله به انما يكون منه ذلك عند استحضار قلبه لكمال التوحيد حتى تصير الأقوال والأفعال والحركات والسكنات مشهودة له باعتبار صدورها عن القدرة القديمة ، حتى كأنها نصب عينيه ليسلم من رؤية نفسه وحولها وقوتها ، فاذا سلم من ذلك لاينسب شيئا لنفسه ولايقع فى تدبير واختيار معارض لتدبير الله واختياره ، فاذا تحقق بذلك كله شهد الله فى كل شيء فلا يستوحش من شيء ، بخلاف الغافل فانه لم يتحقق بذلك كله لأن همته متوجهة الى نفسه وكذلك العباد والزهاد الذين لم يصلوا الى هذا الحال فان همتهم متوجهة الى العبادة من حيث انها عبادة فهم مشغولون بما يطالبون نفوسهم بالوفاء بها وانها منة عليهم وعطية متوجهة اليهم من حضرة الارادة والقدرة القديمتين فذلك المقام السابق لم يصر لهم حالا وان حصل اعتقادا فهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيفرون من الخلق لكونهم قاطعين عن الله ويستوحشون منهم لأن الاشياء موجودة فى نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم بها

﴿وعلى هذا قول بعضهم من علامات الافلاس الاستئناس بالناس﴾ فلو شهدوا الله فى كل شيء كما شهده العارفون والمحبون لكان فى ذلك قرة أعينهم ولم يستوحشوا من شيء لرؤيتهم له سبحانه وتعالى ظاهرا فى الاشياء كلها فهى كالمرآة التى ترى فيها الشيء من غير حلول ولا اتصال لأنها دالة على الله وصفاته فيشهدون الله بقلوبهم فى كل شيء فشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولايخشون منها فتنة لأنها متلاشية فانية عندهم بهذا الاعتبار وعلى هذا قول بعضهم : من علامات الافلاس عدم الاستئناس بالناس .

﴿قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه﴾ العباد بنوا أمورهم على عشرة أصول : الصلاة والصوم والذكر والتلاوة والدعاء والاستغفار والتضرع واعتزال الناس وتحصيل القوت على وجه حلال وبساطهم الذكر ، والزاهد يزيد عليهم بأربعة أوصاف بالزهد فى الدنيا عموما وفى الناس خصوصا وبالتشوق الى الاحوال ومقامات الرجال * وأما الاولياء فهم درجات قسط منهم فى العلوم والمعرفة والنور والتوجه واليقين وكشف الغيب والرسوخ فيه والتحقق بالفناء وبايثار البقاء وبساطهم المحبة الفرعية * وأما الصديقون فلهم فى بدايتهم خمسة أحوال وخمسة فى نهايتهم ، فالاولى طى الوجود عن أسرارهم وكشف أمور الدنيا لارواحهم ومراقبة القلوب ومراعاة العقول وحفظ النفس * وأما الخمسة التى فى نهايتهم فالتحقق بالمحبة والهمة لأسرارهم والثبات فى الخلة والاتصاف بالبقاء وبساطهم المحبة الاصلية انتهى ، قال بعضهم وكأنه يريد بالمحبة الفرعية المحبة منهم فانها فرع المحبة لهم وبالاصلية المحبوبية فلما كان العباد والزهاد بتلك المثابة استوحشوا من الخلق فرارا من تكدير أحوالهم بشهود أحوالهم ، ولما كان العارفون مع الله بقلوبهم لم تضرهم ملابسة الخلق باجسامهم فهم باينون عنهم حقيقة مجتمعون معهم صورة نفعنا الله بهم وبمحبتهم * والحاصل انه على قدر المعارف القلبية تتيسر القدرة على العبادة بلا تكلف وتكاثر كثرة بحيث تكون كل حركة وسكون لهم عبادة لحضور قلوبهم مع الله تعالى فلا يحجبهم شيء عنه

﴿وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عبادة الصديقين عشرون﴾ كلوا واشربوا واركبوا وانكحوا واسكنوا وضعوا كل شيء حيث أمركم الله ولا تسرفوا واعبدوا الله واشكروه

وعليكم بكف الأذى وبذل الندى فانهما نصف العقل والنصف الثانى أداء الفرائض واجتناب المحارم والرضا بالقضاء ، ومن العبادة التفكر فى أمر الله والتفقه فى دين الله ورأس العبادة الزهد فى الدنيا ورأسها التوكل على الله فهذه عبادة الأصحاء ، وان كنتم مرضى فاستشفوا بالعلماء واختاروا منهم الأتقياء الهداة المتوكلين على الله تعالى ، وقال سألت أستاذى رحمه الله عن ورد المحققين فقال عليك باسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه

﴿ولا يرد على ما تقدم قول ابن عطاء الله فى الحكم متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به﴾ لأن المراد من الايحاش من الخلق أن لا تحجبك صور الأكوان بحيث يكون لها فى قلبك وقع بأن تصغر فى عينك فلا يبقى لقلبك بها تعلق ، وان كنت تراها وتشاهدها وهذا لا ينافى أنها تؤنسك من حيث انك تشهد الله فيها ☆ قال هرم بن حيان رضى الله عنه المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل الله عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا إلى الآخرة بعين الفترة فهو بجسده فى الدنيا و بروحه فى الآخرة

﴿فالله تعالى أمرك بالنظر فى المكونات حيث قال : قل انظروا ماذا فى السموات﴾ لا لتركن بقلبك اليها بل لتشهد الله فيها ، فلا تستوحش منها ولا تنفر من رؤيتها بهذا المعنى وتستوحش منها وتنفر من رؤيتها اذا ركن قلبك اليها وتعلق بها ، فاعرف الفرق بين النظرين فالنظر الى المكونات لا لذاتها بل لكونها مرآة لشهود الله فيها لأن رؤية الله بلا حجاب فى الدنيا مستحيلة والممكن انما هو معرفته ومشاهدته بالبصيرة ، فلما علم الله أنك لا تصبر عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه فاشهدك ما برز منه من الآثار والأكوان لتراه فيها بعين بصيرتك فعرفك بصفات جلاله وجماله ونصب لك الأدلة والبراهين التى توصلك الى ذلك لتحظى بمعرفته ، وذلك حال شريف يقتضى وجود المعية الاختصاصية وهى تقتضى دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة فى هذه الدار لما هى عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب ﴿ويكفيك ما هو فاعله معك حيث فتح لك أبواب الشوق ، فلما اشتقت اليه أبرز لك ما تشهده فيه ففى شهود الآثار من حيث انها آثار تسلية للمشتاقين وضرب من الوصل وشغل بالمحبوب فالأكوان وان كانت حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد أرتك اياه بعين بصيرتك فقد رأيته ولو من وراء حجاب ، وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عن مشاهدتك اياه بالبصيرة فى الدنيا ولا يكون الشهود بالبصيرة الا باشراق القلب بنور الايمان واليقين ، ولا يشرق بنور الايمان واليقين الا بعد اخراج الظلمة التى استولت عليه من ركونه الى الاغيار والأكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس التى يجمعها الهوى والشهوات الموجبة لجنابات الغفلات والمعاصى والهفوات

﴿واليه الاشارة بقول ابن عطاء الله﴾ كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله تعالى وهو مكبل فى شهواته ، أم كيف يطمع أن يدخل فى حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ، أم كيف يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته ؟ فالجنابة تمنع من دخول المسجد والغفلات تمنع من دخول حضرة الحق والتطهر يكون بذكر الله ومراقبته ، فان الذكر فى حضرة الحق كما فى الحديث القدسى «أنا جليس من ذكرنى» وقد أنشد سيدى زروق

تطهر بماء الغيب ان كنت ذاسر ☆ والا تيمم بالصعيد و بالصخر

وقدم

وقدم اماما كنت أنت امامه ☆ وصل صلاة الظهر فى أول العصر

أراد بماء الغيب المراقبة والمشاهدة و بالصعيد الأعمال الظاهرة بظهور أثرها و بالصخر الأعمال الباطنة و بالامام الشرع ، فانه كان امامه حين تقريره و بصلاة الظهر الشريعة و بالعصر الحقيقة ولا يخرج الهوى والشهوات الموجب للغفلات والمعاصى والهفوات إلا بتقوى الله تعالى المكتسبة من العلم والعمل قال تعالى (واتقوا الله و يعلمكم الله) وفى الحديث من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم ☆ قال يحيى بن معين التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى ، فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى ياأحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى ، فقال ياأحمد قل سبحان الله بلا عجب ، فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال ابن أبى الحوارى سمعت أباسليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما ، قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ماسمعت فى الاسلام بحكاية أعجب الىّ من هذه ، ثم ذكر الحديث «من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم» ، ثم قال لاحمد بن أبى الحوارى صدقت ياأحمد وصدق شيخك انتهى ، فمعرفة الله نور تشرق به القلوب وهى انما تحصل لمن توجه الى الله بكليته وانقطع بهمته وعكف عليه بقلبه ، فمن اشتغل بالأكوان وتوغل فيها أظلم قلبه لأنها قاطعة له عن نور المعرفة وحائلة بينه و بينه ، فهى للبصيرة بمنزلة السحاب للشمس فوجب على المريد المتوجه الانقطاع عنها ، لأنه طالب للنور ، وانما يتوصل اليه بالتخلى عن ضده وذلك بالتوبة والمجاهدة والالتجا الى الله تعالى

﴿قال فى الحكم﴾ الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه المراد بالظلمة العدم أى كله عدم لان وجوده غير ذاتى وهو العمى المشار اليه بحديث كنت فى عمى فأحببت ان أعرف الخ ، أى كنت فى عدم الخلق وانفراد فأحببت أن أعرف ، ووقع فى بعض العبارات وهو الآن على ماعليه كان ، وردّها بعضهم بان فيه انكار الآثار والرسل ☆ ويجاب بان المراد وهو الآن على ماعليه كان من الانفراد والوجود الذاتى ، فان وجود غيره مفاض منه وليس ذلك غيرا محضا فانه نشأ عنه كالظل بالنسبة للاشجار والقائلون بوحدة الوجود يريدون بذلك مشاهدة الحق فى كل شىء وسريان سره فى الكل فان كل ماعداه وجوده لامن ذاته بل من الله تعالى وكل ما كان وجوده غير ذاتى وجوده عدم فلا موجود فى الحقيقة الاالله تعالى ، ومن ذاق هذا الأمر غاب عن كل ماسواه لكن وقع من بعضهم عند بيان المراد التعبير بما يوهم الحلول والاتحاد لضيق العبارة فأدى لقتله ، وحديث كنت فى عمى رواه الترمذى عن أبى رزين العقيلى ، قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال كان فى عماء ماتحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء ، فسر الترمذى هذا الحديث بأن المراد منه انه تعالى لم يكن معه شىء ، أى كان فى الازل فى ستر وعدم ظهور كما يدل له الحديث الآخر كنت كنزا لاأعرف ، فخلقت الخلق وتجليت اليهم بالنعم فبى عرفونى ☆ قال بعضهم فبى عدده اثنان وتسعون عدد اسم محمد ﷺ ، أى بمحمد ﷺ عرفونى ، فهو أول مظهر ظهر فيه وعمى بالقصر وقيل بالمد ، ومعنى قوله أناره ظهور الحق فيه ، أى كساه كسوة الوجود ظهور الحق فيه بتأثيره وابرازه للوجود ، فان قيل كيف تكون الأكوان ظلمة قاطعة للعبد عن نور المعرفة وقد أمرنا بالنظر فيها للتفكر والاعتبار والتوصل الى المعارف والاسرار ، وذلكم كالصريح

فى كونها نورا لاظلمة ✫ فالجواب أن النورانية عارضة فيها من حيث تجليه تعالى وظهور علمه فيها من حيث اتقانها واحكامها وارادته من حيث تخصيصها وقدرته من حيث ابرازها وظهورها ظهور دلالة وتعريف لاظهور حلول وتكييف والظلمة لها من حيث ذاتها ، فمن نظر فيها من حيث ذاتها لتعلق أغراضه وشهواته فيها قطعته وحجبته وكانت ظلمة لقلبه ، ومن نظر فيها من حيث تجلى الحق فهى مرآة فى حقه وفى الحقيقة ليس نظره فيها بل للمتجلى فيها ، فأمر الأشياخ المريد بالعزلة والفكر ليزول ما اعتاده من شهودها لذاتها طول عمره حتى اذا نسيها وفنى عنها بما هو مقبل عليه ومشتغل به ورسخ نور المعرفة فى قلبه أذنوا له فى شهودها لأنه حينئذ لايشهدها لذاتها فتصير فى حقه نورا بعد أن كانت ظلمة ، وفى بعض كتب الله المنزلة من أطاعنى فى كل شىء أطعته فى كل شىء ، أى من أطاعنى فى كل شىء بهجرانه بعدم تعلق قلبه به أطعته فى كل شىء بأن أتجلى له دون كل شىء حتى يرانى أقرب اليه من كل شىء وهذه طريقة أولى للسالك وهناك طريق كبرى من أطاعنى فى كل شىء باقباله على كل شىء بحسن ارادة مولاه فى كل شىء أطعته فى كل شىء بان أتجلى له فى كل شىء حتى يرانى كانى فى كل شىء فهما ولايتان ولى يفنى عن كل شىء فلا يشهد مع الله شيئا وولى يبقى فى كل شىء فيشهد الله فى كل شىء ، وهذا أتم لأن الله سبحانه وتعالى لم يظهر المملكة الا ليشهد فيها فالكائنات مرايا للصفات ، فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فانصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها ، فراد الحق أن تراها بعين من لايراها ، تراها من حيث ظهوره فيها ولاتراها من حيث كينونتها فالناظر للكائنات غير مشاهد للحق فيها غافل والفانى فيها عبد بسطوة الشهود ذاهل ، والشاهد للحق فيها عبد كامل ، فشهود المكون فى الأكوان عبارة عن شهود تصرفاته فيها بعد وجودها وتحققها ولاشك انها ظروف ومحال لذلك لايفارقها طرفة عين

﴿مامن نفس تبديه الاوله فيك قدر يمضيه﴾ فالعاقل الأريب اذا نظر صنعة محكمة ذكر حكمة صانعها واستعظم علمه بذلك واتقانه ، فيعظم فى قلبه ويعرف قدره والقاصر النظر الواقف عند ظواهر الصور يحجبه حسن الصنعة ويقف عنده كمن نظر الى ثوب حسن النقش مطرز الوشى غريب الشكل فيه صنائع محكمة متقنة الوضع محررة المقادير فغاب فى رؤية ذلك ، وقال ما أحكم هذا الصانع وما أعمله فشهود المكوّن فى الأكوان عبارة عن شهود أفعاله وتصرفاته بعد وجودها كما تقدم فان من شهد فى الأكوان الاتقان الدال على العلم والتخصيص الدال على الارادة والصحة والمرض والانقباض والانبساط والنوم واليقظة الى غير ذلك من آثار القدرة الدالة عليها غير مشتغل بالأكوان ولاهى المقصودة فى نظره ، فهو وان لم يفن عن شهودها كالفانى لأنه لوسئل عنها لم يجب إلا بالاجمال من وراء العدم لعدم التفاته اليها واشتغاله بها كالناظر فى المرآة لصورة جميلة فانه لايستطيع فى هذه الحالة تفصيل نعت المرآة ، ولاشك أن صاحب هذه الحالة لم تنطبع صورة الأكوان فى مرآته ولم يكبل قلبه بشهواته وقد تطهر من جنابة غفلاته وتاب من هفواته وزلاته ، وأما من يشهد الله مع الأكوان فهو من اعتاد ذكر الله تعالى بقلبه واستحضار أنه الموجود الحق ، وان وجود الأكوان عارية معطاة وليس لها وجود حقيقى لأنها مسبوقة بالعدم وملحوقة بالعدم وتكررت هذه المعانى على قلبه بالتذكر والتفكر فصار مهما شهد الموجودات العرضية تذكر الموجود الذاتى فشهود صاحب هذه الحال أضعف من شهود من قبله فلم

يقف مع الاكوان ولم يصرف شهوده كله لها كما انه لم يصرفه كله للمكون

﴿فهو يخبر فى شهوده عن الاكوان وعن المكوّن﴾ ، ولكن من غير استيفاء كمن ينظر فى المرآة بقصدها وقصد مافيها فان سألته عن المرآة أخبر وان سألته عما فيها أخبر ولكن دون اخبار الاول عما فيها فمعرفته أنقص منه و لكن صور الأكوان أيضا غير منطبعة فى مرآته ولا هو مكبل فى شهواته ولا ملطخ بغفلاته ولا متبع لهفواته فهو من الواصلين الا ان وصوله دون وصول الاول وشهوده . هذا شأن أهل الجذب الواصلين المتمكنين الذين لا يسبق لقلوبهم الا الله والاكوان فى نظرهم متلاشية كالهواء فهم مشتغلون بالله لاغير ، لكن لتوفية الحقوق واقامة دائرة التكاليف جعلهم يستدلون به على الاشياء فيستدلون بالذات على الصفات وبها على التعلقات وبها على المتعلقات ، فصور الاكوان فى نظر هؤلاء كلا صور لاتهتدى قلوبهم اليها الا بالاستدلال لانهم نسوها بالفناء السابق على البقاء وطال عهدهم بها فصارت محتاجة عندهم الى النظر والاستدلال فصاحب هذا الحال يشهد الله شهودا مجردا مستقلا لايتوقف على شهود الاكوان و يشهده فيها اذا استدل به عليها و يتنزل اليها فقد انفرد عن الاول بالشهود المجرد وشهوده بعدها ، شأن أهل السلوك المستدلين بالاشياء عليه ، والفرق بينهم و بين المشاهدين عندها أن المشاهدين عندها لايشهدونها وحدها بل شهودهم لها مقارن لشهود المكوّن وهؤلاء يشهدونها وحدها ابتداء ثم ينتقلون من شهودها الى شهود المكوّن فهم سائرون فى الطريق الى الآن ، ولصور الأكوان بعض تعلق بقلوبهم فانطباع صور الأكوان فى قلوبهم ضعف حتى كاد يمحى لكنه الى الآن لم يمح فالأنوار مشرقة فى قلوبهم اشراقا غير تام ولايزالون فى الترقى والله الموفق

﴿والى هذه المعانى أشار ابن عطاء الله فى الحكم بقوله﴾ الكون كله ظلمة . أى المكونات بمعنى الموجودات كلها عدم محض لاوجود لها فى نظر أرباب الشهود ، وانما أناره أى أوجده ظهور الحق فيه كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج فليس هناك إلا وجود واحد وهو وجود الحق و بظهوره فى الأشياء وجدت على حسب ماتقتضيه طبائعها وليس لها وجود فى ذاتها فالعدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم و باعتبار تجلى نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير . ثم ان أحوال الناس تختلف . فمنهم من لم يشاهد إلا الأكوان وحجب بها عن رؤية المكوّن ، فهذا تائه فى الظلمات محجوب بسحب آثار الكائنات . ومنهم من لم يحجب بالأكوان عن المكون وهؤلاء يختلفون فى مشاهدتهم اياه . فمنهم من شاهد المكون قبل الأكوان ، وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار . ومنهم من شاهد المكون بعد الأكوان فهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر . ومنهم من شاهد المكون مع الأكوان والمعية إمامعية اتصال وهو شهود المكون فى الأكوان و إمامعية انفصال وهو شهود المكوّن عند الأكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولامكانية ؛ لأن الزمان والمكان من جملة الأكوان والاتصال والانفصال ليسا على مايفهم من معانيهما فانهما أيضا من جملة الأكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ماهى عليه موكول الى أربابه ، فههنا زلت أقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة فى الشرع فكفروا بذلك و بدعوا ، فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) * والحاصل ان

الخلق انما يشاهدون أولا الآثار ، لكن منهم من وقف على ذلك وهؤلاء محجوبون بالآثار عن المؤثر وهم أرذل الخلق ، ومنهم من انتقل الى المؤثر فاستدل بالآثار على المؤثر استدلالا ذوقيا لمشاهدة اختلاف الآثار وذلك يدل على وجود المؤثر ومن هؤلاء من يقتصر على ذلك ، ومنهم من يغلب عليه كثرة المشاهدة فيصير الى انه بمجرد مشاهدة الأثر يشاهد صفة المؤثر ، أى من غير تراخ وقد يشتد عليه الحال حتى يشاهده فيها بحيث تكون مشاهدة المؤثر هى المقصودة بالذات كرؤية الذات فى المرآة ، فان النظر فى المرآة غير مقصود لذاته بل للمشاهدة ، ومنهم من تشتد عليه المراقبة ومشاهدة الحق فيغيبون عن الآثار ولايرون الا الحق وهو مقام الفناء ، وقد يرجع هذا من الحق الى الخلق فقوله فيه اشارة الى حالة مشاهدة الحق بالذات ، وقوله أوعنده اشارة الى حالة قصد الآثار والمؤثر معا بالذات ، وقوله أوقبله اشارة الى حالة الفناء ، وقوله أو بعده اشارة الى حالة الاستدلال بالأثر على المؤثر فظهر أن الفرق بين المشاهد بعدها والمشاهد عندها أن المشاهد عندها لا يشهدها وحدها ، بل يشهد الأكوان شهودا مقارنا لشهود المكون سبحانه والمشاهد بعدها يشهدها وحدها ابتداء ، ثم ينتقل من شهودها الى شهود الحق سبحانه ، وأما من يشهدها فيها فهو وان لم يفن عن شهودها فهو كالفانى لأنها ليست مقصودة له فى نظره ، فمن رأى شيئا من الكون ولم يشهد المكون فيه أوعنده أوقبله أو بعده فقد أعوزه ، أى فاته وجود الأنوار الالهية التى بها يدرك مشاهدة الله على أى وجه من الوجوه المذكورة وحجبت عن شموس المعارف بسحب الآثار وهى الأكوان التى هى كالسحب ومثلوا شهود المكون قبل الأكوان بمن وقع بصره على شىء كحيوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وانه المحرك والمسكن له قبل أن يخطر له كونه آدميا أوشاة طويلا أوقصيرا الى غير ذلك ، ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ، ومنهم من يشاهده معه ، ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والا فهذا أمر لايدرك إلا بالذوق وما كان كذلك تقصر عنه العبارة ✡ قال بعض العارفين فى تحقيق هذا المقام . اعلم أن الكون كله ظلمة والظلمة هى العدم والنور هو الوجود فكل ما كان وجوده لا بنفسه فهو عدم وحقيقة الوجود لمن هو موجود به وذلك الله الذى شهدت بوجوده أعيان موجوداته (الله نور السموات والأرض) والنور هو الوجود فهذ مقام من شهده فيه ، ومن شهده عنده يصدق عليه قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) ، ومن شهده بعده فشهده قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الى قوله فذكر والتذكير لا يكون إلا بعد سبق نسيان ، فمن لم يشهد المكوّن قبل الكون ، فلا يخلو اما أن يكون من الذين يشهدونه عند الأشياء عندية منزهة عن الجهة ولكن عندية استغراق وقيام ، واما أن يشهده بعد فيستدل بالأثر على المؤثر و بالصنعة على الصانع وهذا آخر مقامات الموحدين ، وأما من لم يشهده بل يثبت الأكوان عرية عن وجوده فقد طمس على عين بصيرته وأظلمت عليه نور سريرته وما ذكر مما يوهم الظرفية والمثلية أووجود زمان القبل والبعد فليس على مايفهم من ذلك ، فالزمان والمكان والآن والأوان حادثة ، ولكن هى تجليات وتنزلات وتلطفات يعرف ذلك أرباب الشهود والعيان ، فالذى يشهده قبل الأكوان مستهلك فى شهوده تحت تجليات الأوصاف والذى شاهده عند الكون شاهد ظهور صفاته من تحت أستار حكمته والذى شهده بعده يطلب الدليل على وجود المكوّن لغلبة شهود المكونات على قلبه ، فالأولون

أرباب الكشف والعيان والذين يلونهم أرباب النور والبيان والذين من بعدهم أهل الدليل باللسان ومن لم يشهده بعد ذلك فقد أعوزه أى أعدمه وجود الأنوار (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) قال فى الحكم الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق ، فمن شهد الكون ولم يشهده أى الحق فيه أوعنده أوقبله أو بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار ، فقوله وجود الأنوار فاعل أعوزه ، قال فى القاموس أعوزه الشىء احتاج اليه * واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبوابا كثيرة لمعرفته سبحانه وتعالى ، فمن فاته الوصول من باب فليتوجه الى باب آخر فحيث فات التعريف الاقوى فيسلك طريق التعريف الأدنى ، وذلك انه اذا حجبته الأكوان عن شهود المكوّن على وجه الكمال فليشهده من جهة كونها حجابا فانها عدم محض ومع ذلك منعته وسترته فيستدل بذلك على قدرة الله الباهرة وقهريته التامة فيقول سبحان من قهرنى بلاشىء فيكون مشاهدا لقهريته وكمال قدرته فينقلب الحجاب فى حقه مرآة من هذا الوجه ، وهذا من حيل الأكياس على النفس وردها للشهود فاحتل على النفس بكل حيلة فرب حيلة أنفع للنصرة من كل قبيلة ، فسبحان من حجب العدم بالعدم لأنك عدم وماحجبك عدم لما تقرر أن الوجود الحقيق لله وحده ولايقدر على حجب الشىء بنفسه الامن لاتحيط بقدرته العقول. وقد اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على أن ماسوى الله عدم محض من حيث ذاته لايوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذلو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال تعالى (كل شىء هالك الا وجهه) وقال ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر * ألا كل شىء ماخلا الله باطل * قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غيرالله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه وانما لم تكن الاكوان موجودة معه لأن الوجود المعى يوهم الاستقلال والمشاركة فى الوجود الذاتى ، قال سيدى أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله تعالى ببصر الايمان والايقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شىء سوى الواحد الحق فلانراهم وان كان ولابد فنراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا ، وقال أيضا رضى الله عنه قوى على الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عنى ، فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يفعل ذلك ، ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى ، قال ابن عطاء الله فى التنوير فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لايوصف بوجود ولا فقد اذ لايوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لايفقد الا ماوجد أى وهى غير موجودة حقيقة ولوانهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولأشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان ، وقال بعضهم لوكلفت أن أرى غيره لم أستطع فانه لاغير معه حتى أشهده معه ، ورحم الله القائل

الله قل وذر الوجود وماحوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لاوجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا * شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

فاذا تقرر هـذا ووجدنا أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الأخروية ومقاماتهم العلوية فـكل ذلك من الأغيار العدمية والوجودات الوهمية فعلمنا بذلك وجود قهرهاذ من أسمائه تعالى القهار ، ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادانهم و بقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا فشهود الناس للاكوان ولا يشهدون مكونها مع انها لاوجود لها والوجود انما هو له مما يقضى منه العجب . فالحق سبحانه وتعالى غير محجوب انما المحجوب العبد ، فالأكوان المخلوقة للتعريف صارت حجابا عن التعريف فهذا دليـل على انه الواحد القهار يجعل الشيء سببا لحصول الشيء ولحصول ضده فهو الفاعل المختار يخلق مايشاء و يختار ، فالحجاب انما هو أثر القهر الذى صير العبد محجوبا

﴿وسئل أبو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه عن الفناء﴾ فقال الفناء أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والاذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق فى التعظيم عقله اهـ قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء فى الأفعال ، ومنه قولهم لافاعل إلا الله وفناء فى الصفات ، ومنه قولهم لاحى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متـكلم على الحقيقة إلا الله ، وفناء فى الذات أى لاموجود على الاطلاق الا الله تعالى ، وأنشدوا فى ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ✫ فـكان فناؤه عين البقاء

وقالوا من شهد الخلق لافعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لاحياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل ، وقالوا الحجاب ينقسم الى ماهو حجاب ظلمانى كثيف والى ماهو نورانى لطيف ، والحجاب الظلمانى يكون فى توحيد الأفعال للعوام الجهال ، والحجاب النورانى يكون للخواص فى توحيد الاسماء والصفات الآخذين فى طريق الاعمال ، الشاهدين لما يصدر عنهم من حسن الأفعال وسنيات الأحوال ، ولـكل حجاب علامة على من قام به فعلامة حجاب العوام برؤية الخلق وأفعالهم دون الله تعالى ، وعلامة حجاب الخواص برؤية أعمالهم وأن لهم فيها حولا أو قوة ، فالحجاب الظلمانى يقتضى العذاب وسوء الحساب ، والثانى يقتضى الالتفات الى الأغيار وكثائف الأستار والتعوق عن اللحوق بأهل التحقق والعيان فمن كان مشهده أفعال الخلق دون الله تعالى فهو بعد لم يخرج عن حيز المبعدين ولم يعد من أصحاب اليمين فضلا عن أن يكون من المقربين السابقين ، ومن شهد أن لافعل لهم دون الله تعالى فهو معدود من عوام المؤمنين ، ومن جلة أصحاب اليمين فهو موحد فى الأفعال وذلك متعين على كل مسلم متدين فحيث صح له ذلك فقد نجا بحمد الله من ورطة الجحود وانتظم فى نظام الايمان وتـكفل له بالأمان من جلة عباد الرحمن ، ومن ترقى عن ذلك بأن شهد أن لاحياة لهم ، فذلك رتبة فى التوحيد ومقام فى التفريد الخاص بالمقربين وهو أول رتبة فى طريق الارادة واشراق شمس السعادة وقد أذن له فى الدخول وان له الوصول والظفر بالمأمول ، وأما رتبة خواص الخواص فهو أن يشهدوا وجودهم عين العدم لاستغراق أرواحهم فى شهود القدم بمطالعة أنوار الذات المحرقة وأسرار الصفات المشرقة فهذا هو الواصل الامام الـكامل فلو كلف الى رؤية الغير لم يستطع الى ذلك سبيلا ولم يظهر له وجود عنده ، فـكيف يرى الأكوان مع شهود العيان أم كيف تحجبه الأعيان عن التحقق بكل من عليها فان فهو ينزه الله عن أن يحجبه كون فهو سبحانه وتعالى مباين للأشياء من حيث ذاته

وصفاته

وصفاته وأفعاله محيط بها من حيث علمه مدبرها بحكمه مستغرق لجميع أفعالها وصفاتها وذواتها من حيث قيوميته وشهوده وقيامه

﴿فمن عرف ذلك وتحقق به لم يثبت لنفسه ارادة نغير ماأراده الله بل يسلم الأمر لله ويفوض أمره اليه﴾ ولا يعترض فى شىء مما أراده الله بل يعتقد أن ذلك المراد هو عين الحكمة والصواب وفى باب التكليف يقصد المراد من غير اعتقاد تأثير مع الاعتراف بعدم الحول والقوة ، فمن أراد غيرما أراد الله فقد نازع الله فى الارادة ، وناهيك بجهل العاجز من كل وجه اذا نازع القادر من كل وجه وارادة العبد وحدها يستحيل نفوذها عقلا وشرعا وعادة فهى فى حكم العدم اذ لا أثر لها ولا نتيجة ، وهذا معنى مافى بعض الآثار يقول الله تعالى : ابن آدم تريد وأريد ولا يكون الا ما أريد فان سلمت لى فيما أريد أعطيتك ماتريد وان نازعتنى فيما أريد أتعبتك فيماتريد ثم لايكون إلا ماأريد ، وشاهد هذا المعنى من الكتاب (ولاينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله تعالى (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) وقوله تعالى (فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وذلك كثير ، فاذا ثبت انه لايثبت لحادث وصف القدرة فما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه . واعلم أن مرادات الشرع المأمور به ليست من مرادات العبد ، فعلى العبد أن يأتى بها و يأخذ فى أسبابها مع اعتقاد انه لايوجد منها فى الخارج الا ماأراد الله وجوده ومن جملة مرادات الشرع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فعلى العبد أن يجتهد فى اكتساب ذلك حسب طاقته ولايقل ماترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهر الله فيه فاياك أن يلتبس عليك الامر فيقع منك التفريط فيما أمرك الله به فالتضييع لما أمرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين وانما الذى يجب عليك ترك الاعتراض فيما لايذمه الشرع فاذا كان العبد فى حال بدنى أو قلبى لايذمه الشرع لزمه حسن الأدب فى اختيار بقائه ورضاه به حتى ينقله الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب أوكان فى صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الأدب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا اذا كان فى حال قبض وأراد الانتقال عنه الى البسط * قال بعض العارفين لى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولانقلنى الى غيره فسخطته ، وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوّف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساءة الأدب فى حضرته وهذا من معارضة الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة والمعتنى بهم رضى الله عنهم اذا خطر لهم خاطر من هذا النمط قيض الله لهم من يأخذ بأيديهم بتنبيه أو فتح لهم فى استحضار علم يغسل ذلك من قلوبهم كما قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) وقد كان أصحاب النبى ﷺ والتابعون يؤذون ويظلمون فلا تستعجلون فى الدعاء على الظالمين لمعرفتهم بالله تعالى وعلمهم بأنه تعالى يريد بذلك زيادة اللجأ اليه واظهار العبودية له سبحانه وتعالى فتصفو قلوبهم وتعلو مقاماتهم قال الله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)

الآية فان دعا أحد منهم على من ظلمه فباذن من الله تعالى لا عن ضيق وسخط لقضاء الله تعالى وقد أدب الله عباده وأرشدهم بقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) بمعنى أن اختيار المؤمنين خلاف مااختاره الله ورسوله مما لا ينبغى أن يصدر منهم ولا يناسب حالهم (وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة) ❊ والحاصل ان مقام التسليم والتفويض من أقرب الطرق الموصلة الى الله تعالى النافعة فى تطهير القلب وفيوض الأنوار الالهية عليه فحيث أقيم العبد فى أمر لم يكن للشرع عليه اعتراض ولم يطالبه الحق بتقيضه فقه الرضا بعلم الله دون علمه لأن الله عالم من كل الوجوه والعبد جاهل من كل الوجوه فاللائق به أن لا يطلب غير ماأقامه فيه سيده ومولاه ان كان ماهو فيه مرضيا فان لم يكن كذلك بأن كان مما يخالف الامر كأن رضا بالكسل والوقوع فى المناهى وخلاف الاولى فاللائق به الخروج من ذلك وعدم رضاه به فان بقاءه فيه ورضاه من المكر الخفى وتلبيس من الشيطان المغوى ، فانه يلبس عليه الأمر فيحتج بالقضاء ويظن أنه بحكم مولاه وانما هو بحكم هواه

﴿فالرضا بالقضاء من حيث كونه قضاء هو الواجب على العبد﴾ وأما الرضا بالمقضى من حيث انه عمل العبد وكسبه فلا يرضى به الا اذا كان مأذونا فيه وليس للشرع عليه فيه اعتراض ، فههنا أمور غلط فيها كثير من جهلة من ينتمى الى التصوف دون علم بمجرد الزى دون التحقق بمقامه فتراهم يحتجون بالقضاء ويبرءون نفوسهم من اللوم فاللائق عكس ذلك ، وكذلك الذين يقفون على رؤية الأشياء دون الله قد هلك الجم الغفير منهم باعتراضهم على الله فيما قضى وتبرمهم من أحكامه وعما فى مملكته أمضى فهم كمن أحال أفعاله الملومة على التقدير وجعله ذريعة إلى التقصير، فكل من الفريقين قد أخطأ الصواب ولم يراع الحكمة الالهية فلابد من مراعاة التفصيل السابق وإلا وقع العبد فى الزلل والوقت عند الصوفية يطلق على ماطلبه الحق منك وعلى كل تجلّ من الشئون الالهية وعلى مراعاة الأنفاس واعطائها ماتستحقه من عبادة أو عبودية أو عبودة فيستغرقهم ذلك عن الماضى والمستقبل ولذلك يقولون الصوفى ابن وقته أى نعته وصفته كل مااقتضاه الوقت ، أى ماحقه أن يكون عليه فكل من لم يقطع الأنفاس فيما طلبه الحق منه كان عليه حسرة وخزى أن يندم على فواتها ويتحسر عند انكشاف خزائنها فالوقت اذا لم تقطعه بما طلبه الحق منك قطعك عن الطاعات بالموت فالوقت سيف قاطع سريع المرور يفوت بفوته نفائس الأعمال وسنيات الأحوال ، وقد ظهر بما تقرر فيما سبق ان محل كون العبد يجب عليه عدم ارادة الخروج عما أقيم فيه اذا كان مأذونا فيه وليس عليه فيه اعتراض من الشارع وإلا وجب عليه الخروج منه والدخول فيما أمره به الشارع ، فيجب عليه تحصيل التكاليف الشرعية والمبادرة اليها بحسب الامكان ، وليس للمكلف أن يقول ماترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه ولا أن يقول ان الشيء الذى أنا مشغول به من المخالفة والأشغال الدنيوية هو المراد منى فلا أريد أن أحدث غيره لأن الله أقامنى فيه لأن هذا ابطال للتكليف وخروج عن الدين وقول بالجبر المحض وجحد لما جعل الله للعبد من الكسب والاختيار وتمسك بالحقيقة بلا نظر الى الشريعة وكثيرا مايحتج به الكفار لأنفسهم اذا دعوا للاسلام ، وكذا جهلة العصاة اذا دعوا الى الطاعة فيقولون لو أراد الله ذلك منا لوقع ولا قدرة لنا على خلاف ماأراده الله منه ، وجوابهم أن يقال لهم مالكم تسعون فى مصالح أنفسكم وتجتهدون كل الاجتهاد فى تحصيلها

وتتكلفون

وتتكلفون الوصول اليها بالأعمال الشاقة والخاطرات ولا تعتمدون فى ذلك على مراد الله وهل كوشفتم بأن الله أراد منكم الكفر والمعصية فى المستقبل واطلعتم على ذلك فان غاية ماعلمتم أن ذلك أريد منكم فى الماضى والحال وأما فى المستقبل فمستور عنكم ، ولعل الله تعالى أراد بكم فى المستقبل خلاف ماأنتم عليه فيجب عليكم أن تسعوا فى تحصيل المطلوب منكم كما تسعون فى شهواتكم وأغراضكم وقد أقام الله عليهم الحجة بقوله (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم إلا تخرصون) بل من الناس الذين سبقت لهم العناية من نودى، وقيل له أعمالك مردودة عليك وأنت عندنا من الأشقياء ، فقال وماذا أفعل والله لاأعرض عنكم أبدا ولا أنصرف عن بابكم فحين ظهر صدقه حصل له الاقبال ونودى بالبشارة فحسن حاله فاياك أن تحيل الأعمال المطلوبة منك على الفراغ فضلا عن أن تعتقد تعذرها ولاتقف مع محض الشريعة واعتبار الأسباب وملاحظة مجرد الكسب حتى تريد أن تحدث فى الوقت غير ماأظهره الله فيه فتفرط ولاتقف مع محض الحقيقة وتلغى الأسباب بالكلية وتقطع النظر عن الكسب رأسا وتحيل الأمر على ارادة الله وقضائه وقدره وتترك القيام كافت به وتترقب الفراغ من المرادات على حسب نظرك القاصر واعتقادك الخاسر فتفرط فكل من الشريعة والحقيقة لايصلح للتقرب به الا بثبوت الآخر فالحقيقة كالروح والشريعة كالجسد فكما أنه لاظهور للارواح الا فى الأجساد فلا اعتداد بالأجساد الامع الأرواح ، والى ذلك أشار ابن عطاء الله فى الحكم بقوله : احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس ، والرعونة ضرب من الحماقة ؛ فاذا كان المريد مشتغلا بحال من أحوال دنياه ، وكان ذلك يمنعه من الاعمال التى يتوصل بها الى حضرة مولاه وأحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال ، فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دليلا على رعونة نفسه أى حماقتها وذلك لتسويفه العمل الى فراغ أو انه وقد لايجد مهلة ، بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل

فما قضى أحد منها لبانته ✡ ولا انتهى أرب الا الى أرب

ولو فرض أنه فرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته ، فالواجب عليه النهوض الى مايوصله الى مولاه قبل الفوات ، ولذلك قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك ، وأنواع رعونات النفس كثيرة منها هذا الذى ذكرناه ، ومنها ايثار الدنيا على الآخرة وليس ذلك من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ماطلب من العبد قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) ثم ان هذا المسوّف على الوجه المتقدم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الاحوال مايستحقر فى جنبه جميع هذا ، فالواجب عليه أن يبادر الى الأعمال على كل حال وأن ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجأة الموت وحلول الفوت وأن يتوكل على الله فى تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها و بينه فالعبد مركزه الجسمانى فى دار الدنيا ومرجعه الروحانى فى دار الآخرة والمركز الجسمانى فان ومطالبه شتى والمرجع الروحانى باق ومطلبه واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فالاعمال وان كثرت أجناسها وتعددت أنواعها فالمطلوب بها رضا الله والقرب منه فاذا طلبه العالم الروحانى بالعمل بأى نوع من أنواعه سواء كان بالأركان أو بالجنان ، فالواجب اجابته وقطع دواعى الاشغال الجسمانية المانعة عنه فاذا أجاب العالم الروحانى وترك أشغال العالم الجسمانى فهو الكيس الفطن بشهادة رسول الله ﷺ بذلك وثناء الله عليه بقوله (انهم يسارعون فى الخيرات) وقول رسول الله ﷺ «الكيس من

دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى » فالعبد الموفق من اغتنم فرصة الامهال وقطع علائق الاشغال و بادر الايام والليالى ولم يلهه عن ذكر الله مال ولا عيال وقام بعبادة الله على كل حال مرض أوصحة فقرأوغنى صيف أوشتاء سفر أوحضر الى غير ذلك من تقلب الأحوال فلم يدر متى تفجؤه قواصف الآجال وتغيرات الأحوال ويتكل على الله فى حصول النوال فانه سبحانه وتعالى عظيم الكرم والافضال ، ومن عظيم كرمه وافضاله انه يوسع للعبد دائرة الأعمال فلم يجعل مايقربك اليه منحصرا فى الصلاة والصيام ، بل جعل للطاعات أنواعا لاتنحصر ولاتتوقف على الفراغ من أشغال الدنيا كما توهمه من أحال الأعمال على الفراغ فيمكن أن كثيرا من الطاعات يفعله العبد مع الاشغال ومباشرة الأسباب

﴿فمن ضاق نظره وظن أنه لم تتيسر له الطاعة الا مع التجريد والتفرغ من الاشغال فقد أخطأ﴾ فان الذكر والفكر يمكن الاشتغال بهما مع الأسباب والاشغال وهما من أعظم الطاعات فعلى العبد أن يرضى بما أقامه الله فيه من الأسباب والأشغال والمأذون فيها من الشارع ويستسلم لأمر الله تعالى ويشتغل بأعظم الأعمال وهما الذكر والفكر ويمنع النفس ماتشتهيه من معارضة أمر الله وارادة الخروج مما أقامه الله فيه ، وكذا من ضاق نظره من أهل التجريد ولم يتيسر له التوكل والطمأنينة بدون تعاطى الأسباب وصار يطلب الانتقال من التجريد الى الأسباب ويعارض الله تعالى فى ارادته وذلك من قلة العلم وانحطاط الهمة والوقوع فى سوء الأدب فى الاختيار مع الله وأما من اتسع نظره وغزر علمه فانه يتصرف بالفكرة التى أشار لها أعرف الخلق ﷺ بقوله « انما الأعمال بالنيات » ويجعل ذلك نصب عينيه فى حركاته وسكناته فلا يأتى ولا يذر إلا بنية صالحة وقصد صحيح فتصير أفعاله كلها عبادات وحظوظه حقوقا وعوائده قربات فيكون متجردا فى عين الأسباب ومتسببا فى عين التجرد فتحصل له فوائد كل منهما وثمراتها فيرضى بما أقامه الله فيه ولا يسأله أن ينقله عنه الى حالة أخرى لأن التضاد بين الحالتين ، انما هو بحسب وهمه ونظره القاصر ولاتضادّ فى نفس الأمر والقدرة الالهية صالحة للجمع بينهما فعلى العبد أن يسأله تسهيل الجمع بينهما ليكون واقفا مع الأدب وطالبا زيادة الفضل ، والى ذلك أشار ابن عطاء الله بقوله فى الحكم «لاتطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج» ☆ قال سهل بن عبدالله رضى الله عنه ، لما أسلمونى الى الكتاب كنت اذا اشتغلت باللوح ضاع قلبى ، يعنى من المراقبة ، واذا اشتغلت بقلبى ضاع اللوح فسألته أن يجمع لى بينهما فجمع لى بينهما ، فعلى العبد أن يرضى بما أقامه الله فيه من الأسباب أوالتجريد مالم يكن فى مباشرة أحدهما تضييع أمر من أوامر الله أوارتكاب نهى والا وجب عليه المسارعة فى الانتقال والطلب من الله أن ينقله من ذلك الى مايرضيه فليسع حينئذ فى الانتقال وليطلب من الله أن ينقله لانه الخالق لذلك الكسب (إياك وإياك نستعين ، ان الله لايأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر) فان قلت هذا صريح فى وجوب الخروج والانتقال عن الحالة السيئة وعدم الرضا بها ، مع أن الرضا بالقضاء واجب فكيف الجمع بينهما ☆ فالجواب ان معنى الرضا بالقضاء فيما ذكرت ترك المنازعة وعدم الاعتراض واعتقاد ثبوت الحكمة لله تعالى والعدل فى قضائه وليس مقتضى ذلك أنه مأمور بكسبه ولا بحبه ورضاه به باعتبار أنه سبب لغضب الله تعالى واستحقاق العذاب فان ذلك يقتضى كراهة ذلك الأمر ووجوب

السعى

السعى فى الخروج منه والانتقال عنه ، وهذا معنى قول بعضهم يجب الرضا بالقضاء لابالمقضى فالشىء الواحد اذا كان سيئا منهياعنه لهاعتباران ، فمن حيث كونه سيئا يكرهه العبد ويطلب الخروج منه ومن حيث كونه مقضيابه عليه يرضى به من حيث صدوره من الله تعالى ، والمراد بالرضا ترك الاعتراض على الله تعالى واعتقاد الحكمة والعدل وليس المراد أنه مكلف بحبه بل هو مكلف ببغضه ، وقولنا من حيث كونه مقضيا يرضى به هذا باعتبار ماوجد من ذلك فى الخارج فيما مضى وانقضى فيترك الاعتراض ويعتقد الحكمة والعدل ويسأل الله الغفران والتوبة والعفو عما مضى ، وأما بالنظر الى المستقبل فهو محجوب عنه لايدرى هل يكون مثل مامضى أو يتبدل بضده فيلزمه السعى فى الخروج عنه والانتقال الى ماهو مأمور به من الأعمال الصالحة

﴿ومن ههنا يتخرج الجواب عن قول القائل سائلا الجواب﴾

أياعلماء الدين ذمى دينكم ☆ تحير دلوه بأوضح حجة

اذاماقضى ربى بكفرى بزعمكم ☆ ولم يرضه منى فماوجه حيلتى

قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا ☆ فهل أنا راض بالذى فيه شقوتى

دعانى فسد الباب دونى فهل الى ☆ دخولى سبيل بينوا لى قضيتى

اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة ☆ فهل أنا عاص باتباع المشيئة

وهل لى اختيار أن أخالف حكمه ☆ فبالله فاشفوا بالبراهين علتى

وقد علمت الجواب مما تقدم فلا حاجة الى الاعادة

وللعلماء رحمهم الله فى جواب هذا القائل أشعار كثيرة كلها ترجع الى حاصل ماتقدم ، فمن ذلك قول ابن لب

قضى الله كفر الكافرين ولم يكن ☆ ليرضاه تكليفا لدى كل ملة

نهى خلقه عما أراد وقوعه ☆ وأنفذه والملك أعظم حجة

فقوله والملك هو بكسر الميم ، والمراد أن ذلك ملك الله وللمالك أن يصنع فى ملكه مايشاء وذلك عدل ليس فيه شىء من الظلم ، لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير والله لايسئل عما يفعل ويحتمل أن الملك بضم الميم ، أى واذا كان ملكه كيف يقع فيه مالا يريد ، ثم قال هذا المجيب

دعا الكل تكليفا فوفق بعضهم ☆ فخص بتوفيق وعم بدعوة

فلا ترض فعلا قد نهى عنه شرعه ☆ وسلم لتدبير وحكم المشيئة

اليك اختيار الكسب والله خالق ☆ مريد بتدبير له فى البرية

ومالم يرده الله ليس بكائن ☆ تعالى وجل الله رب البرية

فهذا جواب عن مسائل سائل ☆ جهول ينادى وهو أعمى البصيرة

اذاماقضى ربى بكفرى بزعمكم ☆ ولم يرضه منى فما وجه حيلتى

فقوله والملك أعظم حجة جواب المسئلة الاولى أعنى كونه قضى بكفره وأراده منه ونهاه عنه وعاقبه عليه لايسئل عما يفعل لانه ملكه يتصرف فيه كيف يشاء وقوله ☆ فلا ترض فعلا قد نهى عنه شرعه ☆ جواب لقول السائل ☆ قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضاء ☆ فالمراد ارض بالقضاء ولاتعترض ولاترض بالمقضى أى لاترض ذات الفعل وارض بوصفه أى القضاء ولا تحب الفعل وسلم للقضاء ، أى لاتنازع ولاتعترض وقوله اليك اختيار الكسب الى آخره جواب عن قول السائل ☆ اذا شاء ربى الكفر منى ☆ الى آخره ، وحاصله أن الله تعالى خالق لفعل العبد ومريد له ولكنه سبحانه وتعالى جعل مناط التكليف

كسب العبد ، فحيث كان الكسب مخالفا للأمر عوقب عليه ولو لم تطلع على الحكمة لتلك الارادة المخالفة للأمر ولا نقول ان الفعل للكفر والمعاصى بخلق العبد لابارادة الرب ، لأن ذلك يقتضى أن يقع فى ملكه سبحانه وتعالى مالا يريد وذلك محال وهو معنى قول المجيب ☆ ومالم يرده الله ليس بكائن ☆ وممن أجاب الشيخ صدرالدين القونوى فقال

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما ☆ يكون وما قد كان وفق المشيئة

وهـذا اذا حققته متأملا ☆ فليس يسدّ الباب من بعد دعوة

فان قضاء الله منه معلق ☆ بأمر اذا ما كان فالمحو أثبت

كما الرى بعد الشرب والشبع الذى ☆ يكون عقيب الاكل فى كل مرة

فليس ببدع أن يكون معلقا ☆ قضاء الاله الحق رب الخليقة

بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا ☆ عليك بأسباب الهدى والسلامة

فمن جملة الأسباب ماقد رفضته ☆ مع الأمن والامكان لفظ الشهادة

فأنت كمن لايأكل الدهر قائلا ☆ أموت بجوعى اذ قضى لى بجوعتى

وحاصل هذا الجواب أن ذلك بقضاء الله لكن قضاء الله منه ماهو معلق ومنه ماهو مبرم فكفر الكافر لايعلم انه مبرم الا اذامات على الكفر ، وأما فى مدة حياته فيحتمل أنه معلق بقاؤه بدوام رضاه به وعدم تعاطى أسباب الخروج منه ، فاذا تعاطى أسباب الخروج منه بالنطق بالشهادتين انقطع بقاؤه كما أن الجائع معلق دوام جوعه بعدم تعاطى أسباب الخروج منه . فاذا تعاطى أسباب الخروج منه بتناول الطعام انقطع جوعه والعبد لااطلاع له على أن ذلك القضاء مبرم وقد أمره الشارع بتعاطى أسباب الخروج منه وسهلها له فعليه أن يفعل ماأمره الله به ولايحتج بأن ذلك بقضاء الله لانه لم يعلم انه مقضى عليه الابالنسبة لما مضى لابالنسبة للمستقبل فقدقامت الحجة عليه ولم يبق له عذر (ولله الحجة البالغة) ومذهب أهل السنة والجماعة أن الارادة غير الأمر والرضا فكل مأمور به فهو مرضى عند الله لكنه قد يكون مراد الله وقد يكون غير مراده فما كان مراد الله وقع وما كان غير مراد لايقع والمنهى عنه غير مرضى عندالله تعالى ، ثم انه ان كان هذا المنهى عنه مراد الله تعالى وقوعه من العبد وقع وان كان غير مراد لايقع ، ويترتب على فعل المأمور به الثواب وهو معنى الرضا ، وعلى فعل المنهى عنه العقاب وهو معنى عدم الرضا والخالق للمأمور به والمنهى عنه هو الله وحده وليس للعبد الامجرد الكسب وهو تعلق قدرته بالشىء المخلوق لله وجعل الله هذا الكسب مناط الثواب والعقاب ولايسئل عما يفعل لأن الملك ملكه يتصرف فيه كيف يشاء ، فاذا تحقق أن الأمور كلها بخلق الله ومشيئته وارادته وان الله تعالى كلف العبد وجعل كسبه مناط التكليف ، فعلى العبد التوجه الى الكسب كما يتوجه لكسب الأكل والشرب و بقية مصالحه ، وقد أجرى الله العادة بحصول ذلك فقول السائل ☆ دعانى وسد الباب دونى ☆ كلام باطل فان الله تعالى دعاه وفتح له الباب وجعل له الأسباب ولم يمنعه من ذلك الارضاه بالكفر وعدم توجهه لتعاطى كسب أسباب الخروج من الكفر فعليه أن يتوجه الى الله بكليته ليسهل له الأسباب التى يحصل بها كسبه لما يوصله الى قربه لأن الأشياء كلها مستمدة من فضله سبحانه وتعالى قال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء) فعليك اللجا الى الله تعالى مع التبرى من حولك وقوتك والتمسك بحول الله وقوته قال تعالى

(وان

(وان من شيء الا عندنا خزائنه) فالاقبال على الله بالذل والافتقار هو الأصل لكل خير قال أهل المعرفة ان تجلى الحق سبحانه وتعالى على القلوب على الدوام ولا يمنع من ظهور أنوار التجلى الا الاشتغال بالسوى والاقبال على الغير فلذلك يأمر الأشياخ المريدين بذكر لا إله إلا الله لأنها مكنسة الأغيار فاذا ذهب السوى ظفر بالمولى فالحق سبحانه وتعالى ليس بغائب انما الغائب أنت لاشتغالك بسواه فأحضر قلبك تكن كأنك تراه وهذا هو مقام الاحسان فان لم تكن تراه فانه يراك

(وههنا نكتة ذوقية فى قوله ﷺ فان لم تكن تراه فانه يراك فانه يراك) فهمها بعض العارفين حيث قال تكن تامه بمعنى توجد ، أى فان لم توجد بأن فنيت فيه فانك تراه ، أى اذا تحققت بمقام الفناء نلت مقام الشهود وهو الرؤية القلبية التى تصير فى الآخرة بصرية ، ولا يشكل على ذلك ان مقتضى هذا المعنى أن يكون تراه جواب الشرط ومقتضى قواعد العربية حذف الألف من تراه ، لأنه مجزوم جوابا للشرط ، لأنا نقول ان بعض العرب يبقى مثل هذه الألف فى الفعل المجزوم فلا مانع أن يخرّج ذلك على تلك اللغة لافادة هذا المعنى اللطيف ويكون قوله فانه يراك كلاما مستأنفا ، والحاصل ان الاصل فى ذلك كله التحلى بالتوحيد ومعرفة أن الاشياء كلها صادرة منه سبحانه وتعالى ومستمدة من فضله ، فلو أنك لاتصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا

(ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه) ونعتك بنعته وأوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه عناية بك لا لشيء منك وأين كنت حيث واجهتك عنايته وقابلتك رعايته فى الأزل حيث قضى بهدايتك ولم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الافضال وعظيم النوال فلا تعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه آمال الطالبين فلا ترفعن لغيره حاجة هو موردها عليك ان لم تحسن ظنك به من أجل وصفه وما هو عليه من نعوت الجلال التى لا يدركها وهم ولا يحيط بها فهم ، حسن ظنك به لوجود معاملته معك قديما وحديثا اذ أوجدك من العدم وأسبغ عليك جميع النعم فهل عوّدك إلا حسنا وهل أسدى اليك من كرمه إلا مننا ، فالعجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه و يطلب مالا بقاء له معه (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)

قال أبو مدين رضى الله عنه لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن حصلت له أربعة أشياء : الزهد والعلم والتوكل واليقين ، أما الزهد فان السالك مسافر الى مولاه ومتى كان معه أكثر مما يحتاجه فى سفره كان ذلك معوقا له عن السير ، فان حضرة الحق محرمة على من يدخلها ومن خلفه شيء يجذبه فتزهد فى كل مالا تحتاج اليه حتى يؤول بك الأمر إلى أن تزهد فى الدنيا والآخرة ونفسك ولا تريد سوى مولاك ولا ترغب فى حال ولا مقام ولا ظهور كرامة بين الأنام (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)

(قال ابن عطاء الله فى الحكم) ، كيف يشرق قلب وصور الأكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله تعالى وهو مكبل فى شهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله عز وجل وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ، وأما الأمر الثانى الذى ذكره أبو مدين وهو العلم فالمراد به علم الشريعة المتعلق باصلاح الظاهر فمتى لم يعرف السالك اصلاح ظاهره لا يتأتى له معرفة اصلاح باطنه ، من لم يقف على الأبواب لم يحظ بمنازل الأحباب ، فتزين أيها السالك بملابس الشريعة وتحل بآداب الطريقة تشرق عليك أنوار الحقيقة وتصير من أهل المجاورة والمسامرة وتذوق لذيذ الخطاب وتفرق بين الخطأ والصواب و يصير قلبك حضرة من حضرات الحق ترجع اليه

فى جميع أمورك ماجل منها ومادق ☆ وأما الأمر الثالث وهو التوكل فهو الاكتفاء بعلم الله فيك عن تعلق قلبك بسواه فاذا علمت أن الله تعالى عالم بحالك قادر على كفايتك أرحم بك من أبيك وأمك بل ومنك انجمع قلبك عليه ولم تتوجه بقلبك إلا اليه ولم تنطرح إلا بين يديه وذلك من أعظم مايحتاج اليه السالك فى سلوكه واحتياجه اليه أشد من احتياج الظمآن الى الماء ، وأما الأمر الرابع وهو اليقين فالمراد منه الاعتقاد الجازم بأن ما أخبره الله به ورسوله ﷺ حق لاشك فيه على وجه يستولى ذلك على قلب السالك و بصيرته كالعيان فتعلم حالا وذوقا أن الله ماخلق سائر الجن والانس إلا ليعبدوه فلم يخلق لك الحواس إلا لتصرفها فى الطاعة ولم يخلق لك القلب إلا لتجعله موضعا لذكره والفكر فيما يوصلك اليه و يقربك منه وأن لاتشغله بسواه ، فمن حصل له اليقين الذوقى على هذا الأسلوب لم يصرف اللسان إلا فى ذكره ولم يصرف الاذن إلا فى استماع كلامه وكلام رسوله وكلام أوليائه وكل شىء يوصله الى مولاه ولا يصرف بصره إلا فيما ينفعه و يرشده الى طريقه وهكذا يحاسب نفسه فى جميع النعم التى بها عليه مولاه حتى يحوز مقام الشكر الذى هو صرف العبد جميع ماأنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فيستوجب المزيد كما قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وماأحسن ماقال بعضهم

كان رقيبا منك يرعى خواطرى ☆ وآخر يرعى ناظرى ولسانى

فما رمقت عيناى بعدك منظرا ☆ يسوؤك إلا قلت قد رمقانى

ولابدرت من فى دونك لفظة ☆ لغيرك إلا قلت قد سمعانى

ولاخطرت فى السر دونك خطرة ☆ لغيرك الا عرجا لى يعيبانى

وأصل ذلك كله التحقق بمقام اليقين ومعرفة أن الله مطلع عليه فى كل وقت فالحق سبحانه وتعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفس وحال فأيما قلب رآه مؤثرا له حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن وهذا المقام قطب دائرة أهل الطريق ، فمقام المراقبة هو مقام الاحسان مقام من يعبد الله كأنه يراه فيعلم أن الله يراه من مازج لحمه ودمه معنى قوله تعالى (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه) واشتعلت فتيلة سراج قلبه بنار معنى قوله تعالى (ألم يعلم بأن الله يرى) فصارت الخلوة والخلق بالنسبة اليه سواء فلم يشهد بظاهره وباطنه إلا مولاه ولم يتوجه فى قضاء حوائجه إلا إلى الله ، والحاصل ان لب طريق القوم أن يعلم السالك أن الحق تعالى مطلع على سرائره وظواهره فى كل نفس وحال ، فان خطرت له خطرة نفسية أو شيطانية قال لنفسه ان الحق سبحانه وتعالى مطلع على هذه الخطرة أيتها النفس فأيما أحب اليك ايثار الحق واتباعه فيما أمر ونهى أو اتباع مرادك ، فمن ساعدته العناية وأمده التوفيق آثر الحق تعالى بقلبه على نفسه وأعرض عن تلك الخطرة حتى جعلها الله معدومة كأمسه ، فمن رآه الحق تعالى مؤثرا له هذا الايثار حفظه من طوارق المحن ومضلات الفتن و يصير الحق تعالى محبا له كما قال ﷺ فى الحديث القدسى «لايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به و يده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه ، فمن كان الحق سمعه و بصره ولسانه كيف يقع فى طوارق المحن أم كيف تضله الفتن ، فاجتهد فى تصحيح هذا المعنى واغسل القلب من السوى ليترقى هذا المعنى فان من بقيت فيه بقية لسواه لا يصلح أن يكون عبدا لمولاه ، فاذا محوت من قلبك السوى أفناك عنك وأودعك الأسرار وصرت من خواص عباده المقربين الأبرار ، فاذا أردت الدواء النافع والترياق المجرب لدفع سموم حياة هذا البلاقع فعليك بسماع كلام العلماء من القوم فانهم أطباء القلوب والطبيب يعطى كل مريض ماينا سب

مزاجه وسنه ووقته وكذلك أطباء القلوب يجرى على ألسنتهم فى كل زمان الدواء النافع لأهل ذلك الزمان فلذلك لما سئل بعض العارفين عن الحال اذا لم يظفر السالك بأحد من الأولياء ، قال عليك بكلامهم ، فان من طالع كلامهم ولم يكن رجلا يصير رجلا ، فان كان رجلا يصير فتى

﴿قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ فى الحكم «كل كلام يبرز فعليه كسوة القلب الذى منه برز ، فما خرج من القلب بنية الوصول الى القلب دخل القلب وماقصر على اللسان لم يجاوز الآذان» وقال أيضا تسبق أنوار الحكماء أقوالهم لاينطقون الا بالله ولله ، فحيث صار التنوير وصل التعبير فأى قلب تصل اليه أنوار المعارف فلايشرق ، وأى غرس ينميه كلام الواصل فلايورق فعليك بتتبع كلامهم والاقتداء بآثارهم واقصدهم فى كل مكان واخضع وانكسر لكل من تتوهم فيه لمعة من مقام الاحسان فان الكون معمور بهم ولايخلو عنهم

لاتقل دارها بشرقى نجد * كل دار للعامرية دار
ولها منزل على كل ماء * ولها على كل دمنة آثار

ولذلك قيل ان الله تعالى خبأ ثلاثة أشياء فى ثلاثة مواضع خبأ رضاه فى طاعته فلاتستقل طاعة ، وخبأ غضبه فى معصيته فلا تستحقر معصية ، وخبأ ولايته فى قلوب أوليائه فلاتستحقر أحدا فحسن اعتقادك فى كل أحد تظفر بباب الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا ظفرت بهذا الكنز حزت مقام الاحسان وغبت عن الأكوان فانه اذا ظهر الحق لم يبق غيره وذلك منتهى السالك وغاية بغية العارفين وهو مقام الفناء الذى تضمحل عنده الرسوم ويذهب العلم والمعلوم فلا يبقى فيه الا الأحد الفرد الصمد ان شمس النهار اذا ظهرت لم تشاهد النجوم وكذلك اذا اشرقت شمس المعرفة أفنت الآثار والرسوم ولم تشهد الا الحى القيوم وشتان بين الشمسين هذه شمس تغرب وتزول ، وتلك شمس لاتغيب ولاتحول

ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب

شمس النهار تدرك بالبصر وهذه بالبصيرة وتلك تنور الأجسام وهذه تنور السريرة * والحاصل ان السالك اذا أخذ فى سيره الى مولاه وجدّ فى مسيره وتأدب فى مسراه قطع العوالم حتى يتشرف بالوصول الى تلك المعالم فأول عالم يقطعه عالم الملك وهو مايدرك بالبصر من الأجسام وغيرها وهو عالم النفس ثم عالم الملكوت وهو مايدرك بالبصيرة وهو عالم القلب ثم عالم الجبروت وهو عالم الروح ثم عالم اللاهوت وهو عالم السر ، ومنه يرجع العارف الى البقاء ويصير مرشدا ومقتدى وكل ذلك من آثار الذكر والتشرف بفوائده والسير مع الرفيق المتأدب بفرائده ، وما أحسن ماقيل

ذكر الاله الزم هديت لذكره * فبه القلوب تطيب والأفواه
واجعل حلاك تقاه ان أخا الحجا * ياصاح من كانت حلاه تقاه
ولتعمل الأفكار فى ملكوته * مستغرقا فى الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق * خال عن الكونين فى مسراه
ولتفن حتى عن فنائك انه * عين البقاء فعند ذاك تراه
أنى يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه

﴿وأحسن شىء تستعين به على ذلك كله تقوية اليقين﴾ وهو الاعتقاد الجازم الذى لاشك فيه عن

دليل وبرهان وشهود وعيان فان اليقين هو رأس الدين قال رسول الله ﷺ «اليقين الايمان كله» فلابد من تعلم علم اليقين قال رسول الله ﷺ «تعلموا اليقين» ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم ، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل * وقال ﷺ لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ﷺ «ما من آدمى الا وله ذنوب» ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة ، ولذلك قال ﷺ «ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار ، وفى وصية لقمان لابنه يابنى لايستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه * وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وأن نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى فى القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات ومجارى اليقين التى يحصل بوجودها قوته كثيرة منها التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن فان غلب اليقين على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع ، فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما ، بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين ، فقد ترقى فى درجات اليقين الأشرف الذى هو ثمرة اليقين وروحه وفائدته فانه حينئذ يتحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمر الله حسب تسخير القلم فى يد الكاتب ، وان القدرة الأزلية هى المصدر للكل فيستولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم ، و يصير موقنا كامل اليقين بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق ومن مجارى تقوية اليقين الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق فى قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) واليقين بأن ذلك يأتيه وان ماقدر له سيساق اليه ، ومهما غلب ذلك على قلبه أجمل فى الطلب ، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته وأثمر له هذا اليقين جملة من الطاعات والأخلاق الجيدة ، ومن مجارى تقوية اليقين أن يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصى قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن كل السيآت وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ ، ومن مجارى تقوى اليقين العلم بأن الله مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وذلك عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لايزال مطرقا متأدبا فى جميع أعماله متماسكا متحرزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون فى فكرته الباطنة

كهوفى أعماله الظاهرة اذيتحقق أن الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغة فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بحسن الله الكائنة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة ، وهذه الاخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة ، فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة عنها ، وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الاغصان . فاليقين هو الاصل والاساس ولذلك قال ﷺ كفى باليقين غنى ، وقال سلوا الله اليقين والعافية فما أعطى عبد أفضل من العافية الا اليقين وماأنزل من السماء أشرف من اليقين . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ذرة من صاحب يقين أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين . قال الجنيد اليقين ، استقرار العلم الذى لايحول ولايتغير فى القلب ، وقال أبو يزيد التوحيد صدق اليقين ، وذلك معرفتك ان حركات الخلق وسكناتهم فعل الله تعالى وقال ﷺ أخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين * وقال ابن عطاء الله فى الحكم لو أشرق لك نور اليقين ، لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها فنور اليقين تتراءى به الامور على ماهى عليها فيحق به الحق و يبطل الباطل وعند ذلك تموت الشهوات وتذهب دواعى النفس فلا تأمر بسوء ولا تطالب بارتكاب مكروه و ينشرح الصدر بنور اليقين ، قال ﷺ ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح ، قيل له يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعند ذلك لاتكون الهمة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات وذلك لاستشعاره فى كل حين بحلول الاجل وفوات صلاح الامل ، قال بعض العارفين علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها ، يعنى عدم ورود الحجاب بعد ذلك فمن تخلص من ذل الحجاب بمعجزة الايمان بالامور الأخروية . وكان مؤمنا من وراء الحجاب فصار موقنا بها بعد رفع الحجاب

﴿قال النبى ﷺ لحارثة بن سراقة كيف أصبحت ياحارثة﴾ قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ماتقول فان لكل قول حقيقة ، فقال يارسول الله عرفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى واظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها ، فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبه قال يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله ﷺ فنودى يوما فى الخيل ياخيل الله اركبى فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد وقيل أنه أول من استشهد يوم بدر وهو الصحيح ولما بلغ أمه ذلك جاءت الى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله أخبرنى عن ابنى حارثة فان يك فى الجنة فلن أبكى ولن أجزع وان يكن غير ذلك بكيت ماعشت فى الدنيا ، فقال صلى الله عليه وسلم ياأم حارثة أنها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنان وحارثة فى الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك ياحارثة * وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن معاذ بن جبل رضى الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكى ، فقال له كيف أصبحت يامعاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال ﷺ أن لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ماتقول ؟ قال يانبى الله ماأصبحت صباحا قط الا ظننت أن لا أمسى ولا أمسيت مساء قط الا ظننت أن لا أصبح

ولاخطوت خطوة قط الاظننت ان لاأتبعها أخرى وكأنى أنظر الى كل أمة جاثيـة تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله تعالى . وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال ﷺ عرفت فالزم ، فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبـل الانصاريان رضى الله عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أى تمكن صدر منهما ماصدر مماذكراه من فنون العبر وشاهـدا أمر الدارين ، بمنزلة رأى العـين فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيئات وظهرت منهما الاسرار وسارعا فى كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشـهد * وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عند الموت حبيب جاء على فاقة لاأفلح من ندم ، وكذلك بقية الصحابة رضى الله عنهم وكبار التابعين ، وأئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين ، وقال حرام بن ملحان رضى الله عنـه لما طعن يوم بئر معونة فى رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسـه ووجهه ، وقال فزت ورب الكعبة فكل ذلك من أشراق أنوار اليقين فنسأل الله تعالى ان ينيلنا ماأنالهم انه جواد كريم فياأيها المترشح لهذه المطالب وياأيها الراغب فى هذه المواهب زك الاعمال بشهودها بعين الريا والاحوال بالنظر اليها بعـين الدعوى والاقوال بالحكم عليها بالافترى تكن متحققا بالعبودية فان من تحقق بالعبودية نظر أعماله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعـين الافتراء فالنظر الى الاعمال بعين الرياء نشأ من عدم الرضا عن النفس فان أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة و يقظة وعفة عدم الرضا عن النفس ولأن تصحب جاهلا لايرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه أى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لايرضى عن نفسه * نظر بعضهم الى بعض العارفين ، وهو يصلى بكمال الآداب من اتمام الركوع والسجود وغير ذلك من السنن والمستحبات فاستحسن ذلك منـه وأطال النظر اليه ، فقال له لايغرنك طول قيامى ولا كمال ركوعى وسجودى فان ابليس عبد الله ثمانين ألف سنة وما أفاده ذلك يعنى أنى لاأرضى عن نفسى بهـذه العبادة ولا أتحقق فيها الاخـلاص ولااعتمد الاعلى فضله واحسانه ، كما هو شأن العارفين ، وكذلك كان رسول الله ﷺ اذا فرغ من صـلاته يستغفر الله ثلاثا فاذا كان رسول الله ﷺ يستغفر الله بعد صلاته خوفا من التقصير فيها ، وقد جعلت قرة عينه فيها فكيف بسواه من أمثالنا وهكذا شأن العارف كلما ازداد بصيرة ازداد معرفة بعيوب نفسه وكثر اتهامه لها وعدم الرضا عنها ، ولهذا قال الحسن البصرى لو صفت لى ركعتان بالاخلاص لكفتانى ، وقال الشيخ عمر المحضار لوعلمت أن لى تسبيحة مقبولة عند الله لاطعمت أهل تريم الثريد واللحم

(وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحذيفة بن اليمانى رضى الله عنه) وكان يعلم المنافقين هل أنا من المنافقين ، فقال لست منهم ولاأبرىء أحدا بعدك فاذا كان مثل عمر رضى الله عنه من الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة يتهم نفسه بالنفاق فكيف بسواه

(ولذلك قال ابن عطاء الله فى الحكم) تشوّقك الى مابطن فيك من العيوب خير من تشوّقك الى ماحجب عنك من الغيوب فالكرامة عند العامة خرق العوائد من المشى على الماء والطيران فى الهواء ، وعند الخاصة تبديل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة ، فلذلك قال بعضهم ليس الشأن ان تطوى لك المسافة البعيدة فتكون فى مكة ، أونحوها وانما الشأن أن تطوى عنك أوصاف نفسك فتكون

عند ربك ، اخرج من أوصاف بشريتك ومن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا . ولقرب العبد من ربه علامات العلامة الاولى أن لايرى لنفسه قربا فأول قرب العبد من ربه أن لايرى لنفسه قربا فمن رأى لنفسه قربا فهو فى عين البعد لان رؤية القرب تنشأ من الرضا عن النفس ورؤيتها واثباتها ، وذلك ينافى الفناء الذى هو الطريق فاخرج عنك تصل وافن عن أوصافك تضمحل ، العلامة الثانية النظر الى أحوالك بعين الدعوى وماأحسن ماقاله ابن عطاء الله فى مناجاته «إلهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لاتكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لاتكون دعاويه دعاوى» والنظر اليها بهذا المعنى ينشأ من معرفة النفس ودسائسها ولذلك ، قال صاحب البردة

وراعها وهى فى الاعمال سائمة ✲ وان هى استحلت المرعى فلاتسم

اذهى لاتستحلى خيرا ولاتأمر بخير والخير كله فى مخالفتها واذانظرت الى أحوالها بعين الدعوى كنت مخالفا لها غير راض عنها ، قال أبوسليمان الدارانى رضى الله عنه : لقد وضعت نفسى موضعا لواجتمع الخلق أن يضعونى دون ذلك لما أمكنهم وقال حضرة الخوجة بهاء الدين نقشبند رضى الله عنه لما سئل عن الكرامات ، قال أى كرامة أعظم من أنى مع هذه الذنوب الكثيرة العظيمة أمشى على وجه الارض ، فانظر الى هذا المنزل العظيم من هذا الرجل العظيم تعرف أن الطريق ليست بكثرة صلاة ولاصيام انما هى بالفناء التام ، ولذلك قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه اخوانى ماوصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولاصيام نهار ، ولادراسة علم ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر ورؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من حولى وقوتى ، فأشار رضى الله عنه الى الفناء التام بهذا الكلام لان الكرم يفنى السالك عن الدنيا وبالتواضع يفنى عن نفسه وبسلامة الصدر يتم له رياضة نفسه ويصير واحدا لواحد ، وأصل ذلك عدم شهود الاحوال بنظر الكمال واتهام النفس فى الغدو والآصال ، ولذلك أوصى حضرة الخوجة بهاء الدين نقشبند رضى الله عنه بوصيتين هما للسالك كالعينين والاذنين ، احداهما ان السالك لووصل فى أى محل وصل لايرى نفسه الافى أول قدم من الطريق ، الثانية انه لونال من السلوك أعلى المراتب لايرى نفسه الاأنها أقل من نفس فرعون بمائة مرة وان لم يرها كذلك فليس له فى السلوك نصيب فانظر الى هاتين الوصيتين تجد السالك يحتاج اليهما كاحتياجه للسمع والبصر بل أشد وأكثر فانه متى أخطأهما أصابه العجب وهو أشد المهالك كما شهد بذلك سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم حيث قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات : فأما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية والقول بالحق فى الرضا والسخط والقصد فى الفقر والغنى : وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهى أشدهن ، وفقنى الله واياك وسائر السالكين لنيل هذه الاذواق ولا حرمنا السير فى هذا المساق وسيرلنا بفضله مطايا السباق ، والعلامة الثالثة النظر الى أقوالك بعين الافتراء وهذه أيضا راجعة الى عدم الرضا عن النفس فان لم يرض عنها لم يرض عن أفعالها فشهود الاعمال بعين الرياء ينتج عدم الرضا عن أحوالها وشهود الاحوال بعين الدعوى ينتج عدم الرضا عن أقوالها وشهود الاقوال بعين الافتراء ينتج عدم الركون اليها ، فاذا فعلت ذلك وتحققت بما هنالك كنت خارجا عن أفعالك وأحوالك وأقوالك ومن كان كذلك ، فقد خرج عن أوصاف بشريته وتحقق بمقام عبوديته وبه يرتقى الى مسراه وينال

من ربه مايتمناه ، ويوضح ذلك ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) حيث أشار سبحانه وتعالى بأن الوصول الى مقام الاسراء لاينال الا بالعبودية وهى الخروج عن أوصاف البشرية والآية وان كانت نازلة فى شأنه صلى الله عليه وسلم ولكن لوارثيه من ذلك نصيب اذ كما أن له صلى الله عليه وسلم إسراء كذلك لوارثيه اسراء يناسب استعدادهم نالوه من متابعتهم له صلى الله عليه وسلم اذ مقام المحبة الذى هو عين الاسراء ناشئ من المحبة كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فالعبد اذا أفنى أفعاله فى أفعال مولاه وأوصافه فى أوصافه وذاته فى ذاته لم يبق كله الا مظهرا من مظاهر الحق يبدى تجليه فيه فيظهر فيه فعل الحق ووصفه ووجوده كما يشهد لذلك قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهذا وان كان فى حقه ﷺ فلوارثيه من ذلك نصيب وهذا معنى يدق عن الفهم ادراكه ولا يسعه الا الايمان

﴿وغاية مايتنزل فى التفهيم و يمثل به فى التعبير بالبلور﴾ اذا قوبل به الشمس وجعل محاذيا الشئ فان ذلك الشئ يشتعل بتأثير الشمس فى البلور المقابل بها مع أن الشمس لم تنتقل عن موضعها ولم ينفصل منها شئ بل بمقابلتها واشراقها على ذلك البلور الصافى حصل ذلك التأثير فكذلك قلوب العارفين اذا صفت تتأثر بتجلى صفات الله فيها فالعارف وان ظهرت فيه أوصاف الربوبية وأشرقت عليه فهو باق فى عبوديته فالعبد عبد ، والرب رب فكلما أشرقت عليه أوصاف الربوبية كثر وازداد فى تحققه بعبوديته وتحلى بخلع الاوامر واجتناب النواهى ذوقا وحالا كما قال ﷺ لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا أعلى مراتب الايمان ولا يكمل الا للعارف ، ومن علاماته أنه اذا رؤى ذكر الله كما ورد فى وصف بعض الصالحين ، كانوا اذا رؤوا ذكر الله تعالى لأن نور قلب العارف مشرق على وجهه (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ومن تم له ذلك فاز بالسعد والقرب ومثلوا ذلك بالشمس اذا أشرقت على الجدار استنار الجدار الآخر لمواجهته لذلك الجدار الذى أشرقت عليه الشمس وهذه طريقة معروفة عند المشايخ يسمونها بالرابطة وهى رؤية وجه الشيخ فانها تثمر كما يثمر الذكر بل هى أشد تأثيرا من الذكر لمن عرف شروطها وآدابها وذلك انما يكون للشيخ الكامل العارف المستغرق بالتجليات الذاتية ومن ذلك كانت تربيته ﷺ للصحابة رضى الله عنهم . وكانوا يستغنون برؤية طلعته صلى الله عليه وسلم السعيدة و ينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالاذكار مدة مديدة ولهذا كانت درجة الصحابة رضى الله عنهم لاتضاهى وكذلك الاجتماع بالمشايخ الكاملين ولو ساعة . وكانوا يتباهون و يفتخرون بذلك الاجتماع و يعدونه من أكبر الانتفاع ☆ حكى ان شخصين اجتمعا فى طريق ضيق فقال أحدهما للآخر تقدم فقال له بم أستحق التقدم عليك ؟ قال لانك صحبت الجنيد نصف يوم فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلة يستحق بها التقدم عليه وهكذا أهل الانصاف

﴿وقال بعضهم﴾ وقع جدب فى بعض البلدان فاستسقوا فلم يسقوا فاخرج انسان وقال يارب بحق مافى هذا الرأس أسقنا فسقوا وارتووا فقال له بعضهم ومافى هذا الرأس قال عينان رأت أبايزيد البسطامى رضى الله عنه فقال له ذلك القائل أنا جار أبى يزيد فقال له أنت اذن أحق منى بالاجابة ، فانظر ياأخى الى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه وجواره وكيف بحواس لم تزل ممتلئة بقربه فكن أيها الطالب محبا لها كل تزينت بهذه القلوب ومبغضا الأبدان

حومت هذه المحاسن التى أبعدت عن الذنوب ويأيها المحب الصادق السامع لهذه الدقائق عمرك نفس واحد فاجتهد أن يكون لك لا عليك وان الماضى قد فات والآتى من المؤخرات وليس لك الا الوقت الذى أنت فيه فهل أنت مؤثر مولاك بالطاعة فيه ، ولله در من قال

مامضى فات والمؤمل غيب ✲ ولك الساعة التى أنت فيها

فيامن عمره ساعة هل أنت منفقها فى الطاعة لتحوز لذات الأبد وتتنعم بجوار الفرد الصمد و يامن له همة بطية هل أنت مجاوز هذه الدنية فتفوز بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

جد فى سيرها فلست تلام ✲ هذه طيبة وهذا المقام

ماهذا التكاسل يا أخى وهذه الجنان تزخرف ؟ وماهذا التهاون وهذه المعارف من بحر تغرف

الى كم تماد فى غرور وغفلة ✲ وكم هكذا نوم الى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى ✲ بملء السما والارض أية ضيعة
فيا درة بين المزابل ألقيت ✲ وجوهرة بيعت بأبخس قيمة
أفان بباق تشتريه سفاهة ✲ وسخطا برضوان ونارا بجنة
أأنت عدو أم صديق لنفسه ✲ فانك ترميها لكل مصيبة
ولو فعل الاعدا بنفسك بعض ما ✲ فعلت لمسهم بها بعض رحمة
فويك استفق لاتفضحنها بمشهد ✲ من الخلق ان كنت ابن أم كريمة
فبين يديها موقف وصحيفة ✲ تعد عليها كل مثقال ذرة
فيا عاملا للنار جسمك لين ✲ فجربه تمرينا بحر الظهيرة
فان كنت لاتقوى فويحك ماالذى ✲ دعاك الى إسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية ✲ وتصبح فى أثواب نسك وعفة
تخاطبه اياك نعبد مقبلا ✲ على غيره فيها لغير ضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه ✲ تميزت من غيظ عليه وحسرة

يعنى انك اذا كنت تخاطب انسانا وتناجيه فأعرض عنك والتفت الى غيرك حال المناجاة فانك تميز غيظا من اعراضه والتفاته فكيف تفعل هذا مع مولاك فيا أيها المقبل بقلبه على الاغيار طهر قلبك بماء الاستغفار وسبعه من هذه النجاسات بتراب الذلة والانكسار ولاتقبل بقلبك الاعليه ولا تنطرح بذلتك وانكسارك الابين يديه وليس للقلب الاوجهة واحدة فتى توجه اليها حجب عن غيرها فوجه قلبك لمولاك وصحح صلاة سرك ونجواك واستغن عن البرية واجعل قيامك استقامة فى طاعته وركوعك خضوعا لعظمته وسجودك فناء فى حضرته وغب عن الاكوان واشهد مقام الاحسان ترث علوم سيد ولد عدنان ولتكن عبدا لمن هو كل يوم فى شأن

أيها الخاطب منى حسننا ✲ مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد يضنى وروح للفنا ✲ وجفون لاتذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا ✲ فاذا ماشئت أد الثمنا
وافن ان شئت فناء سرمدا ✲ فالفنا يدنى الى ذاك المنى

واخلع النعلين ان جئت الى ۞ ذلك الوادى ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعا ۞ وأزل مابيننا من بيننا
واذا ماقيل من تهوى فقل ۞ أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فياطالبا لهذه المنازل و يامتعطشا لشربة من هذه المناهل اياك أن تميل لغير الله فيسلبك لذيذ مناجاته فاقبل بقلبك عليه واحذر أن تتوجه لغيره فيحرمك مما لديه واحرص على أن تكون جميع لذاتك فى مناجاته واجتهد أن يكون اشتغالك فى بكورك وآصالك بحسن معاملاته واجعل ظاهرك و باطنك فى خدمته وصلاتك ونسكك ومحياك ومماتك لحضرته فى شدة الا الى جنابه ولاتنخ مطايا حاجاتك الا لواسع رحابه فهناك تشهد الفضل العظيم وتجد من النعم مالا ترجوه من صديق ولا حميم

صحح القصد ياأخى وتملى ۞ وارشف الكاس صافيا ومهنى
خمرة الحب لاتنال بشرك ۞ وحد القلب عنده وتهنى

واعلم أن السائر الى الله تعالى يتجلى له فى أثناء سلوكه أنوار وتبدوله أسرار فان أرادت همته أن تقف عند ما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذى تطلب أمامك فجد فى السير ولا تقف فان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال اليها والى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر اغمض عينيك عن ذلك ولاتلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك ۞ واعلم أنه مادامت لك همة وارادة فانت بعيد فى الطريق ولم تصل فلو فنيت عنها لوصلت ، وماأحسن قول الشيخ أبى الحسن التسترى فى هذا المعنى

ولاتلتفت فى السير غيرا فكل ما ۞ سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لاتقم فيه انه ۞ حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى ۞ عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب ۞ فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

﴿قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه﴾ اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لاينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولاتكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن فى ذلك عبدالله تعالى أمرك أن ترفض عدوه فان أتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد فى الدنيا فأقم مع الله تعالى بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة ، وتفسير هذه الوجوه الاربعة أن تكون عبد الله تعالى فيما تأتى وما تذر و تراقب قلبك أن لايرى قلبك فى المملكة شيئا لغيره فاذا أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العزالك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله (وكان الله على كل شئ رقيبا) فهناك يدركك من الحياء مايحملك على التوبة مما ظننت أنه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لايشهد ذلك منك بحال فتعود الى ماخرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه تبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك تظهر أوصافك لتستعيذ بالله منها وتأخذ فى الاستغفار والانابة الاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعنى الاستغفار والانابة ناداك عن قريب اخضع

لاحكامى ودع عنك منازعتى واستقم مع ارادتى برفض ارادتك وانما هى ربوبية تولت عبودية وكن عبدمملوكا لاتقدر على شئ فتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لاتكاد تسمع من أحد من العالمين انتهى ❊ والحاصل أن المطلوب من العبد التزام الادب بالتلبس باوصاف العبودية فى جميع الاقوال والافعال والاحوال لكن للعبودية مقامات يترقى اليها السالك شيئا فشيئا فيطلب منه أولا أنه اذا أقامه الحق فى حالة مأذون فيها لا يطلب منه أن يخرجه منها ليستعمله فى غيرها لما يتضمنه ذلك من سوء الادب بالاختيار مع الله تعالى وعدم الرضا بقسمته ، ولما فيه من احتقار النعمة التى هو فيها والتطلع الى مافوقها فى اعتقاده وذلك مناف للعبودية ثم اذا رضى العبد بما أقامه الله فيه ينبغى له أن لا يقف بقلبه معها و يركن اليها ولا يتجاوز الحد فى استعظامها ولا يستحليها استحلاء يحبس قلبه عندها ولا تعجبه تلك الحالة اعجابا يصيرها له مقصدا أو معتمدا لان فى ذلك سوء أدب مع الله تعالى حيث اشتغل قلب العبد بغيره تعالى وانقطع بذلك الغير عنه سبحانه وتعالى ولما فيه من القناعة من الله وعدم طلب الزيادة من فضله فاحتقار المتوجه ماهو فيه تفريط ، والوقوف عنده افراط وكلاهما نقص والكمال الاعتراف بنعمة الله وفضله عليه وطلب الزيادة منه وليفرح بتلك النعمة لا من حيث ذاتها بل من حيث ذكره الله بها

﴿وليتأمل قول الشيخ أبى محمد سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه﴾ اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم انى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك ، فمراده بهذا أن لا يبتلى بشئ يسكن قلبه اليه و يغفل عن الله تعالى وغاية قصده أن يكون سكون قلبه الى الله تعالى

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه دخلت على شيخى الشيخ عبد السلام رضى الله عنه فقلت له كيف حالك فقال أشكو الى الله تعالى من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له كيف ذلك ؟ فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله تعالى ، وأصل هذا مأخوذ من حال المصطفى ﷺ ليلة الاسراء فانه رأى من آيات ربه الكبرى مالا يعد ولا يحصى ومع ذلك لم يلتفت الى شئ من ذلك ولم يشغله عن الله شاغل ولم يقف به دون كمال العبودية همه حتى خرق السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل سبق به الاولين والآخرين وهو فى كل ذلك قائم بكمال الادب ومن ثم أثنى الله تعالى عليه بقوله (مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وانما تريد همة السالك الوقوف عندما كشف لها من العلوم والاسرار لحلاوته وشدة حسنه وغرابته وعدم اعتياده فهو بمنزلة فقير مفلس ظفر بكنز عظيم فجأة لم يكن له به خبر ولا علم فلا يكيف مايتحصل له من الفرح والسرور وهذا تقريب والا فما يحصل للسالك أحلى وأعلى وألذ وأشهى

﴿وذلك أن لذة العلم والمعرفة لذة قلبية لا يوازيها غيرها ولا يقوم مقامها﴾ بل ذلك أيضا فى العلوم الظاهرية المأخوذة من الاوراق فكيف بالعلوم الوهبية والمعانى الذوقية

﴿قال الزمخشرى فى العلوم الظاهرية﴾

سهرى لتنقيح العلوم ألذ من ❊ لثم لغانية وطول عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة ❊ أشهى وأحلى من مدامة ساق

وألذمن نقر القتاة لدفها * نقرى لألقى الرمل عن أوراق

وحاصل الامر أن لذة العلم تابعة لشرف المعلوم ومولانا جل وعلا وصفاته أشرف المعلومات وأكملها وأنفعها وأعظمها فلذة معرفته ومطالعة جمال حضرته والنظر فى أسرار مكوناته ألذمن الملك الذى هو أعلى اللذات فلا تعلم نفس مقدار هذه اللذة ، فالسالك اذاذاق شيئا من هذه اللذة الحاصلة من المعرفة وأشرق عليه شئ من أنوارها وظهر له بعض أسرارها ربما يظن أن ذلك هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده ويتعشقه ويحبه أويرى أن مافوقه أعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى أن فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أويرى قصور همته عن الرقى لما فوقه فتناديه هواتف الحقيقة أى الهواتف التى تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ، أوأن المعنى يناديه لسان حال الحقيقة التى كشفت لهسره ، وجد فى السير ولاتقف فان الذى تطلبه وهو وصولك الى معرفة المولى وعدم ركون قلبك الى شئ سواه أمامك فلا تقف عندما كشف لك ولوأظهرت له ظواهر المكونات محاسنها كتسخير الخلق له واقبالهم عليه والتوسعة له فى الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشى على الماء والتربع فى الهواء والاطلاع على أسرار الخلق وحقائق الموجودات وتكثير القليل من الطعام وطى الارض ونحو ذلك مما تميل النفس اليه كل ذلك يقول له لسان حاله انما نحن فتنة أى ابتلاء واختبار فلا تكفر أى فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا ولاتجعل نفسك رقالنا فتحتجب بنا عن الله لان ذلك كفر لحق المنعم وشكر المنعم انما هو الاقبال على المنعم فالاعراض عنه بالوقوف مع النعم عكس المطلوب

﴿والحاصل﴾ أنه اذا أراد الله أن يأخذبيده يظهر له نوع قصورفيما هو فيه بظهورأكملية مافوقه فتنكشف له أكملية مافوقه وقصور ماهو فيه فتكون المقامات التى هى تخطبه تتبرج له وتستدعيه فيظهرله كماتقدم أن الرقيب انما هوالله تعالى لاالعبد فراقبه العبدوان كانت كمالا لمافيها من حفظ السر عن الغفلة فهو قصور بالنسبة لما فوق ذلك من جهة شهود العبد ذلك من نفسه وانه هو المراقب والمتحفظ عن الغفلة والا كمل أن يشهد ذلك من الله وانه هو الذى استعمله ودفعه اليه وهو الحافظ له فهنالك يدركه من الحياء مايحمله على التوبة مما ظن به وأنه قريب فيلتزم التوبة بالرعاية لقلبه أن لا يشهد ذلك منه بحال ثم تناديه الهواتف أن ذلك اشتغال بما هو وصف له وذلك حجاب عن المراد فتظهر له أوصافه فيستعيذ بالله و يأخذ فى الاستغفار والتوبة ويطلب الرجوع من أوصافه بالرجوع الى أوصاف مولاه * والحاصل أنه كان أولا يراقب سره من الغفلة ثم صار يراقب أن يشهد الحفظ منه وكان يتوب من حظوظ الأغيار وصفاتها ثم صار يتوب من حظوظ نفسه وصفاتها وتوبتها ويشهد أن ذلك هداية ومنة وفضل من الله تعالى ويتبرأ من حول نفسه وقوتها فينتقل عن شهود كونه عاملا وحاملا الى شهود كونه معمولا ومحمولا وصار يستغفر من شهود الحالة الاولى ويراها ذنبا وكان من أهل التبليغ فى الاحكام الشرعية فى القيام بها والعمل بمقتضاها فصار ثابتا من أهل التبليغ فى الاحكام القهرية والتعزز بها ، فظهر بهذا كله أن العبد مادام يشهد أوصاف نفسه فهو محجوب وعند تحقق الوصول تفنى أوصافه وتمحى نعوته فمن شهد وصف نفسه فهو محجوب بما يظن أنه كشف ومبعد بما يظن أنه قرب فلا يصل حتى يكون أمامه وراء وصباحه مساء فما دام بين جهاته وفى مضيق صفاته وتحت حجاب ذاته فهو بعيد لم يصل الى البغية وهواتف الحقائق

لاهل

لاهل الله ناطقة ولهم مفاوضة وهي انما تكون لمن سبقت له من الله عناية ومنّ عليه بنور الهداية فكل من كان الله معه بالعون والتولي كانت سائر الاكوان تناديه باسرها وتشرق عليه بأنوارها وتخبره بمنافعها ومضارها فلا يزال يترقى في مراتب الوجود ومنازل الشهود وهي تكسوه علوما وتمحنه فهوما حتى يخرج عن العوالم الكونية سالما من فتنها معافى من وبيل محنها و يلقى في يمّ التوحيد ولجة التفريد وفضاء تفرقة التعديد ، فمن وقف مع شئ دون الله فهو كافر أي ساتر بمعنى أنه ساتر وجود الحق بثبوت شئ معه وقد علمت أنه لا يثبت مع ظهوره شئ فاثبت شئ الا وقد ستر عنه وجود وحدانية الحق ومحاسن ظواهر المكونات التي تظهر للسائر الى الله تعالى ان كانت من زينة الدنيا ففتنتها ظاهرة جلية وان كانت من قبيل الدرجات الاخروية والاحوال السنية ففتنتها باطنة خفية فالوقوف مع زينة الدنيا غرور والتمسك بها قطيعة وان كانت من قبيل الدرجات والاحوال فالوقوف معها حجاب عن منازل الشهود والاقتراب فالنظر الى زينة الدنيا حال الضلال والجهال والنظر الى بهجة الاحوال والوقوف دون مراتب الكمال شأن من لم يؤهل للوصال ولم يطالع مشرقات كمال الجمال ومحروقات الجلال ولم يتجل لروحه مخدرات الحقائق من أفق مشارق شمس الاسرار ، فنسأل الله هداية وتوفيقا وصوابا وتحقيقا ﴿ فان قيل متى يصل السالك الى المطلوب ﴿ فقل باظهار كمال العبودية وذلك باسقاط وجوه الطلب فان ذلك هو حقيقة العبودية لان وجوه الطلب كلها مدخولة معلولة لا تتم معها العبودية ولذلك قالوا مادامت لك همة وارادة فأنت بعد في الطريق لم تصل ، فالوصول انما يكون باسقاط الادارة والطلب الاعلى وجه التعبد ، فالمريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه الى مولاه من الاعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشئ من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله والطلب امامنه سبحانه وتعالى أو من غيره واماله أولغيره والثاني والرابع بعيد عن حال السالك ، فالطلب منه مثاله أن يطلب منه أن يرزقه مثلا القوت الذي يعينه على السير وان يوسع عليه الرزق وذلك تهمة من العبد لمولاه اذلو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه شيئا فهو سبحانه وتعالى عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك فهلا قنعت بعلمه فان وقع منك طلب فليكن عبودية وامتثالا لامره حيث قال (ادعوني أستجب لكم) فمن جعل العبودية نصب عينيه في حركاته وسكناته فقد أوصله اليه وآوى الى حضرته وأعظم المنة عليه ، فظهر بهذا أنه لا منافاة بين المنع من الطلب و بين مشروعية الطلب اذ المنع انما هو من الغفلة عن اظهار العبودية وامتثال الامر والاذن والمشروعية عند استحضار العبودية والقيام بالامتثال فان الله شرع الدعاء ومدح أهله لان المأمور به منه هو ماقصد به اظهار التذلل والفاقة والعجز والاحتياج والاضطرار والقيام بالامتثال بالامر وقصد مناجاة الرب من غير أن ترى دعاءك موجبا لحصول ذلك الشئ دون القضاء الازلي ﴿ والحاصل ان الذي ينبغي للعبد التسليم لأقدار الله تعالى من غير معارضة بالطلب والدعاء لانه لابد من وقوع قضائه وقدره وهذا اذا دعا معولا على الدعاء ، أما اذا دعا امتثالا لأمر الله بالدعاء وتعاطي الاسباب واثقا بتقديره فهو غير معارض للاقدار بالدعاء بل عارض الاقدار بالاقدار

﴿ وهذا معنى قول سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ﴾ ليس الرجل من يسلم للاقدار انما الرجل من يعارض الاقدار بالاقدار لأنه ربما كان القضاء معلقا على عدم دعائه أو دعاء له فيرفع بالدعاء أو يحصل به فيكون عارض قدرا بقدر ﴿ قال ابن عطاء الله في الحكم لا يكن طلبك سببا الى

العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية والقيام بحقوق الربوبية والمعنى لا يكن طلبك منه على وجه أن ذلك الطلب هو الموجب لمطلوبك من غير استحضار أن الحكم الازلى هو الموجب فالمنهى عنه عدم استحضارك ذلك لانه مقتضى الغفلة لاعدم اعتقاده لانه اذا انتفى عنك الاعتقاد كان ذلك الانتفاء منافيا للايمان فالطلب منه بدون استحضار الحكم الازلى اتهام له فى وعده واستعجال لما ضمنه فذلك ذنب عند العارفين وقلة أدب عند الموحدين ولايخفى مافى ذلك من المناقضة لحال العبودية فلاينبغى للعبد أن يعرف سيده الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وذلك منك اتهام فى القسمة الازلية وضمانها أو فى القدرة على ايصالها بدون دعائك أو فى الاستغناء عن التنبيه والتذكير أو للاستعجال والاستبطاء وكل ذلك مناف للعبودية والذى تطلبه اما أن يكون نفعا أو دفعا وكل منهما صادر عن تجلى اسمه وظهور وصفه فكيف تطلبه رفع ماأنزله وهو لم يبرزه الا وقد قدر وقته ومحله وعينه وماهيته ووصفه ، فاحذر من الغفلة واحرص أن يكون طلبك لاظهار وصف ضعفك وتحقيق فقرك وتعلقا بقوته وغناه وامتثالا لأمره حيث ندبك الى دعائه لا كراهة وتبرما بالقضائه ، وكذلك دعاؤك لجلب منافعك وازال مصالحك كذلك لاينبغى أن تكون فى دعائك متحكما عليه بل تدعوه مع تفويض الخيرة اليه فيما هو الانفع لك من حصول غرضك أوعدمه واظهارا لفاقتك اليه وقلة حيلتك فى ايصال منافعك ومنال مآربك فليكن العبد فى دعائه مراعيا للادب فلا يكون الباعث له غير امتثال الامر لا لأغراضه فهو أعلم بوقت حصولها ، ففوض ذلك الى علمه وليكن أيضا اعترافا واظهار الفاقتك وتحقيق ضعفك وعدم حولك وقوتك وشهود وصفه ونفوذ قدرته وشمول حوله وقوته فتى كنت كذلك كنت عبدا مصيبا مهذبا أديبا ، واذا كنت تطلب منه ولا تطالب نفسك له كنت بالجهل موصوفا و بالحماقة معروفا وقد اتهمته فيما وعد واستبطأته فيما ضمن وذلك غاية الجهل بالله و بأوصافه ☆ واعلم أن من اشتغل بطلب الدنيا لقضاء حظوظ نفسه ابتلى بالذل فيها ☆ سأل شخص النبى ﷺ فقال دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ﷺ ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد عما فى أيدى الناس يحبك الناس ، واعلم يا أخى أن المقسوم لك من الدنيا لاينقص بترك طلبها وغير المقسوم لاينالك بطلبها فلم تعرض عن خدمة مولاك وتقبل على طلبها وقد قال لك مولاك (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) وقال تعالى (وما من دابة فى الارض الاعلى الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها) وقال تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) أى انقطع اليه انقطاعا كاملا فأى هم يبقى لك يا أخى فى طلب الدنيا وقد ضمن لك الرزق ورفع عنك مشقة الطلب فاجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك فارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك لاتقم فيه لنفسك ☆ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لوأقسمت على الله بالنبيين والصديقين أن ينقصك ذرة مما قسم لك مافعل فكيف وأنت تطلبه بلسان حالك وقالك ☆ وقال ابراهيم الخواص كل يوم أصبح تقول لى النفس ماذا تأكل اليوم ؟ فاقول لها آكل الموت فتقول ماذا تلبس ؟ فاقول الكفن فتقول ماذا تسكن ؟ فأقول القبر فتسكت حينئذ ، والمقسوم لها يصل اليهم أحبت أم كرهت ، ورحم الله القائل

مضى قلم القضاء بما يكون ☆ فسيان التحرك والسكون
جنون منك اذ تسعى لرزق ☆ ويرزق فى غشاوته الجنين

وقال

وقال آخر مثل الرزق الذى تطلبه ☆ مثل الظل الذى يمشى معك
انك لا تدركه متبعا ☆ واذا وليت عنه تبعك

جاء رجل الى الجنيد فقال له اطلب الرزق فقال ان علمت أين هو فاطلبه فقال له اسأل الله ذلك فقال ان علمت انه ينساك فاسأله فقال ادخل البيت وأغلق الباب فقال هذه تجربة والتجربة شك فقال ما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة فانظر يا أخى الى هذا الدواء النافع الذى أرشده اليه هذا العارف فان من خرج عن حوله وقوته دخل فى حول الله وقوته ، ومن دخل فى هذا الحصن ووصل الى هذه الجنة كيف يبقى له هم وطلب لشئ من الاشياء وفى الجنة ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ولذلك قال ﷺ لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة ☆ وقال ﷺ لاحول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أقل ذلك الهم فمن ظفر بكنز من كنوز الجنة وتداوى بما هو دواء من تسعة وتسعين داء كيف يبقى عنده مرض الطلب للدنيا وكيف لا ترتفع همته الى المراتب العلية

﴿وقال سيدى أبو العباس المرسى لكل قوم سبب وسببنا التقوى﴾ وأعلى مراتب التقوى التبرى من حول العبد وقوته والرجوع الى حول الله وقوته وأما الطلب له فمعناه ان يطلب العبد من مولاه القرب منه والوصول اليه وأن يزيل عنه الحجب حتى يشهده بعين بصيرته وذلك دليل على غيبة العبد عن مولاه فلو كان مستحضرا اقرب مولاه منه وحضوره معه لما طلبه ولو كان ذا كشف جلى وشهود قلبى لم ير لغيره وجودا ولم يظهر لغيره شهودا فكيف تطلبه و به قام وجودك وتحقق شهودك و بقيوميته قام الوجود بأجمعه فتى غاب حتى يصدق عليه الفقد فالعارف يطلب وجود نفسه ليقضى بوجودها حق معبودها واذا طلب وجود نفسه لم يجد هناك الا عبودية لمعبود فى صورة عبد قام لمعبود ، وأما الطلب لغيره سبحانه وتعالى من الاغراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها ومن المكاشفات والكرامات والاحوال والمقامات فهو لقلة حياء العبد من مولاه اذ لو حصل له حياء منه لما التفتت نفسه الى غيره ولا طلبت شيئا سواه وهو المالك لذلك الغير ولا أقل حياء ممن يطلب العبد و يعرض عن سيده وأيضا فان هذا السيد هو القادر على التمكين من ذلك الغير فمن ابتلى بطلب الغير بجعله واسطة فليطلبه على وجه يرضى سيده وحيث كان السيد هو الذى بيده ملكوت كل شئ كيف يؤثر غيره عليه وجميع المحاسن والمآرب والمطالب لديه فما من حسن الا ومجتناه من دوحة روض كماله وما من طريقة الا وهى صادرة من محاسن جماله فكيف لا تستحى منه أيها العبد وهو معك بجميل رأفته وعطفه ومحبته وعظيم رحمته وحفظه وكلاءته ومودته يرقبك حين تغفل عنك العيون و يحفظك و يسترك اذا ساءت فيك الظنون و يؤنسك اذا خلا عنك الانيس واستوحش منك الجليس فكيف تطلب غيره وهو يطلبك وترغب الى سواه وهو يقربك ماهذا الجفاء وقلة الوفاء أتطلب من اذا رأى لك عورة هتكها ولو كانت بيده نعمة عنك أمسكها ومع ذلك هو عاجز عن ايصال منافعه لنفسه وعن دفع مضاره وهو عن ايصال المنافع ودفع المضار عن غيره أعجز فكيف تطلب وتدعو من هو عنك غافل وتجم وجوده آفل أما يطرقك الحياء من الله انه يطلبك لحضرته ومحل رضوانه وشهوده فى فسيح جنانه وأنت شارد عنه شرود البعير عن أهله وتطلب ماليس ينفعك دونه وهو غافل عن دعائك فى صباحك ومسائك ومولاك يريد أن تكون من الخدام و ينزلك فى داره دار السلام و يحييك فيها بالسلام و يتحفك بلذيذ الكلام ، و يجعلك من أهل حضرته وخواص محبته فاذا علمت ذلك فجدير بك أن لا تطلب سواه فى أرضه وسماه والا نودى عليك بالملامة فى عرصات

القيامة حيث طلبت غيره

﴿يروى﴾ ان الجنيد كان جالسا فى المسجد مع أصحابه اذ أتته امرأة تخاصم زوجها اليه فقالت ياشيخ أنا زوجة هذا الرجل وقد تزوج علىّ امرأة غيرى ، فقال لها الشيخ يجوز له ثلاث غيرك فقالت له ياشيخ لو يجوز كشف وجه الأجنبية لكشفت لك عن وجهى فلو رأيتنى لحكمت بان مثلى لا يؤثر عليه فصاح الشيخ عند ذلك حتى غشى عليه لفهمه من كلامها أن من وجد الله لا يؤثر عليه غيره ، واما طلبك من غيره بان توجهت الى بعض الناس لتطلب منه شيئا من أعراض الدنيا غافلا فى حال الطلب عن مولاك فهو لوجود بعدك عنه فأدل شئ على بعدك عنه أن تطلب من غيره وهل لغيره من العطاء دون ماله حتى تطلب منه فكيف تطلب من غيره ماهو موجده وبيده خزائنه فهذا أبعد الحجب الظلمانية وأكشف الأغشيه القلبية وأقبح الحالات النفسية أن تنزل حوائجك بمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا فحيث أنزلت حاجتك بمن هو كذلك فجدير أن يخيب أملك وتوكل الى من يسلمك أحوج ماتكون اليه و يتبرأ منك وتفتضح بين الاشهاد وتمقت عند العارفين وتهان عند الموحدين وتنسى عند الذاكرين وفى الحديث من أنزل حاجته بغير الله لم تقض فلو أردت قضاءها اقصدت بابه وتعلقت بجنابه وابتهلت فى طلابه وقلت اللهم انى أنزل بك حاجتى وان قصر رأيى وضعف عملى فاسألك ياقاضى الامور وياشافى الصدور ، فمن نزل عن هذه الرتبة فقد انكفأ به صراط الاستقامة فى نار البعد عن الكرامة و يهان فى الاعيان عند القاصى والدان ، فلا يرى له حرمة و يستعبده الاخساء اللئام و يحتقر فى أعين الكرام فهو أضل من الانعام سبيلا وفى هذا المقام تظهر المعاصى والآثام القلبية كالنفاق وطرقه كالرياء والعجب والشح ونتائجه القلبية كالكذب والخلف للوعد والخيانة والفجور ولدادة الخصام وغير ذلك مما يطول تعداده من المعاصى الظاهرة والباطنة عافانا الله والمسلمين منها ، فاذا طلبت فاطلب من الله واذا استعنت فاستعن بالله وأهم ذلك ان تطلب منه ان ييسر عليك و يقيمك فيما هو طالبه منك من أداء حق العبودية والقيام بالحقوق ونسيان الحظوظ والله الموفق ☆ والحاصل ان الطلب من غير الله مذموم ان كان حال الطلب غافلا عن الله تعالى وأما ان كان مع حضور القلب ومشاهدة ان المعطى والمانع هو الله وان هذا المطلوب منه فى الظاهر انما هو سبب كبقية الأسباب العادية التى لا تأثير لها فلا ضرر فى ذلك ﴿يحكى﴾ ان شخصا تصدق على فقير وكان كل منهما من أهل الشهود فقال له خذ هذا لا لك أى لله فقال قبلته لا منك أى بل من الله فاياك أن تغفل عن شهود مولاك فلا تشهد الاعظيم نواله وعميم أفضاله ولا تقبل بقلبك الا الى حضرته والتزم دوام مراقبته ـ وما بكم من نعمة فمن الله ـ فلا استغناء للعبد عن مولاه فى لحظة من اللحظات لأن مولاه متصرف فيه أبدا فلا يليق به إلا الاستسلام وترك التدبير فما من نفس تبديه الا وله فيك قدر يمضيه من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية ، فينبغى لك الأدب معه ومراقبته فى كل نفس من أنفاسك فتكون فى كل نفس سالكا طريقا الى الحق سبحانه وتعالى وذلك من معانى قولهم الطرق الى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق فالأنفاس ظروف ورسل حاملة الى العبد من الله ما أودع فيها من أسرار قدره وأصناف غيره والرسول راجع الى مرسله امامكرما شاكرا لمن نزل به اذا أكرمه واحترمه واما غير شاكر اذا لم يكرمه وكرامة الأنفاس باستعمالها فيما خلقت له واحترامها صيانتها عن استعمالها فى قاذورات المعاصى ورذائل الشهوات ، فالواجب على العبد انه ان تجلى الله عليه بالنعم أن قابلها بالشكر أو بالطاعة فبشهود المنة والفضل أو بالبلية فبالصبر أو بالمعصية فبالتوبة والاستغفار فيبقى ذلك النفس حيا فى خزانة

عند

عندالله تعالى فى صورة نورانية و يعيده الله الى العبد يوم القيامة شاكراولفضله ذاكرا و يكون له من جملة الشفعاء عند الله تعالى فلا يهمل الانفاس الا الغافلون فاذا لم تكرم الانفاس وقتلتها بالغفلة وامتهنتها واستعملتها فى غير ما يحمد ترجع الى الله وهى لك ذامه وتعود عليك يوم القيامة حية أوعقربا أونارا أوظلمة أوغير ذلك من أصناف النكال فالانفاس اما أن تعود جوهرة لاقيمة لها لنفاستها وهوكل نفس أحياه بذكر الله تعالى أوعمل من أعمال الطاعة ، واما بعرة لاقيمة لها لخستها وهوكل نفس خرج مع غفلة ، واما حسرة لا آخر لها وهوكل نفس استعمله فى معصية قالوا وللانسان فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فماذا ترى فى حال من أضاع فى يومه وليلته أربعا وعشرين ألف جوهرة فلا يقوم بحق الأنفاس الا الاقطاب الذين كشف لهم عن مراد الله فيهم وبهم فى كل نفس فيتلقونها بالاكرام عبودية لله تعالى وهذا المقام هو الذى رجح به أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الامة لاستغراقه فى الله ☆ قال بعضهم ان نسمة من عارف توازى عمل الثقلين قال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) أى حذرهم يوم الحسرة وهو يوم يعود عليك ما أسلفته (اذقضى الامر) وهو الموت المحتوم والأجل المعلوم (وهم فى غفلة) عن الله تعالى وعن حقوق الله (وهم لا يؤمنون) بما وعد الله وأوعد ، فراقب الله فى كل أوقاتك ولا تترقب فراغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة لله فما هو مقيمك فيه ، فالأغيار الواردة على قلبك ظلمات أونور تحدث فيه وتحول بينك و بين شهود المولى والحضور معه ، فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه من مراقبة المولى فى ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أونور فانها قاطعة لك ، ووجه ذلك ان نفسك تسوّل لك وتقول لو كنت من أهل الارادة لما وردت هذه الاغيار على قلبك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذا الوسواس وربما سوّلت لك الرجوع عما أنت قاصده ولا يزيل الاغيار الا موالاة الاذكار وصافى الافكار وسبب هذه الاغيار غالبا مايرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لابد منه ☆ قال أبو حفص رضى الله عنه الفقير الصادق هو الذى يكون فى كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه و ينفيه ☆ وقال سهل بن عبدالله رضى الله عنه اذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدى حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا أصبحت فكذلك

﴿ وسئل سهل متى يستريح الفقير ﴾ قال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذى هو فيه ☆ وقال البغوى فى قوله تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ـ بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون فلا تستغرب وقوع الاكدار مادمت فى هذه الدار وانما جعلها الله لك كذلك تزهيدا لك فيها ☆ قال جعفر الصادق رضى الله عنه من طلب مالا يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك ؟ فقال الراحة فى الدنيا فينبغى للمريد الصادق أن لايلتفت لذلك و يجد فى السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحى عنه وجود الاغيار وتزول عنه الاكدار بمشاهدة العزيز الغفار ، وقد جعل الله لكل نبىّ عدوّا من المجرمين ليكون ذلك رفعا لدرجاتهم وكذلك الكاملون من المؤمنين لزيادة الصفاء لقلوبهم باقبالهم على الله تعالى عند حصول المزعجات من أعدائهم فيزدادون قربا الى الله تعالى فالدنيا وجميع أمورها بمنزلة اللعب الذى يتعاطاه الصبيان بمعنى أن جميع ذلك ليس فيه ما يعتمد فصاحبها راكن الى مالامحصول له وهى دار همّ وغم و بلاء وفتنة فليتلق المريد مايرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام

عندجريان القضاء ☆ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا ، وورود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك لامحالة يدعوه الى الزهادة فى الدنيا والتجافى عنها لان مآل أمرها الى الفناء والزوال بينما الشخص مع أهله و بنيه وحشمه وخدمه فى أطيب عيش وأحسن وقت اذاختطف من بين أيديهم أويختطفون هم من بين يديه واحدا واحدا واحدا أو ينزل به مايذهب بماله أو صحته أو قوته الى غير ذلك من التقلبات فيصير نهار دنياه ليلا ونورها ظلمة ومزحها غمة و بسطها قبضا وحسنها قبحا وسعتها ضيقا ، ولبعضهم

هى الدار دار الأذى والقذى ☆ ودار الفناء ودار الغير

ولو نلتها بحذافيرها ☆ لمت ولم تقض منها الوطر

أيا من يؤمل طول الحياة ☆ وطول الحياة عليه ضرر

اذا ما كبرت وبان الشباب ☆ فلاخيرفى العيش بعدالكبر

وفى الحلية لابى نعيم ، قال أبو حازم من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن على بلوى ☆ وقال أيضا مافى الدنيا شئ يسرك الاوقدألصق به شئ يسوؤك ولبعضهم

تطلب الراحة فى دار العنا ☆ خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال سيدى عبدالله الحداد رضى الله عنه طلب الراحة فى الدنيا محال

، وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة فى دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب ☆ وقال ابن مسعود رضى الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها فى سرور فهو ربح ☆ وقال الجنيد رضى الله عنه لست أستبشع مايرد علىّ من العالم لانى قد أصلت أصلا وهو ان الدنيا دار همّ وغمّ و بلاء وفتنة وأن العالم كله شر ، ومن حكمه أن يتلقانى بكل ماأكره فان تلقانى بكل ماأحب فهو فضل والا فالأصل هو الأوّل ☆ قال بعض الحكماء لولا أن الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج فى اللوزنيج فالله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ماسبق له و يوفى أجره فى الدار الآخرة قال تعالى ـ ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ـ وعمل كل أحد فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لامحالة يستدعى وجود محبوب أو مكروه بفعل أو ترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك أيضا فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهى لاتفى بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتنقلها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا كلية أغراضهم كما قيل فى المعنى

أرى أشقياء الناس لايسأمونها ☆ على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وان كانت تحب كأنها ☆ سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ماظهر منها الا ماهو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التى هى ذاتية لها ☆ وقال أبو تراب النخشبى رضى الله عنه ياأيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليست هى لكم تحبون النفس وهى لهواها وتحبون الروح والروح لله تعالى وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولاتجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة فالواجب على العبد أن

لايوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولايركن فيها الى مايقتضى فرحا وأنسا وأن يعمل على قول النبى ﷺ فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن فى دنياه يهون عليه مايلقاه ويجد السلوان عندفقد مايهواه كما قيل فى المعنى

يمثل ذو اللب فى لبه * شدائده قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا
وذوالجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد مايرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضا فعن قريب ان شاء الله ينجلى الامر ويستوجب من الله جزيل الاجر والله تعالى ولى التوفيق * قال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه ، قال لى أبو سليمان الدارانى رضى الله عنهما جوع قليل وعرى قليل وذل قليل وصبر قليل ,قد انقضت عنك أيام الدنيا والصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال تعالى (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) وقال عز من قائل (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وفى وصية رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكرهه خيرا كثيرا * واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر * وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو * وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة ، وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ماارتتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

فمن جعل الصبر معتمده فى نوازله واعتده من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب فى رأيه منجح فى سعيه ، ومن جزع عند المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضررا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا تصبك مصيبة فاصبرلها * عظمت مصيبة مبتلى لايصبر

وكما قيل أيضا

وعوضت أجرا من فقيد فلاتكن * فقيدك لايأتى وأجرك يذهب

ويكفيك فى وصف الدنيا قول الله عز وجل (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وانما جعل الله الدنيا محلا للاغيار كالامراض والمحن والبلايا ومعدنا للاكدار ليزهدك فيها لان

الموجب لرغبتك فيها انما هو ماتتوهم من حصول أغراضك ومطلوباتك فيها من غير تكدير ولاتنغيص وهولا يكون أبدا حتى لو فرض ذلك لكان اللائق بك الزهد فيها والرغبة عنها لان مآل أمرها الى الفناء والزوال ولشغلها اياك غالبا عن الله تعالى ✲ لايقال الزهد فيهايحصل بنصح الواعظ وتذكيره ✲ لانا نقول علم الله أنك لاتقبل النصح المجرد عن الامراض والبلايا والمحن لان النصح المجرد لايقبله الامن لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية ، أمامن كان كذلك فلابد فى قصد هدايته من زيادة على النصح والوعظ فذوقك من ذواقها أى مما شأنه أن يذاق فيها وهو تلك الامراض والبلايا والمحن مايسهل عليك فراقها فان العبد اذا نزل به شئ من ذلك يتمنى الموت ومفارقة الدنيا فهونعمة من الله عليه ، وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه فمن لم يقبل على الله تعالى بملاطفات الاحسان قيداليه بسلاسل الامتحان ، فالنفوس الكريمة تقبل على الله بملاطفات احسانه وموالاة افضاله ، وامتنانه والنفوس اللئيمة لاتنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب فى الاموال والابدان ✲ قال سيدى أبومدين رضى الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا أو كرها ، فالمقتضى لاقبال العبد على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجمعية القلب عليه أمران . الأول إيراد النعم عليه فيشكر الله عليها ويقبل على خدمته . والثانى انزال المصائب فى بدنه أو ماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا فى ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه وتعالى ، فمراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أوكرها وانما يصرفك عن التجافى عن الدنيا الغباوة والجهلة لاجل التمسك بالخيال وما به الضرر فى الحال والمآل لان الموجب للرغبة فيها انما هو مايتوهمه العبد فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الأشياء على حسب مايحبه ويهواه لكان ينبغى له أن يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل أمرها الى الفنا والزوال والانقضا والارتحال ، وقدقالوا شر لايدوم خير من خير لايدوم ، وقال الشاعر .

أشد الغم عندى فى سرور ✲ تيقن عنه صاحبه ارتحالا

أرى الدنيا على من كان فيها ✲ تدور فلا تديم عليه حالا

ثم هى مانعة له من سعادة الآخرة والقرب من الله عزوجل الذى هوغاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها لانواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والا كدار فما من أحد الا وهو فى كل حال ووقت غرض لاسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية ، فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة ، وهكذا شأن الدنيا أبدا فلا يفى مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر فى قوله

أن الليالى لم تحسن الى أحد ✲ الا أساءت اليه بعد احسان

وصدق أيضا فى قوله

ماقام خيرك يازمان بشدة ✲ أولى بنا ماقل منك وما كفى

زمن اذا أعطى استرد عطاءه ✲ واذا استقام بداله متحرفا

وقد

(وقد كتب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه الى سلمان الفارسى رضى الله عنه) انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسرّ ماتكون فيها أحذر ماتكون فيها فان صاحبها كلما اطمأنّ فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه

وقال بعض البلغاء دار الدنيا كأحلام المنام ، وسرورها كظلّ الغمام ، وأحداثها كصوائب السهام ، وشهواتها كشؤم السمام ، وفتنتها كالأمواج العمام ، وأنشد أبومنصور الثعالبى رحمه الله فى ذمّ الدنيا

تنحّ عن الدنيا فلا تخطبنها ☆ ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها ☆ ومكروهها ان ماتأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ☆ وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب ☆ شهىّ اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه ☆ ولكن له أسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم اليقين وتمكن من قلبه غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة ألبتة لانه إذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين ☆ قال أبو هاشم الزاهد رضى الله عنه ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها ، وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون ☆ وقيل أوحى الله الى الدنيا تضيق على أوليائى وترفهى وتوسعى على اعدائى ، تضيق على أوليائى حتى لا ينصرفوا بك عنى ، وتوسعى على أعدائى حتى يشتغلوا بك عنى فلا يتفرغوا لذكرى فالنصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حبّ العاجلة والانس بلذاتها الفانية ، وكان كريم الطبع سهل القياد ☆ وأما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب المقاد فلا بد فى قصد هدايته وإرشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود مايقهره ويجبره وليس ذلك الا ماتقدم لك ذكره من القود بسلاسل الامتحان ، فاعرف قدر النعمة واعمل بمقتضاها وسلم لربك فى حكمته وقدرته وحسن ظنك به ، ومن أعون الاسباب على حصول هذه الاحوال التى هى الرضا والتسليم الفناء عن أوصافك والتعلق بأوصافه سبحانه وتعالى فعند فنائك عن وصفك والتعلق بوصفه تستلذ البلاء وتستحليه لانك بوصفه لابوصفك فلا تستبعد ذلك كيف لا ؟ ودلال الحبيب أعظم لذة من اقباله كما يرى ذلك من ذاق هذا المشهد وتحقق بذلك المقصد وحكاياتهم فى ذلك تكاد تخرج عن الحصر ، ولذلك قال قائلهم

بلوى الحبيب الى المحبّ عطية ☆ ودلاله عطف ولطف يشمل
لن يلهى المشغوف نيل هدية ☆ تثنيه كلا والحبيب المقبل

أما الصبر فأحسن مايستعان به على احتمال البلاء بذكر ما أعدّ الله للصابرين من عظيم المدح وجزيل الحظ فى الآجل والثناء فى العاجل وتوطين القلب على نزول تلك المصائب قبل نزولها ويعطى صاحب هذا المقام الفناء فى الافعال والتحقق من التمكن فى الأحوال وانتظار اللطف من دقائق الأوقات ، ولله درّ القائل

من (١) كان تحت القضاء أمره ✲ فليس سوى الصبر الجميل يعينه
ان المصاب وان تشدد عسره ✲ يدافعه بالفور حقا يقينه

هذا فى المصائب الدنيوية ، وأما ان كان ذلك التكدر من قبيل الأحوال مما يعرض للسالكين فى طريقهم من العوائق عن مقصدهم ونيل مطالبهم وذلك لما ركب فيهم من الشهوات فيلحقهم به أنواع الغفلات ، فما داموا فى هذه الدار فما تنفك عنهم هذه الحالات ولو على الندور فى الأوقات ولكنها سائقة لهم الى الالتجا الى الله تعالى وذلك أشرف حالات العبودية ، والدنيا هى كل ماشطّ بك عن الطريق وتعوقت به عن الرفيق وأنى لك بالخلوص عنها مادمت مقيما فيها وكل ما كان فيها من لذة وصفو بطاعة وارتياح بروح ووصلة فمكدره خوف سلبه وعدم تحقيقه بكلية المقام على التمام لانه يتخلف عنه من التحقيق بقدر ما عليك من الأوصاف الطبيعية الترابية ، ولابد وان قل ذلك فحسبه ؟ واذا كان رسول الله ﷺ يطلب اللحوق بالرفيق الأعلى فماذاك الا ليستكمل مقام التحقيق ، وهو الكامل المكمل ﷺ فالرجوع الى الله فى جميع الاحوال هو الصواب

﴿ فما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك ﴾ فتبرأ من حولك وقوتك وفعلك ووصفك ، وتمسك بحول الله وقوته ينجح الله لك المطالب وييسر عليك الأسباب ويفتح لك مغلقات الأبواب فانك ما قمت فى شئ بحولك وقوتك معتمدا على علمك وعملك ملتفتا الى تدبيراتك الا وكلت الى ذلك ولم تنل بغيتك وخاب سعيك وبطل جهدك ، فأهمّ أحوال المريد الاستعانة بالله تعالى فى كل أمر وحال من فعل وترك ويكون نظره واعتماده وعونه واستمداده الى الله وبالله فاذا كان على ماذكرناه قابلته الألطاف وساعدته العناية ومن ساعدته أدرك من كل أمر مراده فالتوكل على الله نعت المؤمنين والاعتماد عليه وصف الموحدين ، فالمطالب لا تقضى بدون الاعتماد على الله ، وأعظمها تيسر طريق السلوك الى الله لجميع ما تقدم ذكره من هموم الدنيا وغمومها وتكدرها انما يهمّ العارفين منها كونها تشغلهم عن الله تعالى لا لذات الهموم والأكدار وتوطين النفس على الهموم والأكدار أصعب شئ على النفس ، وأشغل شئ للقلب وذلك من أعظم القواطع وأقوى الصوارف لكن ذلك بالنسبة لمن لم يتغلغل فى علوم المعرفة كالمريدين السائرين فى السلوك ، والدواء النافع فى ذلك هو صدق الالتجا الى الله تعالى والرجوع اليه والاعتماد عليه والاستعانة به واستحضار عجز النفس وأنها لاحول لها ولا قوة على التخلص من ذلك فانما يحصل الضيق والحرج لمن رام التخلص بنفسه لا لمن طلبه بربه فانه إما أن يصرف عنه وإما أن يعينه عليه حتى يسهل ويصغر فى نظره فلا يضره فى قلبه وأهل الصدق فى التعلق بالله لا تكدر فتن الوقت وأهوال الدنيا أنوارهم ولا تحط مقدارهم لانهم مع الموقت لا مع الوقت ومن كان مع الموقت لا يتغير بتغير الوقت ومن كان مع الوقت تغير بتغيره وتكدر بتكدره

قال الامام أبو عبد الله الترمذى رضى الله عنه ، الناس صنفان ، صنف منهم عمال الله يعبدونه على البرّ والتقوى فهم محتاجون الى خير الزمان وإقباله ودولة الحق لأن تأييدهم من ذلك ، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله عز وجل على وفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين الى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدباره وهم المرادون من قوله

(١) قوله من كان الخ كذا بالاصل ولا يخفى عدم اتزانه على من له أدنى إلمام بفن العروض اهـ

صلى

ﷺ إنّ لله عبادا يغذيهم برحمته ويحييهم فى عافية تمرّ بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرّهم ، ومن قوله ﷺ تكون فى أمّتى فتن لا ينجو منها الا من أحياه الله بالعلم ، قال الترمذى يعنى العلم بالله

﴿ قال بعض العارفين إنّ لله عبادا كلما اشتدت الظلمة فى الخلق اشتدّ نورهم ﴾ وقال آخر إنّ لله عبادا فى أوقات المحن والمحن لا تضرهم كالملائكة الموكلين بالنار والنار لا تضرهم ، فلا يهولنك ما فى الدنيا من الهموم والغموم والاكدار والمحن والمصائب المتتابعة بالليل والنهار ، ولا تقل كيف يتيسر الاقبال على الله والاشتغال بعبادته ، وكيف يتأتى سلوك الطريق الى حضرته مع هذه القواطع لأنك ان صدقت فى اللجأ الى الله تعالى كفاك جميع ذلك فانه ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فكن عبدا لمولاك يتولاك ولا يكلك الى نفسك ، وتأمل قول الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وتأمل قضايا انبياء الله عليهم الصلاة والسلام فى دوام تعلقهم بالله ولجئهم اليه واعتمادهم عليه عند نزول الاغيار بهم وهجوم الهموم والغموم عليهم وتكون لهم العاقبة ويحصل لهم الفرج والسلامة ✡ وانظر قضية سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث أوقدت له نار كان يسمع هولها على مسافة بعيدة ووضع فى كفة المنجنيق وألقى فيها ، فصارت عليه بردا وسلاما ، وقضية ذبح ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام فامتثل كل منهما أمر الله بالرضا ففداه الله بذبح عظيم وأعطاهما غاية القرب وأعظم الخصوصية ، وقضية سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام فى مفارقة أبويه والقائه فى الجبّ واسترقاقه بعد الحرية وابتلائه بمراودة امرأة العزيز له ، ثم ابتلائه بالسجن بضع سنين وهو مع ذلك كله ثابت القلب مع الله تعالى قائم له بالعبودية راض بحكمه فنجاه الله من ذلك كله ، وملكه مصر وأهلها وجمع شمله بأبويه ✡ وانظر قول أبيه يعقوب عليه السلام لما اشتدّ كربه بفقد يوسف وأخيه (عسى الله أن يأتينى بهم جميعا) ، وقضية سيدنا نوح عليه السلام مع قومه بعد شدة إيذائهم له وصبره على أذاهم أنجاه الله فى السفينة وأغرقهم ، وقضية سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وغير ذلك مما وقع لأنبياء الله تعالى وأصفيائه وخاصة خلقه ، ورحم الله القائل

أيها العبد كن لما لست ترجو ✡ من نجاح أرجى لما أنت راجى
إنّ موسى مضى ليقبس نارا ✡ من ضياء رآه والليل داجى
فأتى أهله وقد كلم الله ✡ وناجاه وهو خير مناجى
وكذا الكرب كلما اشتدّ بالعبد ✡ دنت منه ساعة الانفراج

وانظر أيضا ما وقع لنبينا ﷺ ولأصحابه من إيذاء قريش واستهزائهم به حتى ألجئوه الى الخروج من مكة ودخول الغار والهجرة ، وهو فى كل ذلك قائم بالعبودية ظاهرا وباطنا مستعينا عليهم بالله سبحانه وتعالى لا بنفسه ولا بحوله وقوته حتى أظهره الله عليهم وأظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وهذه سنة الله تعالى فيمن صدق فى الرجوع الى الله تعالى والاعتماد عليه فمن أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب اليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ، ومن سكن الى عقله وعلمه وعمله واعتمد على حوله وقوته وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب

وهذا عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي مآل أمرها الى الدين ، وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله أحق وأصوب وفي جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلا جرم كان من الرأي السديد والامر الأكيد تخصيص ذلك بمزيد اعتناء

﴿فمن علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات﴾ ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته ، فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرناه أفلح وأنجح في نهايته وفاز بوصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع ☆ قال بعض المشايخ مارجع من رجع الامن الطريق ولو وصلوا مارجعوا ومن لم يصحح ذلك بماذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء ، وقال بعضهم من ظن انه يصل الى الله تعالى بغيرالله قطع به ، ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته وإشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول في حضرته ، فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله تعالى على ماهو بسبيله لاعلى أعماله المعلولة ولا على حوله وقوته ، فهذا هوأساس السلوك الذي يبنى عليه قواعده ، ورحم الله القائل

فارجع الى الله فيما أنت طالبه ☆ تظفر بغايات أقصى السول والأمل

ولا ترى النفس في شئ تقابله ☆ واترك دعاويك في علم وفي عمل

قال بعض العارفين اشراق البداية بالفناء عن أفعالك وشهود فعله والتبرّي عن الحول والقوّة في كل فعل والاعتماد على حول الله وقوّته ، واشراق النهاية فناؤك عن وصفك بوصفه وذهاب ذاتك عند لوامع تجليات ذاته وفقد آنيتك عند توالى ظهور مشرقات جماله واحتراق أوصافك بتحرقات جلاله وذهابك وفقدك عند تجلى سلطان كماله ، فهذا وماشاكله من جملة اشراق النهايات ومباديها ، وأما كلياتها ونهاياتها فلم تف به العبارة ولم تومِ اليه الاشارة لقصر الافهام عن ذلك ، فالفناء عن الافعال هو اشراق البدايات والاشراق لا يكون الاعبارة عن النور الذي علمت فيما تقدم انه الوجود والظلمة هي العدم ، فما لم تشرق أنوار أفعال الله على ظلمة أفعالك بقيت رؤية أفعالك حجبا ظلمانية ، ومالم تشرق أوصافه على وجود أوصافك بقيت محجوبا بحجب كونه ☆ قال سيدى أبومدين رضى الله عنه من لم يستعن بالله على نفسه صرعته إذ عداوتها قوية وشهوتها سبعية وأنت محتاج الى مداراتها لانها مطيتك في الطريق فكيف حال من يكون السبع مطيته وكيف حيلة من صارت الوحشة طبيعته فليس له ملجأ ولا منجا الا مولاه ولايدفع عنه هذا العدوّ الا التحصن بحصن لااله إلاالله ولايظفر بزمامه ويقوده حيث شاء الابتقواه فان من أطاع الله أطاعه كل شئ ، وأول الاشياء نفسه وجوارحه فتوافقه النفس في الطاعات وتصير حينئذ مطيته الذلول وذلك عند أهل المعرفة أعظم الكرامات فلاتستغرب تسخير الوحوش البرية ولكن استغرب تسخير هذه النفس الأبية ، وليس الشأن ان تطوى لك المسافة البعيدة وانما الشأن ان تطوى لك أوصاف نفسك فتكون عند ربك فطلب العارفين من الله هذا المقام لاخرق العوائد المشغوف بها العوام ، فعليك بالتخلق بآداب المعاملات لعلك تصل الى منتهى الغايات فان من لم يقم بآداب أهل البدايات كيف يستقيم له دعوى مقام

أهل

أهل النهايات والطريق كله أدب فمن فارق الادب انفصل وحصل له العطب وكلما ازداد السالك كمالا وقربا ازداد عبودية وحبا وكلما صفت القلوب ازدادت الجوارح خدمة للمحبوب وتلذذا بالطاعات كما يتلذذ غيره بالشهوات وصفت له المعاملات وذهبت عنه المشقة وتخلص من الكدورات يحي الليالى الطوال بطول القنوت ويتلذذ فيها بذكر الحى الذى لا يموت مقتديا فى ذلك بمورثه الذى قام حتى تورمت منه الاقدام ، فقيل له كيف تفعل ذلك وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ أفلا أكون عبدا شكورا ، فدل كلامه ﷺ على ان الشكر هو القيام بآداب الخدمة وان الكامل من لزم طريق بدايته واستوفى الحرمة فلذلك لم يترك الجنيد رضى الله عنه ورده عند النزع ، فقيل له فى ذلك ، فقال ومن أولى بهذا منى فى هذا الوقت وهذه صحائفى تطوى ، فاذا عرفت ذلك فتفرغ للخدمة تكن من النساك وأعرض عن القواطع واجتهد فى عبادة من رزقك وأولاك ، قال ابن عطاء الله رضى الله عنه اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا

﴿ وأوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان ﴾ أحدهما مايتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال . والثانى مايتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود . فاما مايتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم الى قسمين . أحدهما ماوافق الامر ويسمى طاعة . والثانى ماخالفه ويسمى معصية . وأما مايتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا الى قسمين . أحدهما ماوافق الحقيقة ويسمى إيمانا وعلما . والثانى ماخالفها ويسمى نفاقا وجهلا . والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى فى الاصطلاح تفقها . والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى فى الاصطلاح تصوفا . فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله ﷺ حيث ، قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب واصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية وهي التى اتسم صاحبها بسمة النفاق والقسوة ، وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع ، وشأن الصوفى انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع المجاهدات فلا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية واخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا ، والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها

تسخره ويسلط عليها ، فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك وان أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن حظها وملائمها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت أن تقوى عليها فاضعفها بقطع أسبابها وحبس موادها والا قويت عليك فصرعتك فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذى رسموه له والتزم الوظائف التى أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التى تزينه بين العباد وينال بها من ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار جيدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لأمره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص فى فى عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه فى منعه وعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة واللطف والتأنى والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التى بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما الصوفية رضى الله عنهم بالتخلى والتحلى أى التخلى عن الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك : فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى فى القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هناك منزله ومثواه فيكون حينئذ لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك تفقد منه الصفات التى تنافى العبودية فيناديه الرب باسم العبد فيقول له يا عبدى فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يارب فيكون صادقا فى اجابته متحققا فى نسبته ويكون أيضا قريبا من حضرته لوجود بعده عن نفسه التى من شأنها النفور عنها والفرار منها فالاخذ فى الأعمال الظاهرة يسمى شريعة ودينا والاخذ فى الاعمال الباطنة وتصفيتها عن كدوراتها يسمى طريقة وتصوفا وعند صفية الاعمال الظاهرة والاحوال الباطنة والاخذ فى طريق المواهب والاحوال يسمى حقيقة ومشاهدة والغيبة عن الاحساس يسمى فناء واستغراقا والثبوت معه على الامر والنهى يسمى بقاء وصحوا فاذا فنى عن الاوصاف البشرية فقد صفا عن مناقضات العبودية واذا صفت العبودية توالت عليه ألطاف الربوبية واذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا فى الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملأ الاعلى قال تعالى ـ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون . ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون . لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ فرتبة العبودية أنالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم فى محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون لأن المعصوم لا يلم بذنب ألبتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون منه فى الندرة زلات لكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله تعالى من قريب وقد وصف الله عباده ذوى التخصيص فى آيات كريمة منها قوله تعالى ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ـ الى قوله تعالى ـ حسنت مستقرا ومقاما ـ وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو احظوظهم الدنيوية قال تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ـ وقال النبى ﷺ

تعس عبدالدرهم وتعس عبدالدينار وهؤلاء من عبيد العدد المعنيين بقوله تعالى - ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا - واعلم أنه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لايزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والاوقع فى المعاصى والذنوب من حيث لايشعر

﴿ وقد تقدم عن الحكم أن أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ﴾ وان أصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ☆ وأوصاف النفس الذميمة كثيرة العموم واسعة الشعب والتفاريع غير منحصرة فى الانواع والتقاسيم ويجمعها كلها أصل واحد وهو الرضا عن النفس فهو أصل فروعها ومنشأ شعبها ، ومنه يتوصل الى مالا ينحصر من وجوهها فان سعيت فى قطع هذا الاصل نجوت من الجميع فيسهل عليك العلاج وينضبط طريقه لأن من رضى عن نفسه أحب الدنيا لان رضاه عن نفسه يستدعى شفقته عليها وتعظيمه لشأنها فيدعوه ذلك الى السعى فى المأكل الذى يناسبها والملبس الذى تستحسنه والمسكن الذى يليق بها والذخائر والنفائس التى تشتهيها وتعلق بها وناهيك بما يترتب على حب الدنيا من المفاسد التى تستدعى تضييع الحدود والتقلب فى الحرام والاستهانة بالأوامر والنواهى ، ومن رضى عن نفسه تكبر واحتقر عباد الله فى نظره ، ومن رضى عنها رأى قبيحها حسنا وأخذ فى تأويل أحوالها وأفعالها ويتعصب لرأيه ومذهبه « وحبك الشئ يعمى ويصم » ومن رأى القبيح حسنا انغلق عنه باب التوبة اذ لايرى نقصها حتى يتوب عنه فيعد على الله السيآت حسنات والمعاصى قربات وهذه الطامة الكبرى والداهية الدهيا ، فنسأل الله السلامة والعافية ، ومن رضى عن نفسه تسخط الشئ وحرج صدره وساء خلقه عند نزول المصائب به لأنه لا يرى نفسه أهلا لذلك بل لضده ، ومن رضى عنها أحب المدح والثناء والرياسة والجاه وتجبر وسعى فى ايذاء من لم يبادر لخدمته وتعظيمه ، ومن رضى عنها استكثر أعمالها واستعظمها فأعجب بذلك ، ومن رضى عنها حسد المنعم عليهم من الله تعالى لاعتقاده انه هو الأهل لذلك وأنه لاينبغى أن يكون أحد فوقه وبعد ذلك يحصل له الحقد وسوء الظن والعداوة وارادة الشماتة ، ومن رضى عنها يدخله الرياء فى علمه وعمله ويحب حصول المنزلة فى القلوب وقل أن يصدر منه علم أو عمل الا مصحوبا بقصد مايناسب عظمة نفسه عنده من مقاصد السوء ، وعز فى حقه الاخلاص فيطلب مرضاة الخلق ويترك مرضاة الله ، ومن رضى عنها استخفى من الناس خشية أن يطلعوا على معصيته فيسقط من أعينهم ولم يبال باطلاع الله تعالى عليه فلايستحى منه ، ومن رضى عنها لم يحضر قلبه فى صلاة ولا فى دعاء ولافى قراءة لاشتغاله بمهماتها وامعانه النظر فيما يرضاها فيصرفه ذلك عن باب رحمة الله تعالى ، ومن رضى عنها لم يبذل المال فى وجوه البر الا لما يعود عليها من المدحة وعلو المنزلة والمقابلة بما هو أنفع له فيخرج بذلك عن البر ومن رضى عنها كثرت حوائجها عليه فتمتد أطماعه الى الخلق ويلتمس الرزق من غير الرزاق ويداهنهم فى دينه ويمدح من لايستحق المدح ويذم من لايستحق الذم ويستحسن من أهل القدرة والوجاهة فى الدنيا مالا يستحسن ويستهجن من أهل الخير والدين مالا يستهجن ويتواضع للاغنياء ويزدرى بالفقراء ومن رضى عنها عظمها وقلدها فيما يرضيها فيختل عقله

ويفسد نظره ويتصور الباطل حقا والحق باطلا فيرى انه من الصالحين وذوى الدين وهو فى نفس الامر من أفسق الفاسقين وأعصى العاصين ويرى انه من أولى الرأى والحزم والعقل وهو من أحق الحمقاء وأجهل الجاهلين ، ومن رضى عنها تكلف فى بذل المجهود وفى تطريز مجلس علمه ان كان ينسب الى العلماء ويطمع فى أخذهم عنه ويستحسن قوله ويثنى على فهمه وادراكه ويستغرب حفظه وتحصيله ولا يحب الاعتراض عليه والتعييب لشئ مما يصدر منه ولا يحب أن ينسب الى قصور فينتصر لرأيه ، وقوله بما لا يعلم حقيقته ويتكلم فيما لا يحسنه ويغار من ظهور الحق على يد غيره الى غير ذلك ، ومن رضى عنها لم يرض بسؤال أهل الذكر ولم يذعن لأخذ العلم عن أهله ولم يحضر محافل الناس ومجالسهم عند التذكير والاستفادة ويرى أن قدره أعظم من أن يكون تابعا وانما يستحق أن يكون متبوعا فيبقى جاهلا * والحاصل أن الاخلاق المذمومة كلها تندرج فى غلبة الشهوة والغفلة ، وأصل ذلك الرضا عن النفس فذلك أصل فروعه أصناف المخالفات وثمرتها جزئيات المعاصى فنفسك شر أعدائك وهى القائدة الى هلاكك لايصل اليك شيطان الا بشهواتها ولا تقتحم معصية الا بحملها فهى كهف الظلمة وموطن الغفلة وأرض الشهرة وخزانة الجهل ومعدن الكسل فهى للشيطان خدن وللهلاك عون * وقد تقدم كثير من كلام العارفين مما يتعلق بالنفس فليكن منك على بال ، وأكثر من يرضى عن نفسه ويستحسن أحوالها من انتمى الى حالة مما يترفع به كعلم أو نسب أوحسب ظاهر جلى أو باطن خفى ، فقل من قام به شئ من ذلك أن يخلو عن الرضا عن النفس ولو فى بعض الاحوال الا من حفظ الله سره وحفه بالعناية فلا يغتر بذلك ، وصحبة المغرور بن غرور لان للصحبة أثرا ظاهرا فلأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لايرضى عن نفسه * والحاصل أن السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك ويحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ، ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق تعالى أقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسى محال على الله تعالى فلولا الشهوات التى تخوض فيها النفوس وتتعشقها ماتصور سير ولا سلوك الى حضرة ملك الملوك فالبعد الذى يوجب السير الى المحبوب وسلوك الطريق الموصول اليه قائم بك . أيها العبد وهو شهواتك ولو عدمت منك لم تحتج الى سير ولا سلوك ، فالنفس هى الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى وبمجاهدتها وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله تعالى * قال بعض العارفين ما الحياة الا فى الموت أى ما حياة القلب الا فى إماتة النفس فالنعمة العظمى الخروج عن النفس لان النفس أعظم حجاب بينك وبينك الله تعالى

﴿ قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه من لم يمت لم ير الحق ﴾ وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لاتدخل على الله الا من بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعى ومن باب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة يعنى فناء صفات النفس ، ومرجع جميع ذلك كله الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لاغير ، والى هذه المعانى أشار ابن عطاء الله رضى الله عنه فى الحكم بقوله لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين إذلا مسافة بينك وبينه حتى تطوى بها رحلتك ولا قطعة بينك

و بينه حتى تمحوها وصلتك فميادين النفوس هي شهواتها وعاداتها ومألوفاتها الشبيهة بالميادين الحقيقية وهي مواضع مرتكض الخيل ☆ قال سهل بن عبدالله رضي الله عنه للنفس سرّ ماظهر ذلك السر على أحد من خلقه الاعلى فرعون فقال أنا ربكم الأعلى ، ولها سبعة حجب أرضيه وسبعة سماوية فكلما يدفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب الى العرش يعني اذا خالفها وفارقها ، وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في أن يعينه و يقويه على أمر نفسه و يسهل عليه طريق سلوكه و يستعمل هذا في كل حال ووقت وليجعله عمدته وسبيله فانه ماتوقف مطلب أنت طالبه بربك . قال بعض العارفين ، لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس بالله تعالى ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة ، في ظاهره و باطنه والتزام آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لامحالة حكما مخصوصا يقوم بحقه ، وذلك مختلف باختلاف أحوال الناس فحركات العبد وسكناته هي أعماله الظاهرة ومقصوده وهمه وارادته هي أعماله الباطنة ، وكل واحد من القسمين ينبغي أن يأخذ منه بعزائم الامور و يجتنب الرخص التي هي من شأن العامة فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر الى فعله ولايتوان عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له وكذا ماكان مندوبا و يقدم الأهم فالأهم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير افراط ولاتفريط ولاغلو ولاتقصير ، وقد قال رسول الله ﷺ تكلفوا من العمل ماتطيقون فان الله تعالى لايمل حتى تملوا ، وان أفضل العمل أدومه وان قل ، وقال ﷺ ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا وقال العارفون قليل من العمل مع رؤية المنة لله خير من كثير منه مع رؤية التقصير ، وان كان ذلك العمل الظاهر حراما فليبادر الى تركه واجتنابه ، وليقطع عن نفسه جميع أسبابه و يلتحق بذلك ماكان مكروها وان كان مباحا فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه وليقف على حدود الضرورة منه وليجتهد أن تكون له نية صالحة في ذلك حتى يصير المباح طاعة وكثير من الناس يكون سبب استعمالهم لبعض المباحات مراعاة نظر الخلق والجرى على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة النفس في مثل هذا عسيرة جدا لاسيما على من ابتلا بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق في ولاية حكم أونشر علم أوغير ذلك فانها أشد علاقة بالقلب وأضرها بالمريد فيجب عليه أن يعتنى بذلك و يبالغ في تطهير ظاهره و باطنه منه مما يتعاطاه من أعمال وأحوال و يتعين عليه أن يمنع حواسه و يكف جوارحه عن التطلع والجولان في مظان وجدان شهواته وسيء عاداته فلايجامعها ولايتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضركما قيل

ان السلامة من سلمى وجارتها ☆ أن لاتمرّ على حال بواديها

فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان ، قد يتحرك مثلا في طلب الخير أولعمل من أعمال البر فيتفق أن يقع بصره على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته و يظلم قلبه و يختل عليه في لحظة ما كابد أمره في سنة مثلا ، وكذلك سائر حواسه ، وقد شبه العلماء رضي الله عنهم ، النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف فيها في حاجته ، وكانت دابة جموحا صعبة الرأس فجاز بها المستعير في بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه لامحالة يحتاج الى صرف عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا

حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه ، وقد يكون عليه فى ذلك تعب ومؤنة ، وسبب ذلك انما هو حضوره بها على دار مولاها الذى ألفته واعتادته ولولم يمر بها عليه اسلم ولم يحتج الى معاناة ولامكابدة فان تغافل عنها حتى أدخلت يديها فى عتبة الباب واستمكنت منها ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت رأسه وآلته ، وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس . قال

فالنفس ان أعطيتها هواها * فاغرة نحو هواها فاها

فلذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذذاك تكون ساكنة هادئة ، قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها و بمداومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة ماهو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شئ مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من أجل ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة وأنى له مع ذلك تلافى مافاته ، وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته ، قالوا والفرق بينهما أن الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل ، وكل مريد وقف فى ابتداء ارادته لايجىء منه شئ فبدايات الامور هى التى يجب أن يراعيها المريد والله ولى التوفيق والتسديد ، ولا بد له من تحصيل مايحتاج اليه من الامور الشرعية على ماينبغى ، هذا مايتعلق بالعمل الظاهر ، وأما عمل الباطن فيرجع حاصله الى أمر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عزوجل باعتقاد العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه ولايقصد بعبادته ورياضته ومجاهدته التوصل الى شئ من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الاجابة فان ذلك فتنة و بلية قاطعة عليه طريق العبودية ، قال أبوعثمان المغربى رضى الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة أو بلية * وقال الشيخ أبو عبدالله القرشى رضى الله عنه من عمل ليجد أو يرى لم يفتح له بشئ حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية * وقال صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا فى دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان ، وامتلأ من الغرور والمحال وظن أنه حصل على حسن الحال ، قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة فى جمع الهم لها تأثير فى صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج صفاء تنوير القلب والزهد فى الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك ، وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء فى النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون ، وكلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله تعالى ولايزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر ، وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون و يظن أنه ، قد فاز بالمقصود من الخلوة ولم يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هى المقصودة من الخلوة لقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وأنت

طالبه بالكرامة ، وقد يفتح على الصادقين بشئ من خرق العادات وصدق الفراسة وتبين ماسيحدث في المستقبل ، وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة ومايفتح من ذلك على الصادقين ، يصير سبب انتفاعهم والداعى لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الجيدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا نزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ﷺ ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال ، وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلام عوارف المعارف وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق ، فبمداومة العبد على مثل هذه الاسباب مع مشاهدته التوفيق من ربه يحصل له التأييد والمزيد وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات ، وتستنير سريرته بانوار المكاشفات والملاطفات

﴿ وقد عبر الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ، عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة ﴾ فقال قتل النفس في الحقيقة التبرى من حولها وقوتها أو شهود شئ منها ورد دواعيها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وانمحاء آثار بشر يتها عنها فأما بقاء الرسوم والهيا كل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس المفضى الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدى كل سالك ومريد ولابد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم المريد نفسه اليه وليلتزم طاعته والانقياد اليه في كل مايشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، وقد قال أبو على الثقفى رضى الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ، ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات ✲ وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدبين أفسد من يتبعه

وقال ابن عطاء الله انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ماأودعه من الخصوصية لديه ، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته . فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد ، ويعرفك برعونات نفسك في كائنها ودقائقها ، ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ، ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك ، فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب عنها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه ، والدوام على ممر الساعات بين يديه ، قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه أمن (يجيب المضطر اذا دعاه) وقال سبحانه (فلو صدقوا

الله لكان خيرا لهم) فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الأمن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الأم لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى كلام لطائف المنن ، وفى كلامه تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد الصادق اذا صدق فى ارادته وبذل فى مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ماقد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله لاستعمال الآداب معه لما أشهده من علي مرتبته ورفيع درجته

﴿قال سيدى أبومدين رضى الله عنه﴾ الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه ، وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن : وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذى أثرت فيك اشارته ، وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك بقاله انما شيخك الذى نهض بك حاله ، شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى انجلت فيه أنوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولازال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزج بك فى أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك انتهى . وذكر العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن علان الصديقى فى شرحه على حكم الشيخ أبى مدين أن السالك اذا لم يظفر باحد من الاولياء يتمسك بكلامهم فان من طالع كلامهم ولم يكن رجلا يصير رجلا فان كان رجلا يصير فتى فعليك بتتبع كلامهم والاقتداء بآثارهم اه وقد تقدم عن كثير من العارفين أن بعض الناس يكون وصوله الى الله تعالى بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم و بعضهم بواسطة إلهام من الله تعالى و بعضهم بالصلاة بكثرة على النبى صلى الله عليه وسلم فانه اذا فقد الاشياخ المربون تقوم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقام الشيخ فى التربية ☆ وأما آداب المريد مع الشيخ فمذكورة فى كتب الائمة الصوفية ، من ذلك ماذكره الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه قال : فشروط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه لم يشم رائحة الصدق ، فان برز منه شئ ذلك فعليه سرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى مافيه كفارة جرمه و يلتزم فى الغرامة مايحكم به عليه ، فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم ما يكون جبر التقصيرهم اه ☆ وقال الشيخ أبو العباس البونى رحمه الله إياك أن تحقر فعلا يخطر لك أن لا تلقيه الى الشيخ طاعة كان أو معصية على أى نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة فى ساعة واختلفت اليه ألف ساعة فى الخاطر ليعلمك الدواء الذى تزعجه به أو يحمله عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذا من أصحاب شيخنا الامام تاج العارفين أبى محمد عبد العزيز بن أبى بكر القرشى المهدوى رحمه الله وكنت جالسا عنده فدخل عليه فقير . وفى يديه باقلاة فقال له : ياسيدى انى وجدت هذه الباقلاة فكيف أصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت ياسيدى حتى الباقلاة يعلم بها قال : ياولدى لو خالفنى فى لحظة من خطراته لم يفلح أبدا فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع

مألوفاتها الدنيئة وعادتها الرديئة وزال عنها النفور والاستكبار ، ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت أعمالها وصفت أحوالها ، وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما ألفت سوى هذه لمرض أصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والأنس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ماخلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها وافادتها ، فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي فالفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لأن يقال لها (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

﴿قال الشيخ العارف بالله أبو محمد عبدالعزيز المهدوي رضي الله عنه﴾ : النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوء ولم يبق بينها و بين السوء نسبة وكانت مباديها في اكتساب الايمان والرضا المكتسب لها صفت وتطهرت من جميع المخلوقات وزال عنها الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت للواهب والرضا الوضعي الوهبي الذي قال الله فيه (رضي الله عنهم ورضوا عنه) فدخلت في رضا الله المطلوب للموهوب ، وفي عباده وجنته لافي جنتها بوصف كسبها وأعمالها اه . وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الجيد أن تستوى عنده الاحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجه به من قبح الافعال والأقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال * قال أبو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل ، وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطشت طول مرضه فنفرت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك الله * وحكى عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال ماسررت في الاسلام الامرات معدودات : كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا في معركة اترك ساجدا فقلت هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن عنده في ذلك المركب أحد أصغر مني ولا أحقر فسررت بذلك ، وكان يوم آخر كنت جالسا فكان فجاء انسان فصفعني من غير سبب ، ويوم آخر كنت جالسا فجاء انسان وبال علي ، وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي أصحابه و يواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله ، فقيل له هذا خلاف ما كنت تأمرنا به فقال ماحمدت الله شماتة بموته بل حمدت الله اذلم أسر بنكبته ، هذا وأشباهه من أحوالهم معلوم ضرورة وأبلغ من هذا كله محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء المولى ، قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حال يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرت قدسه ، وكان كما قال الشاعر

لك الدهر طوع والانام عبيد * فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدى أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدالك سرطال عنك ا كتتامه ✲ ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سرغيبه ✲ ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ✲ على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لايمل سماعه ✲ شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ✲ وزال عن القلب المعنى غرامه

وأنشدوا فى معناه أيضا رضى الله عنهم

قولى لآمالى الا فابعدى ✲ قد أنجز الاحباب لى موعدى
قد كنت قبل اليوم مستأنسا ✲ عنك بخل مشفق مسعدى
اذا نسيم الوصل من نحوهم ✲ هب فلى عندك ظلى ندى
وحيث لاحت لى أعلامهم ✲ فليس لى فقر الى مرشدى

وان لم يجدهما فى نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهدته ولا يغتر بما قد يتراءى له من سنى حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد؟ وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزاء بالخشن والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصور ارادته وترك الالتفات الى مايحمد منها ومايذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط فى ذلك طوائف من الناس حملوا عليه فى رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأداهم ذلك الى اختلال عقولهم وانحلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة ✲ وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الامة ✲ واعلم أن مبنى الطريق والسلوك على الخروج من النفس وشهواتها وقطع اختياراتها وتدبيراتها فانها أشد الحجب كما قال ذوالنون رضى الله عنه لما سئل ما أشد الحجاب وأخفاه؟ قال رؤية النفس وتدبيرها والخروج عنها يكون بترك الاختيارات والارادات والتدبيرات ✲ وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه ماوصل الى صريح الحرية من عليه من نفسه بقية ✲ وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لاتختر من أمرك شيئا واختر أن لاتختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) ✲ وقال رضى الله عنه ان كان ولابد أن تدبر فدبر أن لاتدبر ✲ وقال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه لاتختر مع الله شيئا ولا تدبر مع تدبيره ولاتتخير عليه ولاتنص على جهة وسبب فى رزقه ولاتعترض عليه فى حكمه فى خلقه بل تسلم الكل اليه وتستسلم بين يديه وتصير بين يدى قدرته كالطفل الرضيع بين يدى ظئره ودايته ، والميت بين يدى غاسله مسلوبا اختياره منزوعا ارادته فالنجاة كل النجاة فى ذلك ، فاذا فعلت ذلك وصلت الى صريح الحرية وصرت عند مولاك وحزت مقام التوكل ، وكان الله حسبك وكافيك وناصرك كما قال تعالى (ومن يتوكل على فهو حسبه) وانغمرت فى بحر الرضا وسرت فى سفن التفويض وزفت اليك المطالب كما تزف العروس

ياأيها الراضى الأحكامنا ✲ لابد أن تحمد عقبى الرضا
فوض الينا وابق مستسلما ✲ فالراحة العظمى لمن فوضا
لاينعم المرء بمحبوبه ✲ حتى يرى الخيرة فيما قضى
والله عودك (١) الجميل ✲ فقس على ماقد مضى

(١) قوله والله عودك الخ مخالف للميزان الاول فلينظر

فيامن تحلى بهذه الاذواق وارتشف من حي هؤلاء العشاق قد آن لك أن تترشح لنفحات المعارف وتستفيد من مولاك في اليقظة والمنام تلك اللطائف * قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه من عرف الله استفاد منه في اليقظة والمنام ، استفادمنه في اليقظة بالالهام وبالرؤية في المنام ، فان الرؤية الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام ، فاخرج من أوصافك البشرية تظفر بشئ من المعارف الالهية ، و باين الاكوان تدخل من مقام الاحسان وتستفت قلبك حينئذ وان أفتاك المفتون . روى أن جماعة من السادة الصوفية رماهم بعض المبغضين لهم بالزندقة وسعى بهم الى الخليفة فجيء بهم لتضرب أعناقهم وكان فيهم أبو الحسين النورى رضى الله عنه فتقدم قبل أصحابه للسياف فقال له تعرف لم تقدم ؟ فقال نعم للقتل فافعل ما أمرت به ، وكان القاضى حاضرا فى ذلك الجمع فتعجب ثم طلب النورى عنده وألقى عليه مسائل غريبة من الفقه فنظر النورى الى يساره ثم الى يمينه ثم الى صدره ، فأجاب عن كل ماسئل عنه بأجوبة بديعة فسأله القاضى عن الحكمة فى نظره المذكور ثم أجابته بعد ذلك ، فقال لما ألقيت على المسائل لم يكن عندى جوابها فسألت الملك الشمالى فلم يكن عنده علم بذلك فسألت الملك اليمينى فلم يكن عنده علم أيضا ، فسألت قلبى فأفتانى قلبى عن ربى فقال القاضى حينئذ ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم وأذعن بعلو مرتبتهم وأكرمهم غاية الاكرام ، فلا تستغرب مثل هذا الامر من قلوب انجلت مرآتها من صدى الاغيار ، ولم يبق فيها الا ذكر العزيز الغفار ، فرّغ قلبك أيها السالك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار ولا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال.

خلص القلب ان أردت لقانا * والزم الفقر ان أردت غنانا

لا تعرج على سوانا بوجه * واترك الكل ان أردت علانا

والزم الباب بكرة وأصيلا * واهجر النوم واعتكف بحمانا

فيامن يطلب هذه الفضائل لازم الباب فى البكور والا صائل تذق حلاوة المناجاة ويزل عنك النوم وتذهب الغفلات فان من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم كما قيل

حرام على عينى لذيذ منامها * اذا كان من أهواه ليس بنام

﴿فأيقظ نفسك أيها السالك فى الدياجى واغتنم مسامرة ملك الملوك وناجى﴾ واستمع ماقاله صلى الله عليه وسلم فى التشويق لاحياء الثلث الاخير من الليل ينزل ربنا الى سماء الدنيا فى الثلث الاخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه قال بعض العارفين والمراد من النزول الى سماء الدنيا تجلى الله على قلوب العارفين بالانوار والاسرار فمثل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بملك برز وظهر لرعيته وسألهم أن يرفعوا حوائجهم اليه ولله المثل الاعلى فياراقدا فى غفلاته كيف يطيب لك المنام وانت تسمع مثل هذا الكنز من سيد الانام ، واسمع ماقال بعض الائمة الاعلام

اذا هجع النوام أسبلت دمعتى * وأنشدت بيتا هو من أحسن الشعر

أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فاغتنم الاوقات ولا تضيع مابينك و بين مولاك فتبوء بالخسران فان من ضيع مابينه و بين الله فهو

جاهل ومن قصر عنــه فهو عاجز غافل ، أى من قصر فى المعاملات القلبية والخدمة القالبية فهو جاهل بالمقصود من خلقــه اذلم يخلقه سـبحانه وتعالى الا لعبادته كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الاليعبدون) فمن جهل معنى هذه الآية بأن لم يعمل بمقتضاها فقد ضيع مابينه و بين الله تعالى و باء بالحسرة يوم القيامة ومن قصر عنــه بأن لم يخلصها فى الاعمـال ولم يزكها بطهارتها من الشرك فى الافعال والاقوال فهو عاجز قاصر عن منال منازل الرجال منحط فى أرض طبيعته خاسر فى العاجل والمآل فأصلح مابينك وبين مولاك تظفر بالسعادة الأبدية وتـكن من أعظم النساك ، قال ذوالنون رضى الله عنه : كان السلف رضى الله عنهم يتواصون بثلاثة وصايا . الاولى من أصلح مابينــه و بين الله تعالى أصلح الله مابينــه و بين الناس . الثانية من أصلح سريرته أصلح الله علانيته . الثالثـة من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ، قال بعض العارفين اذا أصبح الناس فهم أقسام ثلاثة فأرباب الاموال ينظرون الى أموالهم هل زادت أونقصت ، وأرباب الاعمـال ينظرون الى أعمالهم وأرباب القلوب ينظرون الى قلوبهم هل هى معمورة بمولاهم أوهى خاوية فلاتنظر فى كل صباح الا الى مانظر اليه هؤلاء العارفون من أهل الفلاح ، وماأحسن ماقيل

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم مــنى للجليس مؤانس * وحبيب قلــبى فى الفؤاد أنيسى

فلا تجعـل أنيس قلبك الا مولاك ، ولا تقصد فى حضرك وسـفرك الا من غمرتك نعمه فى أولاك وأخراك وأبذل الجهد فى السفر الى هذه الحضرة ، واغتنم الوقت قبل يوم الحسرة واجعل الصبر زادك والرضا مطيتك والحق مقصدك ووجهتك ، فالزاد فى هذا الطريق هو الصبر فمن لا صبر له لازاد له . ومن لازاد له قطعته المجاعــة وفتر عن الخدمــة ولم يستقم فى الطاعة فالصبر مفتاح مايرجى وكل خطب به يهون والمطية هى الرضا وهى أسرع المطايا فى الوصول الى المقصد قال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فنبه سبحانه وتعالى على أن رضا العبد ناشئ عن رضاه سبحانه وتعالى اذ لو لم يرض عن عبده لم يكن للعبد أن يتخلق بصفة الرضا وكيف لايقطع الطريق بسرعة و ينال ماتمناه والقصد والقبلة هو الحق سبحانه وتعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) «وانما الاعمـال بالنيات ولـكل امرئ مانوى» فلاتنفذ نية همتك الى غيره فالـكريم لاتتخطاه آمال الطالبين

(لاترحل من كون الى كون) فتـكون كحمار الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل عنه ولـكن ارتحل من الاكوان للمكوّن وجدّ فى السير واحذر من التوانى فان من تعلق بوعـد الامانى لم يفارقه التوانى فمن لازم الخدمة حلت عليه العنايات ، قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال له قل آمنت بالله ثم استقم فلم يأمره بشئ بعـد الايمـان بالله غـير الاستقامة لانها الجامعـة لاسـباب السعادة فمن استقام فقـد حاز كل مقام فمطلب العـارفين من الله تعالى الصـدق فى العبودية والقيام بحقوق الربو بيـة وخير ماتطلب منــه ماهو طالبه منك وان أردت أن تعرف قدرك عنـده فانظر فيما ذا أقامك فاحرص على الاستقامة والتوجه اليــه ولاتجنح بهمتك الا الى مايوصلك اليـه فان السالك ذاهب اليـه والعارف ذاهب به فابتـداء السالك من الاكوان

وانتهاء العارف الى مقام الاحسان ، فالسالك سائر عن عالم الطبيعة الى عالم الملكوت ، ومنه الى عالم الجبروت ، ومنه الى عالم حضرة اللاهوت حضرة تمحي فيها العبارة والاشارة وتذهب الأسماء والرسوم ولا يبقى هناك مشهود إلا الحي القيوم ، فاذا ظهرت شمس المعرفة ذهبت نجوم التفرقة فلا يشهد المنتهي الامولاه ولا يظهر له فعل ولا وصف ولا وجود إلا لله ، فمن عرف الله شهده في كل شيء فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء ويستأنس هو من كل شيء ويشهد معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) عيانا ويفهم معنى قوله ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد ☆ ألا كل شيء ماخلا الله باطل ☆ وتشرق على قلبه لمعة من قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ويتجلى له (فأينما تولوا فثم وجه الله) ويرتفع عنه اشتباه معنى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وينطق بالحق لأن الحق يكون حينئذ سمعه وبصره ولسانه كما في الحديث القدسي «فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» ☆ والحاصل أن العارف يصل الى حالة يفنى فيها عن أفعاله وأوصافه وذاته ، فلا يشهد الا فعل مولاه وأوصافه وذاته وهذا يسمى جمعا ومع ذلك لا يحجبه هذا عن فرقه ، فالعارف لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه ولا صحوه عن سكره ولا سكره عن صحوه . كما قال بعض العارفين

له لدى الجمع فرق يستضيء به ☆ كالفرق في جمعه مازال يلقيه
في ربه ظمأ والصحو يسكره ☆ والوجد يظهره طورا ويخفيه

ويوضح لك شمة من ذلك قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فنفى عنه الرمي أوّلا بقوله وما رميت وهو عين الجمع وأثبته ثانيا بقوله إذ رميت وهو عين الفرق ثم قال ولكن الله رمى أي ان الرمي منسوب إلى الله تعالى خلقا وإيجادا ، واليك كسبا واستنادا ، وهذا هو حقيقة الجمع والفرق وهذا في فرق الأفعال وجمعها وفوقه الفرق في الصفات وجمعها وفوقه الفرق في الذوات وجمعها ومن لم يتحقق بالفرق الأوّل وجمعه حالا وذوقا لا يفهم شمة من الفرقين والجمعين الآخرين ، ولكن مقام الايمان يسع ذلك كله فيؤمن السالك في البداية بما انكشف للعارفين في النهاية على مافهموا من غير أن يخوض في ذلك بفهمه وهذه ولاية صغرى ، كما قال الجنيد رضي الله عنه التصديق بطريقنا هذا ولاية صغرى ، فيا أيها المؤمن المصدق بهذه المقامات جانب الخلق وعد نفسك في الأموات ، فان الموت كرامة والفوت حسرة وندامة ، الموت انقطاع عن الخلق ، والفوت انقطاع عن الحق ، وانما كان الموت كرامة ، لأن الله تعالى يكرم به عبده حيث ينفصل به عن الخلق ومتى انفصل عن الخلق اتصل بالحق ، سئل بعض العارفين عن الطريق ، فقال : فصل ووصل فمتى انفصلت وصلت ومتى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به ، وانما كان الفوت حسرة وندامة لأن الله تعالى يهيء به عبده للبعد فيستوجب الطرد ، فأمت نفسك تحيا ، وامتثل قوله ﷺ «موتوا قبل أن تموتوا» تظفر بهذا المحيا ، وقال ﷺ في وصف الصديق رضي الله عنه من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى بكر الصديق رضي الله عنه ☆ والحاصل أن الموت موتان موت اضطراري وهو معروف ، وموت اختياري وهو المعروف عند أهل الطريق بقطع الشهوات والارادات ولا يرى الحق إلا من مات ، ويعبرون عن الموت أيضا بالفناء ، وهو الخروج عن الأوصاف البشرية بترك الاختيارات والارادات والشهوات اذ الميت لا إرادة له ولا اختيار ولا تدبير فمن خرج عن إرادته

وتدبيره واختياره وحوله وقوته ، فقد خرج عن نفسه وهي أقرب الخلق اليه ودخل في ارادته تعالى وتدبيره واختياره وحوله وقوته ، وكان ذلك عين وصوله اليه ، ولذلك قال بعضهم

ولتفن حتى عن فنائك انه ✲ عين البقاء فعند ذاك تراه

وقال آخر

وافن ان شئت فناء سرمدا ✲ فالفنا يدنى إلى ذاك الفنا

واخلع النعلين ان جئت الى ✲ ذلك الوادى ففيه قدسنا

وعن الكونين كن منخلعا ✲ وأزل ما بيننا من بيننا

واذا ما قيل من تهوى فقل ✲ أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فيا من تطلع الى مقامات أهل الفنا عليك بالتسليم فى جميع أمورك تذق الهنا والتسليم اسبال النفس فى ميادين الأحكام ، وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام ، فاذا علمت أن الحق عالم بأحوالك قادر على كفايتك أرحم بك من أبيك وأمك ومنك عليك ومازجت لحمك ودمك هذه المعرفة سهل عليك هـذا المقام وتجرعت مرارته كما يتجرع كئوس المدام ، وأنشدت بلسان حالك وأنت سالك هذه المسالك

فليتك تحلو والحياة مريرة ✲ وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بيني و بينك عامر ✲ و بيني و بين العالمين خراب

إذا صح منك الود ياغاية المنى ✲ فكل الذى فوق التراب تراب

وانظر الى وصيته ﷺ لمن قال له أوصني يارسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ لاتغضب ثم قال أوصني ، فقال لاتغضب كرر عليه ذلك ليرشده الى حلاوة ماهنالك يعني تحقق بمقام الرضا والتسليم واكرع من بحار هـذا المشهد وأقم فى النعيم ولا تشهد فى كل شيء إلا مولاك ولا تعاين فى السراء والضراء إلا نعم من أولاك ، فانه متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجه لطفه عليك فأين يبقى الغضب مع هذه المشاهدة ؟ وأنى تحضر الهموم مع الوصول الى هذه المعاهدة ✲ قال ابن عطاء الله فى الحكم النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم ، انما هو النظر الى وجهه الكريم عند رفعه عنك الحجاب وماتجده القلوب من الهموم والأحزان انما هو لأجل منعك من وجود العيان ، فان أردت هذه المنازل فاحرص على أن تصبح وتمسي مسلما ومؤمنا ، فلعله ينظر اليك فيرحمك فاسلامك انما يكون بانقيادك لشريعته وايمانك باتباعك لطريقته ، فحيث تأهلت لاصلاح مواضع نظره يرحمك بتنزل فيض رحمته فيغيثك بمطره فلا تكن همتك إلا اصلاح ماظهر منك ومابطن وامتثال ماأمرك به مولاك فى كل وطن فزين ظاهرك بملابس شريعته واحرث أرض قلبك بآداب طريقته تنصب عليك أمطار حقيقته ويصير قلبك محلا لنظر الحق وموضعا لتنزل فيوضه وعظيم عنايته كما قال ﷺ ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، فلا تكن همتك أيها السالك الا اصلاح مواضع نظره وأعرض عن الدنيا المذمومة المعوقة للطالب عن قضاء وطره ، فان من اشتغل بلعب الدنيا ابتلي بالذل فيها ولاتم عن طغيان نفسك فتطغى فى العصيان ولا تتزين بسوى الطاعة ، فان من تزين بزائل فهو

مغرور مصحوب بالخذلان والزم الحمية فان الحمية فى الأبدان ترك المخالفات بالجوارح والحمية فى القلوب ترك الركون الى الأغيار والحمية فى النفوس ترك الدعوى ، والسالك كالمريض واحتياجه الى الحمية أشد من احتياجه الى الدواء بل الحمية رأس كل دواء ، واذا حلت بك شدة فلا ترجع فى حلها إلا الى مولاك ولا تعرج بها على باب سواه فتهلك أشد الهلاك ، وقل بلسان حالك

أنا لا أعرف إلا أنتم ☆ فاجبرونى بعطاء منكم

كل شخص لعزيز ينتمى ☆ وعزيزى ليس إلا أنتم

قال شخص للنبى ﷺ عظنى وأوجز ، فقال اذا قمت الى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تتكلم بكلام تعتذر منه غدا واجمع الاياس مما فى أيدى الناس ، فانظر الى ما ختم به ﷺ هذه الموعظة من قوله واجمع الاياس مما فى أيدى الناس تعلم أن السعادة العظمى عدم الركون الى الناس واليأس مما فى أيدى الناس واسمع أيضا الى ما قاله رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بها احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف فتأمل هذا الكلام من نبيك فى ساحتك ان فهمت وعلمت بما ألقى اليك فلا تسكن بقلبك إلا اليه ولا تنطرح بذلتك وانكسارك إلا بين يديه ، والحمية فى النفوس ترك الدعوى اذ الدعوى لها هو السم القاتل فماذا ينفع ترياق الطاعات وقد أصيبت المقاتل إذ دعوى النفس ينشأ من عجبها وهو أشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكائنات حيث قال : ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فتقوى الله تعالى فى السر والعلانية ، والقول بالحق فى الرضا ، والسخط والقصد فى الغنى والفقر : وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهى أشدهن ، فمن كان عنده أشد المهلكات كيف يتوقع الشفاء بأدوية الطاعات ، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر ، ولقد صدق فيما قال فأى شخص يصوم ولا يعجب بصومه وأى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته ، وهكذا سائر الطاعات الا أن تحل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة بمجالسة أطباء القلوب وحلول عنايتهم عليه حتى يمحو العجب الذى حل به من تلك الطاعات ولا يعجب بعد ذلك إلا بفضل مولاه ☆ قال ابن عطاء الله فى الحكم لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فلا تفرح ولا تعجب إلا بنواله ، ولا تصحب إلا من يعلمك العلوم التى تقربك الى حضرة كماله فان أنفع العلوم العلم بأحكام العبيد وأرفع العلم علم التوحيد ، فعلم العبيد هو العلم الذى تعرف به أحكام العبيد وكيف يتوصلون به الى عبودتهم من إصلاح الظواهر للخدمة والبواطن للوقوف فى الحضرة وذلك علم الشريعة والطريقة فبالشريعة يعرف السالك إصلاح الظاهر وبالطريقة يعرف مايصير الباطن به طاهرا ، فمن تحقق بهاتين الطهارتين صح له أن يدخل صلاته الحقيقية ويظفر بقرة العين وينتفع حينئذ ويرتفع ويقبل عليه كل شىء ويخضع ويغترف من بحار التوحيد ويستقر فى مقام التفريد ويتفجر من قلبه ينابيع الحكمة ويصلح له أن يتكلم فى أرفع العلوم من علم التوحيد

﴿فعليك بصحبة من جعل الله قلبه معدنا لهذه اللطائف﴾ وإياك وصحبة أهل الدنيا فان قلوبهم محل الغفلة والكثائف ، جعل الله قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس ، وقلوب العارفين مكانا للذكر والاستئناس ، فان جالست أهل الدنيا سرت فيك غفلتهم وأحاطت بقلبك وسوستهم ، وان جالست العارفين أشرقت عليك أنوارهم ، وأحاطت بقلبك لطائفهم وأسرارهم

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ✲ فكل قرين بالمقارن يقتدى

غيره

عليك بارباب الصدور فمن غدا ✲ مضافا لأرباب الصدور تصدّرا

واياك أن ترضى بصحبة ناقص ✲ فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فلا تصحب الامن تستيقظ باقواله ويحرك الى باب مولاك حسن أفعاله وقوة حاله ✲ قال ﷺ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فلا تخالل ولا تكن الا مع الصادقين ولا ترافق الا الصالحين واجتهد أن يكون الخوف محركا لك الى هذا الطريق ، ليزيل عن قلبك كل تعويق ، فان الخوف سوط يسوق ويعوق ، يسوق الى الطاعة ويعوق عن المعصية ، فعلى السالك أن يتلو على نفسه ماورد من الوعيد لأهل الجنايات ويكرر ذلك عليها فى سائر الاوقات . ويقول بلسان حاله

ألا يانفس ويحك خبرينى ✲ الى كم ذا التغافل والتعامى

وكم يوم يمر عقيب يوم ✲ وأنت مع الخسارة فى اقتحام

ويستعين عليها فى ذلك بمحرك الساكنات ومنزل الفيوض على القلوب بمحض العنايات ، ويقول بلسان ذلته وانكساره

يظن الناس بى خيرا وإنى ✲ لشر الناس ان لم يعف عنى

وكم من زلة لى فى الخطايا ✲ وأنت علىّ ذو عفو ومنّ

ويشرع يناجى مولاه ويقبل عليه ويقول بقلب أوّاه :

﴿إلهى ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة علىّ وان ظهرت المساوى فبعدلك ولك الحجة علىّ﴾ الهى كيف تكلنى وقد توكلت لى وكيف أضام وأنت الناصر لى أم كيف أخيب وأنت الحفىّ بى ها أنا أتوسل بفقرى اليك وكيف أتوصل اليك بما هو محال أن يصل اليك أم كيف أشكو اليك حالى وهو لايخفى عليك أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز واليك أم كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت اليك أم كيف لاتحسن أحوالى وبك قامت واليك ، فعند ذلك يشتعل فى القلب نيران الاشتياق ويركض الجواد فى ميدان الطاعة ويقول السباق السباق ويعلم أن الطريق انما هى الذلة والانكسار والزاد انما هو الاستعانة بالله بمزيد الافتقار فأكثر من هذا الزاد إن أردت قطع الطريق وتواضع ولا تتكبر يزل عنك كل تعويق ، فانه لاينفع مع الكبر عمل ولا يضرّ مع التواضع بطالة وكسل ، فهذا هو الدواء النافع فداو به مرض قلبك واصحب من يرشدك الى تحصيله فانه الشفاء للبك فان الطريق الى الله تعالى عبودية وانكسار ، والكبر منازعة للربوبية وافتخار ، فأين تجتمع العبودية مع المنازعة فى الربوبية وأنى تشرق الأنوار الالهية مع الاتصاف بالصفات البشرية فسبحان من ستر سر الخصوصية فى ظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية

(ماطلب

﴿ماطلب منك شيء مثل الاضطرار ولاأسرع اليك بالمواهب مثل الذلة والانكسار﴾ تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بفقرك يمدك بغناه تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بذلك يمدك بعزته فاياك والكبر فانه لاتنفع معه الأعمال وعليك بالتواضع فانه ينفعك وان اتصفت بانك بطال واطلب هذا المقام من مولاك فان أقامك ثبت وان قمت بنفسك سقطت وقل فى دعائك : اللهم فهمنا عنك فانالا نفهم عنك الابك (إياك نعبد و إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم * ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

رب هب لى مذلة وانكسارا * وأنلنى تواضعا وافتقارا

وفق القلب واهده لصلاح * وأذقه حلاوة واصطبارا

فاجتهد فى تصحيح تواضعك بالعبودية والانكسار وشمر عن ساق الجد فى طلب هذا المقام بالليل والنهار فليس من ألبس ذل العجز كمن ألبس عز الاقتدار قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال ﷺ لمن طلب منه أن يكون رفيقه فى الجنة : أعنى على نفسك بكثرة السجود ، فدل كلام الله تعالى وكلام رسوله أن المجاهدة لابد منها فى الطريق فان من ألبس عز الاقتدار وأزيل عنه لباس ذل العجز لم يتخلص من التعويق ولم يسهل عليه سلوك هذا الطريق فمن جد وجد ومن قرع بابا ولج ولج .

اصبر على مضض الادلاج بالسحر * وللرواح على الطاعات فى البكر

انى وجدت مدى الأيام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

فاجتهد أيها الطالب فى خدمة مولاك على الدوام ، أخلص فى خدمتك ولاتتوقع لنفسك حالا ولا بلوغ مقام ، فان من طلب لنفسه حالا أومقاما فهو بعيد عن طرقات المعاملة ، فيا أسير العادات والشهوات ويا طالبا للمقامات والمكاشفات أنت مشغول بك عنه أين اشتغالك به عنك ؟ فمن طلب حالا أو مقاما أومكاشفة فهو مشغول بحظ نفسه دون اشتغاله بخدمة ربه ، ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لايحب أن تكون لغيره عبدا (لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم إياه تعبدون) فكل من عبدوا الله لغرض أوعلة هالكون وكل ماالتفت اليه السالك وألهاه فهو حجابه ودنياه وهو القاطع له عن طريق مولاه ، وما أحسن ماقيل

قال لى حسن كل شيء تجلى * بى تملى فقلت قصدى وراك

فلاتطلب أيها السالك سوى مولاك ولاتفرح إلابما به أولاك ، فالسعيد من يئس من الفرح إلا بما كان له من مولاه وذلك علامة تحققه فى التوحيد ورسوخه فى أوج علاه ، فلاتجنح بهمتك إلا إلى افضاله ولاتقبل بقلبك إلاحضرته ولاتشهد إلا عظيم نواله كما قال تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) فاذا شهدت هذا المشهد العظيم فعليك بمراقبة هذا الفضل العميم ، فان أفضل الطاعات عمارة الوقت بالمراقبات فعمر أوقاتك بمراقبة مولاك بأن تعلم أنه هوالذى أعطاك كل فضيلة وأزال عنك كل رذيلة وغذى قالبك بأقواته وأحيا قلبك بذكره بعد مماته وجعلك عبدا له وعلمك آداب الخدمة وفهمك طريق عبادته وألزمك الحرمة ومع ذلك هو حاضر لديك ومقبل باحسانه عليك مامن حركة وسكون منك الاوهى بارادته ، ولالفتة ناظر ولافلتة خاطر الاوهى بقدرته كماقال تعالى (وماتكون فى شأن

وماتتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذتفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولافى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الافى كتاب مبين) ولذلك كان يتوصل بعض العارفين فى تصحيح المراقبة لمريديه بهـذه الاذكار الثلاث الله معى الله ناظرى الله شاهدى ، ثم يقول بعدمدة لذلك المريد من كان الله معه وناظره وشاهده كيف يعصيه

(فاسمع ياأخى هذه الوصية ، واعمل بمقتضى هذه القضية تحز مقام المراقبة وتصل الى الفتوة على سبيل المعاقبة) ، والفتوة أن لاتشتغل بالخلق عن الحق والفتوة مقام الكمل من الرجال فعدم اشتغالك بالخلق عين اشتغالك بالحق لانك متى انفصلت وصلت والاشتغال بالحق هو المراقبة : لان حقيقتها أن تعلم أن الله مطلع على أحوالك فتراقب هذا المعنى وتكون حافظا لمعناه ومترشحا لطلب مايفيض عليك من ظلال مبناه ، والمراقبة التى هى عين الفتوة أصل جميع السعادات ، وما أحسن ماقيل : إلهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا ، وهى مقام الاحسان ومقام دخول العارف بقلبه الى عظيم الجنان وهى الباب الجامع لكل خير فى الطريق النافع وهى التى متى أشرقت شمس ضحاها على القلوب أذابت منها كل رذيلة وحلتها بكل فضيلة وهى التى تكسر سائر الأصنام وتفنى من ساحة كعبة المحبوب سائر الآثام ، وهى التى تزين الأسرار وتجلو عين البصيرة التى هى مشرق الأنوار حتى لايرى السالك إلا المحاسن من العبيد وتطيب له السريرة ويقرب لديه البعيد ، ولذلك قال بعض العارفين الفتوة رؤية محاسن العبد والغيبة عن مساويهم لأن من لازم الاشتغال بالحق الغيبة عن مساوى الخلق اذ من اشتغل بالحق لم يشهد فعلا إلا فعله ولاوصفا إلا وصفه ولاوجودا إلاوجوده ، فمن لم يشهد فى العبيد إلا أوصاف الحق وأفعاله ووجوده لم يشهد إلا محاسنهم ويغيب عن مساويهم اذ المساوى مفقودة فى نظر المشاهد كما قيل :

اذا مارأيت الله فى الكل فاعلا ✲ رأيت جميع الكائنات ملاحا

وقال ابن الفارض رضى الله عنه

وكل الذى شاهدته فعل واحد ✲ بمفرده(١) لكن تحجب بالأكنة

اذا ما أزال الستر لم تر غيره ✲ ولم يبق فى الاشكال اشكال ريبة

فيا أيها الفتى المتحقق بالفتوة أخلص لله فى معاملتك ، واخرج من حولك والقوة ، فان من أخلص لله فى معاملته تخلص من الدعوى الكاذبة ، اذ الدعوى الكاذبة تنشأ عن النفاق واظهار خلاف مافى الباطن من الشقاق ، ومن علم أن الله رقيبه ومطلع على مافى ضميره قادر على الانتقام منه ان افترى لزمه الاخلاص لله فى المعاملة واجتهد فى الصدق فى أفعاله وأقواله ، وما أحسن ماقال بعضهم :

عليك بالصدق ولو أنه ✲ أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى ✲ من أسخط المولى وأرضى العبيد

فاجتهد فى تصحيح هذه الخصلة تحز مقام الفلاح ، فان أهل الصدق قليل فى أهل الصلاح فشمر الذيل فى تصحيح هذا المقام وتمسك بذيل أهله وارفض غيرهم من الانام وحاسب نفسك فى الحركات والسكنات وتفطن لما يصدر منك من دسائس الكامات ✲ واعلم أن الرقيب حاضر والحق تعالى اليك ناظر وتجرد عن المخالفات ، والبس حلل الطاعات واخرج ملاحظة السوى عن قلبك تشرق عليك

---

(١) قول بمفرده هكذا بالأصل وليتأمل

أنوار الفقر فاستره ، وتوسل به الى ربك ، فان الفقر نور مادمت تستره ، فاذا أظهرته ذهب نوره اذ حقيقة الفقر التجرد عن السوى الذى هو عين الاقبال على المولى ، وهذا الأمر ذوقى معنوى لايليق اظهاره كالجوهرة النفيسة التى لايسمح صاحبها باظهارها الا بقدر الضرورة ، وهكذا الفقر اذ هو عين التوحيد وهو كالدواء المجرب عند العارف ولا يذكره الا للمريض المحتاج ، ولايسمح بافشائه لأهل الاعوجاج ✿ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ليكن الفرق بلسانك موجودا والجمع بقلبك مشهودا ، فالعارف من ستر فقره وتوحيده وأظهر فقره ، وسار سيرة حميدة يعاشر الخلق فى الظاهر كأنه واحد منهم ، و يصاحب الحق فى الباطن كأنه منعزل عنهم ، وما أحسن ماقيل

ومن داخل كن صاحبا غير غافل ✿ ومن خارج خالط كبعض الأجانب

وتخلق بمعنى قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) يحكى أنه دخل بعض أهل الأحوال على بعض أهل الكمال ، وكان ذلك الكامل مشغولا بفصل الخصومات بين الناس ، فلما رآه ذلك الداخل بتلك الحال فرش سجادته على حوض من الماء كان هناك ، وشرع يصلى فالتفت اليه ذلك الكامل ، فقال ماهذه البدعة التى تفعلها أليس الشأن مافعلته انما الشأن أن يكون الرجل بين الخلائق وسره معتزل عند الخالق ، ولقد صدق فيما قال ، و بين ماعليه أهل الكمال من الرجال ، فلذلك قيل العارف كائن بائن بظاهره مع الخلق و بسره مع الحق فالأول فرق لابدمنه فى الطريق ، والثانى جمع لابدمنه فى التحقيق ، الجمع ماأسقط تفرقتك ومحا اشارتك والجمع استغراق أوصافك وتلاشى نعوتك ، فالتفرقة والاشارة تقتضى الأغيار والجمع لايشهد صاحبه إلا الواحد القهار قد انمحت عنه الرسوم وذهبت عنه العلوم قدفنيت أفعاله فى أفعاله وأوصافه فى أوصافه وذاته فى ذاته ثم يرجع منه الى غاية الفرق والرسوم و يعود اليه مافارقه من علم ومعلوم و يصير مرشدا ومقتدى جامعا فارقا وارثا لسيد الورى ، ولذلك لما سئل الجنيدى عن النهاية ، قال الرجوع الى البداية فالمنتهى من رجع الى بداية فرقه وعبوديته قدعرف المقصود من خلقه ، وانخلع عن أوصاف بشريته لايشير الى أوصافه ولايشير الى نفسه ، فان المدعى من أشار الى نفسه ، اذ الاشارة الى النفس فرع اثباتها ورؤيتها وهو ينافى مقام الفناء و يباين مشرب من ارتشف كاس الهناء ، ولذلك قال ذوالنون رضى الله عنه لما سئل ما أشد الحجاب وأخفاه ، قال رؤية النفس وتدبيرها ، فمن حجب ورأى نفسه شيئا أشار اليها ، فكان مدعيا وهو عن مذاق أهل الفناء بمعزل ✿ وقال الشيخ رسلان كلك شرك خفى ، وما يبين توحيدك الا اذا خرجت عنك ، فمن خرج عن نفسه لايراها ولايشير اليها ولايحوم حول مدعاها ، وحينئذ تكون مقتديا بالدليل واصلا الى أعلى مراتبها ومنتهاها ، وانما حرموا الوصول لترك الاقتداء بالدليل وسلوكهم الهوى ، فطريق القوم الموصل الى الصراط المستقيم طريق أهل الاقتداء بالدليل المحمدى المعرضين عن الهوى المؤيدين بالفضل السرمدى التابعين له ﷺ فى الأقوال والأفعال والأحوال مقام أهل المحبة بالوراثة الذى أشار اليه تعالى بقوله (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وأشار اليه ﷺ فى قوله «من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم» فمن وصل الى المقصود لم يصل الا من هذا الطريق ، ومن حرم الوصول فلتركه هذا المنهج ولاينقطع بعلائق التعويق

أيها المنكح الثريا سهيلا ✿ عمرك الله كيف يجتمعان

هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

فان أردت الاستقامة فى هذه الطريق وقلبك عن القواطع مصون فتخلق بمقام التوكل وذلك وثوقك بالمضمون ، فتحقق بمعناه كى لاتقطعك الظنون ، وذلك باعتمادك على مولاك ورجوعك اليه وخروجك عن حولك وقواك ، وانطراحك بين يديه واكتفاؤك بعلم الله كافيك عن تعلق القلب بسواه ورجوعك فى جميع أمورك الى الله

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكلّ الى ذاك الجمال يميل

فمن علم أن مولاه أمره بالتوكل حيث قال (وتوكل على الحىّ الذى لايموت) وسبح بحمده لزمه أن يثق بما ضمن له مولاه لاسيما وقد زاده بقوله (ومن يتوكل على الله فهوحسبه) و بقوله (ان الله يحب المتوكلين) فعليه أن يستبدل حركته بالسكون حيث علم أن الحق هو الذى يرعاه ، ومن مازج لبه وده ذلك اعتمد على الله وفوّض أمره اليه وخرج عن حوله وقوته وانطرح بين يديه واكتفى بعلم الله فيه ، وصار ذلك له جنة عاجلة له فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين فلا ينظر للآجلة ، ورحم الله من قال:

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائى

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بحبك يادينى ودنيائى

وصار يغبطنى من كنت أغبطه * وصرت مولى الورى اذصرت مولائى

فهنيئا لك ان ظفرت بهذا المقام فسر مع هذه القافلة وأحسن الصحبة مع الخواص والعوام وانصف من نفسك واقبل النصيحة ممن دونك تدرك أشرف المنازل وان لم ينصفوك فاوف لهم حقوقهم وان قطعوك فواصل وان جفوك فقابل سيآتهم بالحسنات ، فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ، وخذ الحكمة ممن سمعتها منه وان كان دونك تحز أعلى المقامات ، فان الحكمة ضالة المؤمن ، ومن وجد ضالته أخذها من كل مكان ، فان فعلت ذلك كنت متواضعا فى جميع الحالات * قال الفضيل التواضع قبول الحق من كل أحد ، ومن تواضع ارتفع وانتفع بما لديه ونفع ، فحينئذ يذعن لك الأصاغر والأكابر ، وتجد من قلبك عند خوضك فى المناهى الزواجر ، فان من لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب قال بعضهم

خاطبنى الحق من جنانى * فكان وعظى على لسانى

فاذا أراد الله بعبد خيرا أوقع فى قلبه بذر اليقظة والانتباه وأنبت من ذلك البذر غرس المعرفة ونماه وأورق أغصانه بحسن الاستقامة وأينع ثماره وأجزل له الكرامة وجعله من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، الخالصين لله فى السر والاعلان وأدخله فى دائرة أوليائه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، وكل ذلك من عمارة قلبه بذكر الله وتوكله على الله ، فتوكل على الله حتى يكون الغالب على قلبك ذكره ، فان الخلق لن يغنوعنك من الله شيئا فى أصيل ولابكرة فذكر الله أصل كل السعادة ، فأقبل عليه بكلك يعطك الحسنى وزيادة ، واستغرق فى ذلك الأوقات ودم على ذلك حتى يأتيك الممات ، وقد ورد فى الحديث «ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة لايتحسرون الا على ساعة مرت لهم فى الدنيا بغير ذكر الله» فالسباق السباق لهذه الفضيلة واغتنم الفرصة لنيل هذه المرتبة الجليلة ، وصحح مقام توكلك حتى يكون الغالب عليك ذكره ، وكن عبده وامتثل نهيه وامره وحاسب

نفسك

نفسك وضيق عليها بالمعاتبة ، فبالمحاسبة يصل العبد الى درجة المراقبة ، فان أصل الطريق كله ومداره على المحاسبة والوصول الى درجة المراقبة ، فينبغي للسالك أن يجعل له في كل يوم وقتا يحاسب نفسه فيه ، وأحسن الأوقات لذلك العصر لكونه آخر النهار و بعد الصلاة الوسطى ، فينظر ما مر له في نهاره كله ، فان كانت طاعة فليشكر الله عليها حتى يكون ذلك سببا للمزيد ، وان كانت سيآت فليستغفر الله من ذلك و يغسله بصابون الاستغفار ليدفع عنه وسخ تلك الأوزار فقد قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلذلك قال كثير من العارفين ينبغي : للسالك أن يستغفر الله عقب صلاة العصر سبعين مرة ويتذكر أثناء الاستغفار السيآت ويستغفر مما مر له منها ، بل من الطاعات لأنها من الذنوب عند المنصف من أهل المعاملات أنت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته * سأل شخص عمر السهروردي رضي الله عنه انى اذا عملت عملا وقعت في الرياء ، وان تركت العمل وقعت في التعطيل فماذا أصنع ، فقال له اعمل واستغفر وعد طاعاتك من جملة سيآتك فمثل هذه الطاعة يكون أقرب الى القبول و يشهد لذلك استغفاره ﷺ عقب الصلاة ثلاثا ، فمن حاسب نفسه هذه المحاسبة زكت جوارحه وطهر قلبه وتجلى عليه ربه وراقب الله تعالى وصار يعبده كأنه يراه ، فحينئذ يرق قلبه و يحزن و يتأسف على تقصيراته في كل زمن فان فقد الأسف والبكاء في مقام السلوك علم من أعلام الخذلان ، فاغسل أيها السالك بماء النواظر الخدود وتأسف على مامر لك من نقض العهود ، وقل بلسان ذلتك وانكسارك معفرا محياك على عتبة مولاك ناظرا لضعفك وافتقارك

ذنوبي ثقال فما حيلتي * اذا كنت في الحشر حمالها

فسامح إلهي عبيدا عصى * وعامله باللطف يقوى لها

وقل أيضا وناجي وتضرع لمولاك في ظلم الدياجي الا يالله بنظره من العين الرحيمة تداوى كل مابي من أمراض سقيمة ، فاذا أكثرت من مثل هذه المناجاة وتضرعت بظاهرك و باطنك في جوف الليالي وأوقات الأسحار وجدت العبرات من عينيك هاطلة ورأيت الفيوضات على قلبك نازلة ، فحينئذ يسلى قلبك عن الشهوات ، ويعافى من أمراض الخطيئات ، فان القلب اذا سلى عن الشهوات صار معافى اذ المرض عند أهل البصيرة اعراض القلب عن مولاه واقباله على شهواته وهواه ، فاذا أعرض القلب عن الشهوات وسلاها كان ذلك دليلا على عافيته و بلوغه من الصحة منتهاها ، فداو قلبك بسكنجبين الاقبال ، واشرب على ذلك شربة من حسن المعاملة مع مولاك في الأفعال والأقوال ، واحم جوارحك عن سائر المخالفات واستعن على ذلك بأطباء الوقت من أهل القلوب وأرباب المعاملات ، واضرع الى مولاك وتذلل لعله يسخر لك النفس حتى تشهد المر كالعسل ومن لم يستعن بالله على نفسه صرعته ، اذ عداوتها قوية وشهوتها سبعية ، وأنت محتاج الى مداراتها . لأنها مطيتك في الطريق ، فكيف حال من يريد أن يكون السبع مطيته ، وكيف الحيلة لمن يريد الانسانية الكاملة ممن صارت الوحشة طبيعته ، فليس له ملجأ ولا منجا الا مولاه ولا يدفع هذا العدو عنه الا التحصن بحصن لا إله إلا الله ، والتمسك بالتقوى وما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولاتيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فلا تتعدنية همتك لغيره ، فالكريم لاتتخطاه الآمال ، لأن الوجود الحقيقي ليس لأحد الا له سبحانه وتعالى ، ولا موجود على

الحقيقة معه ، فليكن قصدهم وقفا عليه ومختصا به ومنقطعا اليه ، فالكريم لا تتخطاه الآمال ومن المعلوم الواضح أنه تعالى أكرم الأكرمين ، بل لا كرم على الحقيقة الا له فهو الكريم المطلق وكرم غيره مقيد وهو الكريم الواجب وكرم غيره ممكن جائز وهو الكريم الذاتى الكرم وكرم غيره عرضى مخلوق مجعول وهو الكريم الباقى وكرم غيره منقض وهو الكريم الكامل وكرم غيره ناقص وهو الكريم العام وكرم غيره مخصوص بزمان ومكان وأشخاص ومتعلقات وهو الكريم ذاتا وصفة وفعلا بمعنى أنه الرفيع القدر الكبير الشأن ، ومنه قوله تعالى (ان هذا إلا ملك كريم) وهذا كرم الذات و بمعنى انه موصوف بالصفات الجيلة ، ومنه قولهم كريم الطباع أى جيلها وهذا كرم الصفات وكرم الأفعال البداية بالنوال قبل السؤال والاعطاء بلا حد ولا زوال ☼ وقال بعض المشايخ الكريم من الكرم وهو اعطاء ما يستكفى به من جهات المطالب وأنواع البر فمن عرف انه الكريم ذاتا لم يتوجه لغيره ومن عرف أنه الكريم فعلا لم يطلب من غيره ولم يدبر معه فان الكريم لا تتخطاه الآمال الى غيره فلا يطلب ذلك الغير من حيث كرم الذات ، ولا من حيث كرم الصفات ولا من حيث كرم الأفعال ، وان شئت أن تعرف شيئا من كرم فعله فانظر الى كونه قد بسط بساط الوجود على الممكنات التى لا تحصى من الملائكة والجن والانس والحيوانات والنباتات والجمادات وغير ذلك ووضع لها موائد كرمه التى لا تتناهى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وأنا وان كنا من العصاة المقصرين انرجو من كرم مولانا عز وجل يوم القدوم عليه ما لم يخطر لناقط على حسبان

ان الكريم اذا حل الاثيم به ☼ يدنى ويعفو وان زلت به القدم

فالهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى ☼ قال الجنيد رضى الله عنه الكريم الذى لا يحوجك الى مسئلة ، وقال الحرث المحاسبى رضى الله عنه الكريم الذى لا يبالى من اعطاء والكريم الذى لا يخيب رجاء المؤملين واجمع العبارات فى معنى وصف الكريم ماقيل الكريم اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالى لم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ و يغنيه عن الوسائل الشفعا ، فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغى اذن أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه ☼ وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا

ويا صاحبى قف بى مع الحق وقفة ☼ أموت بها وجدا وأحيابها وجدا

وقل لملوك الأرض تجهد جهدها ☼ فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

☼ واعلم أن الطلب من الخلق المنافى للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة فى حالة الطلب عن الله تعالى أما الطلب منهم من حيث كونهم أسبابا ووسائط مع الاعتماد فى نيل المطلوب على الله تعالى ورؤية أنه المعطى فليس منافيا للعبودية فالنهى عن توجه القصد الى الغير ولو بالواسطة بحيث لا يخطر ذلك الغير بالبال لا ينجو منه الا القليل من الناس وهم كمل العارفين فيحمل ذلك النهى على النهى عن توطين النفس عن تلك الخواطر حتى لا يظهر أثرها على العبد فصار المعنى وطن قلبك على التعلق بالله وعدم الالتفات لغيره فان وقع منك التفات للغير فلا تلتفت اليه ولا توطن قلبك عليه من حيث ذاته بل من حيث كونه سببا وواسطة مع الاعتماد فى نيل المطلوب على

الله تعالى ورؤية انه المعطى فلامنافاة فى ذلك للعبودية * والحاصل أن المذموم القادح فى العبودية هو الطلب من الخلق على وجه الاعتماد عليهم لغفلته عن الله تعالى وعدم استحضار كون الأمور بيده وأما الطلب منهم من حيث أن الله جعلهم أسبابا ووسائط مع الاعتماد فى نيل المطلوب على الله تعالى لأنه القادر على ذلك وهم العاجزون عن نفع نفوسهم فضلا عن غيرهم وأنه سبحانه وتعالى ان أراد حصول ذلك على أيديهم سهله فهو طلب محمود غير قادح فى العبودية * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا آيس من نفع غيرى لنفسى * قال بعض العارفين ومن لطفه بعباده أن جعل لعباده من كل اسم من أسمائه خلقا فالحمد لله فقل من تجد من أهل دائرة الاسلام من لم يتخلق بواحد من أسمائه فلك من اسمه الكريم أن تكرم نفسك وتصونها عن رذائل أخلاقها وتكرمها بالتقوى وتتكرم على كل عضو من أعضائك باحيائه بالأعمال المقربة الى الله زلفى واذا تحققت بان لافاعل إلا الله ولا موصوفا بصفات الكمال ولاظاهرا بالجمال والجلال إلا الله علمت يقينا أنه لايرفع ما نزل بك سواه وعلمت أن غيرك مثلك فى عجزه عن رفع ما أنزله أو تبديل ماقدره كما جاز عليك جاز على غيرك فاذا لم تقدر على رفع ما نزل بك فغيرك أعجز فكيف تنزل الحوائج أو ترفع المطالب الى غيره أم كيف يجمل بك أن تمضى مطايا الطلب الى سواه ، وقد علمت فقر غيره وثبوت غناه وعجز غيره وثبوت عزه واقتداره أم كيف تنتصر بمن هو مفتقر فى وجود غناه ياعجبا أترى يرفع غيره ما أنزله أم يطلب من سواه غيره مالايوجد الافى خزائنه أترى لغيره من القدرة ماليس له أو يوجد معه من هو هالك فى وجوده وغائب فى شهوده ويكفيك من العتب ان أثبت الباطل مع الحق فكيف وقد أثبت الباطل وآمنت به وكفرت الحق أى سترته قال الله تعالى (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) ومن أخسر حالا وأخيب سؤالا ممن رفع حوائجه لمن هو غافل عن دعائه ومتبرى من ولائه فاذا كانت الامور صادرة عنه وقد علمت كمال علمه وغناه ونفوذ حكمه (وانه لاراد لامره ولامعقب لحكمه) فكيف تقصد غيره وهو لايرضى ذلك لك أليس فى ذلك غاية الجفاء وعدم الانصاف وترك الوفاء وترجع المبالاة بالجناب الالهى فما ترجع الى بابه الاوقد حاولت كل حيلة وتلوذت بكل وسيلة أترى للوسائل من جلب النفع ودفع الضر ماليس له أم تراه لايسمع نداك و يعلم ضرك وشكواك الابتذكير المذكرين كيف وهو الذى نصب الدلائل وأبان الوسائل هذا العتب اذا غفلت عنه وتعلقت بسواه ولم تشهد سرالله فى الوسائط والوسائل وأما اذا كنت لذلك شاهدا وله فى الأمور ذاكرا فلاحرج أن تتوسل اليه بوسائله وتتضرع اليه باصفيائه وخواص أوليائه وشعائره وما احترم لحرمته فهو الذى نصب الأسباب وعرفك الأسباب فقال (وأتوا البيوت من أبوابها) فسماه برا كما دل على ذلك أول الآية ، وقد علمت ماأمرك الله أن تتشفع اليه وتدعوه به من أسمائه وماعرفك فى كتابه اذ قال (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقد ثبت أن شفاعة الأنبياء والعلماء كل على حسب جاهه عنده لكن بعد الاذن فى ذلك وقد بين الاذن بقوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) فكن متقيا لله تكن ممن ارتضى والله يتولى هداك * والحاصل أن الشارع أذن فى اتخاذ الوسائل لجلب المنافع ودفع المضار وقضاء الحوائج وأمر بشكر الوسائط ووعد من نفع أخاه المؤمن وسعى فى قضاء حاجته لكن ذلك كله بشرط اعتقاد أن الوسائط ليس لشىء منها تأثير فى نفع أوضر و بشرط عدم الاعتماد عليها فالمذموم القادح فى العبودية هو الطلب من الخلق على وجه الاعتماد

عليهم والاستناد اليهم فيما يرومه الطالب ويسعى فى حصوله لغفلته عن الله تعالى وعدم استحضار كون الأمور بيده ، وأما الطلب منهم من حيث أن الله جعلهم أسبابا ووسائط مع الاعتماد فى نيل المطلوب على الله تعالى ورجوع الوجهة والقلب فى ذلك اليه وأنه القادر على ذلك وهم العاجزون عن نفع نفوسهم فضلا عن غيرهم ، وأنه ان أراد حصول ذلك على أيديهم خلق فيهم القدرة عليه وسلط عليهم البواعث والدواعى وجرهم اليه بسلاسل فى أعناقهم لايستطيعون لها نزعا ولايملكون للقدرة التى جعلها فى أعناقهم دفعا ، فذلك الطلب حينئذ محمود موافق للعبودية غير قادح فيها ، فهم من حيث هم كالأرض الميتة فاذا أراد الله ذلك منهم أمطرهم سحائب قدرته فيظهر فيهم مايظهر من الجلب والدفع والضر والنفع والعطاء والمنع ، وهو سبحانه وتعالى الجالب الدافع والضار النافع والمعطى المانع ، فمن أراد الطلب منهم فليقدم بين يديه استحضار هذه المعانى وليجعلها نصب عينيه وليوطن قلبه على ذلك ، ثم ليطلب منهم فلايضره ذلك ولا ينفصل منهم إلا بخير سواء قضيت حاجته على أيديهم أم لا لاستحضاره أنهم محركون ومسكنون ومأذونون وممنوعون ، فهو معتمد على مولاه لا عليهم فان قدر له نفع على أيديهم شكرهم لتسخير مولاه إياهم فى نفعه وان لم يقدر له نفع على أيديهم عذرهم ولا يمدح من لايستحق المدح ولايذم من لايستحق الذم منهم ولا يداهنهم ولايتواضع للأغنياء لغناهم ولايزدرى الفقراء لفقرهم ولايضيع شيئا من دينه فى أغراضهم ان نفعوه ولا يعاديهم ولا يسعى فى أذيتهم ان لم ينفعوه * يروى أن محمد بن واسع رضى الله عنه أتى رجلا فى حاجة ، وقال له أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله تعالى قبلك فان يأذن فى قضائها على يديك قضيتها وكنت مشكورا ، وان لم يأذن فى قضائها لاتقضيها وكنت معذورا ، وهذا كله انما يحتاج الى تكلف استحضاره وتوطين النفس عليه فى مقام الاسلام والايمان لافى مقام الاحسان وهى مقامات اليقين الثلاث فان كان فى مقام الاحسان لم يحتج الى ذلك الاستحضار لان اليقين لاغفلة معه بل الحضور لازم له والمسئلة بمنزلة تعاطى الأسباب لتحصيل الرزق ، فمن اعتمدها ونظر حوله وقوته فيها فهو مخدوع ، ومن تعاطاها رائيا ان الله هو الرزاق وان ماقدر له واصل اليه لامحالة وان ماينا له من ذلك ليس بحوله ولاقوته ، فهو موفق وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقوله تعالى (قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا إلا ماشاء الله) واذا قيل هذا لنبيه ومصطفاه ﷺ فماذا عسى أن يقال فى غيره وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده وماتشاءون إلا أن يشاء الله) وهو كثير ، وتقدم ذكر حديث ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال له رسول الله ﷺ ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة اذا سألت فاسئل الله فاذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان ماأصابك لم يكن ليخطئك وماأخطأك لم يكن ليصيبك جف القلم بماهو كائن * واعلم أن الأمة لواجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك أوعلى أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك * واعلم أن فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا والى جميع ماتقدم أشار ابن عطاء الله رضى الله عنه فى الحكم بقوله : لاترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا ؟ ومن لايستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا * وحاصله أن الحاجة والفاقة التى نزلت بك هو سبحانه

وتعالى موردها عليك فلارافع لها سواه ، فالذى ترفع اليه حوائجك ولو كان ملكا من ملوك الدنيا لايقدر على قضائها ان لم يقدر الله تعالى اجراء ذلك على يديه لأنه لايقدر على ذلك لنفسه ولاشك أن نفسه أحبّ اليه من غيره فلوكان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره اذ مابعد العجز عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك فمن اعتمد على غير الله تعالى فهو فى غرور بما لايدوم ولايدوم شيء سوى الله تعالى فهو الدائم القديم الذى لم يزل ولايزال اعطاؤه وافضاله دائمان . فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نفس وحين وأوان وزمان * قال عطاء الخراسانى رضى الله عنه لقيت وهب بن منبه فى الطريق فقلت حدثنى حديثا احفظه عنك فى مقامى وأوجز ، قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود أما وعزتى وجلالى لايستنصر بى عبد من عبادى دون خلقى اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن الاجعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتى وجلالى وعظمتى لايستعصم عبد من عبادى بمخلوق دونى أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالى فى أى واد هلك ، وفى بعض الكتب المنزلة ان الله عزوجل يقول «وعزّتى وجلالى وجودى وكرمى وارتفاعى فوق عرشى فى علوّ مكانى : لأقطعن أمل كل مؤمل لغيرى بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربى ولأقطعنه من وصلى أيؤمل غيرى فى النوائب والشدائد بيدى وأنا الحى ويرجى غيرى وتطرق الفكر أبواب غيرى و بيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلقة و بابى مفتوح لمن دعانى من ذا الذى أملنى لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذى رجانى لعظيم جرمه فقطعت رجاءه منى أم من ذا الذى قرع بابى فلم أفتحه له وجعلت آمال خلقى بينى و بينهم متصلة فتعلقت آمالهم بغيرى وجعلت رجاءهم مدخرا لهم عندى فلم يرضوا بحفظى وملأت سمواتى ممن لايملون تسبيحى من ملائكتى وأمرتهم أن لايغلقوا الأبواب بينى و بين عبادى فلم يثقوا بقولى ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى أنه لايملك كشفها أحد غيرى ، فمالى أراه بآماله معرضا عنى ؟ ومالى أراه لاهيا بسوائى وأعطيته بجودى مالم يسئلنى ، ثم انتزعته منه فلم يسألنى رده وسأله غيرى أفترى انى أبدأ بالعطية قبل المسئلة ؟ ثم أسئل فلاأجيب سائلى أبخيل أنا فيبخلنى عبدى ؟ أليس الدنيا والآخرة لى أوليس الرحمة والفضل بيدى أوليس الجود والكرم لى أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذى يقطعها دونى ؟ وما عسى أن يؤمل المؤملون لوقلت لأهل سمواتى وأهل أرضى أملونى ، ثم أعطيت كلّ واحد من الفكر مثل ما أعطيت الجميع مانقص ذلك من ملكى عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل أناقيمه فيا بؤس القانطين من رحمتى ويا بؤس من عصانى ولم يراقبنى وثبت على محارمى ولم يستحى منى» انتهى

﴿والأصل الذى ينبنى عليه هذا المعنى﴾ هو تحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسنا وهل أسدى اليك الا مننا ؟ وأصل الاعتماد على غير الله سوء الظن بالله أعاذنا الله منه * قال ابن عطاء الله لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه فعظمة الذنب التى توقع العبد فى اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى ، فهذه عظمة مذمومة قادحة فى الايمان وهى شرّ عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم

ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله تعالى لاستحقر ذنوبه فى جنب كرمه وفضله ، فأىّ قدر للعبد أوقيمة حتى يقع فى ذنب لايسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره ✡ قال ابن عطاء الله فى التنوير ، واعلم أنه لابد فى مملكته من عباد لله تعالى هم نصب الحلم ومحلّ ظهور الرحمة والشفاعة والمغفرة ، وافهم قوله ﷺ «والذى نفسى بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفرلهم» وقوله ﷺ «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» ✡ وجاء رجل الى الأستاذ سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، فقال ياسيدى كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت ، وظهر من ذلك الرجل استغراب انه يكون هذا ، فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته من أحبّ أن لا يعصى الله فى مملكته ، فقد أحبّ أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة النبى ﷺ وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راجيا و بقدر ايمانه وان عصى عالما انتهى ، فلا ينبغى للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤدّيه الى اليأس والقنوط من رحمته و يسيء الظن بربه ، وانما يستعظمه استعظاما يحمله على التوبة منه والاقلاع عنه والعزم على أن لا يعود لمثله ، فهذه عظمة محمودة وهى من علامات ايمان العبد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه ، قال به هكذا فأطاره ، و يقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى ، وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى ، فعلى العبد أن يتوب الى ربه من الذنب ويرجع اليه عنه ، ويعلم أن حكمة الله تعالى فى تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه ، وفى الخبر عن رسول الله ﷺ لولا ان الذنب خير مانع من وجود العجب الذى هو أعظم حجاب بين العبد ومولاه ماخلى الله تعالى بين مؤمن وذنب أبدا ، فنبهك بهذا على ان الذنب مانع من وجود العجب ، لأن صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له ، والذنب يوجب له الخوف والحذر والالتجا الى الله تعالى ، والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه ، والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه ، والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار ، وأحبّ أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه ، وأشرف أحوال المؤمن مايرده اليه ويقبل به عليه ✡ والحاصل ان من عرف ربه بالغفران والكرم استصغر ذنبه فى جنب عفو الله وكرمه ، ومن عرف ربه بالسطوة والكبرياء استعظم ذنبه استعظاما يحمله على التوبة ، فلا بدّ من النظر فى الأمرين ليحمله على التوبة والرجاء والخوف قال تعالى (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الأليم) يروى أن الزهرى قارف ذنبا فاستوحش من ذلك وهام على وجهه ، فقال له زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما : يازهرى قنوطك من رحمة الله التى وسعت كلّ شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهرى الله أعلم حيث يجعل رسالته فرجع الى أهله و يرحم الله القائل :

ذنوبى ان فكرت فيها عظيمة ✡ ورحمة ربى من ذنوبى أوسع
وماطمعى فى صالح قد عملته ✡ ولكننى فى رحمة الله أطمع

﴿ فلابدّ للمؤمن من خوف ورجاء ﴾ والخوف بلا رجاء قنوط والرجاء بلاخوف غرور ، فالخوف والرجاء حقيقتان متلازمتان ، ولذلك قيل الخوف كله لأهل الرجاء الا اليأس من رحمة الله والرجاء

كله لأهل الخوف الا لأمن مكر الله ، قال يحيى بن معاذ : من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الأفكار ، ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ، ومن عبد الله بالخوف والرجاء استقام على المحجة البيضاء ، ومن عبدالله بالمحبة المجردة من الخوف والرجاء فقد تزندق وسلك مسلك القائلين بعدم الكسب والاختيار وسلب فاعلية العبد بالكلية ، وانه مدفوع استعمل بكل وجه واعتبار فلا تكاليف اذن حتى يترتب عليه الخوف والرجاء ، فهذا الذى يزعم أنه محب لله يعبده مقرا بربوبيته معترفا بالعبودية لربه ، وان له الخلق والتصرف والاحسان والانعام و يحبه لذلك ولا يخاف ولا يرجو فقد تزندق بفقد الخوف والرجاء ، فعلى العبد أن يستعظم ذنبه وان كان صغيرا استعظاما يحمله على التوبة ، فانه لاصغيرة اذا قابلك عدله ولا يستعظمه ولو كان كبيرا استعظاما يؤديه الى اليأس والقنوط فانه لا كبيرة اذا واجهك فضله فاتق ربك واحذره وخفه ولا تستهون شيئا من مخالفته فلا يكن فى عزمك وطويتك الاتقواه واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فان صدر منك مخالفة فحسن ظنك بالله تعالى واستحضر أنه أهل للعفو عنك ولمغفرة ذنبك ، وفى الحديث «المؤمن من سرته حسنته وساءته سيئته ، أى سرته من حيث معاملة الله له بذلك حيث خلق الحسنة فيه لامن حيث كونه عمله وفعله وساءته سيئته من حيث كونه اكتسبها ولا ينظر الى كونها مخلوقة لله تعالى ومقدرة عليه ، فان هذا النظر يحمله على التهاون بها ، فالنظر الى صفة العدل والفضل ناشىء عن شهود الجلال والجمال فصاحب النظر الى عمله تارة يغلب خوفه وتارة رجاؤه ، وأما من يشهد العدل والفضل فانه يستوى خوفه ورجاؤه ☆ قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لبعض بنيه : يابنى خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله عز وجل رجاء ترى انك لو أتيته بسيآت أهل الأهل غفرها لك ، وقال عمر رضى الله عنه لو نودى ليدخل النار كل الناس الا رجلا لرجوت أن أكون ذلك الرجل ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخفت أن أكون ذلك الرجل ومن هنا قالوا : المؤمن الكامل يستوى خوفه ورجاؤه فيكونان كجناحى طائر واستحضر أن الاحسان لاينفع مع البغض والاساءة لاتضر مع الحب ، فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر ، واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر ☆ قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة ، وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ، ومن دعائه رضى الله عنه الهى ان أحببتنى غفرت سيآتى وان مقتنى لم تقبل حسناتى . وما أحسن قول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى دعائه ومناجاته : واجعل سيئاتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة لاتضر مع الحب منك ☆ وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى مناجاته إلهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك ، قال بعض العارفين : اذا كان اعتماد العبد على فضل الله تعالى وكرمه صغر عنده كل شىء دون ذلك واستحكم فى قلبه رؤية المفضال الكريم ، فعند رؤية الأوصاف الأزلية تضمحل الصفات البشرية فضلا عن أن يكون لها علم أو عمل فعند ذلك تزكو الأعمال وتفيض على القلوب أنوارها وتكسى الأحوال أسرارها وتنشط الجوارح والقوى و يصحو من سكر الهوى وذلك ثمرة غيبة العبد عن كونه عاملا ، فيكون كالآلة فى يد الصانع يحركها و يسكنها كيف يشاء ، والأعمال اذا غاب العبد عن كونه عاملا لها تزكو عن ظلمة القوادح

وتسلم من آفات الرياء والاعجاب ، ولا يكون كذلك إلا من قد انمحقت بقاياه وتلاشت أوصافه وعيت ذاته تحت مشرقات أنوار التوحيد وسحقت تحت عظمة التفريد ، ومن لا يكون كذلك لا ينفك غالبا عن محبطات الأعمال من رذائل الأوصاف وشوائب الاحوال * لا يقال ان المجاهدة لها أثر فى الظواهر لأنه يحصل بها التحرى فى طرق الاخلاص والصدق * لانا نقول ان ذلك صحيح لاشك فيه ، لكن لا يكون ذلك كمن هو مأخوذ عن نفسه غائب عن حسه مع بقاء الصحو فى الأعمال ، والحفظ فى الأعمال ، فسبحان من رفع شأن قوم وأعلى مقامهم ، وتمم عليهم سابغات فضله وجنبهم ما ابتلى به غيرهم من الآفات

﴿فرجاء العمل لصلاح القلب وحصول نجاحه ، انما يكون بالغيبة عن رؤية النفس﴾ فكل عمل تظهر فيه لا يعتدّ به وان كان خطيرا ، وكلما غابت عن رؤيتها له فهو العظيم ، وان كان حقيرا ، ولذلك قال ابن عطاء الله فى الحكم لا عمل أرجى للقلوب ، أى لصلاحها من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده ، وهذا فيه جمع بين الحقيقة والشريعة وهو عين الكمال ، فاذا نظرت اليه بعين الحقيقة رايته منة وعطية من الله وهبت لك فضلا منه ، فترى انك مسير مستعمل ولا تشهده من نفسك ، وليس المراد انك لا تشهده ، أى لا تعرف وجوده ، لأن ذلك مخصوص بأهل الغيبة والفناء واذا نظرت اليه بعين الشريعة رأيت كسبك ، وان الله نسبه اليك وأنت ضعيف عاجز فقير معيب ناقص ، فعملك حقير معلول ، فالنظر الأوّل يوجب فرحك وله طريقان ، أحدهما أن تفرح بتوفيق الله اياك لما ينفعك فيما لك فيه مصلحة ، وثانيهما أن تفرح بأن مولاك ذكرك بما يرضيه وهذه أعلى لأن الفرح فيها بالله ولله ، والنظر الثانى يوجب فرحك بالسلامة من العجب والكبر والرياء وبوجود علامة أهل السعادة فترجو الله يرحمك بذلك العمل الحقير ويتقبل منك النزار اليسير ، والثانى غير لازم للأوّل ، لأنه قد يشهده منه ويعظم عنده فيعجب به من حيث أن مولاه أعتنى به ، والاول غير لازم للثانى لأنه قد يغيب عنه شهوده منه ويرى الفعل من نفسه ، فلا بد من الأمرين وهما أن يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده فى ذلك ترويح للقلوب وجبر لصدعها لأن القلوب اذا علمت أن لا صغيرة اذا قابلها العدل لم يبق فى اليد شيء ويصير الانسان معلقا من أشفار عينيه ، فالذى يستأنس به القلب ويحصل له به الاستبشار أنه يغيب عنه شهود العمل ويحتقر وجوده فيعلم أن ذلك هو العمل الصالح ، قال بعض العارفين فى قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) أى يرفع عن القلب رؤيته والاعتماد عليه ، فلا تعتمد عليه فى تحصيل أمر من الأمور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيته التقصير فيه ، وعدم سلامته من الآفات المانعة لقبوله وترى أن ذلك أجراه الله عليك فضلا منه ومنة على حسب ما قسمه وقضاه لك ، وترجوه أن يسامحك عما اكتسبته فيه من التقصير ، وتبقى مع ربك لا مع عملك ، فعلامة رفع الحق ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شيء ، فانه اذا بقى فى نظرك منه شيء لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغى للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا ويتوصل الى جعله نسيا منسيا باتهام النفس ورؤيته التقصير ، وبرؤية الفضل والمنة من الله تعالى والتبرى من الحول والقوّة ، وفى بعض نسخ الحكم لا عمل أرجى للقبول ، وتقريره على هذا أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط فى قبوله لأن صاحبه متق لله تعالى وقد قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) وانما يسلم العمل من الآفات باتهام

النفس

النفس فى القيام بحقه فيغيب عنه شهوده و يحتقر وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه فى توفيقه له أوقعه ذلك فى العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه * قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه مااستحسنت من نفسى عملا فاحتسبته ، وقال على بن الحسين رضى الله عنهما كل شىء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك ، فذلك دليل على أنه لايقبل منك وماانقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول ، فعلامة قبول العمل نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية ، واعلم أن الوارد الذى ورد على قلبك فأوجب لك النهوض لذلك العمل انما أورده عليك مولاك ، ولولا ذلك الوارد ماصدر منك اكتساب ذلك العمل ، فالفضل والمنة لله تعالى فى الأولى والآخرة ، حيث أورد فيك ذلك الوارد ، ثم خلق العمل فيك وجعله مطيتك للسير الى الحضرة الربانية ووفقك للتعلق بالله والتوجه اليه والانقطاع له ، وجعل بذلك تزكية أخلاقك المذمومة وتبديلها بالاخلاق المحمودة ، ولا يشكل عليك اختلاف عبارات المشايخ فى التعبير تارة برؤية التقصير وتارة برؤية الفضل والمنة ، فانهم انما يراعون فى ذلك أحوال السالكين فيأمرون أهل البدايات بعدم رؤية العمل لوجود التقصير ، ويأمرون أهل النهايات برؤية الفضل والمنة ، وعلى ذلك يخرج قول ابن عطاء الله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم ، والمراد الأعمال الظاهرة والأحوال القلبية ، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، وأما الواصلون فانه غيبهم عنها بشهوده ، فقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه أبقاهم ولم يدعهم لسواه ، فالواصلون فعل بهم ذلك طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) فالواصلون قطعهم عن رؤية أعمالهم لشهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشاهد معه غيره اذ محال أن يراه و يشهد معه سواه ، والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى لرؤيتهم نقصها لعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعلها ، فهم أبدا متهمون لأنفسهم فى توفية أعمالهم حقها وتصفية أحوالهم القلبية ، فكان ذلك سببا فى البراءة من شهودها ورؤيتها * قال النهرجورى رضى الله عنه من علامات من تولاه الله فى أحواله أن يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهداته وقلة المراعاة فى فقره ، فتكون جميع أفعاله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله تعالى فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل مادونه ، وقال أبو عمرو اسماعيل بن نجيد رضى الله عنه لايصفو لأحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء وأحواله كلها دعاوى

﴿وقال أبو يزيد رضى الله عنه﴾ لوصفت لى تهليلة واحدة ماباليت بعدها بشىء ، والى هذين المقامين تشير الحكاية التى تروى عن الواسطى رضى الله عنه ، وذلك أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان رضى الله عنه بماذا يأمركم شيخكم ؟ فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها ، فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها * قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ، وانما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب وأن تترقى همتهم الى مقام العرفان ، لاتحقير ماهم عليه فانه من الاحسان لكنهم لم يخرجوا عن رؤية نفوسهم فى الاشياء ولا تصفو الاعمال مع رؤية النفس فيها فلذلك لم يعتدوا بها ولم يعتمدوا عليها ، وأما ان رأوها واعتمدوا فى سلوكهم عليها ، فان ذلك آفة عظمى ينشأ عنها الادلال والاعجاب ضروب من الصفات

سلم منها الموفقون وتحصن عنها المتقون والذين يرون أعمالهم يفرحون بها من حيث أنها طاعة ومثوبة وسلامة من عقوبة لامن حيث ان الله أبرزها لهم من خزائن فضله ، فمن كان فرحه بالعمل من حيث انه فعله وعمله وشاهده بحوله وقوته فهو بان على غير أساس وفرحه هذا يؤدى الى العجب والرياء وحصول المنزلة فى القلوب فيكون ذلك العمل حسنة أحاطت بها سيآت ، فان عرف ذلك من نفسه تداركه بالتوبة والاخلاص ، وان خفى عليه فلينظر الى فرحه بالعمل من حيث انه عمله لكن لالذاته ، بل لما وعد عليه من الأجر والثواب فهو فرح محمود من حيث انه تصديق بالوعد ومع ذلك فيه نوع نقص من حيث انه فرح بالحظ وان كان فرحه به لامن حيث انه عمل بل من حيث انه فضل ومنة من الله وتوفيق منه فهو محمود من كل وجه ، لانه انما فرح بفضل الله ومنته ، قال ابن عطاء الله فى الحكم لاتفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فعلى العبد أن لايركن الى الاعتماد على الطاعة لأن القبول مشروط بالتقوى والاخلاص والقوادح كثيرة وأسباب تهمة النفس غير منحصرة ، وعليه أيضا أن لاييأس من رحمة الله ولايقنط من عفوه فان أسباب الرحمة كثيرة وطرق العفو غير منحصرة وأيضا الاعمال معتبرة بخواتيمها والله مقلب القلوب ، ولهذا كان من لازم المؤمن أن يرجو ويخاف ويلازم الذل والانكسار ولا يغتر بالظواهر ، فكم من شخص متعبد متهجد عامل بظواهر الطاعات مجتنب لظواهر السيآت ، وهو مع ذلك معجب مغرور متكبر ، فهو بجده وكده سالك سبيل طرده وبعده ، وكم شخص ترك الدنيا ورفضها وردّ نفسه الى اليسير منها أعلى رتبة منه عند ربه ، بل رب فاسق من الفساق المنهمكين فى الفسق أعلى رتبة منه عند ربه ، لأن من شهد البعد فى القرب استولى عليه الخوف ، فيترقى بذلك درجات ، ومن شهد القرب فى البعد فهو ممكور به فى وجود الأمن فيتردى بذلك الى دركات سفل فصاحبة الذل والانكسار للعاصى تستلزم التوبة والندم وذلك ماح للذنب ومصيره فى حكم العدم ، قال ابن عطاء الله رضى الله عنه ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول ، فينبغى للعبد أن لا ينظر الى صور الأشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لاتقتضى وجود القبول لها لما تضمنته من الآفات القادحة فى الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها وجود صورة الذنب لاتقتضى الابعاد والطرد ، بل ربما يكون سببا فى الوصول الى الرب وحصوله فى حضرة قربه ، كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة ، وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال «والذى نفسى بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ، وذلك أن العبد يصحبه عند عمله بالطاعات أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه فى الذنب اللجأ الى الله تعالى بسبب الذنب والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله ، فالطاعة التى يصحبها كبر وعجب ورضا عن النفس واحتقار للغير ، فهى طاعة وعطاء صورة ومعصية ومنع حقيقة ، والمعصية التى يصحبها اتضاع وخضوع واحتقار نفس وانكسار قلب والتجاء الى الله واعتذار اليه فهى معصية ومنع صورة وطاعة ، وعطاء حقيقة ، فينبغى للعبد أن لاينظر الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان عاصيا ، قال أبو حازم رضى الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وماخلق الله له من سيئة أضرّ له منها ، وان العبد ليعمل

السيئة تسوءه حين يعملها وماخلق الله له من حسنة أنفع له منها ، وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيمتن بها ويرى أن له فضلا على غيره ، ولعل الله أن يحبطها و يحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ، ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفه فى قلبه باق ، ولهذا قال ابن عطاء الله معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا فالذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار مناقضان لهما ، لأنهما من صفات الربوبية ولاخير فى الطاعات اذا لزم عنها شيء مما يناقض العبودية لأنها تحبطها وتبطلها كما لامبالاة بالمعصية اذا لزمها صفات العبودية لأنها أيضا تمحوها وتزيلها ، وقال سيدى أبومدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع ، وكان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليهم شهود الرحمة ، وكان يكرم الناس على قدر رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلايعبأ به ، وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته ، قال الحرث المحاسبى انما أراد الله تعالى من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم ، فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصى وذل هيبة لله تعالى وفرقا فهو أطوع لله عز وجل من العالم أو العابد بقلبه

﴿والحاصل أن القصد من الأسباب المسببات ، والمطلوب من الوسائل المقاصد ومن المقدمات النتائج﴾ وليس المراد من السحابة الأمطار ، وانما المراد منها وجود الاثمار وأعمال البر والطاعة ليست مشروعة لذاتها ولامطلوبة لصورها ، بل لما احتوت عليه من الخضوع والتذلل والتواضع والتملق ، فان ذلك هو حاصل العبودية ومقتضى عظمة الربوبية ✡ يروى أن أبا يزيد رضى الله عنه لما أكثر من الطاعات والمجاهدات نودى فى سره خزائننا مملوءة بالخدمة ، فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار ، وفى الحديث القدسى «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى» فالعمل الذى أورث ذلك وان كان معصية فالثمرة تنشأ عنه والنتيجة تكون منه ، والعمل الذى أثمر نقيض ذلك وان كان طاعة فالعبرة بما أثمره وترتب عليه ، فالمعصية التى صحبها التوبة والندم والذل والانكسار معصية أحاطت بها حسنات فالمعصية ثبت وزرها ولكن ثبت معها ثواب تلك الطاعات التى جرت اليها وربما محيت هى أيضا من الصحيفة والطاعة التى صحبها العجب والكبر واحتقار الغير وتوهم الاستحقاق بالأعمال طاعة أحاطت بها سيآت ، فالطاعة ثبت أجرها ولكن ثبت معها وزر تلك المعاصى التى جرت اليها ، وربما كان بعض المعاصى سببا لاحباط ثواب تلك الحسنة ، وهذا الكلام كله انما يخاطب به المريدون السالكون من أهل الأعمال الصالحة المخوف عليهم من رؤيتها والاعتماد عليها ، وأما أهل الفجور والانهماك فى الفسوق فلا يخاطبون بهذا أصلا ✡ واعلم أنه لامنافاة بين كون المقصود من العبادة الذل والافتقار وكون المؤمنين من أهل العزة والكافرين من أهل الذلة ، لأن المراد من الذلة المثبتة التواضع والخضوع لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعدم الرضا عن النفس ، وبالمنفية ذل الحرص والطمع والتواضع لمن لاخلاق له من أهل الدنيا لأجل دنياهم وعدم التنزه عن أقذار المعاصى ودنس المخالفات ، وانظر قول الله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) فقوله أذلة على المؤمنين ، معناه أنهم يكونون متواضعين خاضعى الجناح لهم أعزة على الكافرين أشداء عليهم أقوياء فى ملاقاتهم ، فعلى قدر تذلل العبد لربه وخضوعه له ولرسوله ﷺ وتواضعه للمؤمنين

تكون عزته ورفعة قدره وعلو منصبه ، وعلى قدر تكبره وعجبه ورضاه عن نفسه تكون ذلته وسقوطه من القلوب وانحطاط قدره ☆ قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى (يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل) يولج المعصية فى الطاعة والطاعة فى المعصية يفعل العبد الطاعة فيعجب بها و يعتمد عليها و يستصغر من لم يفعلها و يطلب العوض عليها ، فهذه حسنة أحاطت بها سيآت و يذنب الذنب فيلجأ الى الله تعالى فيه و يعتذر منه و يستصغر نفسه و يعظم من لم يفعله ، فهذه سيئة أحاطت بها حسنات ، فأيهما الطاعة وأيهما المعصية ؟

﴿وقال أيضا فى قوله تعالى - يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى - ﴾ كانسان أذنب ذنبا فتلافاه بالاعتذار والذلة والانكسار ، فهذا حى وهو الاعتذار خرج من ميت وهو الذنب ، وكانسان آخر فعل طاعة وهدمها بالعجب والافتخار ، فهذا ميت وهو العجب ، خرج من حى وهو الطاعة وأمثال ذلك منقول على سبيل الكثرة فى كلام القوم لانطول بذكره ، والحاصل أن الاستقامة على العبوديه لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر على العبد بذلك ، وانما يناقضها الاصرار عليه ، فاذا وقع من العبد ذنب ينبغى له أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة معربه ، و يرى أنه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله تعالى ، لأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه ، وقد وقع ذلك وفرغ منه ، فاذا تبت يقبل الله عليك بتوفيقه واحسانه وفضله وامتنانه ☆ قال ابن عطاء الله واذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك ، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك و يجب على السالك أن يتفطن لما تأمره به نفسه من الطاعات ، فقد يكون لها فى تلك الطاعة حظ وتلبيس ومقصد سيء خسيس تصير الطاعة به معصية ، فان النفس من شأنها أبدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق ، فهى لا تسعى الا فى ذلك ولو بفعل الطاعات فضلا عن المعاصى ، فمن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا ، وقد تجد من النشاط واللذة فى نوع من العبادة ما لا تجده فى نوع آخر ، وان كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه وماذاك إلا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر ، فأهل البصيرة والخبرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من أبواب العبادة لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيشون ذلك عليها و ينتقلون منه . وقد حكى عن أبى محمد المرتعش رضى الله عنه أنه قال حججت كذا كذا حجة على التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى ، وذلك أن والدتى سألتنى يوما أن أستقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى ، فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحجات كانت مشوبة بحظ من نفسى اذلو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ماهو حق فى الشرع ، فهذا مما يبين أن حظ النفس فى الطاعة موجود ولكنه خفى على العامل فلذلك تعسر مداواته لأنه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فليتطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية عمله من ذلك فلاجرم اذ كان معتذرا يجب عليه اتهام نفسه ومخالفة خدعها فى كل ما تدعو اليه كائنا ما كان ☆ قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضى الله عنه سمعت بعض مشايخى يقول عن أحمد بن أرقم البلخى ، قال حدثتنى نفسى بالخروج الى الغزو ، فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول (ان النفس لأمارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح به و يتسامع الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام ، فقلت لها أسلك العمران ولا أنزل على معرفة

فاجابت

فأجابت فأسأت ظني بها وقلت : الله أصدق قولا ، فقلت لها أقاتل العدو حاسرا لتكوني أول قتيل فأجابت ، وعدّ أشياء مما أرادها به فأجابت الى كل ذلك ، فقلت يارب نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق ، فألهمت كأنها تقول لي انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد ، فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك و يتسامع الناس فيقال استشهد أحمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس ، فقعدت ولم أخرج للغزو ذلك العام ، فهكذا خدع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها .

﴿قال في الحكم حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه﴾ وذلك لأن حظها في المعصية التلذذ بها ، فانها لا تطلب منك التلبس بالمعصية الا لأجل أن تلتذ بها فيحصل لك الوبال والنكال ، وحظها في الطاعة باطن خفي لا يطلع عليه الا أرباب البصائر وذلك لأن في الطاعة مشقة عليها ، فاذا أمرتك بالطاعة لم تعلم حظها فيه الا بعد تفتيش فقد تريك ان حظها فيها التقرب الى الله تعالى ، وفي الباطن ليس لها حظ الا اقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح ، ومن حاسب نفسه وراقب خاطره تبين له مصداق هذا ومداواة ما يخفى ، أي زوال حظوظها الخفية صعب علاجه لأنه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك ، فأرباب البصائر يتهمون نفوسهم اذا مالت الى عبادة من العبادات ، ويفتشون عن سبب ميلها اليها ، فان كان لحظ من حظوظها تركوها أو عالجوا نفوسهم في حال فعلها حتى تكون خالصة لله تعالى ، وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر وما ذاك إلا لأجل أن حظها فيه أكثر من الآخر ، فاذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت اليه نفسه الى غيره ، فان طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ والا كان لأجل حظها ، ومن ذلك فعل الطاعة مع الرياء فانه قد تحبه النفس ولو لم يره الناس لأن حظها اذا رآه الناس ظاهر جلي ، وأما اذا لم يروه فانه باطن خفي وذلك في شخص فعل الطاعة في مكان لا يراه فيه أحد فيظن أنه مخلص فيه ليس عنده شيء من الرياء مع أن الرياء أخفى في النفس من دبيب النمل فيحتاج هذا الشخص الى امتحان نفسه ، حيث ادّعت الاخلاص .

﴿وقد ذكروا لذلك علامات يعرف بها أنه مخلص أو مراء﴾ فان كان يحب بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ويحب مسارعتهم الى قضاء حوائجه ، بحيث اذا قصر أحدهم في حقه الذي يزعم أنه يستحقه حسب ما قام بنفسه يستبعد ذلك و يستنكره ، ويجد في نفسه تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة غيره ، فهو مراء بعمله وان أخفاه عن أعين الناس حتى ان بعض من كان كذلك يظهر ذلك على لسانه و يتوعد من قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله لا يدعهم حتى ينتصر له و يأخذ بثاره ، وذلك كله يدل على سخافة عقله وأنه مراء بعمله طالب به الثواب من الخلق لا من الخالق ، روى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا يرخص لكم في السعر ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج ؟ وفي حديث آخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم ، وعن وهب بن منبه رضي الله عنه أن رجلا من العباد قال لأصحابه انما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان ، أكثر مما دخل على أهل الأموال والأولاد وان أحدنا اذا لقيه أحد أحب أن يعظمه لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان

دينه وان اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال ذلك العابد ماهذا ؟ فقيل له هذا الملك قد أتاك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم ؟ قالوا هذا ، قال كيف أنت ؟ قال كالناس ، وفى رواية قال بخير ، فقال الملك ماعند هذا من خير وانصرف ، فقال العابد الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت ذام لى ، ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار من الرياء وعدوا أنفسهم بسببه من الاشرار ، كما روى عن الفضيل ابن عياض رضى الله عنه أنه قال من أراد أن ينظر الى مراءاة فلينظر الىّ ، وسمع مالك بن دينار رضى الله عنه امرأته وهى تقول له يامرائى ، فقال لها ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وقال الفضيل رضى الله عنه ترك العمل لأجل الناس رياء ، أى لأنه يحب أن يشتهر باخفاء عمله وانه مخلص ، والعمل لأجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما ، ودخل رجل على داود الطائى رضى الله عنه ، فقال ماحاجتك ؟ قال زيارتك ، فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى اذا قيل لى من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لاوالله أمن العباد أنت ؟ لاوالله أمن الصالحين أنت ؟ لا والله ، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا ، فلما كبرت صرت مرائيا ، والله للمرائى شر من الفاسق الى غير هذا مما روى عنهم فى هذا المعنى ، ولايسلم من الرياء الخفى والجلى الا العارفون الموحدون ، لأن الله طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجو من الخلق حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة ، فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس وبمرأى منهم ، ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار ، فهو مراء بعمله ، وان عبدالله تعالى فى قنة جبل بحيث لايراه أحد ولايسمع به ، قال يوسف بن حسين الرازى أعز شىء فى الدنيا الاخلاص وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبت فيه على لون آخر ، فتحقق بهذا أن الرياء كما يدخل العمل اذا عمله صاحبه عند الناس يدخله أيضا اذا عمله وحده ، والعلامات الدالة على ذلك محبته أن يطلع الناس على ماأعطيه من الخصوصية * قال ابن عطاء الله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك ، والمراد من الخصوصية مااختص الحق به بعض عباده من علم نافع أو عمل صالح ، وصدق العبودية فيه أن يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ، ولايتطلع الى أن يعرف ذلك أحد من الخلق فيشغله الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الأغيار له ، ولهذا فضل عمل السرّ على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد ذلك عن النبى ﷺ ، وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا انه لم يصم ، واذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله ، واذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق ، وقد سئل حكيم عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة ، وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه من أحب أن يعرف بشىء من الخير ويذكر به فقد أشرك فى عبادته ، لأن من عبدالله على المحبة لايحب أن يرى خدمته سوى مخدومه ، وقال الشيخ أبو عبدالله القرشى رضى الله عنه كل من لم يقنع فى أحواله وأقواله بسمع الله ونظره له دخل عليه الرياء لامحالة ، وقال بعض العارفين ماأخلص أحد قط إلا أحب أن يكون فى

جب لايعرف ، وقال سهل بن عبدالله رضي الله عنه من أحب أن يطلع الخلق على مابينه و بين الله تعالى فهو غافل ، وقال أبو الخير الأقطع رضى الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب ، وقال بعضهم لمن استوصاه : لاتحب أن تعرف ولاتحب أنك ممن لايحب أن يعرف ، فعلى العبد اخفاء حاله جهده وأن يبلغ فى كتمانه أقصى ماعنده ، وقال الحسن البصرى رضي الله عنه أدركت أقواما مامن أحد منهم يستطيع أن يسر شيئا من عمله إلا أسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه ومايعلم به حتى يقوم ، ولقد أدركت أقواما يأتى أحدهم الزور فيقوم فيصلى ومايشعر به الزور ، ولقد أدركت أقواما ومامن عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد أدركت أقواما يجمع أحدهم القرآن ومايعرف به جاره ، ولقد أدركت أقواما يجتهدون فى الدعاء وما يسمعهم أحد ☼ وقال محمد بن واسع رضى الله عنه أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ماتحت خده من دموعه لاتشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقدم أحدهم فى الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذى الى جنبه ، وفى رواية عنه ان كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لاتعلم ، فان وقع منه اعلان واظهار فى وقت مّا فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن أن يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه وليكرهه ولايرضه منها وليجاهد نفسه فى ذلك أشد المجاهدة ، فان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه فى حال ظهور ذلك منه ولو فى لحظة خيف عليه أن يعمل الفرح فى قلبه فيقع عند ذلك فى الفتنة ، فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع فى الرياء الجلى والخفى لأن سببه قد استتبّ له ، وان كان قوى الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ الغيرة على الحال و ينحط بذلك عن ذروة الكمال ، ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكى هذه الطريقة فان تحقق العبد فى المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جازله الاخبار بأعماله والاظهار بمحاسن أحواله بناء منه على نفى الغير وأداء لواجب حق الشكر .

﴿ كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة ﴾ فيقال له أماتخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يرائى بفعل غيره ، يعنى أن ذلك بخلق الله العمل فيه لابفعل نفسه ولابحوله وقوته ، وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لاتكتم ذلك ؟ فيقول أ يقل الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) وأنتم تقولون لاتحدث ، فان قصد من هذا حاله الى هداية عباد الله ودعائهم الى الله تعالى فأظهر أحواله وأعماله للاقتداء به والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الأول كله وداخل فى حكم هذا النوع الثانى ، وعلانية هذا أفضل من سره لأنه سلم من الآفات التى تعرّض لها غيره وحصلت منه الفوائد التى تضمنها اظهاره وجهره ، وقد جاء فى الخبر السر أفضل من العلانيـة والعلانية أفضل لمن أراد الاقتدا ، وهذا أرجح الوجوه عند العلماء فى قوله ﷺ للرجل الذى سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض أعماله لك أجران ، أجر السر وأجر العلانية ، وقد فضل جماعة من الصحابة اظهار الطاعة لأجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله ، فلاجرم كان له الدرجات العلى عند الله تعالى لأنه من الأئمة المتقين لله تعالى وقد أخبر الله تعالى بجزائهم وذكرهم عقيب دعائهم بذلك ، فقال عزّ من قائل (أولئك يجزون الغرفة

بما صبروا و يلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) * قال فى لطائف المنن اعلم أن مبنى الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ألم يعلم بأن الله يرى) وقال تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) فبنى أمرهم فى بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الأعمال وكتمان الأحوال تحقيقا لمقام الفناء وتثبيتا للزهد وعملا على سلامة القلب وحبا فى الاخلاص لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا فى الرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء ووردوا الى وجود البقاء فهناك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم ، ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شىء اليه ، فظهور الولى ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله له ، بل يطلب ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء ، فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله اظهارهم أظهرهم وتولاهم فى ذلك بتأييده وواردات من يده لقوله ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة رضى الله عنه لا تطلب الامارة ، فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ، ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء ، بل ارادته وقف على اختيار سيده له * قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عبدا لله فسواء عليه أظهره أو أخفاه ، فحقيقة صدق العبودية لله تعالى أن لا يكون له شعور مّا من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوّف اليه ولا طلب له ، وانما يكون شعوره وتشوّفه وطلبه مقصورا على ما من الله عليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب أدنى الحالين بأعلاهما ، وذلك بأن يعلم أن ما من الخلق اليه أمر وهمى باطل ينقاد اليه كل ذى عقل قاصر يوجب له هـذا الانقياد نوعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط فى اهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف الأسرار والاعلان . وهـذا عذاب أليم استعجله فى دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه أثواب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر ، وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

﴿قال ابن عطاء الله رضى الله عنه﴾ غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك ، فمن كان له عقل وافر لا يميل الا لاقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا عيب عائب ، ورضا الناس غاية لا تدرك ، وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك ، قال بعض العارفين : الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق لأجل اصلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صالح عمله ولا يكره أن يطلع السيء من عمله ، فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين * ورأى سهل بن عبدالله رضى الله عنه رجلا من الفقراء بمكة ، فقال له شيئا ، فقال له يا أستاذ لا أقدر على هذا من أجل الناس ، فالتفت سهل الى أصحابه ، فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين ، اما أن يسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا الا هو وخالقه ، فان أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه ، أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه ، ثم من له بحصول ما أراده منهم فأغراضهم مختلفة وطبائعهم متباينة

فربما

فربما استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره ، وربما رضى شخص بما لا يرضى الآخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب فى نفسه ❊ يروى أن لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه ، فقال الناس حين رأوه شيخ لم يشفق على صبى فاركبه خلفه ، فقالوا اثنان على حمار هلا زادوا ثالثا ؟ فنزل لقمان و بقى الولد ، فقالوا شيخ ماش وصبى راكب ، فنزل الولد يمشى مع والده وساقا الحمار جميعا ، فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقان ، وكان غرض لقمان بهذا أن يرى ابنه شأن الناس مع من يراعى نظرهم فانه لايسلم منهم على أى حال تكون ، فرضا الناس غاية لاتدرك ، فالعاقل يقصر نظره على ما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال ، فهو يعمل فيما يؤديه الى هذه المطالب و يقول بلسان حاله

ان الذى تكرهون منى ❊ هو الذى يشتهيه قلبى

قال محمد بن أسلم رضى الله عنه مالى وللخلق كنت فى صلب أبى وحدى ، ثم صرت فى بطن أمى وحدى ، ثم أدخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى ، فأدخل قبرى وحدى و يأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى ، فان صرت الى خير صرت وحدى ، وان صرت الى شر صرت وحدى ثم أوقف بين يدى الله وحدى ، ثم يوضع عملى وذنوبى فى ميزانى وحدى ، فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى ، وان بعثت الى النار بعثت وحدى ، فمالى وللناس ، فمن عرف الحق شهده فى كل شىء فلا يستوحش من شىء و يستأنس به كل شىء ، ومن فنى به غاب عن كل شىء ، فلا يكون منه على الأشياء اعتماد ولا له اليها استناد ، والعارف الكامل المتحقق فى مقام البقاء يرى الحق والخلق ويرى الحق ظاهرا فى كل شىء وقائما بها مع عدم غيبته عن نفسه وحسه ، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا من ارادته وشهواته ، فهذه علامات يعرف بها حال من ادعى بلوغ هذه المقامات العلية ، فمن لم يجدها فى نفسه فلا ينبغى له أن يدعى تلك المقامات ، وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها قال أبو مدين رضى الله عنه شاهد مشاهدته لك ولا تشاهد مشاهدتك له فانك اذا شاهدت مشاهدته لك وعرفت عنايته فيك وانه معك على الدوام ناظر اليك بلطفه مقبل عليك بفضله انتهت همتك اليه وخجلت من اعراضك عنه وقلت فى نفسك : اذا كان ملك الملوك بهذه العظمة والجلالة والاستغناء عنك ينظر اليك و يقبل عليك ، فكيف يسوغ لك أيها الضعيف الحقير الاشتغال بسواه ، وكيف تفتر لحظة عن خدمته ، وكيف لا يحصل لك الانتباه وتقول بلسان حالك وقالك فى بكورك وآصالك الهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى وما أرحمك بى مع قبيح فعلى وما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أرأفك بى ، فما الذى يحجبنى عنك خلقتنى ورزقتنى وسترتنى وجبرتنى وعن العباد بفضل ما خولتنى أغنيتنى واذا مرضت شفيتنى واذا دعوت أجبتنى واذا هربت رددتنى واذا زللت أقلتنى واذا عصيت رحمتنى واذا أطعت جزيتنى ياسيدى كن راضيا عنى فقد أرضيتنى ، فاذا تمت هذه المشاهد وحلت عليك العناية كانت لك فى الطريق أعظم مساعد واغتنمت حينئذ الأنفاس وحفظت الحواس فان أنفاسك جواهر ، فأى غنيمة أعظم من حفظ هذه الذخائر ، وأما مشاهدتك له فانها موجبة لقطيعتك وحرمانك و بعدك عن مقام احسانك ، اذ فى مشاهدتك هذه الشرك الخفى لنظرك لفعالك وذلك عين بعدك عن المقام الوفى فافن عن أفعالك فى أفعاله تصل ، واخرج عن أوصافك فى أوصافه تضمحل

ومن لم يخلع العذار لم ترفع له الأستار ، أى من لم يخرج عن القيود الرسمية ولم يفارق الصفات البشرية لم ترفع له الحجب ولا تشرق عليه أنوار النورانية ، فسبحان من ستر سر الخصوصية فى ظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية ، فكلما كان تحقق السالك بمقام عبوديته أكثر قطع الطريق بسرعة وكانت المشاق عليه أيسر فاطلب لك أيها السالك فى هذا الطريق مثل الاضطرار ولا أسرع اليك بالمواهب من الذلة والانكسار ، فتحقق أيها السالك بهذه الصفات تخرج من النفس والهوى والشهوة

﴿قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ قال الشيخ محي الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه المسمى مواقع النجوم ان الله عز وجل لما أراد أن يرقى عبده الخصوصى الى المقامات العلية قرب منه أعداءه حتى يعظم جهاده لهم وليشتغل بمحاربتهم أوّلا قبل محاربة غيرهم من الأعداء الذين هم منه أبعد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) الآية حظ الصوفى وكل موفق أن ينظر فيها الى نفسه الامارة بالسوء التى تحمله على كل محظور ومكروه وتعدل به عن كل واجب ومندوب للمخالفة التى جبلها الله عليها وهى أقرب الكفار والأعداء اليه ، فاذا جاهدها وقتلها وأسرها فحينئذ يصح له أن ينظر فى الأغيار على حسب مايقتضيه مقامه وتعطيه منزلته ، فالنفس أشد الأعداء شكيمة وأقواهم عزيمة فجهادها هو الجهاد الأكبر ، ومعنى الجهاد مخالفة هواها وتبديل صفاتها وحملها على طاعة الله ، وللنفس سيفان ماضيان تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم وهما شهوتا البطن والفرج وشهوة البطن أقوى وأشد من شهوة الفرج لأنه ليس لها تأييد إلا من سلطان شهوة البطن فما ملىء وعاء شرّ من بطن ملئ بالحلال ، فكيف اذا كان حراما ، فالطعام والاكثار منه قاطع عن الطريق وعن عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين جوّعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم لعل قلوبكم ترى الله تعالى ، وكذا الكلام وكذا التأذى بأذى الأنام فعليه بالصبر وأن لايجدهم مؤذين لأنه موحد فيستوى عنده المسىء والمحسن فى حقه ، بل ينبغى أن يرى المسىء محسنا ، وكذا المنام ✲ قال بعض العارفين من سهر أربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السموات أيقظنا الله وإياكم من رقدة الغفلة انه مجيب الدعوة ولاشىء أنفع للعبد من كثرة اللجا الى الله تعالى واظهار الذل والافتقار اليه مع التبرى من الحول والقوّة والرجوع الى حول الله وقوّته (وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلارادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) وهو الغفور الذى يستر بنوره ظلمة وجود الصديقين الرحيم يتقرب برحمته الى الطالبين الصادقين وهم الذين دينهم عبادة الله وطاعته ومحبته وطلبه لاعبادة الهوى والدنيا وطاعتها ومحبتها ، الغفور الذى يستر القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك العقاب والمؤاخذة فى الآخرة ، فتعرّضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية ، وحظ العارف من هذا الاسم أن يستر من أخيه مايحب أن يستر منه ، وقد قال عليه السلام « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة » والمغتاب والمتجسس والمكافى على الاساءة بمعزل عن هذا الوصف وانما المنصف من لايفشى من خلق الله إلا أحسن مافيهم ✲ يروى أن عيسى عليه السلام مرّ مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه ، فقالوا ماأنتن هذه الجيفة فقال عيسى عليه السلام : ماأحسن بياض أسنانها تنبيها على أن الذى ينبغى أن يذكر من كل شىء ماهو أحسن نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال رحمته ، ويديم لنا دوران كاسات فضله ومغفرته

قال

﴿قال ابن عطاء فى قوله تعالى ـ فاستقم كما أمرت﴾ أى افتقر الى الله تعالى مع تبريك من الحول والقوة ، فالنفوس جبلت على الاعوجاج عن طريق الاستقامة إلا ما اختص منها بالعناية الأزلية والجذبة الالهية (والله يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم) ولا يكون الفضل إلا للقلوب المنكسرة المتعرضة لنفحاته الالهية * قال يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام (والاتصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) وهذا فزع منه الى ألطاف الله جريا على سنن الأنبياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن باظهار أن لاطاقة له بالمدافعة كقول المستغيث أدركنى والاهلكت ، لأنه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفى نفسه داعية تدعوه الى هواهن ، وانما قال وأكن من الجاهلين أى الذين لايعملون بما يعلمون لأن من لم يعمل بعلمه هو والجاهل سواء قال تعالى (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) بيان لثمرة الرجوع الى الله والالتجاء اليه ، فعلم من ذلك انه لايمكن الخروج من النفس بالنفس ، وانما يمكن الخروج من النفس بالله تعالى وكان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بثلاث كلمات من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله تعالى أصلح الله ما بينه وبين الناس وفى الحديث القدسى « ألا من طلبنى وجدنى » وذلك بيان لسعة فيضه وجوده على عباده والتقرب انما يكون الى الله بقطع التعينات ورفع الحجب ، وذلك مشروط بشرائط ومربوط بأسباب فى الصورة الظاهرة ولاتفتح تلك الشرائط والأسباب الا بالجذبة الالهية والدعوة الربانية ، فلا بد من الذل والافتقار والتعرض للنفحات الالهية ، فمن دعاه وأزال الموانع عن طريقه فقد وصل والا فقد انقطع دونه الطريق وبقى متحيرا مبهوتا ، فالأصل والأساس الذل والافتقار والرجوع الى الله تعالى عدد الأنفاس

﴿قال سعد بن أبى وقاص للنبى ﷺ ادع الله لى أن يجعل دعوتى مستجابة﴾ فقال له النبى ﷺ أطب مطعمك تستجب دعوتك ، فقال يارسول الله ادع الله أن يطيب مطعمى ، فأشار بذلك الى أن الكل من الله والى الله (ألا الى الله تصير الأمور) فـ(ـله الحمد فى الأولى والآخرة) * قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام رضى الله عنه مبنى طريق القوم على أربعة أشياء ، وهى اجتهاد وسلوك وسير وطير ، فالاجتهاد التحقق بحقائق الايمان ، والسير التحقق بحقائق الاحسان ، والطير الجذبة بطريق الجود والاحسان الى معرفة الملك المنان ، رأى بعض الصالحين النبى ﷺ فى المنام ، فقال له يارسول الله روى عنك أنك قلت : شيبتنى هود ، فقال نعم ، فقال له فما الذى شيبك منها ؟ أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ، ولكن قوله (فاستقم كما أمرت) * قال بعض العارفين وذلك لأن حقيقة الاستقامة هى الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط فى كل الأمور من الطعام والشراب واللباس فى كل أمر دينى ودنيوى ترغيب وترهيب أو حال أو حكم أو صفة أو معاملة وذلك هو الصراط المستقيم كالصراط المستقيم فى الآخرة ، والتمشى على هذا الصراط الذى يقال لها الاستقامة الاعتدالية عسير جدا ، لأن الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذى أمر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «شيبتنى هود» ومن يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد بالمشاهدات القوية والآثار الصادقة ثم بعناية الله به وتفضله عليه بالتثبت كما قال

تعالى (ولولا أن ثبتناك) ثم بحفظ وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب . ولولا هذه المقدمات لتفسخ دون هذا الخطاب ألا تراه كيف قال للأمة استقيموا ولن تحصوا أى لن تطيقوا الاستقامة التى أمرت بها . قيل لمحمد بن الفضل حاجة العارفين الى ماذا ؟ قال حاجتهم الى الخصلة الواحدة التى كملت بها المحاسن كلها ألا وهى الاستقامة ، فكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة * وقال أبو على الجرجانى رضى الله عنه كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة ومولاك يطلب منك الاستقامة ، فالكرامة الكبرى الاستقامة فى خدمة الخالق لا باظهار الخوارق ولا تتيسر الاستقامة الا بايفاء حق كل مرتبة من الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة ، فمن رعاية حد الشريعة العدالة فى الأحكام ، فالاستقامة فى مرتبة الطبيعة برعاية الشريعة ، وفى مرتبة النفس برعاية الطريقة و وفى مرتبة الروح برعاية المعرفة ، وفى مرتبة السر برعاية المعرفة والحقيقة ، فراعاة تلك الأمور فى غاية الصعوبة ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : شيبتنى هود ، فالكمال الانسانى بتكميل تلك المراتب لا باظهار الخوارق ، قيل لأبى يزيد رضى الله عنه ان فلانا يمشى على الماء قال ان السمك والضفدع كذلك فقيل له ان فلانا يطير فى الهواء قال ان الذباب كذلك ، فقيل ان فلانا يصل من المشرق الى المغرب فى آن واحد قال ان ابليس كذلك ، فقيل له فما الكمال عندك ؟ قال ان تكون فى الظاهر مع الخلق ، وفى الباطن مع الحق * والحاصل أن النفوس جبلت على الاعوجاج عن طريق الاستقامة الا ما اختص منها بالعناية الأزلية والجذبة الالهية (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) ومن لم يصبه رشاش النور الالهى عند قسمة الأنوار فماله من نور يخرجه من الظلمات .

﴿فالبعيد عن الشقاء من سبقت له الحسنى﴾ كما قال تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فالحسنى هى السعادة ومن آثار سبق العناية الأزلية أن لا يسمعوا حسيس جهنم القهر وحسيسها مقالات أهل الأهواء والبدع المشوبة بالوهم والخيال وظلمة الطبيعة (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) ، قال ابن عطاء الله للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة ، فشهوة القلوب المشاهدة والرؤية وشهوة الأرواح القرب وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة والأكل والشرب والزينة (لا يحزنهم الفزع الأكبر) بالموت فى القيامة الصغرى ولا بتجلى العظمة والجلال فى القيامة الكبرى (وتتلقاهم الملائكة) عند الموت بالبشارة وعند البعث النفسانى بالسلامة والنجاة وعند الرجوع الى البقاء بعد الفناء حال الاستقامة بالسعادة التامة ، وعند البعث الحقيقى بالسعادة التامة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) ، قال بعض العارفين : تتنزل عليهم الملائكة فى الدنيا والآخرة من جهته تعالى فى الدنيا يمدونهم فيما يعرض لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما أن الكفرة يمدهم ماقيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وكذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وفى القبر وعند البعث اذا قاموا من قبورهم فى كل موطن من هذه المواطن تبشرهم بأن كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم لا يكون ، ومن كان راضيا بجميع ما يجريه الله عليه مستسلما للأحكام الأزلية فلا حزونة فى عيشه بل من يكون قائما بالله وهائما فى الله دائما مع الله لا يدركه الخوف والحزن والملائكة تبشرهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا على فوات

العناية فى السابقة (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) ، وعن ثابت البنانى رضى الله عنه أنه قال بلغنا أنه اذا انشقت الأرض يوم القيامة ينظر المؤمن الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لاتخف ولاتحزن وأبشر بالجنة الموعودة وأنك سترى اليوم أمورا لن ترى مثلها فلاتهولنك فانما يراد بها غيرك وقال بعضهم يقولون أبشروا بجنة الوصلة فان الوعد صار نقدا فما بقى الوعد والوعيد وماهو الاعيد فى العيد فما وعد الله للعوام من جميع الثواب وللخواص من حسن المآب نقد لخواص الخواص من أولى الألباب ، و يقال أيضا لاتخافوا من عزل الولاية ولاتحزنوا على ما أسلفتم من الجناية وأبشروا بحسن العناية فى البداية لا تخافوا فطالما كنتم من الخائفين ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين (وأبشروا بالجنة . فلنعم أجر العاملين) ☆ قال الامام الشبلى رضى الله عنه عجبت ممن استقام مع الله فى مشاهدته وأدرك جماله كيف تطيق الملائكة أن يبشروه ، أين الملك وأين ذلك بين الحبيب والمحبوب ليس وراء بشارة الحق بشارة فان بشارة الحق سمعوها قبل بشارة الملائكة بقوله (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ليس لهم خوف القطيعة ولاحزن الحجاب وهم فى مشاهدة الجبار وقول الملائكة ههنا معهم تشريف لهم لانهم يحتاجون الى مخاطبة القوم وقوله تعالى حكاية عن قول الملائكة (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى مافيه خيركم وصلاحكم بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله وتأييده لهم بواسطة الملائكة ☆ قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه من لاحظ فى أعماله الثواب والأغراض كانت الملائكة أولياءه ومن عملها على مشاهدته تعالى فهو وليه لانه يقول (الله ولى الذين آمنوا) وقوله (وفى الآخرة) أى نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم مايقع من التعادى والتخاصم ☆ قال بعض العارفين : ولاية الرحمة للعوام وولاية النصرة للخواص وولاية المحبة لأخص الخواص فبولاية الرحمة للعوام فى الحياة الدنيا يوفقهم لاقامة الشريعة ، وفى الآخرة يجازيهم بالجنة ، و بولاية النصرة للخواص فى الحياة الدنيا يسلطهم على أعدى عدوهم وهو نفسهم الامارة بالسوء ليجعلوها مزكاة من أخلاقها الذميمة وأوصافها الدنيئة وفى الآخرة بجذبة (ارجعى الى ربك)، و بولاية المحبة لأخص الخواص فى الحياة الدنيا يفتح عليهم أبواب المشاهدات والمكاشفات وفى الآخرة يجعلهم من أهل القربات والمعاينات ، ومن ولاية الله تعالى عفو الزلل فان الزلل لايزاحم الأزل ، ومن ولاية الله تعالى التفضل عليهم فى الدنيا بالفوز العظيم وهو دخول جنة القلب ولقاؤه تعالى فى الدنيا والآخرة لكن لما كان هذا الفوز غير ظاهر بالنسبة الى العامة وكان الظاهر عندهم الفوز بالجنة قال الله تعالى فى سورة الجاثية (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين) يعنى الظاهر كونه فوزا لافوز وراءه فهو مشتمل على الفوز العظيم أيضا لان الجنة محل أنواع الرحمة فظهر بهذا أن الفوز العظيم يكون فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا بدخول جنة القلب باشراق القلوب والمعارف والتشرف بمقام الاحسان وان الفوز المبين يكون فى الجنة وهو مشتمل على الفوز العظيم وزيادة ولا يكمل دخول جنة القلب فى الدنيا الا بكمال الاخلاص بأن يعبد الله لالغرض فى الدنيا ولا فى الآخرة ، قال بعض العارفين والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم إياه تعبدون) أى لاتتخذوا ما كشف لكم عند تجلى شمس الروح من المعقولات وأنواع العلوم الدقيقة مقصدا ومعبدا كما اتخذت الفلاسفة ولاتتخذوا أيضا ماشهدتم عند تجلى شواهد الحق فى قمر القلب

من المشاهدات ومكاشفات العلوم الدينية مقصدا ومعبدا كما اتخذ بعض أرباب السلوك ووقفوا عند عقبات العرفان والكرامات فشغلوا بالمعرفة عن المعروف و بالكرامات عن المكرم واتخذوا المقصود والمعبود حضرة جلال الله الذى خلق ماسواه منازل السائرين اليه ان كنتم من جلة المحبين الصادقين الذين اياه يعبدون طمعا فى وصاله والوصول اليه لامن الذين يعبدونه خوفا من النار وطمعا فى الجنة فان استكبر أهل الأهواء والبدع ولم يوفقوا للسجود لجميع الوجود فالذين عند ربك من أرواح الأنبياء والأولياء ينزهونه عن احتياجه الى سجدة أحد من العالمين وهم لايسأمون * قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى قوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار) الآية ومن آياته ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور وهو سبب الوقوع فى السيآت والاستعداد لقبول الوساوس الشيطانية ، والنهار نور الروح باشراق أشعتها من القلب الى النفس ، وذلك سبب لمباشرة الحسنات والدفع عن السيآت والامتناع من قبول الوساوس والتعرض للنفحات ، والشمس اشارة الى الروح والقمر اشارة الى القلب لاتسجدوا للشمس بالفناء فيه والوقوف معه والاحتجاب به عن الحق ولا للقمر بالوقوف مع الفضائل والكمالات والتبوء الى جنة الصفات (واسجدوا لله الذى خلقهن) بالفناء فى الذات ان كنتم موحدين مخصصين العبودية به دون غيره لامشركين ولامحجوبين ، فان استكبروا عن الفناء فيه بظهور الانانية والطغيان والاستعلاء بصفات النفس والعدوان فان الذين عند ربك من السابقين الفانين فيه يسبحون له بالتجريد والتنزيه عن حجب ذواتهم وصفاتهم دائما بليل الاستتار فى مقام التفصيل ونهار التجلى فى مقام الجمع لايسأمون لكونهم قائمين بالله ذاكرين بالمحبة الذاتية وقال فى قوله تعالى (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) الى آخر الآية ألا ان أولياء الله المستقرين فى عين الهوية الأحدية بفناء الأنانية لاخوف عليهم اذلم يبق منهم بقية خافوا بسببها من حرمان ولاغاية وراء مابلغوا فيخافوا من حجبه ولاهم يحزنون لامتناع فوات شئ من الكمالات واللذات منهم فيحزنون عليه ، وعن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل من هم ؟ فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم وهذا رمز لطيف منه عليه السلام وعن عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله خبرنا من هم وأعمالهم مافلعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولايحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية * قوله وانهم لعلى منابر من نور يريد به اتصالهم بالمبادى العالية الروحانية كالعقل الأول ومايليه (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ان جعل صفة لأولياء الله ، فمعناه الذين آمنوا الايمان الحق وكانوا يتقون بقاياهم وظهور تلويناتهم (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) بوجود الاستقامة فى الأعمال والأخلاق المبشرة بجنة النفوس وفى الآخرة بظهور أنوار الصفات والحقائق الروحانية والمعارف الحقانية عليهم المبشرة بجنة القلوب وحصول الذوق بهما واللذة (لاتبديل لكلمات الله) لحقائقه الواردة عليهم وأسمائه المنكشفة لهم وأحكام تجلياته النازلة بهم وان جعل كلاما برأسه مبتدا فمعنى الذين آمنوا الايمان اليقينى وكانوا يتقون حجب صفات النفس وموانع الكشف من المشككات الوهمية والوساوس الشيطانية (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) بوجدان لذة برد اليقين فى النفس واطمئنانها بنزول السكينة ، وفى الآخرة بوجدان ذوق تجليات

الصفات وأثر أنوار المكاشفات لاتبديل لكلمات الله من علومهم اللدنية وحكمتهم اليقينية أوفطرتهم التى فطرهم الله عليهما فان كل نفس كلمة

وقال فى قوله تعالى (يا أيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم) الآية موعظة ، أى تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد ، والانذار والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة فى العقاب والتحريض على الاعمال الموجبة للثواب لتعملوا على الخوف والرجاء وشفاء لما فى الصدور أى القلوب من أمراضها كالشك والنفاق والغل والغش ، وأمثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين وتصفيتها لقبول المعارف والتنور بنور التوحيد ، والتهيؤ لتجلى الصفات وهدى لأرواحكم الى الشهود الذاتى ورحمة بافاضة الكمالات اللائقة ، بكل مقام من المقامات الثلاث بعد حصول الاستعداد فى مقام النفس بالموعظة ، ومقام القلب بالتصفية ومقام الروح بالهداية للؤمنين بالتصديق أولاثم باليقين ثانيا ثم بالعيان ثالثا .

﴿قل بفضل الله﴾ أى بتوفيقه للقبول فى المقامات الثلاث ، و برحمته بالمواهب الخلقية والوهبية والكشفية فى المراتب الثلاث فليقنعوا وان كانوا يفرحون ، فبذلك فليفرحوا لا بالامور الفانية القليلة المقدار الدنيئة القدر والواقع هو خير مما يجمعون من الخسائس الفاسدة والمحقرات الزائلة من جملة الحطام ان كانوا أصحاب دراية وفطنة وأرباب قدر وهمة ☆ وقال بعضهم قدجاءتكم موعظة المراد بذلك القرآن العظيم ، لانه مشتمل على الموعظة وهى التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب ، أى جاءكم كتاب مبين لما يجب لكم وعليكم مرغب فى الاعمال الحسنة منفر عن الاعمال السيئة ، وشفاء لما فى الصدور ودواء من أمراض القلوب كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الفاسدة وهدى إلى طريق الحق واليقين ، بالارشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والأنفس ورحمة للؤمنين حيث نجوا بمجىء القرآن من ظلمات الكفر والضلال ويقال أيضا القرآن موعظة للنفوس ، وشفاء للصدور وهدى للارواح ، ويقال الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى لأخص والرحمة للكل حيث أوصلهم إلى مراتبهم قل يامحمد للناس بفضل الله وبرحمته ، وهما عبارتان عن انزال القرآن فبذلك فليفرحوا هو ماذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من الاموال الفانية ☆ قال بعض الكبار فضل الله إيصال إحسانه اليك ورحمته ماسبق لك من الهداية ولم تك شيئا فكان الله تعالى يقول عبدى لا تعتمد على طاعتك وخدمتك واعتمد على فضلى برحمتى فان رأس المال ذلك ولوكان فى جمع الحطام منفعة لا نتفع قارون ☆ قال مالك بن دينار كنت فى سفينة مع جماعة فنبه العشار على أن لايخرج أحد فخرجت فقال ماأخرجك ؟ فقلت ليس معى شئ فقال اذهب فقلت فى نفسى هكذا أمر الآخرة فالعلائق قيد والتجرد حضور وراحة فالحرية التجرد عن كل ماسوى الله تعالى والاتعاظ بالموعظة القرآنية يوصل العبد الى السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية ☆ حكى أن من جملة الاسباب التى أوجبت خروج ابراهيم بن أدهم من ملكه وتجرده لعبادة الله تعالى وانه حصل له فى بعض الايام سرور بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلا أعطاه كتابا فاذا فيه ، مكتوب لاتؤثر الفانى على الباقى ولا تغتر بملكك فان الذى أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع الى أمر الله فانه يقول (سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) فانتبه فزعا ، وقال هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب الى الله تعالى واشتغل بالطاعة ، وفى قوله تعالى

جاءتكم موعظة اشارة الى أن القرآن الكريم ، تحفة من الله تعالى جسيمة وهدية منه عظيمة وصلت الينا فلم يبق الا القبول وقبوله الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه فيقرأ العبد القرآن بقدر مايتحصل به تصحيح الحروف ورعاية الخارج ويلزمه بعد ذلك صرف العمر الى الأهم وهو معرفة الله تعالى ، وذلك متعلق القلب الذى هو أشرف من اللسان وسائر الاعضاء ومعرفة الله غالبا انما تحصل بالذكر ثم بالفكر بانكشاف حقائق الاشياء وحقائق القرآن ، فكما ان الله تعالى أيد النبى صلى الله عليه وسلم بجبريل عليه الصلاة والسلام أيد الولى بالقرآن وعلم الشريعة ✡ وقال بعض العارفين : قل بفضل الله فليفرحوا فضل الله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تفضل به على الاولين والآخرين فهو الفضل العظيم ، والرحمة الواسعة ✡ وقال فليفرحوا ولم يقل فلتفرح أنت اشارة الى أن فرحه صلى الله عليه وسلم انما هو بربه ، فقوله قل الله من لطائف العبارات لاهل الاشارات فعليك بالله ودع ماسواه ، الله بس . وماسواه هوس ، فمن أراد الوصول الى الله ، فلينقطع عما سواه فانه لعب ولهو واللاهى واللاعب ليس بشئ ولايتنبه لذلك كال التنبه الا أولياء الله المعرضون ، عما سواه (ألاان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فهم أحباء الله وأعداء نفوسهم فان الولاية هى معرفة الله ومعرفة نفوسهم فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ، ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة عند كشف غطاء أحوالها وأوصافها فاذا عرفتها حق المعرفة وعلمت انها عدوة لله تعالى ولك ، وعالجتها بالمعاندة والمكابدة أمنت مكرها وكيدها وماذارت اليها بنظر الشفقة والمرحمة : فالولى لغة القريب والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه لانهم يتولونه تعالى بالطاعة ، أى يتقربون اليه بطاعته والاستغراق فى معرفته بحيث اذا رأوا رأوا دلائل قدرته وان سمعوا سمعوا آياته وان نطقوا نطقوا بالثناء عليه وان تحركوا تحركوا فى خدمته وان اجتهدوا اجتهدوا فى طاعته لاخوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه والخوف انما يكون من حدوث شر فى المستقبل ولاهم يحزنون من فوات مطلوب والحزن انما يكون من تحقق شئ مما كرهه فى الماضى أومن فوات شئ أحبه فيه ، أى لايعتريهم مايوجب ذلك لأنه يعتريهم لكنهم لايخافون ولايحزنون ولاانهم لايعتريهم خوف وحزن بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لاواستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستصغارالجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين ، ولذلك قال بعضهم (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة والافهم أشد خوفا وحزنا فى الدنيا من غيرهم وانما يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الاطاعة الله ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى ، وذلك مما لاريب فى حصوله ولااحتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى ، وأما ماعدا ذلك من الامور الدنيوية ، المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل من الانتظام فى سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها ✡ وقال بعض العارفين التحقيق أنهم لفنائهم فى عين الهوية الأحدية لم يبق فيهم بقية ولاغاية وراء مابلغوا حتى يخافوا ويحزنوا ✡ وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون واقع فى جواب سؤال كأنه قيل من أولئك وماسبب فوزهم بتلك الكرامة ؟ فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان بكل ماجاء من عند الله والتقوى المفضين الى كل خير المنجين من كل شر ✡ وقال بعضهم وكانوا يتقون الله تعالى من صدور سيآت الاعمال والاخلاق فى مرتبة الشريعة والطريقة ، ومن ظهور الغفلات والتلوينات فى مرتبة المعرفة والحقيقة

لانهم يصلحون طبائعهم بالشريعة وأنفسهم بالطريقة ، وقلوبهم بالمعرفة وأرواحهم وأسرارهم بالحقيقة فلاجرم أنهم يتقون من كل ماسوى الله تعالى ، وهذه هي المرتبة الثالثة من التقوى وهي تنزه الانسان عن كل مايشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي مرتبة جامعة لما تحتها من مراتب التقوى أعني التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان والتجنب عن كل مايؤثم من فعل وترك وللاولياء في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم أقصاها ماانتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، جمعوا بين رياستي النبوة والولاية وماعاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة لمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية ، ومن هنا يعلم فضل رسول الله ﷺ على عيسى عليه الصلاة والسلام ، اذليس عروجه الى السماء الرابعة ببديع بالنسبة الى عروج رسولنا ﷺ الى العرش ومافوقه اذ كان تعلقه بهذه النشأة من جهة الأم فقط وتعلق رسول الله ﷺ من جهة الأبوين ومع ذلك ماعاقه التعلق حتى انتهى في عروجه الى ماانتهى اليه من نهايات العنصريات وغايات الطبيعيات ودوام الاتصال بالانوار العالية ممكن فيجعل هذه الحالة ملكة له فيصير بدنه كقميص يلبسه تارة ويخلعه أخرى ألاترى أن من قدر على النفقة فهو متى جاع فبيده الشبع يأكل ماشاء فقس عليه الرزق المعنوي والعروج الى مبداه بل هو أولى من ذلك لانه مستغن عن آلة وسبب وليس بين الطالب والمطلوب مسافة ، فاذا عرفت أن أولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون بالتقوى الحقيقية فاعرف أيضا أنه ، قد جاء في الاولياء أوصاف أخر بعضها متقارب و بعضها باعتبار البداية و بعضها باعتبار النهاية الى غير ذلك ، مماروى عن علي كرم الله وجهه ورضى عنه هم قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الذوى أي الذبول وهو الضمور ✲ وعن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم أي بسمتهم وإخباتهم وسكينتهم نحو — سيماهم في وجوههم — وقال بعضهم علامة الاولياء أن همومهم مع الله وشغلهم بالله وقرارهم اليه ، فنوا في أحوالهم ببقائهم في مشاهدة مالكهم فتوالت عليهم أنوار الولاية فلم يكن لهم عن نفوسهم أخبار ولامع واحد غيرالله قرارهم المتحابون في الله ، قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قيل يارسول الله من هم وماأعمالهم فلعلنا نحبهم فقال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم ، ولاأموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لايخافون اذاخاف الناس ولايحزنون اذاحزن الناس ✲ قوله يغبطهم الانبياء تصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل وهذا مبالغة والمعنى لوفرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء والافلا خلاف ان أحدا من غير الانبياء لايبلغ منزلة الانبياء ✲ وقال بعضهم ان النبيين يفزعون على أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون يوم القيامة اللهم سلم سلم و يخافون أشد الخوف على أممهم والامم يخافون على أنفسهم ، وأما الآمنون على أنفسهم فيغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم ، أي النبيون عليه من الخوف على أممهم وان كانوا آمنين على أنفسهم ، وقيل ان الحديث المذكور ناطق عن المحبة في الله ، والمحبة مقام اختص به عليه الصلاة والسلام من بين الانبيا والرسل وهو لاينافي تحقق الكمل من ورثته بحقائقه اذكمال التابع تابع لكمال متبوعه فمن الجائز

أن يحصل لهم من ذلك المقام وآثاره مابه يغبطهم بعض الانبياء ☆ وقد ورد علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل ولا يلزم من ذلك بلوغهم منزلة الانبياء ورجحانهم عليهم مطلقا وقد تقرر أن الافضل قد يكون مفضولا وبالعكس ، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بأمور دنياكم ودرجات المعرفة لانهاية لها والى الله المنتهى ☆ قال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه أولياء الله تعالى عرائس لا يرى العرائس الامن كان محرما لهم وأما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده فى حجاب الأنس لا يراهم أحد لافى الدنيا ولافى الآخرة ☆ وقال سهل رضى الله عنه أولياء الله لايعرفهم الاأشكالهم أومن أراد الله أن ينفعه بهم ولو عرفهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالفهم بعد معرفته بهم كفر ، ومن قعد عنهم خرج ☆ وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعالى فان الله معروف بكماله وجماله ، ومتى يعرف مخلوق مخلوقا مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب وظاهرهم مزين بأحكام الشرع وباطنهم مشتغل بأنوار الفقر (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من أشرارهما ومكارههما والمراد من البشرى المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة والثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس والرؤيا الصالحة يراها المؤمن أوترى له أى يراها مسلم لاجل مسلم آخر تكون مبشرة له بصلاح أوتنبيه من غفلة أوفرح وهذه البشارة لاتكون الا لاولياء الله لانهم مستغرقو القلب والروح فى ذكر الله ومعرفته فنامهم كاليقظة لايفيد الا الحق واليقين ، وأمامن يكون متوزع الخاطر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم فانه لا اعتماد على رؤياه : قال بعض العارفين لهم المبشرات التى هى تلو النبوّة من الوقائع التى يرونها بين النوم واليقظة والالهامات والكشوفات وماير دعليهم من المواهب والمشاهدات كما قال عليه الصلاة والسلام لم يبق من النبوّة الا المبشرات .

﴿وفى الحديث الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوّة﴾ ومعناه أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى فى المنام ستة أشهر ونسبتها لثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا ، وانما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك بالرسالة فلا تتحملها القوى البشرية فكانت الرؤيا تأنيساله ☆ وقال بعضهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة ، وأما البشرى فى الآخرة فمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فمن ذلك تلقى الملائكة لهم مسلمين ومبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بأيمانهم وما يقرءون منها ، وغير ذلك من البشارات فى كل موطن من المواطن الاخروية فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات الآجلة المطلوبة لغاياتها لالذاتها ومن بشرائهم فى الآخرة كشف القناع عن جمال العزة عند سطوات نور القدم وزهق ظلمة الحدوث وبلقاء الحق رحمة منه كما قال (يبشرهم ربهم برحمة منه) ☆ وجاء فى الحديث يقول الله تعالى لهم بعد التجلى هل بقى لكم شئ بعد هذا فيقولون ياربنا وأى شئ بقى ، وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك ، وأريتنا وجهك ، فيقول الحق جل جلاله بقى لكم فيقولون ياربنا وماذاك فيقول دوام رضاى عليكم فلا أسخط عليكم أبدا ، فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى فبدأ سبحانه خلقنا بالكلام فقال كن فأوّل شئ كان لنا منه السماع وختم بما به بدأ فقال هذه المقالة

نعم بالسماع وهو هذه البشرى لا تبديل لكلمات الله أى لمواعيده الواردة فى حقهم اذ لا خلف لمواعيده أصلا ولا تتغير أحكامه الازلية حيث قال للولى كن وليا وللعدو كن عدوا كما أراد للحكمة البالغة فلا تغير لكلمة الولى ، وكذا العدو ذلك هو الفضل العظيم ، الذى لا تصل الى كنهه العقول ، وكيف لا وفيه سعادة الدارين .

﴿واعلم أن الولاية على قسمين﴾ عامة وهى مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وخاصة وهى خاصة بالواصلين الى الله تعالى من أهل السلوك ، والولاية عبارة عن فناء العبد فى الحق والبقاء به ، ولا يشترط فى الولاية الكرامات الكونية فانها توجد فى غير الملة الاسلامية لكن يشترط فيها الكرامات القلبية كالعلوم الالهية والمعارف الربانية فهاتان الكرامتان قد يجتمعان كما اجتمعتا فى الشيخ عبد القادر الجيلانى والشيخ أبى مدين المغربى رضى الله عنهما فانه لم يأت من أهل المشرق مثل عبد القادر فى الخوارق ومن أهل المغرب مثل أبى مدين مع ما لهما من العلوم والمعارف الكاملة وقد تفترقان فتوجد الثانية دون الاولى كما فى أكثر الكمل من أهل الفناء ، وأما الكرامات الكونية كالمشى على الماء والطيران فى الهواء وقطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة وغيرها فقد صدرت من الرهبانية والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان من حيث لا يعلمون وهكذا كثير من الممكور بهم يشرعون فى الرياضات فيلوح لهم من صفاء الروحانية ظهور ما يشبه بعض الآيات وخوارق العادات فاذا لم يكن مؤيدا بالايمان ومقرونا برؤية البرهان لم يزدهم الا العجب والغرور فانخراق حجب البشرية ، قد يحصل بالرياضات فيلوح بسبب ذلك شئ من أنوار السروح فيرى الشخص بعض الآيات والمعانى المعقولة وقد كان لبعض الفلاسفة ولكن حيث لم يوجد الايمان فعاقبة ذلك الى الخزى والهوان فالفرق بينهم و بين المسلمين أن المسلمين مؤيدون بنور الايمان فيزيدهم ذلك فى القرب والكرامات فتظهر لهم فراسات وكشوفات من تجلى أنوار الحق كما قال تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ✡ واعلم ان النبوة والرسالة اختصاص إلهى فلا مدخل لكسب العبد فيها ، وأما الولاية فلكسب العبد مدخل فيها وفى الحقيقة كل من ذلك اختصاص عطائى وظهور ذلك بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن انه كسبى فأول الولاية انتهاء السفر الاول الذى هو السفر من الخلق الى الحق بازالة التعشق عن المظاهر والاغيار والخلاص من القيود والاستار والعبور عن المنازل والمقامات والحصول على المراتب والدرجات و بمجرد حصول العلم اليقينى للشخص لا يلحق بأهل التمام لانه انما يتجلى الحق لمن انمحى رسمه وزال عنه اسمه ✡ ولما كانت المراتب متميزة قسم أرباب هذه الطريقة المقامات الكلية الى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، فعلم اليقين تصور الامر على ما هو عليه وعين اليقين شهوده كما هو ، وحق اليقين بالفناء فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لا علما فقط ولا نهاية لكمال الولاية فمراتب الاولياء غير متناهية

﴿وقتل النفس عندهم هو التبرى من الحول والقوة﴾ والطريق التوحيد وتزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتطهيرها من الاغراض الدنيئة فمن جاهد فى طريق الحق فقد سعى فى الحاق نفسه بزمرة الاولياء ومن اتبع الهوى فقد اجتهد فى الالتحاق بفرقة الاعداء والسلوك الارادة لاجل الفناء فان المريد من يفنى ارادته فى ارادة الشيخ فمن عمل برأيه أمرا فهو ليس بمريد فينبغى للمؤمن

أن يجتهد فى تحصيل سير أولياء الله وأقل الامران لايقصر فى حبهم فان المرء مع من أحب أى يحشر معه فلابدّ من الجهة الجامعة على وجه خاص

﴿ وخلاصة الامر الذى يتم به المراد الاستقامة ﴾ وخلاصتها امتثال الامر واجتناب النهى ورؤية الفضل والمنة لله تعالى والتبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته وتسليم العبد أمره الى مولاه ، ويعلم أن الخيرة له فى جميع مابه يتولاه ، وان خالف ذلك مراده وهواه ، فاذا دعا وطلب من مولاه أمرا يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لامحالة قال الله تعالى (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) ، وقال تعالى (ادعونى أستجب لكم) ☆ وعن جابر ابن عبدالله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ماسأل أو كف عنه من السوء مثله مالم يدع باثم أو قطيعة رحم

﴿وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال مامن داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته﴾ أو صرف عنه مثلها سوءا أوحط عنه من ذنوبه بقدرها مالم يدع باثم أو قطيعة رحم ، فاذن الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا أن الاجابة أمرها الى الله تعالى يجعلها متى شاء ، وقد يكون المنع وتأخير العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا أو تأخيرا وان ألح فى دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فقد جاء فى بعض الأخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى : له ألم آمرك برفع حوائجك الىّ فيقول نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى : ماسألت شيئا إلا أجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض فى الدنيا ومالم أنجزه فى الدنيا فهو مدخر لك نخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهى عن الاستعجال فى اجابة الدعاء فى قوله يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول : قد دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما أخبره الله عنهما حيث قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ثم اخبر انه قد أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعانّ سبيل الذين لايعلمون) قالوا كان بين قوله تعالى لهما (قد أجيبت دعوتكما) وهلاك فرعون أربعون سنة ☆ قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قوله تعالى (فاستقيما) أى على عدم استعجال ماطلبتما (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) هم الذين يستعجلون الاجابة ☆ وقد كان القصد من هذا الكتاب ذكر كلمات يسيرة من كلام القوم يحصل بها السلوك فجر الكلام الى هنا وطال وكله ان شاء الله لايخلو عن فائدة وان كان فى بعضه تكرار .

﴿ وكلام القوم فى الحقائق كثير لاغاية له فلنختم الكتاب بذكر مناجاة ابن عطاء الله رضى الله عنه ﴾ ثم بذكر مناجاة ذى النون المصرى رضى الله عنه فان كلا منهما جمع فى مناجاته خلاصة ماذكرناه فى هذا الكتاب ☆ ومناجاة ابن عطاء الله رضى الله عنه قال بعض العارفين ان فيها سرا عجيبا وتأثيرا كبيرا فى قلب ذاكرها مع الحضور واذا كان ذلك فى وقت السحر يكون أولى فان لم يتيسر ذلك ففى آخر النهار أو فى أى وقت ، وهى «إلهى أنا الفقير فى غنائى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى إلهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى . إلهى أن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك فى بلاء ، إلهى منى مايليق بلؤمى ومنك

مايليق

مايليق بكرمك ، الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى ، الهى ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على ّ وان ظهرت المساوى منى فبعدلك ولك الحجة على ّ ، الهى كيف تكلنى الى نفسى وقد توكلت لى أم كيف أضام وأنت الناصر لى أم كيف أخيب وأنت الحفى ّ بى هاأنا أتوسل بفقرى اليك وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك أم كيف أشكو اليك حالى وهى لاتخفى عليك أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز اليك أم كيف تخيب آمالى وقد وفدت اليك أم كيف لاتحسن أحوالى و بك قامت واليك ، الهى ماألطفك بى مع عظيم جهلى وماأرحمك بى مع قبيح فعلى ، الهى ماأقربك منى وماأبعدنى عنك ، الهى ماأرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك ، الهى قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار ان مرادك أن تتعرف الى ّ فى كل شىء حتى لاأجهلك فى شىء ، الهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك وكلما آيستنى أوصافى أطمعتنى مننك ، الهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لاتكون مساويه مساوى ، ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لاتكون دعاويه دعاوى . الهى حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذى مقال مقالا ولالذى حال حالا ، الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك ، الهى أنت تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا فقد دامت محبة وعزما ، الهى كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لاأعزم وأنت الآمر ، الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك ، الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ، أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك إلهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا الهى أمرت بالرجوع الى الآثار فارجعنى اليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر ّ عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها (انك على كل شىء قدير) الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لايخفى عليك منك أطلب الوصول اليك و بك أستدل عليك فاهدنى بنورك اليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك وصنى بسر اسمك المصون الهى حققنى بحقائق أهل القرب واسلك بى مسالك أهل الجذب الهى أغننى بتدبيرك عن تدبيرى و باختيارك عن اختيارى وأوقفنى على مراكز اضطرارى ، الهى أخرجنى من ذل ّ نفسى وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى بك أستنصر فانصرنى وعليك أتوكل فلاتكلنى و إياك أسأل فلاتخيبنى وفى فضلك أرغب فلاتحرمنى ولجنابك أنتسب فلاتبعدنى و ببابك أقف فلاتطردنى الهى تقدس رضاك عن أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى أنت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لاتكون غنيا عنى ، الهى أن القضاء والقدر غلبنى وان الهوى بوثائق الشهوة أسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصر بى وأغننى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذاوجد من فقدك ومالذى فقد من وجدك لقد خاب من رضى دونك بدلا . ولقد خسر من بغى عنك متحولا ، الهى كيف يرجى سواك وأنت ماقطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان يامن أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين و يامن ألبس

أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعز بن أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادى بالاحسان قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب وأنت لما وهبتنا من المستقرضين ، الهى اطلبنى برحمتك حتى أصل اليك واجذبنى بمنك حتى أقبل عليك إلهى ان رجائى لاينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفى لايزايلنى وان أطعتك ، الهى قددفعتنى العوالم اليك وقد أوقفنى علمى بكرمك عليك . الهى كيف أخيب وأنت أملى أم كيف أهان وعليك متكلى الهى كيف أستعز وأنت الذى فى الذلة لك أركزتنى أم كيف لاأستعز واليك نسبتنى أم كيف لاأفتقر اليك وأنت الذى فى الفقر أقمتنى أم كيف أفتقر الى غيرك وأنت الذى بجودك أغنيتنى أنت الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شىء فما جهلك شىء وأنت الذى تعرفت الى فى كل شىء فرأيتك ظاهرا فى كل شىء فأنت الظاهر لكل شىء يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار ، يامن احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » وقد ذكرت هذه المناجاة فى آخر الحكم وذكر الشراح جميع معانيها فليراجعها من الشراح من أراد ذلك

﴿وأما مناجاة ذى النون﴾ فقد ذكرها الحافظ أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة ذى النون فقال كان يقول كل يوم «الهى وسيلتى اليك نعمك على وشفيعى اليك احسانك الى الهى أدعوك فى الملأ كما تدعى الأرباب وأدعوك فى الخلا كما تدعى الأحباب ، أقول فى الملا يا إلهى وأقول فى الخلا ياحبيبى أرغب اليك وأشهد لك بالربوبية مقرا بأنك ربى واليك مردى ابتدأتنى برحمتك من قبل أن أكون شيئا مذكورا خلقتنى من تراب ثم أسكنتنى الأصلاب ونقلتنى الى الأرحام . أنشأت خلقى من منى يمنى ثم أسكنتنى فى ظلمات ثلاث بين دم ولحم ملتاث وكونتنى فى غير صورة الاناث ثم نشرتنى الى الدنيا تاماسويا وحفظتنى فى المهد طفلا صغيرا ورزقتنى من الغذاء لبنا مريا وكفلتنى حجور الأمهات وأسكنت قلوبهم رقة بى وشفقة على وربيتنى بأحسن تربية ودبرتنى بأحسن تدبير وكلاتنى من طوارق الجن وسلمتنى من شياطين الانس وصنتنى من زيادة فى بدنى تشيننى ومن نقص فيه يعيبنى فتباركت ربى وتعاليت يارحيم ، فلما استهللت بالكلام أسبغت على سوابغ الانعام وأنبتنى زائدا فى كل عام فتعاليت ياذا الجلال والاكرام حتى ملكتنى شأنى وشددت أركانى أكملت لى عقلى ورفعت حجاب الغفلة عن قلبى وألهمتنى النظر فى عجائب صنعك وبدائع عجائبك وأوضحت لى حجتك ودللتنى على نفسك وعرفتنى ماجاءت به رسلك ورزقتنى من أنواع المعاش وصنوف الرياش بمنك العظيم واحسانك القديم وخلقتنى سويا ثم لم ترض لى بنعمة واحدة دون أن أتممت على جميع النعم وصرفت عنى كل بلوى وأعلمتنى الفجور لأجتنبه والتقوى لألتزمها وأرشدتنى الى مايقربنى اليك زلفى فان دعوتك أجبتنى وان سألتك أعطيتنى وان حمدتك شكرتنى وان شكرتك زدتنى ، فأى نعمك أحصى عددا وأى عطائك أقوم بشكره أما أسبغت على من النعماء أو ماصرفت عنى من الضراء إلهى أشهد لك بما شهد به لك ظاهرى وباطنى وأركانى وجوارحى الهى انى لاأطيق احصاء نعمك على فكيف أطيق شكرى عليها وقد قلت وقولك الحق (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) أم كيف يستغرق شكرى نعمك وشكرك من أعظم النعم عندى وأنت المنعم به على كما قلت سيدى (وما بكم من نعمة فمن الله)

وقد

وقد صدقت فى قولك الهى وسيدى وقد بلغت رسالك بما أنزلت اليهم من وحيك غير أنى أقول بجهدى ومنتهى علمى ومجهود وسعى ومبلغ طاقتى الحمدلله على جميع احسانه حمدا يعدل حمد الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ☆ قال بعض العارفين وانما أكثر ذوالنون من تعداد النعم والشكر عليها عملا بقول الله تعالى (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) فلابد لمن أراد القيام بواجب الشكر من كثرة الفكر فى مصنوعات الله وصفاته وأفعاله وانعاماته عليه وعلى غيره ليعرف حينئذ قدر النعم وفضل الله واحسانه عليه و بعد ذلك كله يعترف بالعجز عن القيام بأقل الشكر فضلا عن أكثره وكان بعض العارفين يزيد على ذلك بمحاسبة نفسه على نعم الله المتجددة عليه كل يوم من أول لحظة الى آخر لحظة

﴿ويبنغى﴾ للعبد المريد الوصول الى الله تعالى أن يكون له أذكار وأدعية يكثر فيهامن التضرع والذل والافتقار واظهار العجز والفاقة مع الالتجاء الى الله تعالى والتبرى من الحول والقوة والاقرار بالرضا والتسليم والتفويض ، فمنها اللهم أنت القوى العزيز وأنا عبدك الضعيف الذليل الذى لاحول لى ولاقوة الا بك ياعزيز من للذليل غيرك ياقوى من للضعيف غيرك ياقادر من للعاجز غيرك ياغنى من للفقير غيرك ، اللهم اليك ذلت واليك خضعت أنت العزيز وأنا الذليل وأنت القوى وأنا الضعيف وأنت الغنى وأنا الفقير المضطر وأنت القادر وأنا العاجز ياغنى أنت الغنى وأنا الفقير من للفقير سواك ياعزيز أنت العزيز وأنا الذليل من للذليل سواك ياقوى أنت القوى وأنا الضعيف من للضعيف سواك ياقادر أنت القادر وأنا العاجز من للعاجز سواك ياأول يا آخر ياظاهر ياباطن أسألك محق أسمائى باسمائك وصفاتى بصفاتك واختيارى باختيارك وتدبيرى بتدبيرك وكن لى بما كنت به لأوليائك (وأدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعلنى من لدنك سلطانا نصيرا) يا أول يا آخر ياظاهر ياباطن سربل قلبى بحقائق ربوبيتك ، واغفرلى فى كلا الوصفين وهب لى تقواك فى الأمرين (انك أهل التقوى وأهل المغفرة) ، إلهى معصيتى قطعتنى عن كل شىء الامنك والحمدلله ، الهى ان غلبنى شىء غلبته بنور وجهك والحمدلله اللهم قنى شر نفسى والهمنى رشدى اللهم أرنى الحق حقا وارزقنى أتباعه وأرنى الباطل باطلا وارزقنى اجتنابه ولا تجعل الأمر مشتبها على فأتبع الهوى اللهم رضنى بقضائك وعافنى من بلائك وأوزعنى شكر نعمائك واجعل اللهم رغبتى فيما لديك وراحتى عند لقائك اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأهلك ولا الى أحد من خلقك فأضيع واكلأنى كلاءة الوليد ولاتخل عنى وأصلح لى شأنى كله ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث اللهم انى أسألك بأنى أشهد انك أنت الله لااله الا أنت وحدك لاشريك لك وأن سيدنا محمدا عبدك ورسولك فلاتكلنى الى نفسى فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى الى الشر وتبعدنى من الخير وانى لاأثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة (انك لاتخلف الميعاد) اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل (فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم (اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) لااله الا أنت رب كل شىء ومليكه أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجره الى أحد من خلقك انك على كل شىء قدير ☆ و ينبغى أيضا الاكثار من

الأذكار والأدعية النبوية وهي كثيرة مشهورة ذكر كثيرا منها العلامة الحبيب طاهر باعلوى فى كتابه المسمى بالمسالك ، ومنها دعاء عظيم فيه فضل كبير وهو مارواه الطبرانى والحاكم وابن حبان فى صحيحهما عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ علمها اياه وهو «اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وماقضيت اللهم لى من أمر فاجعل عاقبته رشدا ياأرحم الراحمين اللهم انى أسألك من خير ماسألك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد ﷺ وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولاحول ولاقوة الا بالله» هكذا جاء على هذا الترتيب وقدم فى المسالك هذا على قوله اللهم انى أسألك من الخير الخ ، ولعله جاء فى رواية كذلك ☆ قال القطب سيدى عبد الله بن علوى الحداد اذا لم يتيسر للعبد الاتيان بجميع الأذكار الواردة فى الصباح والمساء وعند تغاير الأحوال فليأت بهذا الذكر ، وكذا من لم يحفظ الوارد فى كل موطن فيه ذكر وارد أو كان يحفظه ولكن لم يتيسر له الاتيان به لعذر من الأعذار ، لأن هذه الدعوات من جوامع كلم النبى ﷺ وهى شاملة لجميع الدعوات والاستعاذات ، وذلك من خصوصياته ﷺ حيث يقول «أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا» وهى من النعم التى لايقدر قدرها ولايحصر شكرها لأن من دعا بها كأنه دعا بكل دعاء دعا به رسول الله ﷺ وأتى بكل استعاذة استعاذ بها رسول الله ﷺ ولا يترك ذلك الا محروم ، لأنها الغنيمة الباردة التى لاتعب فيها ولانصب ولا علمها سيدنا رسول الله ﷺ سيدتنا عائشة رضى الله عنها الا لعلمها بأنها عاجزة عن الاتيان بكل مادعا به ، فنحن أعجز منها فليكن اقتداؤنا بها ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله أولا وآخرا ☆ هذا آخر الرسالة التى ألفها وحررها شيخ مشايخ الاسلام ورئيس العلماء الأعلام سيدى وملاذى ومدبر أمرى شيخ الفريقين وامام الطريقين سيدى الحبيب أحمد بن المرحوم بكرم الله السيد زينى دحلان رحمه الله الكريم المنان وأدام النفع بمؤلفاته على ممر الأزمان بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان آمين

حمدا لمن سهل سبيل الوصول . الى معرفة الله والرسول . وأنهل أهل وداده . لذيذ شراب الصفوة من عباده . ونظمهم فى سلك المقربين . وأشهدهم عين اليقين . وأغرقهم فى بحار مشاهدته . وأنالهم جزيل جيل مثوبته . وصلاة وسلاما على معدن الأنوار وينبوع خزائن الأسرار . من خصه الله بجوامع الكلم . وآتاه لطائف الحكم . سيدنا محمد وآله والناسجين على منواله :

(وبعد) فقد تم طبع الكتاب الذى طابق اسمه مسماه . وعنوانه معناه . ألاوهو ﴿تقريب الأصول . لتسهيل الوصول الى معرفة الله والرسول﴾ تأليف شيخ الاسلام . ببلد الله الحرام . السيد احمد بن السيد زينى دحلان . عليه رحمة الكريم المنان ، مصححا بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف برئاسة (الشيخ ابراهيم بن حسن الانبابى)

وذلك بمطبعة الشيخ (مصطفى البابى الحلبى وأولاده) بمصر الكائن مركزها بشارع التبليطة بجوار الأزهر الشريف بسراى رقم ١٢ وقد وافق تمام طبعه أوائل ذى القعدة الحرام سنة ١٣٤٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

تقريظ

لما اطلع على هذا الكتاب الجليل حين طبعته الاولى ، فضيلة العلامة المرحوم الشيخ عبدالحميد ابن المرحوم محمد على قدس من علماء الحجاز وصاحب التآليف المشهورة ، قال متوسلا بالنبي والآل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نحمدك﴾ يامن بتيسير الأصول يسرت على عبادك أسباب الوصول فسطعت عليهم سواطع جلالك و برقت لهم بوارق بهائك وجمالك ، وكشفت لهم عن محجبات الأسرار وكسوتهم جلابيب الهيبة والوقار ، ونصلى ونسلم على الانسان الكامل أفضل من أوتى عوارف المعارف والنبي الخاتم أكمل من هدى بهدايته الى منهاج العابدين ، وزجر بزواجره عن المتالف صاحب الدعوة التامة والرسالة الجامعة العامة من نصح بالنصائح الدينية ووصى بالوصايا الايمانية ، سيدنا محمد الذى أوضح معالم الطريقة للسالكين ونشر أعلام الحقيقة للسائرين وعلى آبائه واخوانه من الأنبياء والمرسلين أفضل من قاموا باحياء علوم الدين وعلى الملائكة الذين أسعدهم الله بطهارة القلوب وعلى آله وأصحابه الملحوظين بالعناية من علام الغيوب ﴿أما بعد﴾ فان حياض العلوم على صفحات الدهر لاتزال متدفقة ورياض الفنون مثمرة مورقة مونقة لعمرالله انها لأشرف الصنائع وأربح البضائع أربابها دائما فى ارتفاع ، والمشتغل بها لم يزل فى نفع وانتفاع ، وان من أجلّ ماتتسابق فيه الهمم ، وتشمر عن سوقها فى سوق تحصيله كل قدم (علم التصوف) الذى يصفى القلوب ويزكى الطبع فهو أصل وماسواه فرع ، اذ به يتوصل الى تخلية الفكر عن الأغيار وتحليته بمشاهدة الملك الغفار ☆ هذا : وان من أنفس ماصنف فى هذا الباب وأجل مايقتنيه ذوالحجا والألباب مع براعة عبارة وتهذيب ظريف ولطيف اشارة وترتيب منيف و بديع صياغة وقويم تحرير وأنيق صناعة تروق المهذب النحرير الكتاب الميسر لأسباب الوصول . المسمى (بتيسير الأصول) (١) فناهيك من تصنيف ينادى من حوله معلنا بين الورى ، حسبى هذا الكتاب كلّ الصيد فى جوف الفرا لتنعشت منه الأرواح والنفوس وحصل به الانتفاع ، وقيل لاعطر بعد عروس . وحسبك به من تأليف تعقد عليه الخناصر لما أبرزه من محجبات العرائس ومخبآت الذخائر ، ان سئل أجاب وأتى بالعجب العجاب يجنب مطالعه الخلال العاطله ويكسبه الخصال الجيدة الفاضله . ويهوّن النفوس و يؤدّبها ، ويزكى الطباع ويهذبها ، تجتنى ثمار المواعظ من رياضه ويتفجر عذب الحكم من سلسبيل حياضه وتشرق أنوار المعارف من كواكبه ، وتظهر عرائس النفائس فى مواكبه ، لايصدر عنه ظمآن الاراويا من مناهل العرفان ، ولا عار من فضيله الا كاسيا بحللها الجيله ، فهذا الكتاب الذى طابق اسمه مسماه و بلغ بين كتب التصوف من الفضل أسماه ، لجدير بذوى الآداب واللطائف وعصابة الألباب والمعارف أن يسرحوا أنظارهم نحو حدائقه و يشنفوا أسماعهم بجواهر دقائقه و يقتبسوا من مصباحه المنير ويلتمسوا من قاموسه الخضم الغزير فكم أبرز من ابريز الدقائق وأظهر من مكنون الحكم والرقائق

(١) سماه المؤلف تقريب الأصول والمعنى واحد . انتهى مصححه

ماتنشرح به صدور الصديقين وتقرّبه أعين ذوى السلوك المحققين ايه وكم مافى هذا الكتاب مايهدى الى طريق الصواب فهو نديم نفيس وجليس أنيس وسمير كل أمير ، بل أمير كل سمير ، ولعمرى أنه قدانتظمت عقودفرائده وشيت مطارف فوائده أماط القناع وأفاض الاطلاع مع جزالة عبارته ولطف اشارته وحسن نادرته وجيل مسامرته . و بالجملة ففرائده يضيق عنها نطاق التعبير و يقصر عن وصفها لسان البليغ النحرير فياله من مؤلف لم تسمح بمثله القرائح ومصنف لم تطمح على نسج منواله المطامح

ذا كتاب قدحاز سرا لطيفا ✲ فيه يسر لمن يريد استقامه

فاتخذه تنل بيسر معال ✲ وارو عنه النجاة يوم القيامة

﴿وكيف لا﴾ وقد أوصى عليه مؤلفه ذو التقى عند انتقاله الى دار البقا ، فقال انه أحسن تآليفه التى حارت فى وصف حسنها الأفهام وأنه لم يؤلف مثله فى الاسلام وأنه جواهر ودرر نقيه التقطها من كتب السادة الصوفيه

فحسبك ذى الوصية من امام ✲ سليل الصدق والبطل الهمام

صدوق فى المقال أبو المعالى ✲ أحقّ بقول نظام الكلام

اذا قالت حذام فصدقوها ✲ فان القول ماقالت حذام

﴿وكيف لا﴾ وهو أوحد الورى وأجل من تفنن ممن تبوأ أمّ القرى دوحة العلم تاج العلماء الاعلام المتمسك من فنون العربية والأدب بوثيق الزمام والقدوة فى كل فن ، لاسيما على التفسير والتصوف والتاريخ والحديث والامام بين كل قوم القديم منهم والحديث القائم بحماية دين الله ورسوله جده الاكرم الباذل نفسه بالارشاد الى التى هى أقوم المحرق بشهاب أدلته كل شيطان مارد القاطع بمواضى حججه كل مارد وجاحد المخمد نيران البدع بمياه السنة حتى صيرها ترابا الهادم بمعاول محكماته مشيدات الشبه حتى خلفها خرابا امام السادة الصوفية وهمام القادة المرضية كامل الأوصاف السيد الأمثل صاحب القدم الراسخ الذى لايتزلزل علم الفضل الذى تستخف دونه الأطواد ومنبع الفخر الذى طاب ذكره فى كل ناد ذروة أهل السعادة والمجد الغنىّ عن المدح والحمد

برّ النوال أخو الافضال بحرندى ✲ ومفرد العصر جمع الفضل متجره

فى غاية القرب للراجى لينجده ✲ فى ذروة البعد عن وصف يحقره

يأبى المعالى فى كل الأمور كما ✲ يأبى السفاسف حتى لاتكدره

يبدى البشاشة مهما سنة ظهرت ✲ وان نأت فعبوس الوجه أجره

يرضى و يغضب فى الحالين فهو اذا ✲ يبدو على الدين ثم قام أسمره

ومن على سنة المختار قد نشأت ✲ أفعاله فعلى الرحمن يجبره

يعطى المعارف والاحسان يتبعها ✲ ويمنع اللغو فى قول يحرره

ومن تمسك بالدين القويم فقل ✲ ماشئت فيه لخير الخلق بشره

ومن غدا وارث المختار حيث بدا ✲ فأطول المدح فى علياه أقصره

البحر الذى تستمد من فيضه البحور والحبر الذى تتفجر ينابيع الحكم من بين ثناياه وتفور من أنفق من خزائن علمه ولم يخش من ذى العرش اقلالا هكذا هكذا والافلالا ، قال فلم يترك مقالا لقائل وتسامى فكأنما هو للنيرين متطاول وتصاعد درج السيادة حتى فاق الآفاق وتعالى حتى

عقدت على رياسته خناصر الاجماع والاتفاق نخر الأماثل الأخر والحبة التى أنبتت سبع سنابل بل أكثر قطب دائرة العلوم المرجع عند اضطراب الفهوم كشاف المشكلات ومزيل المعضلات سراج العلوم المتوقد ورب التعبير الغير المتعقد مشيد أركان المعارف باملائه وتقريره ومؤيد دولة الشريعة بتحبيره وتحريره صاحب التصانيف العديده ، والتآليف المفيده التى اشهرت كنار على علم واتخذها العلماء كهفا يلجأ اليه وبه يعتصم ، ويعتمدون فى نقولهم عليها ويرجعون فى اختلافهم اليها

جامع أشتات علوم الورى ☆ فاستشهدن أقلامه تشهد

وليس لله بمستنكر ☆ أن يجمع العالم فى مفرد

كما حوى كل حروف الهجا ☆ بيت قصير فاستمع واعدد

جاحظ فضل غوث مستصرخ ☆ هش زكى قطب عرندى

نووى زمانه ، وسيبويه أوانه ، مربى المريدين ، ومفيد الطالبين ، كعبة القاصدين ، المتخلق بالأخلاق المحمدية . وزمزم شراب الواصلين ، المتضلع بالعلوم النقلية والعقلية ، ورحلة السادة الكبراء المحققين ، ومحط رحال القادة المدققين ، شيخ الاسلام بلا نزاع ، وبركة الأنام بلا دفاع ، رئيس العلم وذويه ، الأحق بأن يقال فيه

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ☆ ملأ المسامع والأفواه والمقل

مفتى السادة الشافعية بالديار المشرفة ، والمعاهد المعظمة المكية ، جهبذ الجهابذة ، أستاذنا وأستاذ الاساتذة أصل الأصول وفرع طه الرسول محيى سنة جده سيد ولد عدنان والمتأسى به فى جميع أحواله حتى فى كونه ولد بمكة وتوفى بالمدينة العظيمة الشان

فمكة ذات البيت مطلع بدره ☆ ومغربه فى طيبة دارة السعد

فمن حرم أسرى الى حرم لكى ☆ يحوز جوار المصطفى مكرم الوفد

فكان له فى ذا التأسى بجده ☆ فلا فضل يلفى مثل ذلك فى العد

النادرة التى أفلتت من ضنين الزمان ، وبرهان من قال من الحكماء بتعدد نوع الانسان ، فخر الأقران . المشار اليه بأطراف البنان . العلى الهمة العظيم الشان . المرحوم بكرم الرحيم الرحمن سيدنا ومولانا [السيد أحمد بن زينى دحلان] ، قدس الله روحه وجعل من رحيق رضوانه غبوقه وصبوحه ، وأجزل أجره وثوابه ، وملأ من سيب الفضل والاحسان وطابه ، وأرسل سحائب رحمته عليه ، وأنهى صيب مرسلات رضوانه فى فراديسه العالية اليه ، وأفاض علينا وعلى المسلمين من بركاته ، وأمدنا بأسراره وفيوضاته آمين بجاه الأمين ﴿هذا﴾ ولما خفق جناح اكماله طبعا ، وانتشر ضوء فجر اختتامه واحسانه صنعا ، انطلق لسان القلم يترجم عن بعض محاسنه ، بعض ما نثر بما نظم مؤرخا حسن هذا الصنيع ، على لسان كل بصير بمقداره سميع فقال :

أخود بدت تختال فى حلة الفخر ☆ فحيرت الأفكار من حسنها الوتر

أم ابتسمت حوراء عن در ثغرها ☆ فلاح سناء منه يعلو سنا البدر

أم الروضة الغناء قد زارها الحيا ☆ ففاقت بمرآها على طلعة الفجر

أم اجتاز سفر فى التصوف جامع ☆ ففاح عبير يزدرى المسك بالنشر

كتاب حوى در التصوف فانجلى ☆ به الغامض المحجوب عن منتهى الفكر

يسمى بتيسير الأصول وشأنه ✡ ييسر أسباب الوصول الى البرّ
ومختصر فيه الفتوح بسرعة ✡ يسير ويروى وارديه بلا عسر
خلاصة هذا الفن حلو مذاقه ✡ يرى بين أسفار التصوّف كالدرّ
فيامن يريد العلم والرشد والهدى ✡ عليك به تعطى المقاصد باليسر
وتغنم در العلم من بحر فيضه ✡ وأثماره من جنة عينها تجرى
فيغنيك هذا السفر عن كل ماعدا ✡ فالصيد فى جوف الفرا فاغن بالسفر
وكيف وقد أوصى به عند نقله ✡ مصنفه بحر المكارم والفخر
وقدوة أهل الله من شاع فضله ✡ الغنى عن الاطراء والحمد والشكر
ونخبة أنجال الرسول ومن غدا ✡ بأم القرى يهدى البرايا الى البر
وقطب الورى الاستاذ ذو العلم من له ✡ تآليف فيها النفع جلت عن الحصر
ورحلة أهل الفضل من منه قد أتت ✡ تقارير يزرى ذوقها شهدة الثغر
وخاتمة الحفاظ سدرة منتهى ✡ المعارف والارشاد مرتفع القدر
رفيع بحار الفكر فى حصر فضله ✡ تحقق فيه قول من فاق فى الشعر
امام همام فى البلاغة بارع ✡ وحيد ألبا الدهر منفرد العصر
اذا قسته بالشمس فالشمس دونه ✡ وان قسته بالبدر أربى على البدر
وان قسته بالبحر فالبحر مالح ✡ وان قسته بالدهر فاق على الدهر
هو المقتدى دحلان احمد من غدت ✡ مناقبه عقدا على عاتق الفخر
سقى الله مثواه بصيب رحمة ✡ وبوّأه الفردوس منشرح الصدر
ومنّ بفتح وانتصار وعطفة ✡ (لعبدالحميدالقدسى) راجى صفا الفكر
وأشياخه والمسلمين جميعهم ✡ بجاه جميع الرسل لاسيما الطهر
وآل وصحب من الى الخير أرشدوا ✡ عليهم صلاة مع سلام مدى العمر
وما قال اذ قد تمّ طبع مؤرخ ✡ بدا الطبع بالتيسير يزرى بها البدر



فهرست

تقريب الأصول لتسهيل الوصول للعلامة المرحوم السيد أحمد بن السيد زيني دحلان

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾